مَوْسُوعَةُ العَذَابِ

موسوعة العذاب

تأليف

عبّود الشالجي

المجلّد الخامس

الدار العربية للموسوعات

GLEBEWEALD LTD.

اخراج وتنفيذ



الدار العربية للموسوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. ١٣/٥٣١٨ تلكس ٢٣١٠٧ Aratred Le

هاتف ٣٥٢٥٩١ - ٣١٣٨٢٨ - الحمراء

ص. ب. ٤٤٦ الحازمية - تلكس ٤٢٨٣٩ Arab Le

هاتف ٤٢٩٩٨١ (٢) - Telefax (٩٦١١) ٤٢٩٩٨١

THE ARAB ENCYCLOPEDIAS LTD.

London

2 Greville Lodge 15 Westbourne

Grove Terrace London W2 P.O. Box 1068

Tel (01) 2293880 (01) 2294054

Telex Arben G825388 Telefax 7920802

القسم الثاني

القتل في المعركة

العرك ، في اللغة : الفرك والدلك .
والموج المعترك : المتلاطم
والعراك : التزاحم ، ثم صرفت الكلمة الى القتال .

وما أحسن ما قال شاعر العربية ، أحمد شوقي رحمه الله ، من قصيدة كلّها غرر ، يخاطب قلبه :

لم تبق فينا يا فؤاد بقيّة لفتوّة أو نهزةٌ لعراك

ومعترك المنايا : السنّ ما بين الستين والسبعين .

وكلمة العراك ، في بغداد ، تعني المخاصمة ، حتى لو كانت باللفظ ، يقول البغدادي : تعاركت مع فلان ، أي خاصمته ، ولا يعني القتال .

ويقولون عن الشخص الطويل اللسان ، ذي الوجه الوقاح : عرّاك ، على وزن فعّال .

وقد عرف الإنسان المعارك ، منذ أن عرف نفسه ، وتاريخ الجنس البشري ملوّث الصفحات بالدم ، دم القتلى ، سواء قتلى المعارك ، أو قتلى الفتك ، أو قتلى الغيلة ، أو قتلى الغدر .

وظهر من بين أفراد هذا الجنس ، أشخاص أبادوا الملايين من أبناء جنسهم .

وكانت المعارك في القرون الأولى والوسطى ، معارك مبيدة ، يهلك فيها

الألوف ، وعشرات الألوف ، ومئات الألوف ، لأنَّ القرن فيها يواجه قرنـه ، ولا بدّ أن يقتل أحدهما ، إن لم يقتلا معاً .

وكانت المعارك في تلك العصور تبرز فيها شجاعـة الشجاع ، لأنّـه يبرز إلى سـاحة المعـركة، بـلا جنّة ولا حمايـة ، إلاَّ قوّة سـاعده ومضـاء سيفـه ، وشجاعة قلبه .

وكانت الإختراعـات من أجل حمـاية المحـارب ، كلّما تقـدّمت باعـاً ، تقـدّمت الاختراعات في آلات التدمير ذراعاً ، حتى توّج الإنسان اختراعـاته ، في أسباب التدمير ، بالقنبلة الذريّة ، المبيدة المبيرة .

وكـانت الحروب بين قبـائل العـرب ، تستعر وتستشري، لأسباب تتعلّق بتقـاليـدهم ، وظـروف عيشهم ، حتى إذا وحّـدهم الإسـلام ، انصـرفـوا إلى الفتوحات ، وسجّلوا في معاركها مواقف بطولة تذكر فتشكر .

وأدّى اهتمـام العرب بـالمعارك ، إلى تكـريمهم للشجـاعـة ، والعنـايـة بالبطولة، وكانوا يتناقلون أخبار الشجعان ، ويكـرمون خـصـومهم وأسراهم في المعارك ، إذا كانوا قد أظهروا شجاعة في المعارك .

وكانوا يعدّون القتل في سـاحة المعـركة فخـراً ، والموت على الفـراش عيباً ، ولما احتضر القائد خالد بن الوليد ، أحد أبطال المسلمين ، كان يشكـو ويتألّم ، لأنَّه مات على فراشه « كما يموت الحمار »، مـع أنَّه « مـا في جسده مـوضع إلاَّ وفيـه ضربـة بسيف ، أو طعنة بـرمح ، أو رميـة بسهم » (المعارف ٢٦٧) .

ولما قتل الحسين الشهيد عليه السـلام في وقعة الـطف بكربـلاء ، وجد في بدنه ثلاث وثلاثون طعنة ، وأربع وثلاثون ضربة (الطبري ٥ / ٤٥٣) .

وقد افتخر عبد الله بن الزبيـر ، وهو على المنبـر ، بالمسجـد الحرام ، بمن قتل من أهله في المعارك ، فقال : إن يقتل المصعب ، فقـد قتل أبـوه ،

وأخوه ، وعمّه ، إنّا والله لا نموت حتفاً، **ولكن نموت قعصاً** بالرماح، وموتاً تحت ظلال السيوف (العقد الفريد ١/١٠١).

وبلغ من التقدير الذي أسبغ على خالد بن الوليد ، إنّه لما مات في السنة ٢١ لم تبق امرأة من آل المغيرة، إلاّ قصّت شعرها ، ووضعته على قبره .

وكان الامام عليّ بن أبي طالب ، يقول : والله ، ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت عليّ (العقد الفريد ١/١٠٢).

وكان إذا خرج إلى الحرب يقول : (العقد الفريد ١/١٠٥) .

أيّ يوميّ من الموت أفرّ ... يوم لم يقدر أم يوم قدر
يوم لم يقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجو الحذر

ولما كانت حرب صفّين ، والناس في أشدّ ما يكون من الحرب ، قال علي رضوان الله عليه : ألا ماءٌ فأشربه ؟ فأتاه شابٌ من بني هاشم بشربة من عسل ، فتناوله ، وشرب منه ، وقال : يا فتى ، عسلك هذا طائفي . فقال : سبحان الله ، في هذا الوقت ، تعرف الطائفي من غيره ؟ فقال له : يا فتى ، إنّه لم يملأ صدر ابن عمّك شيء قطّ (المحاسن والمساوىء ٢/١٣٩).

وكان عبدالله بن خازم السلمي ، شجاعاً بطلاً ، حتى قيل : ما آستحيا شجاعٌ أن يفرّ من عبدالله بن خازم ، وكان مع شجاعته المفرطة يخاف من الجرذ ، وذكروا أنّه بينما كان عبدالله في مجلس عبيدالله بن زياد ، إذ جيء إليه بجرذ أبيض ، فعجب منه عبيد الله ، وقال لعبد الله بن خازم : هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا ؟ ونظر إليه ، فإذا عبدالله قد تضاءل حتى صار كأنّه فرخ ، وآصفرّ حتى كأنّه جرادة ، فضحك عبيدالله ، وقال : أبو صالح يعصي الرحمن ، ويتهاون بالسلطان ، ويمشي إلى الليث الورد ، ويلقى الرماح بنحره ، وقد أعتراه من جرذ ما ترون ، أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير (العقد الفريد ١/١٦٧).

وكـان اهتمام العـرب بتناقـل أخبار الشجعـان معجبين ، يرافقـه تناقلهم أخبـار الجبنـاء مستهـزئين ، ولهم في ذلـك أمثـال وأقـاصيص ، فمن الأمثـال قولهم : أجبـن من المنزوف ضرطاً ، ويذكرون في أصله أنّ نسـوة من العرب لم يكن لهنّ رجل ، فتزوّجت واحدة منهنّ برجل كان ينـام إلى الضحى ، فإذا نبهتـه زوجه ، قـال لها : لـو لعاديـة نبّهتني ، أي خيل عـاديـة عليكن مغيـرة ، فـأدفعها عنكنّ ، فلمـا رأين ذلك ، فـرحن، وقلن : إنَّ صاحبنـا لشجاع ، ثم أردن تجربته ، ولما أيقظته زوجته ، وقـال لها : لـو لعاديـة نبّهتني ، قلن له : نـواصي الخيـل معـك ، فجعـل يقـول : الخيـل ، الخيـل ، ويضـرط ، حتى مات .

وكان حميداً الارقط جباناً ، سئـل يومـاً : هل قـاتلت قط ؟ قال : نعم ، في المنام ، قالوا : وكيف كانت وقعتك ؟ قال : انتبهت وأنا منهزم (المحاسن والأضداد للجاحظ ٥٨) .

وكان الحجّاج بن يوسف الثقفي ، أمير العراقين لعبد الملك بن مروان ، جبـاناً ، ولمـا حصر عبـدالله بن الزبيـر بمكّة، كـان يبعث بجنوده يحـاربـون ويتحرّز من لقاء عبـدالله ، ولما بلغـه أنّ عبدالله قتـل ، تصرّف تصـرفاً بـادي الخزاية ، إذ تظاهر بالبطولة ، وعمد إلى جثّـة عبدالله بن الـزبير ، في مسجـد الكعبة ، وبرك على الجثّة ، واستلّ سيفـه ، وقطع عنقـه بيده ، فقـد جبن عن مواجهته حيّاً ، فبادر باحتزاز رأسه ميتاً (العقـد الفريـد ٤ /٤١٨). وبعد ذلـك نكص الحجاج عن مبارزة غزالة ، زوجة شبيب الخارجي ، فقال فيه الشـاعر : (وفيات الأعيان ٢ / ٤٥٥) .

أسـد عليّ وفي الحـروب نعـامـة	فتخـاء تفـزع من صفيـر الصـافـر
هلا برزت الى غـزالة في الـوغى	بـل كان قلبـك في جناحي طـائر

وذكـر الطبـري في تاريخـه ٦/٢٧٣ إنَّ قتيبة بن مسلم ، عيّـر الحجاج

بجبنه ، وطالب بأن يخرج بنفسه للمعركة ، فلعنه الحجاج ، وخنقه بعمامته خنقاً شديداً ، وتظاهر بالشجاعة ، وحلف إنّه سوف يبرز للحرب غداً ، ثم تناسى يمينه .

وكان خالد بن عبدالله القسري ، أمير العراقين للامويّين ، من أجبن الناس ، وكان على المنبر بالكوفة ، فأنبىء بأنّ خارجة قد خرجت ، فدهش وتحيّر ، وقال : أطعموني ماء ، فقال فيه الكميت : (الأغاني ط . بولاق ١٩/٥٨).

وما خالد يستطعم الماء فاغراً بعدلك ، والداعي إلى الموت ينعب

وتناقل الرواة من خصوم خالد القصة ، وذكرها الشعراء في أشعارهم ، فقال احدهم : (الطبري ٧/١٢٩ و ١٣٠).

لأعلاج ثمانية وشيخ كبير السنّ ليس بذي نصير
تقول لما أصابك اطعموني شراباً ثم بلتُ على السرير

ولما ولي مروان الجعدي الأموي الحكم ، تحرّك عليه أهل مكة ، فوجّه إليهم جيشاً من المدينة ، خرج أفراده في المصبّغات ، ومعهم الملاهي ، فلما نشبت المعركة ، فرّ أهل المدينة ، وعادوا منهزمين ، ودخل احدهم إلى منزله بالمدينة ، وقال لخادمه : غاق باق ، يريد أغلق الباب ، من عظم دهشته ، يحسب أنّهم ما زالوا خلفه (العيون والحدائق ٣/١٦٤).

وروى التوحيدي في البصائر والذخائر ٣/١/٣٢٢ و ٣٢٣ قصّة عن فتى ثقفي ، وفد على الحجاج ، فأكرمه ، وأهدى اليه جارية ، فما لبثت الجارية عنده إلّا سواد ليلتها ، ثم هربت منه ، وأحضرها الشرط أمام الحجاج ، فعنّفها على هربها ، فحدّثته بقصّة عن الفتى الثقفي ، تنبىء عن جبن يندى له الجبين ، فقال لها الحجاج : ويحك ، لا تعلمي بهذا أحداً فإنه فضيحة ، قالت : يا سيّدي على ان لا تردّني اليه .

غزوات النبي صلوات الله عليه

وقعة بـدر الكبـرى

كانت هذه المعركة في السنة الثانيـة للهجرة ، في بـدر ، وهي عين ماء بين مكّـة والمدينـة ، احتفرهـا بدر بن قـريش بن الحارث ، فسمّيت بـه ، كما سمّيت قريش باسم أبيـه ، وعلى هذه العين وقعت معـركة بـدر التي أظهر بهـا الله الإسلام ، وفرق بين حقه وباطل المشركين (معجم البلدان ١ / ٥٢٤) .

وكان سبب المعركة ، إنَّ أبا سفيـان بن حرب ، رأس مشـركي قريش ، كـان قادمـاً من الشام في سبعين راكبـاً ، ومعه أمـوال قريش وتجـارتها ، وبلغ ذلك المسلمين بالمدينة ، فخـرجوا يـريدونهم ، ونـزلوا بـدراً ، وبلغ ذلك أبـا سفيان فاستنفـر مشركي قـريش ، فبرزوا في تسعمـائة وخمسين رجـلاً ، وكان عدد المسلمين ثلثمائة وثلاثة عشـر رجلاً (الطبري ٢ /٤٢١ـ ٤٤٢) .

وكان أول قتيل من المسلمين ، مهجع ، مولى عمر بن الخـطاب ، رمي بسهم فقتل (الطبري ٢ /٤٤٨) .

وقتل من بعده حـارثة بن سـراقة ، رمي بسهم وهـو يشرب من الحـوض فقتل (الطبري ٢ /٤٤٨) .

ولما تأهّب المسلمـون لخوض المعركة ، قال النبي صلوات الله عليه : والـذي نفس محمد بيـده ، لا يقاتلهم اليـوم رجلٌ فيـقـتل صابـراً محتسباً ، مقبـلاً غير مـدبر ، إلاَّ أدخله الله الجنّـة ، فقال عميـر بن الحمـام ، أخـو بني

سلمة، وفي يده تمرات يأكلهنَّ : بخ، بخ، ما بيني وبين أن أدخل الجنة، إلاَّ أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه، وخاض المعركة، وقاتل حتى قتل (الطبري ٢/٤٤٨).

وكان عوف بن الحارث، يقاتل في معركة بدر دارعاً، ثم استقتل، فنزع درعه، وأخذ سيفه، وخاض المعركة حتى قتل (الطبري ٢/٤٤٨ و ٤٤٩).

وممن قتل في موقعة بدر، معوذ بن عفراء، ضرب أبا جهل بسيفه فأثبته، ثم قاتل حتى قتل (الطبري ٢/٤٥٥).

وكان أبو جهل في موقعة بدر، قد التفَّ حوله جماعة من قومه يحمونه، فقصده معاذ بن عمرو بن الجموح، فضربه على ساقه ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، ومرّ به وهو عقير، معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق، ثم وجده عبدالله بن مسعود، وهو في آخر رمق، فوضع قدمه على عنق أبي جهل، ثم برك عليه ليقتله، وقال له : هل أخزاك الله يا عدوّ الله، فقال له أبو جهل : لقد أرتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً (الطبري ٢/٤٥٤ و ٤٥٥ وابن الأثير ٢/١٢٧)).

وفي موقعة بدر تقدّم الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان شرساً، فقال : أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم - يعني حوض بدر - ولأهدمنه، أو لأموتنّ دونه، وقصد الحوض، فلما كان دون الحوض، قصده حمزة بن عبدالمطلب، فضربه بالسيف، فأطنَّ قدمه بنصف ساقه، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً، ثم حبا إلى الحوض حتى أقتحم فيه، يريد أن يبرّ بيمينه، واتّبعه حمزة يضربه، فقتله في الحوض (الطبري ٢/٤٤٥).

وفي موقعة بدر، خرج من المشركين عتبة بن ربيعة (والد هند أمّ معاوية بن أبي سفيان) وأخوه شيبة، وابنه الوليد بن عتبة، فدعوا المسلمين

للمبارزة فخرج اليهم فتية من الأنصار ، فقالوا لهم : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادوا : يا محمد ، أخرج لنا أكفاءنا من قومنا ، فخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب ، وعليّ بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث ، فلما دنوا منهم ، وتعارفوا ، قالوا لهم : أنتم أكفاء كرام ، وبارز كلّ واحد واحداً ، بارز عبيدة عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز علي الوليد ، وكانت عاقبة المبارزة ، أن قُتِلَ عتبة وشيبة والوليد ، وقطعت رجل عبيدة فمات (الطبري ٢/٤٤٥).

وممن قتل في موقعة بدر ، ثلاثة من أولاد الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ، وهم زمعة ، وعقيل، والحارث بن زمعة ، وكان الأسود قد أضرَّ ، فلما بلغ قريش خبر قتلى بدر ، منعوا أهلهم من النياحة عليهم أبكي لا يشمت بهم خصومهم ، وسمع الأسود نائحة بمكّة في الليل ، فقال لغلام له : انظر ، هل أحلّ النحب ، وهل بكت قريش على قتلاها ، لعلّي بأبكي على أبي حكمة (يعني زمعة) ، فإنَّ جوفي قد احترق ، فلما رجع الغلام إليه قال : إنَّما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته ، فقال الأسود : (معجم البلدان ١/ ٥٢٥).

اتبكي أن يضلّ لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدود

وقتل من المشركين في معركة بدر ، حنظلة بن أبي سفيان ، أخو معاوية ، قتله عليّ بن أبي طالب (ابن الأثير ٢/١٢٨).

وقتل المسلمون في بدر ، منبه ونبيه ، ولدا الحجّاج السلمي، وهما من أشراف قريش (الاعلام ٨/٢٢١).

وقتل في بدر ، نوفل بن خويلد ، وكان من أشدّ الناس أذى للمسلمين ، قتله علي بن أبي طالب (الاعلام ٩/٣٢).

وقتـل في بدر العـاص بن سعيد الأكبـر بن العاص ، مشـركاً (الاعـلام ١٤/٤)

وقتل في بدر أميّة بن خلف ، وولده علي بن أميـة ، وكان قـد عزم على القعود لما تجهّز المشركون إلى بدر ، فأتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور ونار ، وقال له : يا أبا علي آستجمر ، فإنّما أنت من النسـاء ، فقال لـه أميّة : قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به ، وتجهّز ، وخرج معهم (ابن الأثير ١١٧/٢ ، ١١٨، ١٢٨) فأسر في المعركة ، هـو وولده علي، أسـرهما عبـد الرحمن بن عـوف ، وكان صـديقاً لأميّـة ، فأخـذهما عبـد الرحمن إلى النبي صلوات الله عليـه ، فأبصـرهما بـلال الحبشي ، وهما في طـريقهما إلى النبي صلوات الله عليه ، وكان أميّة يعذّب من اسلم من أهل مكة ، وعـذب بلالاً في جملتهم ، فصـاح بلال : يـا أنصـار الله ، رأس الكفـر ، أميّـة بن خلف ، لا نجـوتُ إن نجا ، فاجتمع بعض المسلمين على أميّة وابنـه علي ،وهبـروهمـا بالسيـوف ، فقتلوهما (الطبري ٢ /٤٥١- ٤٥٣).

وقتـل في معركـة بدر في السنـة ٢ ، أبو البختـري العـاص بن هشـام ، وكان النبي صلوات الله عليه ، قد أمر أصحابه بأن لا يقتلوا أبا البختري ، وأن يحقنوا دمه ، لأنّه كان أكفّ مشركي قريش عن رسول الله وهو بمكّة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنـه شيء يكرهـه ، وكان ممّن قـام في نقض الصحيفة التي كتبت قـريش على بني هاشم وبني المـطلب، فلقيه المجـذر بن زياد ، فقـال له : يا أبا البختري ، إنّ رسول الله قد نهى عن قتلك ، وأمـرنا بحقن دمـك ، وكـان مع أبي البختـري زميل لـه خرج معـه من مكّـة ، من بني ليث ، اسمـه جنادة ، فقال أبو البختري : وزميلي ؟ فقال له المجـذر : ما أمـرنا رسـول الله إلاّ بك وحدك ، فأنت آمن ، فقال : لا والله ، إذاً لأموتن أنا وهـو جميعاً ، لا تتحدّث نساء قريش عنّي بأنّي تركت زميلي حرصاً على الحياة ، وجـرّد سيفه، وقاتل وهو يقول :

لا يُسلم ابن حرّة أكيله حتى يموت أو يرى سبيله

ومات أبو البختري قتيلاً ، دفاعاً عن زميله (الطبري ٢/ ٤٥٠ و ٤٥١).

ولما انتهت موقعة بدر بظفر المسلمين ، وقتل من قتل من رجالات قريش ، كان أوّل من قدم مكّة بمصاب قريش ، الحيسمان الخزاعي ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميّة بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، قال : فلما جعل يعدّد أشراف قريش ، قال صفوان بن أميّة ، وهو قاعد في الحجر : والله ، إن يعقل هذا ، فسلوه عنّي ، قالوا : ما فعل صفوان بن أميّة ؟ قال : هو ذاك جالس في الحجر ، وقد ـ والله ـ رأيت أباه وأخاه حين قتلا (الطبري ٢/ ٤٦١).

موقعة أحد

في السنة الثالثة للهجرة ، وقعت موقعة احد بين المسلمين ، ومشركي قريش ، وأحد : جبل شمالي المدينة ، يبعد عنها ميلاً واحداً ، وذلك إنّ قريش لما أصيبت يوم بدر ، وعاد فلّها إلى مكة ، مشى الباقون منهم ، إلى أبي سفيان ، والد معاوية ، وقالوا له : إنّ محمداً قد وترنا ، وقتل خيارنا ، وتعاونوا فيما بينهم ، على تهيئة حملة لمحاربته ، وخرجت قريش بحدّها وجدّها وأحابيشها ، وكان أبو سفيان قائد المشركين لحرب النبي صلوات الله عليه ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة ، وهي أمّ معاوية بن أبي سفيان ، وأخرج قوم من قريش نساءهم معهم (الطبري ٢/ ٤٩٩ـ ٥٠٨).

وكان المسلمون يتسابقون الى الخروج مع النبي صلوات الله عليه في غزواته ، وكان عليه السلام ، يعرض أصحابه ، ويردّ منهم الصغير

والضعيف ، ولما خرج لمعركة أحد ، عرض أصحابه ، فردّ سمرة بن جندب ، إذ وجده صغيراً ، وأجاز رافع بن حديج ، فشكا سمرة أمره ، وقال : ردّني رسول الله ، وأجاز رافعاً ، وأنا أصرع رافعاً ، فأمرهما النبي ، فتصارعا ، فصرع سمرة رافعاً ، فأجازهما معاً (الطبري ٢/٥٠٥ و٥٠٦).

وكان من جملة القتلى في معركة احد ، المجذّر بن ذياد البلوى ، شاعر ، فارس ، قتله الحارث بن سويد بن الصامت (الاعلام ٦/١٦٣ و ١٦٤).

وفي معركة احد ، كان لواء النبي صلوات الله عليه ، مع مصعب بن عمير ، فقتله ابن قميئة الليثي ، وهو يظنّ أنّه رسول الله ، وعاد إلى قريش قال : قتلت محمداً (الطبري ٢/٥١٦).

ومن جملة القتلى الذين مثّل بهم في معركة أحد ، عبدالله بن جحش ، أخو زينب بنت جحش ، أمّ المؤمنين ، مثّل به كما مثّل بحمزة ، إلاّ إنّه لم يبقر عن كبده ، بل جدع أنفه ، وصلمت أذناه ، فأمر النبي به ، فدفن مع حمزة في قبر واحد (الطبري ٢٠/٥٣٠)

وكان حمزة بن عبد المطلب ، عمّ النبي صلوات الله عليه ، في معركة أحد معلماً ، قتل أرطاة بن عبد شرحبيل ، وسباع بن عبد العزى الغبشاني ، صاح به حمزة : هلمّ إليّ يا آبن مقطعة البظور، وكانت أمّه ختّانة بمكّة ، وكان حمزة يعلم عند المعركة بريشة نعامة يضعها على صدره ، وكان وحشي ، وهو غلام حبشي لجبير بن مطعم يريد قتل حمزة ، لأنّ سيده جبير وعده أن يعتقه إذا هو قتل حمزة بعمّه (عم جبير) طعمة بن عديّ ، كما إنّ هنداً ، أمّ معاوية ، كانت كلّما مرّت بوحشي ، صاحت به : إيه أبا دسمة ، اشف واشتف ، تطالبه بقتل حمزة ، لأنّه ، في معركة بدر ، قتل أباها ، وشرك في قتل أخيها (الطبري ٢/٥٠١ و ٥٠٢ و ٥١٦ و ٥١٧)، ولما قتل حمزة،

جاءت إليه هند أمّ معاوية ، فجدعت أنفه وأذنيه ، وبقرت بطن حمزة واقتلعت كبده فلاكتها ثم لفظتها ، فسميّت منذ ذلك الحين ، آكلة الأكباد ، كما إنّها جدعت آذان بقيّة القتلى وآنافهم ، واتخذت منها قلائد وخدماً (الطبري ٢/٥٢٥) ووقف أبو سفيان على جثّة حمزة ، فأخذ يضرب شدقه بزجّ رمحه ، وهو يقول : ذق عقق ، (الطبري ٢/٥٢٧) يريد أن يقول : ذق جزاء عملك يا عاقّ ، لأنّه عقَّ الأرستقراطية القرشية ، وأبصره الحليس بن علقمة ، وهو يعبث بجثّة حمزة ، فصاح : يابني كنانة، انظروا إلى ما يصنع هذا بابن عمه ، فقال له أبو سفيان : ويحك أكتمها عليّ ، فإنّها كانت زلّة (الاعلام ٢/٣٠٠).

ولما كرّ النبي من معركة أحد راجعاً إلى المدينة، لقيته حمنة بنت جحش ، فنعي لها أخوها عبدالله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت، وولولت ، فقال رسول الله : إنَّ زوج المرأة منها لبمكان ، لما رأى من تثبتها عند مصرع أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها . (الطبري ٢/٥٣٢).

ولما كرّ رسول الله ، من معركة بدر، راجعاً إلى المدينة ، مرّ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها ، وأبوها ، فلما نعوا لها ، قالت : فما فعل رسول الله ؟ قالوا : هو بخير يا أمّ فلان ، إنّه بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه أنظر إليه ، فلما رأته ، قالت : كلّ مصيبة بعدك جلل (الطبري ٢/٥٣٣)).

ومر أحد الأنصار بسعد بن الربيع الأنصاري ، وهو جريح في ساحة المعركة ، وبه رمق ، فقال له سعد : أبلغ رسول الله عنّي السلام ، وأبلغ قومي أنّه لا عذر لهم إن خلص إلى النبي ، وفيهم عين تطرف ، ثم مات (الطبري ٢/٥٢٨).

وفي هـذه المعـركـة قتـل عبـدالله بن عمـرو بن حـرام ، الانصـاري ، الخزرجي ، وهو من أجلاء الصحابة (الاعلام ٤ / ٢٥٠) فأمر النبي بـدفنه مـع عمـرو بن الجموح في قبـر واحد ، وقـال: إنهما كـانا متصـافيين في الدنيـا ، فاجعلوهمـا في قبر واحد ، فدفنا (الطبري ٢ /٥٣٢).

ولمـا هجـم المشـركون ، في مـوقعة أحـد ، على النبي ، قام زيـاد بن السكـن ، في خمسة نفر من الأنصار ، فقاتلوا دونه ، رجـلاً ، رجلاً ، كلّمـا قتل احدهم ، تقدّم الآخر ، وكان آخرهم زياد ، فقاتل حتى أثبتته الجـراحة ، فقـال النبي : أدنـوه مني ، فمـات وخـدّه على قـدم رسـول الله (الـطبـري ٢ /٥١٥).

ولما حمي وطيس المعركة ، في معركة احد ، كان اليمان بن حسيل بن جابر ، والد حذيفة ، وثابت بن وقش ، وهما شيخان كبيران ، في الآطام مـع النساء والصبيان ، فقال كلّ منها لصاحبه : ما بقي لكلّ واحد منـا من عمره إلاّ ظمـأ حمار ، وإنّمـا نحن هامـة اليـوم أو غـد ، ثم أخـذا سيفيهمـا، وخـاضا المعمعـة ، ولم يعلم بهمـا ، فـأمـا ثـابت فقتله المشـركـون ، وأمـا اليمـان ، فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه وهم لا يعرفونه (الطبري ٢ / ٥٣٠).

وفي معـركة أحـد ، أصيب احد المسلمين، وأسمـه يزيـد بن حاطب ، فجيء به إلى دار قومه وهو يموت ، فجعل المسلمون يقولون له : ابشر يا ابن حـاطب بـالجنـة ، فصـاح بهم أبـوه حـاطب ، وهـو شيـخ كبيـر : بـأيّ شي تبشّـرونـه ، أبجنّـة من حـرمـل ، غـررتم ـ والله ـ هـذا الغـلام من نفسـه ، وفجعتموني به (الطبري ٢ / ٥٣١).

وفي معركة أحـد ، صاح صـائح من المشـركين : إنَّ محمداً قـد قتل ، فانخذل قسم من المسلمين ، فصاح بهم أنس بن النضر : إن كان محمداً قـد قتـل فإنَّ ربّ محمـد لم يقتل ، ثم شـدّ بسيفه على المشـركين ، وقاتـل حتى

قتل ، وقيل إنَّه وجد في بدنه سبعون ضربة وطعنة (الطبري ٢ / ٥٢٠ وابن الأثير ٢ / ١٥٦) .

وقتل في معركة أحد من المسلمين ، حنظلة بن أبي عامر ، المعروف بابن الراهب، فلما انتهت المعركة ، صاح أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، وحنظلة بحنظلة ، يريد إنَّه انتصر في احد ، فغطى بذلك هزيمة بدر ، وإنَّ حنظلة بن الراهب الذي قتل يوم أحد ، بواء بولده حنظلة بن أبي سفيان ، الذي قتله المسلمون يوم بدر (الطبري ٢ / ٥٢١ و ٥٢٢) .

وقتل في معركة أحد ، في صفّ المسلمين ، مخيريق اليهودي ، قال لأصحابه اليهود قبل المعركة : يا معشر يهود ، والله ، لقد علمتم أنّ نصر محمد عليكم لحقٍّ ، فقالوا : اليوم يوم السبت ، فقال : لا سبت ، وأخذ سيفه وعدّته ، وقال : إن أصبت فما لي لمحمد ، يصنع به ما يشاء ، وقاتل في صف المسلمين ، حتى قتل ، وهو على يهوديَّته (الطبري ٢ / ٥٣١) فقال النبي : مخيريق خير يهود (ابن الأثير ٢ / ١٦٢) .

وفي معركة أحد، قتل من المشركين عمرو بن عبدالله الجمحي ، وشيبة بن مالك ، أحد بني عامر بن لويّ ، قتلهما علي بن أبي طالب (الطبري ٢ / ٥١٤) .

وكان لواء المشركين ، في موقعة أحد ، بيد صواب ، غلام حبشي لبني أبي طلحة ، فقاتل حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعنقه ، حتى قتل عليه ، وهو يقول : هل أعذرت ؟(الطبري ٢ / ٥١٣) .

وتعاقد خمسة من المشركين ، في موقعة أحد ، على قتل رسول الله ، وهم عتبة بن أبي وقاص ، وعبدالله بن شهاب الزهري ، وابن قميئة الليثي ، وأبي بن خلف الجمحي ، وعبدالله بن حميد الأسدي ، فأصاب ابن شهاب جبهته ، ورماه عتبة بأربعة أحجار ، فكسر رباعيته وشقّ شفته، وأما ابن قميئة

فكلم وجنته ، ودخل من حلق المغفر فيها وعـلاه بالسيف ، وشـدّ عليه أبيّ بن خلف بحربة ، فأخذهـا النبي منه ، وطعنـه بها فقتله ، أمـا عبدالله بن حميـد فقتله أبو دجانة الأنصاري (ابن الأثير ٢/ ٤ و ١ و ١٥).

وقتل عاصم بن أبي الأفلح، في موقعة احـد ، أخوين من المشـركين ، هما مسافع بن طلحة وكلاب بن طلحة ، رمى كـلّ واحد منهمـا بسهم فقتله ، فنذرت أمّهما ، إن أمكنها الله من عاصم ، أن تشرب في قحـف رأسه الخمـر (الطبري ٢/ ٥١٧).

وكـان طلحـة بن عثمـان ، في معـركـة أحـد يحمـل لـواء المشـركين، فصاح : يا أصحاب محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنـة ، فهل منكم أحـدٌ يعجّله الله بسيفي الى الجنّة ، أو يعجلني بسيفه إلى النار ؟ فنهـد إليه على بن أبي طـالب ، فضربـه بالسيف على ساقه فقطعها ، فسقط طلحة وانكشفت عورته ، وقال لعلي : أنشـدك الله والـرحم يا ابن عم ، فتـركه ، فقـال النبي لعلي : ما منعـك أن تجهز عليـه ؟ فقـال : يا رسـول الله ، ناشـدني الرحم ، وانكشفت عـورته ، فـاستحييت منه (الطبري ٢/ ٥٠٩، ٥١٠).

وللإمام علي بن أبي طالب ، قصة مشـابهة لهـذه القصة ، في حيـاته ، وصدّه عن خصمه ، لانكشاف عورتـه ، فقد حـدث في أحد أيـام صفين ، أن بعث إلى معاوية: لم تقتل الناس بيني وبينك ؟ ابرز اليّ ، فـأيّنا قتـل صاحبـه تولى الأمر ، فقال معاويـة لعمرو بن العـاص : ما تـرى ؟ فقال : قـد انصفك الرجل فابرز إليه ، فقال لـه معاويـة : أتخـدعنـي عن نفسي ، ووجـد من ذلك على عمرو ، فهجره أياماً ، فقـال عمرو لمعـاوية : أنـا خارج إلى عليّ غـداً، فلما أصبحوا بدر عمرو فـوقف بين الصفين ، ثم نادى : يـا أبا الحسن اخـرج إليّ ، أنا عمرو بن العاص ، فخرج اليـه علي ، وانتضى عليّ سيفه ، فحمـل عليه ، فلما أراد أن يجلّله رمى بنفسه عن فرسه ، ورفع احدى رجليه ، فبدت

عورته ، فصرف عليّ وجهه ، وتركه ، وانصرف عمرو إلى معاوية ، فقال له معاوية : احمد الله ، وسوداء استك يا عمرو (الأخبار الطوال ١٧٦ و ١٧٧)، وفي ذلك يقول أبو فراس الحمداني :

ولست كمن ردّ الردى بمذلّة كما ردّها يوماً بسوأته عمرو

وفي القصيدة التترية ، تهكم لاذع بما صنع عمرو بن العاص ، إذ قال ناظمها في وصفه :

بطل بسوأته يحارب لا بصارمه الذكر

وقعة الخندق

وفي السنة ٥ ، في وقعة الخندق ، خرج عمرو بن عبدو ودّ ، معلماً ، فلما وقف ، قال له الإمام علي : يا عمرو ، إنّك كنت تعاهد الله على ألاّ يدعوك أحد من قريش إلى خلّتين ، إلاّ اخذت منه إحداهما قال : أجل ، قال علي : فإنّي أدعوك إلى الإسلام ، قال : لا حاجة لي بذلك ، قال : فإنّي أدعوك إلى النزال ، قال : ولم يا ابن أخي ؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك ، فقال له علي : ولكنّي أحب أن أقتلك، فحمي عمرو ونازله ، فقتله عليّ ، وقتل مع عمرو رجلان احدهما اسمه منبه ، أصابه سهم فمات منه بمكّة ، وآخر من بني مخزوم اسمه نوفل ،و وكان اقتحم الخندق ، فتورّط فيه ، فرموه بالحجارة ، فقال : يا معشر العرب ، قتلة احسن من هذه ، فنزل اليه عليّ فقتله (الطبري ٢/٥٧٤).

أقول : كان عمرو بن عبد ودّ ، فارس قريش وشجاعها في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، ولما قتله الإمام علي ، قالت اخت عمرو ترثيه : (الاعلام ٥/٢٥٢) .

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكنّ قاتله من لا يقاس به أبوه قد كان يدعى بيضة البلد

غزوة بني قريظة

وفي السنة ٥ ، في غزوة بني قريظة ، قتل خلاد بن سويد ، من الخزرج ، طرحت عليه يهودية اسمها بنانة ، رحى فشدخته شدخاً شديداً (الطبري ٢/٥٩٢).

غزوة خيبر

وفي السنة ٧ وقعت غزوة خيبر ، وخيبر ناحية على ثمانية برد من المدينة ، لمن يريد الشام ، تشتمل على سبعة حصون ومزارع (معجم البلدان ٢/٥٠٣ـ ٥٠٥)

وتم الفتح في غزوة خيبر ، بقتل مرحب ، صاحب الحصن ، وكان من أبطال اليهود ، خرج للمبارزة ، وعليه مغفر يماني ، قد نقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يقول :

قد علمت خيبر أنّي مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجرّب

فبرز إليه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فبدره عليّ ، فقدّ الجحفة (الترس) والمغفر ، ورأسه ، حتى وقع في الأرض ، فقتله (ابن الأثير ٢ / ٢٢٠).

أقول : لما فتح النبيّ خيبر ، أقّر أهلها فيها ، وعاملهم على الشطر من التمر والحبّ . . وبعث اليهم النبي عبدالله بن رواحة ، ليخرص عليهم ، فقال لهم : إن شئتم خرصتُ وخيّرتكم ، وإن شئتم خرصتم وخيّرتموني ، فأعجبهم ذلك ، وقالوا : هذا هو العدل ، هذا هو القسط ، وبه قامت السموات والأرض (معجم البلدان ٢ / ٥٠٤ و ٥٠٥).

نكتة : سمع أحد أنصاف المتعلّمين ، رجلاً ينشد بيتاً من الشعر :

وكان بنو عمّي يقولون مرحباً فلما رأوني معدماً مات مرحب

فقال : كذب قائل هذا البيت ، مرحب قتله الإمام علي بن أبي طالب .

غزوة مـؤتة

وفي السنة ٨ ، في غزوة مؤتة ، قتل في المعركة جعفر بن أبي طالب ، الملقّب جعفر الطيّار ، من السابقين إلى الإسلام ، أسنّ من أخيه الإمـام علي بعشر سنين ، كانت إليه الراية في الموقعـة ، فنزل عن فـرسه ، وحمـل الرايـة بيمناه ، وقاتل ، فقطعت يمناه ، فحمل الـراية بيسـراه ، فقطعت ، فـاحتضنها إلـى صـدره ، وسقط قتيـلاً وفي جسـده نحـو تسعين رميـة وطعنـة (الاعــلام ٢/١١٨) .

أقـول : في غزوة مؤتـة ، قتل زيـد بن حارثـة، وجعفر بن أبي طـالب، وعبدالله بن رواحة ، وكـان جيش الروم الـذي واجههم ، يفوقهم عـدداً وعدّة، فأخذ خالد بن الوليد الراية ، وانسحب عائداً إلى المدينة ، فلما وصلوها خرج إليهم الناس يحثون عليهم التراب ، ويقولون : يا فرّار ، يا فرّار ، فقال رسول الله صلوات الله عليـه : ليسوا بـالفرّار ولكنّهـم الكـرّار إن شاء الله (ابن الأثيـر ٢/ ٢٣٤ـ ٢٣٨) .

فتح مكة

وفي السنة الثامنة ، عدا بنو بكر بمكة، على خزاعة ، وكانت خزاعة في حلف رسول الله ، وبكر في حلف قريش ، فأعانت قريش بكراً على خزاعـة ، فخرج عمرو بن سـالم الخزاعي ، حتى قـدم على رسول الله ، فـوقف عليه ، وأنشده أبياتاً منها : (ابن الأثير ٢/ ٢٣٩ـ ٢٥٤) .

لاهـمّ إنّـي نـاشــد مـحـمــداً حـلف أبيـنـا وأبيــه ألا تــلـدا
هم بيّتـونـا بـالـوتيـر هجّـدا وقـتـلونـا ركّـعـاً وسـجّـدا

فقال له النبي : نصرت يا عمرو ، وتجهّز ، وقصد مكّة في عشـرة آلاف

ولـمـا قصـد النبي مكـة ، خـرج أبـو سفيـان ، إلى العبـاس عمّ النبي ، فحمله إلـى النبي ، ولمـا أدرك أبـو سفيـان إنّـه سـوف يقتـل إن لم يسلم ،

أسلم ، ثم وقف مع العباس ، ينظر إلى جيش المسلمين الذي قدم لفتح مكة ، فلما مرّت الكتيبة الخضراء ، وفيها النبي ، وحوله المهاجرون والأنصار ، وهم في الحديد ، لا يرى منهم إلّا الحدق ، نسي أبو سفيان أنّه أسلم ، فالتفت إلى العباس ، وقال له : يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً ، فقال له العباس ويحك إنّها النبوّة ، فقال : نعم ، إذن ، ودخل أبو سفيان إلى مكّة ، فقال لأهلها : يا معشر قريش ، قد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به ، فأسلموا تسلموا ، فغضبت زوجته هند ، أمّ معاوية ، وأقبلت عليه فأخذت بلحيته ، وقالت : يال غالب ، اقتلوا هذا الشيخ الأحمق ، فقال لها : أرسلي لحيتي ، وأقسم لئن أنت لم تسلمي لتضربن عنقك .

أقول : سميت الكتيبة، كتيبة النبي صلوات الله عليه ، بالخضراء ، لأنَّ رجالها كانوا مكتسين بالحديد ، ولونه يميل إلى السواد والعرب يسمون الخضرة سواداً ، ويسمون السواد خضرة ، والخضرة في شيات الخيل : غبرة تخالطها دهمة ، وسمّى العرب ريف العراق بالسواد ، لخضرته العميقة ، كما سموا السمرة والأدمة ، خضرة ، قال اللهبي :

وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجلدة من جنس العرب

من يساجلني يساجل ماجداً ... يملأ الدلو إلى عقد الكرب

وكان بعض مشركي قريش ، قد اجتمعوا بالخندمة ، ليقاتلوا ، ومعهم الأحابيش ، فلقيهم خالد بن الوليد ، فقتل من المسلمين كرز بن جابر ، أحد بني محارب بن فهر ، وحبيش بن خالد ، والأشعر بن ربيعة الكعبي ، وسلمة بن الميلاء ، وكان حبيش ويكنى أبا صخر ، قتل قبل كرز ، فجعله كرز بين رجليه، وقاتل حتى قتل ، وهو يرتجز ، (الطبري ٣/٤٢-٦٦).

قد علمت صفراء من بني فهر نقيّة الوجه نقيّة الصدر
لأضربنَّ اليوم عن أبي صخر

وكان حماس بن قيس ، أخو بني بكر ، من مشركي قريش ، يعدّ سلاحاً ، قبل دخول المسلمين إلى مكّة ، فقالت له امرأته : لماذا تعدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه : واني ـ والله ـ لأرجو أن أخدمك بعضهم (يعني إنَّه يأسر بعض المسلمين فيتّخذ منهم خدماً)، فلما استعرت الحرب بالخندمة ، وقتل من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا، وخرج حماس منهزماً، حتى دخل بيته ، ثم قال لأمرأته : أغلقي عليّ بابي ، فقالت له : أين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنّك لو شهدت يوم الخندمه إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمه يقطعن كلّ ساعد وجمجمه
لهم نهيتٌ خلفنا وهمهمه لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

غزوة حنين

وفي السنة ٨ أجمعت هوازن على غزو المسلمين ، وتهيّأت لذلك ، فلما بلغ النبي خبرهم ، أجمع على المسير إليهم ، وقصدهم في اثني عشر ألفاً ، فلما وصل المسلمون إلى وادي حنين ، وهو واد بينه وبين مكّة بضعة عشر ميلاً (معجم البلدان ٢ / ٣٥٠) كانت هوازن كامنة لهم فيه ، فهاجمتهم من كلّ جانب ، فانكشف المسلمون ، ثم فاءت فئة منهم ، فالتفّوا حول النبيّ، واشتدّت المعركة ، فقال النبي : الآن حمي الوطيس ، وهو أوّل من قالها ، وكان صاحب راية هوازن ، ذا الخمار ، يحمل الراية وهي سوداء ، وهو على جمل أحمر ، يتقدّم الناس ، فإذا أدرك رجلاً طعنه ، ثم رفع رايته لمن وراءه فاتّبعوه ، فلما رأى المسلمين نكايته فيهم ، أهوى له علي بن أبي طالب ، ورجل من الأنصار ، فضرب علي عرقوبي الجمل ،

فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل ، نضربه ضربة أطنّ قدمه بنصف ساقه فانعجف عن رحله ، وكانت الهزيمة على هوازن ، وقتل من ثقيف وبني مالك سبعون رجلاً ، وقتل من المسلمين أيمن بن عبيد ، ويزيد بن زمعة ، وسراقة بن الحارث ، وأبو عامر الأشعري ، عم أبي موسى (ابن الأثير ٢/٢٦١ـ ٢٦٦ والطبري ٣/٧٠ـ ٨٢) .

غزوة الطائف

الطائف، مدينة في الحجاز ، مسيرة يوم للطالع من مكّة ، ونصف يوم للهابط ، وهي ذات مزارع ونخيل وأعناب وموز ، وسائر الفواكه ، وكانت ، وما تزال ، مصيف أهل الحجاز ، قال معاوية بن أبي سفيان ، عن مولاه سعد ، وكان يلي أمواله بالحجاز : أغبط الناس عيشاً مولاي سعد ، يتربّع بجدة ، ويتقيظ الطائف ، ويشتو بمكّة (معجم البلدان ٣/٤٩٥ـ ٥٠١) .

لما انهزمت هوازن ، في غزوة حنين ، لجأت ثقيف إلى الطائف ، وكانت مدينة مسوّرة ، فسار اليهم النبي ، وحصرهم ، ثم كفّ عنهم ، بعد أن قتل من أصحابه اثنا عشر رجلاً ، بسهام أهل الطائف ، منهم سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث ، منهم عرفطة بن حباب الأزدي ، الذي كان يلقب زاد الراكب (الاعلام ٥/١٥) وعبدالله بن أبي أمية المخزومي، وعبدالله بن أبي بكر الصديق، والسائب بن الحارث بن عديّ (الطبري ٣/٨٢ وابن الأثير ٢/٢٦٦) .

معركة اليمامة

في السنة ١٠ قدم وفد بني حنيفة على النبي صلوات الله عليه ، وفيهم مسيلمة الكذّاب ، واجتمع مسيلمة بالنبيّ ، ثم عاد الى اليمامة ، وأدّعى النبوّة ، وزعم أنّه شريك رسول الله في النبوّة ، فاتبعه بنو حنيفة ، ورتّب لهم

قـرآنـاً ، وكـانت سجـاح قـد تنبـأت في بني تغلب ، وأقبلت بهم لتغـزو المسلمين ، ثم أمـرتهم بغزو اليمـامـة أوّلاً ، وبلغ ذلـك مسيلمـة، فهـابهـا ، فـأهدى لهـا ، ووفد عليهـا ، واتّفق معها على أن يكـون أمرهمـا واحداً ، وأن تقسم الغنائم بينهما منـاصفة ، وقيل إنّه تزوجها ، وبعث أبو بكر في السنة ١٢ لحرب مسيلمة جيشاً بقيادة عكرمة بن أبي جهـل، ثم اتبعه بجيش على رأسـه شـرحبيل بن حسنة ، فتعجّل عكـرمة ، فنـاجـز مسيلمـة ، فنكبـوه ، وتـريّث شرحبيل ، حتى جـاءه خالـد بن الوليـد على رأس جيش ، وسارا معـاً ، وكان مسيلمـة في أربعين ألف مقاتـل ، ووقعت المعركـة في عقـربـاء، وهي طـرف اليمـامة، فـانهزمت بنـو حنيفة ، فقـال المحكم بن الطفيـل : يا بني حنيفـة ، أدخلوا الحـديقـة، فـإنّي سـأمنـع أدبـاركم ، وحصلت المعـركـة الثـانيـة في الحديقة ، وقتل من بني حنيفة آلاف .

ومن أبلى في وقعة عقرباء البراء بن مالك ، أخو أنس بن مالـك ، وكان إذا حضرته الحرب ، أخذته العرواء (الـرعدة) حتى يقعـد عليه الـرجال ، ثم ينتفض تحتهم حتى يبول في سراويله ، فإذا بـال، ثار كما يثـور الأسد ، فلمـا بال وثب ، وصاح بأصحابه ، فعادوا إليه ، وحاربوا أشدّ حـرب ، ولما احتبس بنو حنيفة في الحديقة ، صـاح البراء : يـا معشر المسلمين القـوني عليهم في الحـديقة ، فصـاحوا بـه : لا تفعل ، فقـال : والله ، لتـطرحني عليهم فيهـا ، فحملوه، فـاقتحم عليهم حتى فتـح بـاب الحـديقـة ، فـدخلهـا المسلمـون، وأبادوهم (الطبري ٣/ ٢٩٠).

وفي وقعة عقرباء ، في السنة ١١ ، قتـل مسيلمة بن حبيب ، المعـروف بمسيلمة الكذاب ، وكان قد ارتدّ عن الإسلام ، وادّعى النبوة ، فواقعـه خالـد بن الـوليد على رأس جيش من المسلمين ، فقتـل مسيلمة في المعـركة ، قتله اثنـان ، أحدهمـا وحشي قاتـل حمزة ، دفـع عليه حـربته ، والثـاني رجل من الأنصار، ضربه بالسيف (الطبري ٣/ ٢٩٠ وابن الأثير ٢ / ٣٦٠- ٣٦٦).

وفي وقعة عقرباء ، في السنة ١١ قتل مع مسيلمة الكذاب ، الرحّال بن عنفوة بن نهشل ، وكان الرحّال قد أسلم، وهاجر الى النبي صلوات الله عليه ، وقرأ القرآن ، وتفقّه في الدين ، فبعثه النبي معلّماً لأهل اليمامة ، ليشدّ من أمر المسلمين ، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة ، إذ شهد له بأنّه سمع محمداً صلوات الله عليه ، يقول إنّه قد أشرك مسيلمة معه ، فصدّقوه ، واستجابوا له ، ولما وقعت معركة عقرباء ، كان الرحال أوّل من لاقى المسلمين يحاربهم فقتل (الطبري ٢/٣٨٢ و ٢٨٩).

أقول : قتل في وقعة عقرباء من المسلمين أكثر من ستمائة ، أما بنو حنيفة أتباع مسيلمة ،فقتل منهم سبعة آلاف في وقعة عقرباء ، ولما انحازوا إلى الحديقة ، وكانت مسوّرة ، دخلها عليهم المسلمون ، فقتلو منهم سبعة آلاف أيضاً ، فسميت الحديقة ، حديقة الموت (الطبري ٣/ ٢٩٧).

وممن قتل في وقعة عقرباء ثابت بن قيس الأنصاري ، قتله رجل من المرتّدين ، قطع رجله ، فرمى بها قاتله ، فقتله (الطبري ٣/٢٩٧).

وممن قتل في وقعة عقرباء زيد بن الخطاب ، أخو عمر بن الخطاب ، وكان قد أبصر ضعضعة في صفوف المسلمين ، فصاح بهم : عضّوا على أضراسكم ، وآضربوا عدوّكم ، وامضوا قدماً ، وهجم في المقدّمة ، وقاتل حتى قتل (الطبري ٣/٢٩١).

وفي السنة ١١ ارتدت مهرة ، وعليها المصبّح ، فقصدهم عكرمة بن أبي جهل بجيش من المسلمين ، وأرسل عكرمة الى المصبّح يدعوه إلى الإسلام ، والرجوع عن الكفر ، فأبى ، فاقتتلوا اشدّ قتال ، فقتل المصبح ، وانكشف جمعه (الطبري ٣/٣١٧).

وفي السنة ١١ لما خرج خالد في طلب طليحة بن خويلد الأسدي الذي ادّعى النبوة ، أرسل خالد عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم الأنصاري ،

طليعة ، فلقيهما حبال، أخو طليحة ، فقتلاه ، فبلغ خبره طليحة ، فخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة ، وقتل أخوه ثابتاً ، ورجعا (ابن الأثير ٣٤٧/٢) ولما نشبت المعركة ، فرّ طليحة ، ثم عاد إلى الإسلام ، وجاء إلى عمر الفاروق فبايعه ، فقال له : أنت قاتل عكاشة وثابت ؟ والله ، لا احبّك أبداً (ابن الأثير ٣٤٨/٢).

وفي السنة ١٢ قدم خالد بجيش من المسلمين، لمحاربة الفرس في العراق، وكان هرمز الفارسي صاحب الثغر ، فطلب أن يبارز خالداً ، فبرز له خالد ، وقتله بكاظمة ، وغنم قلنسوة هرمز ، وكانت مفصّصة بالجوهر ، فنفلها أبو بكر له ، وكان الجنود الفرس ، قد عقلوا أنفسهم بالسلاسل ، كيلا يفروا ، فلما دارت عليهم الدائرة، قتلوا جميعاً ، وسميت المعركة ذات السلاسل (الطبري ٣٤٩/٣).

وفي السنة ١٢ كانت وقعة المذار ، وكان جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، قد تقدّموا داخل العراق ، بعد انتصارهم بكاظمة ، فلما بلغوا المذار ، واجهوا الجيش الفارسي بقيادة قارن بن قرياس ، واقتتل الجيشان ، وقتل قارن ، وقتل من الجيش الفارسي مقتلة عظيمة ، قيل انه قتل منهم ثلاثون ألفاً ، سوى من غرق منهم ، وأفلت القليلون منهم عراة أو شبه عراة (الطبري ٣٥١/٣، ٣٥٢).

وفي السنة ١٢ كانت معركة الولجة ، بين جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، وبين الجيش الفارسي بقيادة الاندرزغر ، فانكسر الفرس ، ومضى قائدهم في هزيمته حتى مات عطشاً ، وقتل خالد منهم رجلاً يعدل بألف رجل (الطبري ٣٥٣/٣ و٣٥٤) .

وفي السنة ١٢ حشد الفرس ، وأعانهم قسم من نصارى العرب ، واجتمعوا على محاربة جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، فالتقوا على

الفرات ، في موضع اسمه « الّيس » بلام مشدّدة ، وطلب خالد المبارزة ، فبرز له مالك بن قيس ، من جذرة ، فصاح به خالد : يا ابن الخبيثة ، ما جرّأك عليّ من بينهم ، وليس فيك وفاء ، وضربه ، فقتله ، وقتل من الفرس ، ومن أعانهم ، في موقعة الّيس ، سبعون ألفاً (الطبري ٣/٣٥٦ـ ٣٥٨) .

وفي السنة ١٢ قصد جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، عين التمر ، فتحصّن منه الفرس ، وكانوا بقيادة مهران بن بهرام جوبين ، في جمع عظيم من العجم ، وتصدّى له العرب بقيادة عقّة بن أبي عقّة ، في جمع عظيم من النمر وتغلب وإياد ومن لافّهم ، ولما التقي الجيشان ، حمل خالد على عقّة، فأسره ، وانكسر جنده، والتجأوا إلى الحصن ، ثم نزلوا على حكم خالد ، فبدأ خالد بعقّة ، فقتله ، وطرحه على الجسر ، ثم ضرب أعناق أصحابه أجمعين (الطبري ٣/٣٧٦ و ٣٧٧) .

وفي السنة ١٢ قصد خالد يقود جيش المسلمين، دومة الجندل ، وأخذ في طريقه أحد رؤساء أهل دومة وهو أكيدر بن عبد الملك ، فقتله ، ثم اشتبكت المعركة عند الحصن ، وانتصر المسلمون ، وأخذ خالد الجودي بن ربيعة ، رئيس دومة أسيراً ، فضرب عنقه ، ولجأ الفارّون إلى الحصن ، فاقتحمه المسلمون ، وقتلوهم (الطبري ٣/٣٧٨، ٣٧٩) .

وفي السنة ١٢ قصد القعقاع بن عمرو ، أحد قوّاد خالد بن الوليد ، مع جيش من المسلمين، حصيد ، والتقى بجيش من الفرس ، فاقتتلوا، وانكسر الفرس ، وقتل قائدهم روزبة ، وأحد قوّادهم زرمهر (الطبري ٣/ ٣٨٠) .

أقول : في غزوات العراق ، كان كلّ فخذٍ هاجرت بأسرها تدعى : البررة ، وكّل قوم هاجروا من بطن ، يدعون الخيرة (الطبري ٣/ ٣٨٠) .

وفي السنة ١٣ كان جيش المسلمين بالشام ، له أمراء متعدّدون ، وكانت كلمتهم متفرّقة ، فخطبهم خالد بن الوليد ، ودعاهم إلى تأمير كلّ أمير

يوماً واحداً ، تكون لـه الكلمة النـافذة على جميعهم ، فـأمّروه لـذلك اليـوم ، فرتّب صفوف المسلمين ، وصدم بهم الروم صـدمة عنيفـة ، وجاء البـريد إلى خالد ، وهو في صميم المعركة ، بموت أبي بكـر ، واستخلاف عمـر ، وعزل خالد، وتأمير أبي عبيدة ، فكتم خالد الخبر ، واستمرّ في المعركـة ، فاستسلم له جرجة ، قائـد الروم ، وأسلم ، وحـارب مع خـالد ، فقتـل في المعركـة ، وحمي وطيس المعـركـة ، فنـادى عكـرمـة بن أبي جهـل : من يبـايعني على الموت ؟ فبايعه أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقـاتلوا أمـام فسطاط قـائدهم خـالد بن الـوليد ، حتى اثبتـوا جميعاً جـراحاً ، وقتلوا إلاّ من بـرأ ، وجيء إلى خالد بعكرمة جريحاً ، فوضع رأسه على فخذه ، وجيء إليه بعمرو بن عكرمة جـريحاً ، فـوضع رأسـه على ساقـه ، وجعل يمسـح عن وجهيهما ويقطر الماء في حلقيهما حتى مات الأب والأبن معاً .

قتل في هذه المعركة من المسلمين ثـلاثة الآف، منهم عكـرمة ، وابنـه عمرو ، وسلمة بن هشـام ، وعمرو بن سعيـد ، وأبان بن سعيـد ، وجندب بن عمـرو الدوسي ، والـطفيـل بن عمـر ، وكليب بن عميـر بن وهـب ، وهبـار بن سفيـان ، وهشـام بن العـاص ، أمـا الـروم فقتـل صنـاديـدهم ، ورؤوسهم ، وفـرسانهم ، وقتـل أخو ملكهم هـرقل ، وأسـر التذارق أخـوه الآخـر ، وقتـل القبقلار الرومي (ابن الأثير ٢/٤١٧) .

وبعـد إنتهاء المعـركة ، وظفـر المسلمين أعلن خالـد وفـاة أبي بكـر . وأسلم القيادة إلى أبي عبيدة (الطبري ٣/٣٩٥ - ٤٠٥) .

أقول : مما يؤثر عن خالد بن الوليد في هذه المعركة ، إنَّ رجلاً قال لـه قبل الاشتباك بين الجيشين : ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين ، فقـال له خـالد : بل ما أقلّ الروم وأكثر المسلمين ، إنَّما تكثـر الجنود بـالنصر وتقـلّ بالخـذلان (الطبري ٣/٣٩٨).

وفي معركة اليرموك ، في السنة ١٣ ، قاتلت النساء المسلمات، بجانب

الرجال ، وممن قاتلن في تلك المعركة ، جويرية ابنة أبي سفيان ، وكانت مع زوجها، وأصيبت بعد قتال شديد (الطبري ٣/٤٠١).

وفي معركة فحل ، في السنة ١٣ ، اقتتل المسلمون والروم ، فقتل قائد الروم سقلار بن مخراق ، ونائبه نسطورس ، وانكسر الروم ، وكانت معركة فاصلة ، قتل فيها من الروم ثمانون ألفاً (الطبري ٣/٤٤٢ و ٤٤٣).

ولما استخلف عمر ، في السنة ١٣ ندب الناس لحرب فارس ، فكان أوّل منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، أبو المختار ، فأمّره عمر على الجيش ، (الطبري ٣/٤٤٥).

وفي وقعة الجسر ، كان على الجيش الفارسي بهمن جاذويه ، وراية الجيش درفش كابيان ، راية كسرى ، وعلى جند المسلمين قائدهم أبو عبيد ، وكان الجيش الفارسي قد أحضر الفيلة ، ليستعين بها في حربه ، ومنها فيل أبيض ، عليه الحلي ، فحاصت خيول المسلمين عن الفيلة ، فلما رأى أبو عبيد ما صنع الفيل ، سأل : هل لهذه الدابة من مقتل ؟ قالوا : نعم ، إذا قطع مشفرها ماتت ، فنهد أبو عبيد بنفسه إلى الفيل الأبيض ، فنفح خرطومه بالسيف ، وخبطه الفيل برجله ، وبرك عليه فقتله ، وتوالى على حمل الراية سبعة من المسلمين ، كلما قتل منهم واحد خلفه آخر ، وقتل من المسلمين في هذه الواقعة أربعة الآف (الطبري ٣/٤٥٥-٤٥٨).

أقول : أهدي إلى أبي عبيد ، وهو يجول بجنده في العراق ، قوم من فارس أطعمة من الأخبصة وغيرها ، فقال أبو عبيد لهم : أأكرمتم الجند بمثله؟ قالوا : لا ، فردّه ، وقال : لا حاجة لي به ، بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوماً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه ، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه ، لا والله ، لا يأكل أبو عبيد مما أفاء الله عليهم إلاّ مثلما يأكل أوساطهم (الطبري ٣/٤٥٢).

وفي معركة النمارق ، انتصر المسلمون بقيادة أبي عبيد الثقفي ، على الفرس ، وأسر قائد الفرس جابان ، أسره مطر بن فضّة التيمي ، وكان جابان

شيخاً كبيراً ، فقال لمطر : هل لك أن تؤمّنني ، وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك ؟ فوافق مطر ، وأخذه فأدخله على أبي عبيد ، ونال موافقته ، فصاح الناس : هذا الملك جابان ، وهو قائد الجيش ، فقال أبو عبيد : قد آمنه رجل مسلم والمسلمون في التوادّ والتناصر كالجسد الواحد ، ما لزم بعضهم لزم كلهم ، فقالوا له : إنّه الملك ، فقال أبو عبيد : وإن كان ، لا أغدر (الطبري ٣/٤٤٩ و ٤٥٠).

وفي موقعة البويب في السنة ١٣ اقتتل جيش المسلمين ، وعليهم المثّنى ، وجند الفرس ، وعليهم مهران مرزبان الحيرة ، ومردان شاه ، فقتل من المسلمين مسعود بن حارثة ، أخو المثّنى ، ولما ارتثّ مسعود صاح : يا معشر بكر بن وائل ، ارفعوا رايتكم ، رفعكم الله ، لا يهولنّكم مصرعي ، وقتل أنس بن هلال ، وكان نصرانياً ، حارب في جند المسلمين ، عصبيّة للعرب ، وقتل قائد الفرس مهران ، وقتل صاحب خيله شهر براز (الطبري ٣/٤٦١ و ٤٦٢).

وفي موقعة البويب ، صفّ المثنى جند المسلمين ، يهيّئهم للحرب ، فأبصر رجلاً يستوفز ، ويستنتل من الصفّ ، فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : هو ممن فرّ من الزحف يوم الجسر ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرمح ، وقال : لا أبالك ، الزم موقفك ، فإذا أتاك قرنك ، فأغنه عن صاحبك ، ولا تستقتل (الطبري ٣/٤٦١ و ٤٦٢).

معركة القادسية

وفي السنة ١٤ وقعت معركة القادسية ، بين جيش المسلمين ، وجند فارس ، وكان ابتداء أمرها ، أنَّ الخليفة عمر ، لما بلغه قتل أبي عبيد الثقفي ، قائد جيش المسلمين، واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى ، جمع ذوي الرأي من المسلمين ، واستشارهم في أن يسير هو على

رأس جيش إلى فارس ، فأشاروا عليه بأن يقيم ، ويبعث قائداً على الجيش ، فبعث سعد بن أبي وقاص ، في أربعة آلاف ، ثم أمدّه بأربعة آلاف ، وكان المثنى قبله في ثمانية آلاف .

وعند وصول سعد ، توفّي المثنّى بن حارثة ، من جراحة كانت أصابته يوم الجسر ، فانتقضت عليه ، ومات منها ، فأنضاف جيشه إلى جيش سعد ، وأنضاف اليهم الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن ، وانضاف اليه آخرون من بعث الشام ، بأمر من الخليفة ، فكان من شهد معركة القادسية من جيش المسلمين بضعة وثلاثين ألفاً ، قابلهم الجند الفرس في مائة وعشرين ألفاً ، على مقدمتهم الجالنوس في أربعين ألفاً ، وعلى ميمنته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران بن بهرام ، وهما في ستين ألفاً ، وعلى ساقته البيرزان في عشرين ألفاً ، وكانوا مع أتباعهم أكثر من مائتي ألف ، وعليهم جميعاً قائدهم رستم ، ومعه ثلاثة وثلاثون فيلاً ، منها فيل سابور الأبيض ، وكانت الفيلة تألفه ، وكان أعظمها وأقدمها .

وبدأت معركة القادسية، بيوم أرماث ، وكان سعد مريضاً ، لم يشترك في المعركة، وإنما كان في فراشه مشرفاً على الناس من القصر ، يرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عرفطة ، فيبلغها الجند .

ولما تلاحم الفريقان ، عمد فريق من جند المسلمين إلى الفيلة ، فأخذوا بأذنابها ، وقطعوا وضنها ، وقتلوا من عليها .

ثم تلاه يوم أغواث ، فاجتلدوا بالسيوف حتى المساء ، ولم تشترك الأفيال في القتال ، كانت توابيتها تكسّرت بالأمس ، في يوم أرماث ، وقتل في هذا اليوم كثير من أعلام الفرس ، قتل منهم عشرة آلاف ، وقتل من المسلمين الفان .

وكان اليوم الثالث ، يوم عماس، واشترك فيه الفرس بأفيالهم ، ومعها الرّجالة ، يحمونها أن تقطع وضنها ، ومع الرجّالة فرسان يحمونهم ، ولما بدأ

الإلتحام ، قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي لأصحابه : إنّي حامل على الفيل ومن حوله ، فلا تدعوني أكثر من جزر جزور ، فإن تأخرتم عنّي ، فقد تم أباثور ، وأنّى لكم بمثل أبي ثور ، ثم انغمس في المعركة ، وستره الغبار ، وتبعه أصحابه ، فوجدوه راجلاً يضرب بسيفه ، إذ طعن فرسه ، فنزل عنه وتركه ، فلما جاء أصحابه ، انفرج الفرس عنه ، فأخذ برجل فرس فارس منهم ، فلم يستطع الفرس الحركة ، ونزل عنه فارسه وفرّ ، فركبه عمرو بدلاً من فرسه ، ولما عادت الفيلة الى مضايقة المسلمين ،أمر سعد أربعة من قواده أن يكفوه أمر فيلين كانا يقودان باقي الفيلة ، فعمد كلّ قائدين إلى احد هذين الفيلين ، فغرسا رمحيهما في عيني الفيل ، فنفض الفيل رأسه ، وطرح سائسه ، وكذلك حصل مع الثاني ، وصاح الفيلان، ثم ولّى الأجرب الذي عوّر ، فوثب في العتيق، فاتبعته الفيلة ، فخرقت صفوف الأعاجم ، ودامت الملحمة طول النهار ، والليل ، إلى الصباح ، فسميت ليلة الهرير ، ولما أصبح المسلمون ، ولم تغمض اعينهم ، تذامروا من جديد ، وهاجموا الفرس ، وضرب احد المسلمين ، وهو هلال بن علفة ، رستم ، قائد الفرس ، ففرّ منه وارتمى في العتيق فاقتحمه هلال عليه ، وأمسك به وقد عام ، فأخذ برجله ، وأخرجه ، فضرب جبينه بالسيف فقتله ، ثم صعد على سرير رستم ، وصاح : قتلت رستم وربّ الكعبة ، إليَّ ، فأطاف به المسلمون، وكبّروا ، وتنادوا وتفرّق الفرس وفرّوا .

وكان منهم ثلاثون ألفاً ، قد قرنوا أنفسهم بالسلاسل ، كيلا يفرّوا، فتهافتوا في العتيق ، فقتلوا جميعاً ، ما افلت منهم أحد ، وأخذ ضرار بن الخطّاب راية الفرس ، درفش كابيان ، فعوّض عنها بثلاثين ألفاً ، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف ، وقتل من الفرس في هذه المعركة عشرة آلاف سوى من قتل منهم قبل ، وبلغ عدد قتلى المسلمين في جميع أيّام حرب القادسية ستّة آلاف .

وقتل زهرةُ التميمي الجالنوس ، أحد كبار قوّاد الفرس ، وأخذ سلبه إلى سعد ، فقال له سعد : هل أعانك عليه أحد ؟ قال : نعم ، قال من ؟ قال : الله ، فنفله سلبه ، فباعه بسبعين ألف درهم (الطبري ٣/ ٤٨٠- ٥٧٠) .

وفي معركة دستميسان ، في السنة ١٤ كان عتبة بن غزوان ، قائد جيش المسلمين ، قد شخص إلى المدينة ، وأمّر المغيرة بن شعبة على الجيش ، فجمع أهل ميسان للمسلمين ، والتحم معهم المغيرة في حرب ، وكانت النساء مع الأثقال ، فقالت احداهنّ : لو لحقنا بالمسلمين فكنّا معهم ، واعتقدت لواءً من خمارها ، واتخذت النساء من خمرهنّ رايات ، وخرجن يردن المسلمين ، فانتهين اليهم ، والمشركون يقاتلونهم ، فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ، ظنّوا إنّها مدد جاء للمسلمين ، فانكشفوا ، واتّبعهم المسلمون ، فقتلوا منهم عدّة (الطبري ٣/٥٩٦) .

وفي السنة ١٥ بعث هرقل ، البطريق توذر ، على رأس جيش ، فقصد دمشق ، واشتبك مع جيش المسلمين بقيادة يزيد بن أبي سفيان ، ولحق بهم خالد بن الوليد وهم يقتتلون ، فصدم الروم من خلفهم ، فلم يفلت منهم إلاّ الشريد ، وقتل قائدهم توذر .

وفي السنة ١٥ اقتتل بمرج الروم ، جيش الروم ، يقوده شنس ، وجيش المسلمين يقوده أبو عبيدة ، فقتل من الروم مقتلة عظيمة ، وقتل قائدهم شنس (الطبري ٣/٥٩٨ و ٥٩٩) .

وفي السنة ١٥ في معركة قنسرين ، كان على جيش الروم ميناس ، وهو رأس الروم ، واعظمهم بعد هرقل ، وعلى جيش المسلمين خالد بن الوليد ، وكان النصر للمسلمين ، وقتل ميناس (الطبري ٣/٦٠١ .

وفي السنة ١٥ تولّى معاوية قيسارية ، فسار إليها ، ومعه جند من

المسلمين ، وحارب الروم ، وكانوا قد تحصّنوا بقيسارية ، ثم خرجوا فحاربوه حرب استماتة فبلغ قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً ،وكمّلها في هزيمتهم مائة ألف (الطبري ٣/٦٠٤).

وفي السنة ١٥ وقعت معركة بابل ، إذ اجتمع الفرس ببابل ، على الفيرزان ، فاشتبك معهم المسلمون في معركة ضارية ، والمسلمون يقودهم سعد ، فانكسر الفرس ،وتمزّق جيشهم ، ولحق بهم المسلمون إلى المدائن ، وكان قائد الفرس في المدائن ، شهريار ، دهقان الباب ، فطلب شهريار المبارزة ، فبرز له نائل بن جعشم الأعرجي ، من بني تميم ، فقتله نائل ، وانكشف أصحابه ، وأخذ نائل سلب شهريار ، وسواريه ، وفرسه ، فعزم عليه سعد أن يلبس قباء شهريار ، ودرعه ، وسواره ، فانطلق فلبس كلّ ذلك ، وجاء إلى سعد ، فقال له : اخلع سواريك؛ إلّا أن ترى حرباً فتلبسها ، فكان أوّل رجل من المسلمين سوّر بالعراق (الطبري ٣/ ٦٢٠- ٦٢٢).

وفي السنة ١٥ وقعت معركة اليرموك ، حيث سار هرقل وجيشه ، ونزل بانطاكية ، ومعه بشر كثير من المستعربة ، ومثلهم أهل أرمينية ، وبعث أحد قوّاده ، واسمه الصقلار ، في مائة ألف مقاتل ، منهم اثنا عشر ألفاً من أهل أرمينية عليهم جرجة ، ومن المستعربة ، من غسان قضاعة اثنا عشر ألفاً ، عليهم جبلة بن الأيهم الغساني ، وسائرهم من الروم ، والتقوا باليرموك بالمسلمين ، والمسلمون في أربعة وعشرين ألفاً بقيادة أبي عبيدة ، فاقتتل الجيشان اقتتالاً شديداً ، وقتل الصقلار قائد الروم ، وقتل معه سبعون ألفاً من جنده (الطبري ٣/ ٥٧٠- ٥٧٢).

وفي السنة ١٦ وقعت معركة بهرسير ، وكان الفرس قد تحصّنوا بها ، وأحاط بهم جند المسلمين بقيادة سعد ، وكان زهرة بن الحوية ، أحد أبطال المسلمين ، قد لبس درعاً مفصومة ، فقيل له : ألا أمرت بهذا الفصم فسرد ، فإنّا نخاف عليك منه ، فقال : إنّي لكريم على الله إن ترك سهم

فارس الجند كلّه ، ثم أتاني من هذا الفصم ،حتى يثبت فيّ ، فكان أوّل رجل من المسلمين أصيب يومئذٍ بنشابهة ، فثبتت في ذلك الفصم ، فأرادوا نزعها ، فقال : دعوني ، فإنَّ نفسي معها ما دامت فيّ ، لعلّي أن أصيب منهم بطعنة ، أو ضـربة ، أو خـطوة ، ومضى نحو العـدّو ، فضرب بسيفـه شهربـراز القـائـد الفارسي ، فقتله ، وأحيط بزهرة ، فقتل (الطبري ٤/٦).

وفي السنة ١٦ كانت الخنساء الشاعرة مع جيش المسلمين في العراق ، ومعها أولادها الأربعة ، فقالت لهم : يـا بنّي أنتم اسلمتم طائعين ، وهـاجرتم مختـارين ، فإذا اصبحتم غـداً ، فاغـدوا الى قتال عدوّكم مستبصرين ، وبـالله على أعدائه مستنصرين ، فلما أضاء لهم الصبح ، باكروا مـراكزهم ، فتقـدموا واحداً بعد واحـد، ينشدون الأراجيـز ، فقاتلـوا حتى استشهدوا جميعـاً ، فلما بلغهـا الخبر ، قـالت : الحمد لله الـذي شـرّفني بقتلهم ، وأرجـو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ، فكان عمر يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكلّ واحد مائة درهم حتى قبض وماتت الخنساء (خزانة الأدب ١ / ٢١٠).

وفي السنـة ١٦ لما انتصـر جيش المسلمين، بقيـادة سعـد، في مـوقعـة المدائن ، وصل إلى أيديهم تاج كسرى، وجواهره، وثيابه الديبـاج المنسوجـة بالذهب ، المنظوم بالجوهر ، وأسفاط من اللؤلؤ، والزمـرد، والياقـوت، فبعث بها سعد إلى الخليفة عمر ، فقال عمر : إنَّ أقواماً أدّوا هذا لذوو أمانة ، فقـال له علي : إنّك عففتَ فعفّت الرعيّة (الطبري ٤/ ١٩ و٢٠).

وفي السنـة ١٦، تذامـر الفرس ، راجتمعـوا بجلولاء ، وحشـدوا بقيـادة مهران الرازي ، فأنفذ إليهم سعد جيشاً من اثني عشـر ألفاً ، بقيـادة هاشم بن عتبة الملقّب بالمرقال ، فحصرهم في جلولاء ، وأمدّه سعد بفرسـان آخرين ، فالتحم مع الفرس في معركة اشبهت معركة ليلة الهريـر ، قتل فيهـا من الفرس مـائة الف ، وجلّلت جثث القتلى المجـال وما بين يـديه ومـا خلفـه ، فسميت جلولاء (الطبري ٤/ ٢٤- ٢٦).

وفي السنة ١٧ نهد العلاء بن الحضرمي ، عامل البحرين ، وعبر بجيش من المسلمين ، البحر الى فارس، وكان الفرس قد اجتمعوا على الهربذ ، فقتل من المسلمين ، من قوّادهم سوار بن همام ، والجارود بن المعلّى ، واستعان الفرس بأمداد من أهل فارس كلّهم ، وبعث سعد إلى المسلمين مدداً ، والتحم الجيشان في معركة ضارية ، فانكسر الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة (الطبري ٤/ ٧٩).

وفي النسة ١٧ كانت معركة السوس، وكان يزدرجرد قد دعا قائده سياه ، فوجّهه في ثلثمائة ، منهم سبعون رجلاً من عظمائهم ، وأمره أن ينتخب من كلّ بلد يمرّ بها من أحبّ ، ثم وجد وأصحابه أن لا قبل لهم بمقاتلة المسلمين ، فدخلوا في الإسلام على شروط اشترطوها ، منها أن يقاتلوا العجم مع المسلمين ، ولا يقاتلوا العرب ، ووجد أبو موسى الأشعري من سياه وأصحابه تراخياً : فقال له : يا أعور ، ما أنت وأصحابك كما كنا نري ، فحمي سياه ، وجاء إلى حصن من حصون الفرس ، فتماوت على بابه ، فلما رأوا لباسه مثل لباسهم ، فتحوا الباب ليدخلوه فثار ، وقاتلهم ، حتى أخلوا باب الحصن ، فاحتلّه المسلمون (الطبري ٤/ ٩٠ و٩١) .

وفي السنة ١٧ وقعت معركة ، على أبواب تستر ، بين المسلمين والفرس يقودهم الهرمزان ، ولما حمي وطيس المعركة ، قال المسلمون للبراء بن مالك : يا براء ، أقسم على ربّك ليهزمنهم لنا ، فقال : اللهم أهزمهم ، واستشهدني ، فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، ثم عبروا إلى داخل تستر من مجرى مائها ، فلما أفضوا إليها كبّروا ، وكبّر المسلمون ، وتحصّن الهرمزان في القلعة، ثم نزل على حكم عمر ، فأنزلوه ، وشدّوه وثاقاً ، وكان الهرمزان قد قتل خلال المعركة البراء بن مالك ، ومجزأه بن ثور بنفسه ، وقدم المدينة وفد من الجند ومعهم الهرمزان ، فلما أرادوا دخول المدينة ، ألبسوا الهرمزان كسوته من الديباج وفيه الذهب ؛

ووضعوا على رأسه تاجه الآذين المكلّل بالياقوت ، وعليه حليته ، وجاءوا به إلى الخليفة، فلم يجدوه في بيته ، ووجدوه نائماً في زاوية المسجد ، فصعق الهرمزان مما رأى ، قال : أين وزراؤه وحجّابه وحرّاسه ، فقالوا : ليس له حارس ولا حاجب ، فقال : فهو إذن نبيّ ، ولما أبصره عمر ، أمر بأن تخلع عنه حليته ، ثم احضره ، ولما جيء به اليه ، استسقى ماءً ، فلما جيء به إليه ارتجفت يده ، فقال له عمر : لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأ القدح ، وقال : قد امّنتني حتى أشربه ، فقال له عمر : كذبت ، أنا أؤمن قاتل مجزأة والبراء ، فقال له المسلمون : قد أمنته يا أمير المؤمنين ، فأسلم الهرمزان ، وفرض له عمر في العطاء ، وأنزله المدينة (الطبري ٤ /٨٣- ٨٨) .

وفي السنة ٢١ وقعت معركة نهاوند ، وكانت الاعاجم قد اجتمعت بها ، فأمر الخليفة عمر ، قائده سعداً ، أن يبعث الى نهاوند بجيش يقوده النعمان بن مقرّن، وكتب الخليفة الى النعمان كتاباً ، قال فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرّن ، سلام عليك ، فإنّي أحمد اليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد ، فإنّه قد بلغني أنّ جموعاً من الأعاجم كثيرة ، قد جمعوا اليكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا ، فسر بأمر الله ، وبعون الله ، وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلنهم غيضة ، فإنّ رجلاً من المسلمين أحبّ إلي من مائة ألف دينار ، والسلام عليك ، فسار النعمان إلى نهاوند ، وخاض مع الفرس معركة ضارية ، وانتصر المسلمون ، وفتحت نهاوند ، وجاءت قائدهم النعمان نشابة فقتل ، فلفّه أخوه سويد في ثوبه ، وكتم قتله ، حتى فتح الله عليهم ، ولما بلغ عمر مقتل النعمان بكى ، وسأل عمّن قتل ، فعُدّ له أناسٌ ثم قيل وآخرون لا تعرفهم ، فقال وهو يبكي : لا يضيرهم ألاّ يعرفهم عمر ، ولكنّ الله يعرفهم (الطبري ٤ /١١٤ و١١٦ و١٢٠) .

أقول : كان النعمان بن مقرن ، عاملاً على كسكر ، فكتب إلى الخليفة عمر ، يقول : مثلي ومثل كسكر ، كمثل رجل شاب والى جنبه مومسة تلوّن له وتعطّر . فأنشدك الله لما عزلتني عن كسكر ، وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين (الطبري ٤/١٢٦) .

ولما صرع النعمان بن مقرن ، والمعركة في شدّتها ، رآه معقل بن يسار، فجاء إليه بإداوة فيها ماء ، فغسل عن وجهه التراب ، فقال له : من أنت ؟ قال : معقل بن يسار ، قال : ما فعل الناس ؟ قلت : فتح الله عليهم ، قال : الحمد لله ، أكتبوا بذلك إلى عمر ثم فاظت نفسه (الطبري ٤/١٤٣) .

وفي معركة الباب مع الترك ، في السنة ٢٢ كان على جند المسلمين عبد الرحمن بن ربيعة ، ووحمي القتال ، فقاتل عبد الرحمن حتى قتل ، وانكشف الناس ، فأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة ، وحمى الناس ، وخرج بهم إلى جيلان (الطبري ٤/١٥٨) .

وقتل في المعركة من أبطال المسلمين معاوية النخعي ، أصابه حجر فهشم رأسه ، ومعضد الشيباني ، أصابته شظية من حجر منجنيق ففضخت هامته ،وعمرو بن عتبة ، أصابته جراحة فقتل ، وقاتل القرثع الضبي ، حتى خرق بدنه بالحراب (الطبري ٤/٣٠٥ و ٣٠٦) .

وفي موقعة بيروذ ، بالأهواز ، في السنة ٢٣ كان جيش المسلمين بقيادة أبي موسى الأشعري، يقاتل جيش فارس ، وقد توافى إليه أهل النجدات من أهل فارس والأكراد، فقام المهاجر بن زياد، وقد تحنّط واستقتل ، فأقسم على كلّ صائم أن يرجع ليفطر ، فرجع أخوه الربيع بن زياد فيمن رجع لإبرار قسمه ، وإنّما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الإستقتال ، وتقدّم فقاتل حتى قتل ، فقاد أخوه الربيع جنداً فتحوا بيروذ (الطبري٤ / ١٨٣و ١٨٤) .

وفي السنة ٢٩ كان عبيد الله بن معمر التيمي ، أميراً على فارس ،

فحشد له الفرس ، واشتبكوا معه في معركة على باب اصطخر ، فقتل عبيدالله وهزم جنده (الطبري ٤/٢٦٥).

وفي السنة ٣١ قتل يزدجرد ، آخر ملوك فارس ، بمدينة مرو ، واختلف في كيفية قتله ، فمن قائل إنّه شدخ رأسه بحجر ومن قائل إنّه خنق بوتر ، ومن قائل إنّه ضرب رأسه بفأس (الطبري ٤/٢٩٤).

وفي السنة ٣١ قتل الأقرع بن حابس الدارمي التميمي ، في معركة الجوزجان مع الفرس ، ولقب بالأقرع ، لقرع كان في رأسه (الاعلام ٢٤٢/١).

أقول : ما زال البغداديون ، إذا أشاروا إلى الأقرع ، قالوا : ابن حابس

وفي السنة ٣٥ لما حصر الثائرون، الخليفة عثمان في داره ، برز نيار بن عياض ، شيخ كبير ، يناشد عثمان الله أن يعتزلهم ،فرماه كثير من الصلت الكندي بسهم فقتله ، فقالوا لعثمان : ادفع الينا قاتل نيار بن عياض ، فقال : لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي ، ثم اقتتلوا على باب الدار ، فحمل المغيرة بن الأخنس ، من أصحاب عثمان على الثائرين ، فضربه عبدالله بن بديل ، فقتله ،وقتل في المعركة بباب الدار زياد بن نعيم الفهري ، في ناس من أصحاب عثمان (الطبري ٤/٣٨٢ و ٣٨٣). وقتل يوم الدار عبدالله بن وهب القرشي الصحابي (الاعلام ٤/٢٨٨).

حرب الجمل

في السنة ٣٦ كانت حرب الجمل بين الإمام علي بن أبي طالب ، وبين طلحة والزبير ، ومعهما عائشة ، وكان طلحة والزبير قد بايعا علياً بالمدينة ، ثم صارا الى مكّة ، وصحبا عائشة في جمع إلى البصرة ، ثائرين على عليّ ، فقصدهم عليّ إلى البصرة في جمع من المهاجرين والأنصار، وجند من أهل

البصرة والكوفة ، وسمّيت الحرب حرب الجمل ، نسبت إلى جمل عائشة ، واسمه عسكر ، اشتري لها بمائتي دينار ، وحضرت عائشة المعركة ، بعد أن استقرّت في هودج قد ألبس الأدراع .

وكان أوّل قتيل في معركة الجمل ، مسلم بن عبدالله ، من أصحاب عليّ ، خرج فوقف بين الصفين يدعوا إلى السلم ، فرشقوه بالسهام رشقاً واحداً ، فقتلوه ، فكان أوّل قتيل في المعركة ، وقالت أمّه ترثيه : (الطبري ٤/ ٥٢٩).

لا همّ إنَّ مسلماً أتاهم   مستسلماً للموت إذ دعاهم
إلى كتاب الله لا يخشاهم   فزمّلوه من دمٍ إذ جاهم
وأمّهم قائمة تراهم   يأتمرون الغيّ لا تنهاهم

وقتل على خطام جمل عائشة ، سبعون رجلاً ، يأخذ الواحد الخطام بيده فيقتل ، فيتقدّم غيره .

وخرج من أصحاب عائشة ، كعب بن سور ، يدعوا إلى المصحف ، فرشقه السبأيّة بالسهام رشقاً واحداً ، فقتلوه ، ومرّ به الإمام علي ، فوقف عليه ، وقال : والله ، إنّك ـ ما علمتُ ـ كنتَ صليباً في الحقِّ ، قاضياً بالعدل ، وأثنى عليه .

وقتل على راية الإمام علي ، عشرة من أهل الكوفة ، كلّما أخذها رجل قتل .

وقتل عمرو بن يثربي الضبّي ، من أصحاب عائشة ، ثلاثة من أصحاب عليّ ، هما علباء بن الهيثم السدوسي ، وزيد بن صوحان ، وهند بن عمرو الجملي ، ثم اخذ برأس الجمل وهو يرتجز :

أنا لمن ينكرني ابن يثربي   قاتل علباء وهند الجملي
وابن لصوحان على دين علي

فناداه عمّار بن ياسر ، من أصحاب عليّ ، وطالبه بالمبارزة ، فترك زمام الجمل في يد رجل من بني عديّ يدعى عمرة بن بحرة ، وقصد عمّاراً ، فاتقاه عمّار بالدرقة فأنشب سيفه فيها ، وضربه عمّار على رجليه فقطعهما ، فوقع على استه ، وعندئذ ترك عمرة الجمل ، وأقبل يطلب عماراً ، فنهد إليه ربيعة العقيلي ، فتضاربا ، فاثخن كلّ واحد منهما صاحبه ، فماتا معاً ، وقام مقام العدويّ ، فتى من بني ضبّة اسمه الحارث ، وأخذ يرتجز :

نحن بنو ضبّة أصحاب الجمل ... ننعى ابن عفّان بأطراف الأسل
الموت أحلى عندنا من العسل ... ردّوا علينا شيخنا ثمّ بجل

وكان ممن قتل على خطام جمل عائشة ، عبد الرحمن بن عتّاب ، والأسود بن أبي البختري ، وأخذ عمرو بن الأشرف العتكي ، بخطام الجمل ، فأقبل عليه الحارث بن زهير الأزدي ، فاختلفا ضربتين ، فوقعا يفحصان الأرض، بأرجلهما حتى ماتا .

وتبارز عبدالله بن حكيم بن حزام من أصحاب عائشة ، وعديّ بن حاتم الطائي من أصحاب علي ، فضرب عبدالله عدياً ففقأ عينه ، وضرب عديّ عبدالله فقتله .

وكانت راية الأزد مع مخنف بن سليم ، فقتل ، فتناول الراية من أهل بيته الصقعب ، وأخوه عبد الله بن سليم ، فقتل ، فأخذها العلاء بن عروة .

وكانت راية عبد القيس الكوفة ، بيد القاسم بن مسلم، فقتل ، وقتل معه زيد بن صوحان ، وأخوه سيحان ، وأخذ الراية عدة منهم فقتلوا ، منهم عبدالله بن رقية ، وراشد.

وكانت راية بكر بن وائل الكوفة ، مع الحارث بن حسّان بن خوط الذهلي ، فقتل هو وابنه ، وأخوة له خمسة .

وقتل محمد بن طلحة بن عبيدالله ، وكان يلقّب بالسجّاد ، لكثرة تعبّده ، وكان في جانب عائشة .

وقتل ربيعة بن مسلم ، جدّ اسحاق بن مسلم ، أصيب قدّام الجمل .

وزحف القعقاع، من أصحاب عليّ إلى قرب الجمل، فوجد أنّه لم يبق حول الجمل عامري إلاّ أصيب ، فصاح القعقاع ، ببحير بن دلجة ، من أصحاب عائشة ، يا بحير بن دلجة ، أدع بي اليك ، فدعاه ، فقال : أنا آمن حتى أرجع ؟ قال : نعم ، فجاء ، فاجتثّ ساق البعير ، فسقط ، وصاح القعقاع بمن يليه أنتم آمنون ، واجتمع القعقاع ـ من أصحاب علي ـ وزفر بن الحارث ـ من أصحاب عائشة ـ على قطع بطان البعير ، وحملا الهودج ، فوضعاه .

وقتل يوم الجمل أخوان، عبدالله بن خلف الخزاعي ، مع عائشة ، وعثمان بن خلف الخزاعي مع عليّ .

ولما أبصر الإمام علي ، عبد الرحمن بن عتّاب قتيلاً ، قال هذا يعسوب القوم .

قتل في وقعة الجمل عشرة آلاف على قول ، وخمسة عشر ألف على قول ، وصلّى الإمام علي ، على جميع القتلى .

وذكر الإمام علي في كتاب إلى عامله بالكوفة ، أسماء القتلى من أصحابه ومنهم ثمامة بن المثنى ، ومحدوج ، وهند بن عمرو، وعلباء بن الهيثم ، وسيحان وزيد ابنا صوحان (الطبري ٤/٥٠٦ـ ٥٤٠) .

وفي السنة ٣٦ ، لما قدم الزبير وطلحة البصرة ، خارجين على الإمام عليّ ، حاربهم حكيم بن جبلة ، إنتصاراً لعثمان بن حنيف أمير البصرة ، لما أسروه ، فضرب رجل منهم رجل حكيم فقطعها ، فحبا، حتى أخذها، ثم

رمى بها صاحبه ، فصرعه وزحف إليه ، فقتله ، ثم اتكأ عليه ، وهو يقول :

يا ساق لن تراعي إنّ معي ذراعي
أحمي بها كراعي

ومرّ به رجل ، وهو رثيث ، فقال له : مالك يا حكيم ؟ قال : قُتِلْتُ ، قال : من قتلك ؟ قال : وسادتي ، ثم مات . (الطبري ٤٧١/٤ وابن الأثير ٢١٨/٣) .

وفي السنة ٣٦ ، في حرب الجمل أصيب طلحة بن عبيدالله ، بسهم شك ساقه ، فنزف دمه ، ومات ، وكان الذي رمى طلحة ، مروان بن الحكم ، وطاف الإمام عليّ في القتلى بعد المعركة ، ووقف على طلحة ، وهو صريع ، فقال : لهفي عليك يا أبا محمد ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى ، أنت والله كما قال الشاعر : (ابن الأثير ٣٤٣/٣ و ٢٥٥) .

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وفي حرب الجمل ، حمل عمّار بن ياسر ، من أصحاب علي ، على الزبير بن العوّام ، من أصحاب عائشة ، فجعل يحوزه بالرمح ، فقال له الزبير : أتريد أن تقتلني يا أبا اليقظان ؟ فقال له : لا ، يا أبا عبدالله (الطبري ٥١٢/٤) .

وفي وقعة الجمل ، كان من جملة القتلى من أصحاب علي ، مخنف بن سليم الأزدي (الاعلام ٧٥/٨) ومن أصحاب عائشة ، عبدالله بن حكيم الأسدي (الاعلام ٢١٣/٢) وعمرو بن الأشرف الكعبي (الاعلام ٤٣/٥) ومسلم بن عبدالله العجلي (الاعلام ١١٨/٨) ومجاشع بن مسعود السلمي (الاعلام ١٦٠/٦) والحسين بن ضرار الضبيّ ، وكان قد ناهز المائة (الاعلام ٢٨٨/٢) .

وقتـل في وقعة الجمـل ، المعرض بن عـلاط ، فقال أخـوه الحجـاج : (الطبري ٤/٥٤٥).

ولم أر يـومـاً كـان أكثـر سـاعيـاً بكفّ شمـال فـارقتهـا يمينهـا

حـرب صفّين

صفّين ، مـوضـع بقـرب الـرقّـة ، على شـاطىء الفـرات من الجـانب الغـربي، بين الرقة وبالس، وفيها جرت معارك صفبين بين الإمام علي ومعاوية .

اختلف المؤرخـون في تعداد الجيشين ، فـذكـر صـاحب معجم البلدان ٤٠٣/٣ إنَّ جيش علي كان تسعين ألفاً ، وجيش معاوية مـائة وعشـرين ألفاً ، وقال آخرون إنَّ علياً كان في مائة وعشـرين ألفاً ، وأنَّ معـاوية كـان في تسعين ألفاً ، ورجّح ياقوت القول الثاني ، وذكر كلوب باشـا في كتابـه مختصر تـاريخ العرب ص ٦٨ إنَّ جيش علي كان خمسين ألفاً .

وقتل في هذه الحـروب من أصحاب عليّ خمسـة وعشرون ألفـاً ، ومن اصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً ، وطالت مدّة هذه الحرب فاستغرقت مائة يوم وعشرة أيّام ، وكانت الوقائع فيها تسعين وقعة .

وسبب المعـركة أن الإمـام علياً ، لمـا بويـع بالخـلافة ، علم معـاوية ، وكـان على الشام ، أنّ عليـاً لن يستعمله ، فبادره بـالعداء محتجـاً بأنّـه خـرج للمطالبة بدم عثمان ، واتهم علياً بأنّه قد آوى قتلتـه ، فاضـطر الإمام علي إلى محاربته ، بأن خرج إليه من الكوفة ، قاصداً الشام ، فالتقيا بصفين .

ولما عبر جيش علي ، جسر الرقة ، فـي طريقـه إلى صفّين ، زحمت الخيـل على الجسـر بعضهـا بعضاً ، فسقـطت قلنسـوة عبـدالله بن الحجّـاج الأزدي ، فنزل وأخذها ثم ركب ، وقال لصاحبه :

فإن يك ظنّ الزاجري الطير صادقاً كما زعموا أقتل وشيكاً وتقتل

فقتلا جميعاً يوم صفين (الطبري ٤/٥٦٦).

وفي السنة ٣٦ لما خرج معاوية بجيشة إلى صفين ، نزل جيشه على المشرعة ، وحال بين أصحاب عليّ وبين الماء ، فبعث الإمام علي إلى معاوية رسولاً قال له : ائت معاوية، وقل له إنّنا سرنا مسيرنا هذا اليكم ، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار اليكم ، وإنّك قدمت إلينا خيلك ورجالك ، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكفّ عنك حتى ندعوك ونحتج عليك ، ثم حلتم بين الناس وبين الماء ، فابعث إلى أصحابك ، فليخلّوا بين الناس وبين الماء ، ويكفّوا ، حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ، فيما قدمنا له وقدمتم له ، فقال معاوية للرسول : سيأتيكم رأيي ، ثم بعث خيلاً لمنع أصحاب علي من الماء ، فاضطر أصحاب علي الى محاربة أصحاب معاوية ، حتى طردوهم عن الماء ، وأرادوا أن يعاملوا اصحاب معاوية بالمثل ، بمنعهم من الماء ، فأرسل اليهم عليّ ، خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى عسكركم ، وخلّوا بينهم وبين الماء (الطبري ٤/٥٧١ و ٥٧٢).

وكان الإمام علي ، يأمر قوّاده في كلّ موطن يلقون فيه عدواً ، فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم ، فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلّا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فانهنّ ضعاف القوى والأنفس (الطبري ٥/١٠ و١١) .

وفي موقعة صفّين في السنة ٣٧ بارز زياد بن النضر ، من أصحاب علي ، أخاً لأمه اسمه عمرو بن معاوية ، من أصحاب معاوية ، وكانت أمّهما

امرأة من بني زيد ، فلما التقيا تعارفا ، وتواقفا ، ثم انصرف كل واحد منهما عن صاحبه (الطبري ١٢/٥).

ولما خرج جيش علي ، لقتال جيش معاوية ، كان الأشتر على المقدّمة ، وحصلت بينهم مناوشة ، قتل فيها عبدالله بن المنذر التنوخي ، فارس أهل الشام ، وكان فتى حدثاً (الطبري ٥٦٧/٤).

وفي حرب صفّين ، كان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، من أصحاب عليّ ، وكان يلقب بالمرقال ، لأنّه كان يرقل في سيره في المعركة ، وكان أعور ، أصيبت عينه في معركة جلولاء ، وكان في المعركة يرتجز :

أعور يبغي أهله محلاً قد عالج الحياة حتى ملاّ
يتلّهم بذي الكعوب تلاّ لا بدّ أن يفلّ أو يفلاّ

فذكر إنّه قتل يومئذٍ تسعة أو عشرة ، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي ، فطعنه ، فسقط (الطبري ٤٤/٥).

وفي معركة صفّين ، مرّ الأسود بن قيس المرادي ، بعبدالله بن كعب المرادي ، وهو بآخر رمق ، فقال له : عز ـ والله ـ عليّ مصرعك ، أما والله ، لو شهدتك لآسيتك ، ولدافعت عنك ، ولو عرفت الذي اشعرك ، لأحببت أن لا يتزايل حتى أقتله ، أو ألحق بك ، أما والله ، إن كان جارك ليأمن بوائقك ، وإن كنت لمن الذاكرين ، الله كثيراً ، فقال له عبد الله : أوصيك بتقوى الله ، وبمناصحة أمير المؤمنين ، وأن تقاتل معه المحلّين (يريد أصحاب معاوية) وأبلغ أمير المؤمنين ، عنّي السلام ، وقل له : قاتل عن المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك ، فإنّه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره ، كان العالي ، ثم لم يلبث أن مات ، فأقبل الأسود الى عليّ ، فأخبره، فقال : رحم الله عبدالله جاهد فينا عدوّنا في الحياة ، ونصح لنا في الوفاة (الطبري ٤٦/٥) .

وفي معركة صفّين ، قتل أصحاب معاوية ، عمّاربن ياسر ، من كبار

أصحـاب علي ، وعمّار من أوائل من أسلم ، وكـان النبيّ صلوات الله عليه يسميه : الطيّب المطيّب ، وقال لـه : ياعمّار تقتلك الفئة الباغية ، وفي يوم مصرعه قـال عمّار : إنّي لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لله من مجاهدة هؤلاء الفاسقين ، ثم خاض المعمعة ، في جماعة من أصحابه ، استبسلوا، واستقتلوا ، ونظر إلى راية معاوية ، فقال : لقد قاتلتُ صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلوات الله عليه ، وهذه الرابعة ، ما هي بأبرّ ولا أتقى ، وخاض المعركة حتى قتل ، فاضطرب أهل الشام لقتله للحديث المروي عن رسول الله بأنّه تقتله الفئة الباغية ، فقال معاوية : إنّما قتل عماراً من جاء به ، فبلغ ذلك علياً فقال : إذن فإن النبيّ صلوات الله عليه هو الذي قتل عمّه حمزة يوم أحد (الطبري ٥/٣٨ـ٤٢ وابن الأثير ٣/٣١٠ و ٣١١).

وفي معركة صفّين ، قتل سمير بن الريا ن بن الحارث العجلي ، وكان من أشد الناس بأساً (الطبري ٥/٣٦).

وفي معركة صفّين ، قتل من أصحاب معاوية ذو الكلاع وكان على قبائل حمير (الطبري ٥/٣٦) وبشر بن مرة بن شرحبيل ، والحارث بن شرحبيل (الطبري ٥/٣٧).

وقتل في صفين مع الإمام علي ، قيس بن مكشوح ، وهو صحابي ، ابن اخت عمرو بن معدي كرب الزبيدي (الاعلام ٦/٦١) وعبد الله بن أبي الحصين الأزدي (الاعلام ٢/٢١٣) ومالك بن الجلاح ، وهو شاعر ، ناسك ، شجاع (الاعلام ٦/١٣٠) وعبدالله بن الحجّاج الأزدي (الاعلام ٤/٢٠٦) وعبد الرحمن بن حنبل الجمحي ، صحابي أصله من اليمن ومولده مكة (الاعلام ٤/٧٦) وعبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وكان قائد الرجّالة في العسكر (الاعلام ٤/٢٠٠) وخزيمة بن ثابت الأنصاري ، الصحابي ، حامل راية بني خطمة من الأوس يوم فتح مكّة (الاعلام ٢ / و٣٥١) .

وفي السنة ٣٧ قتل في معركة صفين ، مع الإمام علي ، مالك بن حريّ التميمي ، وكان قد رأى فتوراً من تميم في المعركة ، فصاح فيهم يذكّرهم بأحسابهم ، فقالوا : أتنادي بنداء الجاهلية ؟ فقال : الفرار ويلكم أقبح ، إن لم تقاتلوا على الدين ، فقاتلوا على الأحساب ، وأخذ يرتجز ويقاتل ، حتى قتل . (الاعلام ٦/١٣٢) .

وفي معارك صفين ، في السنة ٣٧ تبارز عبيدالله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، فتطاعنا حتى تكسّرت رماحهما ، وتضاربا حتى انكسر سيف محمد ، ونشب سيف عبيدالله بن عمر في الدرقة ، فتعانقا ، وعضّ كلّ واحد منهما أنف صاحبه ، فوقعا عن فرسيهما ، وحمل اصحابهما عليهما ، فقتل بعضهم بعضاً ، حتى صار عليهما مثل التلّ العظيم من القتلى ، وغلب عليّ على المعركة ، وأزال أهل الشام عنها ، فقال : اكشفوا هؤلاء القتلى عن ابن أخي ، فجعلوا يجرّون القتلى حتى كشفوهما ، فإذا هما متعانقان، فقال علي : أما والله لعن غير حبّ تعانقتما (مقاتل الطالبيين ٢١ و٢٢) .

وفي السنة ٣٧ قتل البراء بن وفيد العذري ، الهمداني ، في معارك صفين ، وكان أوّلاً من أصحاب معاوية، فلما منع معاوية ، أصحاب علي من الماء ، غضب البراء ، وقال له : تمنعونهم الماء ، وفيهم العبد ، والأمة ، والأجير ، ومن لا ذنب له ، هذا والله أوّل الجور ، لقد بصّرت المرتاب ، وشجعّت الجبان ، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك فكلمه عمرو بن العاص ، فأغلظ له ، وتحوّل إلى معسكر عليّ ، فقاتل معه حتى قتل (الاعلام ٢/١٥) .

وفي معركة صفّين ، خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج اليه عبدالرحمن بن محرز الكندي ، فتجاولا ساعة، ثم حمل عبد الرحمن على الشامي ، فطعنه في ثغرة نحره ، فصرعه ، ثم نزل إليه فسلبه

درعه وسلاحه ، فإذا هو اسود ، فقال : يا لله ، لقد اخطرت نفسي لعبد أسود (الطبري ٥ / ٣٠).

وفي معركة صفين خرج رجل من عكّ ، يسأل المبارزة ، فبرز إليه قيس بن فهد الكناني ، فضرب العكّي ، فصرعه ، واحتمله أصحابه ، فقال قيس : (الطبري ٥ / ٣٠).

لقد علمت عكّ بصفين إنّنا إذا التقت الخيلان نطعنها شزرا
ونحمل رايات الطعان بحقها فنوردها بيضاً ونصدرها حمرا

وفي معركة صفّين، خرج قيس بن يزيد، من أصحاب معاوية ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه أخوه أبو العمرطة بن يزيد ، منْ أصحاب عليّ ، فلما تقاربا ، تعارفه وتواقفا ، ثم انصرف كل واحد منهما عائداً إلى أصحابه (الطبري ٥ / ٣٠).

وممن قتل في معركة صفين من ذوي النجدة نهيك بن عزيز من بني الحارث بن عدي ، وعمرو بن يزيد من بني ذهل ، وسعيد بن عمر (الطبري ٥ / ٣٠) وقتل من النخع بكر بن هوذة ، وحيّان بن هوذة ، وشعيب بن نعيم ، وربيعة بن مالك ، وأبيّ بن قيس ، أخو علقمة بن قيس الفقيه، وقطعت رجل علقمة بن قيس (الطبري ٥ / ٣٢).

وفي موقعة صفين ، قتل حازم بن أبي حازم الأحمس ، أخو قيس بن أبي حازم ، وقتل نعيم بن صهيب بن العلية البجلي ، من أصحاب عليّ ، فجاء ابن عمه وسميه نعيم بن الحارث ، وهو من أصحاب معاوية إلى معاوية، فقال له : إنَّ هذا القتيل ابن عمّي ، فأريد أن أدفنه ، فقال له : لا تدفنه، فليس لذلك أهلاً ، فقال له : والله ، لتأذننَّ لي في دفنه ، أو لألحقنَّ بهم وأدعك ، فأذن له في دفنه (الطبري ٥ / ٢٦).

وفي موقعة صفين ، قال عقبة بن حديد النمري : إنّي قد سئمت

الدنيا ، وغرقت نفسي عنها ، وقد بعت هذه الدار بالتي أمامها ، فتبعه أخوته عبيد الله ، وعوف ، ومالك ، وقالوا له : قبّح الله العيش بعدك ، واستقدموا ، فقاتلوا حتى قتلوا (الطبري ٥/٢٧ و ٢٨) .

وفي موقعة صفين ، كانت كلّ قبيلة من العرب ، تحارب أختها ، فأزد العراق ، تحارب أزد الشام ، وبجيلة العراق ، تحارب بجيلة الشام ، وتقدّم جندب بن زهير الأزدي ، من أصحاب علي ، فبارز رأس أزد الشام من أصحاب معاوية ، فقتله الشامي ، وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبدالله ، وقتل مع مخنف بن سليم الأزدي ، من رهطه ، عبدالله وخالد ابنا ناجد ، وعمرو وعامر ابنا عويف ، وعبدالله بن الحجّاج ، وأبو زينب بن عوف ، وخرج عبدالله بن الحصين في القراء الذين مع عمّار بن ياسر ، فقتل معه (الطبري ٥/٢٧) .

وفي موقعة صفّين ، حمل عبدالله بن الطفيل البكائي ، من أصحاب علي ، على جمع لأهل الشام ، فلما انصرف ، حمل عليه رجل من بني تميم ، اسمه قيس بن قرة ، فوضع الرمح بين كتفي عبدالله بن الطفيل ، فرأى ذلك يزيد بن معاوية ، ابن عم عبدالله بن الطفيل ، فوضع رمحه بين كتفي التميمي ، وقال له : والله ، لئن طعنته لأطعننك ، فقال التميمي : عليك عهد الله وميثاقه ، لئن رفعت السنان عن ظهر صاحبك ، لترفعنّ سنانك عنّي ؟ قال : نعم ، لك بذلك عهد الله ، فرفع السنان عن ابن الطفيل ، فرفع يزيد السنان عن التميمي ، فقال له التميمي : ممن أنت ؟ قال : من بني عامر ، فقال له : جعلني الله فداكم ، أينما ألفكم ألفكم كراماً ، وإنّي الحادي عشر من أهل بيتي ورهطي قتلتموهم اليوم (الطبري ٥/٢٩) .

وفي موقعة صفين ، كان يقف على رأس معاوية ، رجل يحمل ترساً مذهباً ليستره من الشمس ، وفي يوم من أيام صفين ، قالت بجيلة من أصحاب علي ، لأبي شداد قيس بن مكشوح : خذ رايتنا ، فقال : غيري خير لكم منّي

فقالوا : ما نريد غيرك ، فقال : والله ، لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب ، قالوا : إصنع ما شئت ، فأخذها ، وزحف بهم ، حتى انتهى بهم إلى صاحب الترس المذهب ، وكان في جماعة عظيمة من أصحاب معاوية ، فاقتتل الناس إقتتالاً شديداً ، وشدّ أبو شدّاد بسيفه نحو صاحب الترس ، فتعرّض له مولى لمعاوية رومي فضرب قدم أبي شداد ، فقطعها ، وضربه أبو شداد فقتله ، وإشرعت إليه الأسنّة ، فقتل ، فأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسي ، وهو يقول :

لا يبعد الله أبا شدّاد حيث أجاب دعوة المنادي
وشدّ بالسيف على الأعادي نعم الفتى كان لدى الطراد
وفي طعان الرجل والجلاد

وقاتل عبدالله حتى قتل ، فأخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قلع ، فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عفيف بن أياس ، فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس (الطبري ٥/٢٥ و ٢٦) .

وفي يوم من أيّام صفّين ، كان أتباع معاوية ، قد نظموا حوله لحمايته صفوفاً خمسة ، عقل أصحابها أنفسهم بالعمائم ، كي لا يفرّوا ، فشدّ عليهم الأشتر ، مع أصحابه من جند علي ، فصرع منهم أربعة صفوف ، وانتهى إلى الخامس ، فدعا معاوية بفرس ، فركبه ، وكان يقول : أردت أن انهزم ، ثم ذكرت قول الشاعر :

أبت لي عفّتي ، وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الرجيح
وإقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلّما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فمنعني ذلك من الفرار (الطبري ٥/٢٤) .

وفي يوم من أيام صفّين ، قاتل عبدالله بن بديل ، في عصبة من

القراء ، من أصحاب علي ، ما بين المائتين إلى الثلثمائة ، فقتل عبدالله بيده سبعة ، فأحيط به وبطائفة من أصحابه ، فقتل عبدالله وقتلوا معه (الطبري ٥/٢٣).

وفي يوم من أيّام صفين ، مرّ الأشتر ، وهو يكشف كتائب خصومه، في جمع من أصحابه ، بزياد بن النضر في الميمنة ، وقد قاتل حتى صرع ، ثم مرّ بيزيد بن قيس محمولاً نحو العسكر ، وقد صرع ، فقال الأشتر : هذا والله ، الصبر الجميل والفعل الكريم (الطبري ٥/٢١).

وفي يوم من أيّام صفين ، صمد مع الإمام علي ، ثمانمائة من همدان ، أصيب منهم مائة وثمانية ، كان منهم أحد عشر رئيساً ، كلّما قتل منهم رجل ، أخذ الراية آخر ، وقتل من جملتهم أخوة ستّة ، هم كريب بن شريح ، ثم أخوه شرحبيل ، ثم أخوه مرثد ، ثم أخوه هبيرة ، ثم أخوه يريم ، ثم أخوه سمير ، ثم أخذ الراية سفيان بن زيد ، ثم أخوه عبد بن زيد ، ثم أخوه كريب بن زيد ، فقتل هؤلاء الأخوة الثلاثة ، ثم أخذ الراية عمير بن بشير ثم الحارث بن بشير ، فقتلا ، ثم أخذ الراية وهب بن كريب ، فأراد أن يستقتل ، فقال له رجل من قومه : انصرف بهذه الراية رحمك الله ، فقد قتل أشراف قومك حولها ، فلا تقتل نفسك وما بقي من قومك (الطبري ٥/ ٢٠ و٢١).

وفي أحد أيام صفّين، نادى عليٌّ معاوية ، قال له : علام يقتتل الناس بيننا ، هلم أحاكمك إلى الله ، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو بن العاص : أنصفك الرجل ، وما يجمل بك إلاّ مبارزته ، فقال له معاوية : ما أنصفت ، وإنّك لتعلم إنّه لم يبارزه رجلٌ قط إلاّ قتله ، أراك قد طمعت فيها بعدي (الطبري ٥/٤٢).

وفي أحد أيام صفّين ، خرج فارس أهل الشام أبو الأحمر عوف بن مجزأة المرادي ، فطلب المبارزة ، فخرج إليه فارس أهل الكوفة العكبر بن

جدير الأسدي ، فاطّعنا ، فصرعه العكبر وقتله ، وعاد وهو يقول : (شرح نهج البلاغة ٨/ ٨٩- ٩١).

قتلت المراديّ الذي كان باغياً ينادي وقد ثار العجاج نزال
فأوجرته في ملتقى الحرب صعدة ملأت بها رعباً قلوب رجال

وفي أحد أيّام صفين ، خرج من أصحاب عليّ ، أثال بن حجل بن عامر المذحجي ، وطلب المبارزة ، فخرج إليه أبوه حجل بن عامر ، ولم يعرف أحدهما الآخر ، حتى إذا تطاعنا انتسبا ، فعرف أحدهما الآخر ، ونزلا ، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، وبكيا ، فقال الأب لولده : يا بنيّ ، هلم إلى الدنيا ، فقال له ولده : يا أبت ، هلمّ إلى الآخرة ، ثم افترقا ، وعاد كلّ واحد منهما إلى أصحابه (شرح نهج البلاغة ٨/ ٨٢ و٨٣) .

وفي السنة ٣٦ في صفين ، كان الإمام عليّ، يمشي نحو ميسرة أصحابه ، وقد اشتبك الناس ، فبصر به أحمر ، وهو مولى أبي سفيان أو عثمان فأقبل نحوه ، فخرج إليه كيسان ، مولى علي ، فضربه أحمر فقتله ، فأخذ عليّ بجيب درع أحمر ، وجذبه ؛ فاقتلعه من سرجه ، وجلد به الأرض ، فكسر منكبيه وعضديه ، فهجم عليه أهل الشام ، فقال له ولده الحسن : ما ضرّك لو سعيت حتى أنتهيت إلى هؤلاء القوم من أصحابك ؟ فقال له : يا بنيّ ، إنَّ لأبيك يوماً لا يعدوه ، ولا يبطىء به عنه السعي ، ولا يعجل به إليه المشي ، إنَّ أباك - والله - لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، (الطبري ٥/ ١٩ وابن الأثير ٣/ ٢٩٩).

ظهور الخوارج

وفي أحد أيّام صفّين ، دارت الدائرة على معاوية وأصحابه ، فاَحتال عمرو بن العاص ، وهو من أنصار معاوية ، بأن أمر أن ترفع المصاحف على الرماح ، وأن ينادى : هذا كتاب الله حكماً بيننا وبينكم ، فكفّ الطرفان عن الحرب ، واتّفقا على حكمين يحكمان في النزاع بين عليّ ومعاوية ، وفقاً

لاحكام القرآن ، ولما جرى التوقيع على صكّ التحكيم ، انفصل من قوم أنصار عليّ ، وقالوا : لا يجوز تحكيم الرجال في هذا الأمر ، وإنّما الحكم لله ، وخرجوا على عليّ ، وأمّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي ، وكان لفرط عبادته ، وكثرة سجوده ، يلقّب ذا الثفنات ، ثم اجتمعوا في جسر النهروان ، وكاتبوا إخواناً لهم من أهل البصرة ، فاجتمع هؤلاء في خمسمائة رجل ، وأمّروا عليهم مسعر بن فدكي التميمي ، فلحقوا بأصحابهم الكوفيّين ، بعد أن آرتكبوا في طريقهم فظائع من قتل الرجال وبقر بطون النساء ، فبعث الإمام علي إليهم ، يطلب إليهم تسليم من آرتكب جرائم قتل الرجال والنساء ، لإقامة الحدّ عليهم ، فقالوا : كلّنا قتلتهم ، وكلّنا نستحل دماءهم ودماءكم ، وكلّمهم علي مراراً ، فلم يجد منهم إلاّ العناد والمكابرة والمنابذة ، فأمر علي ، فرفعت راية أمان مع أبي أيّوب الأنصاري ، وأمر فنودي : من جاء هذه الراية ، ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ، ومن انصرف الى الكوفة ، أو إلى المدائن ، أو خرج من هذه الجماعة ، فهو آمن ، فتفرّق منهم من تفرّق ، وبقي منهم مع عبد الله بن وهب الراسبي ألفان وثمانمائة ، فزحفوا على عليّ ، وهم يتنادون : الرواح الرواح إلى الجنّة ، فواجههم علي في جيشه ، فحطمهم ، وقتل أبو زيد الأنصاري ، زيدَ بن حصين ، طعنه في صدره بالرمح حتى نجم من ظهره ، وقتل عائذ بن حملة التميمي كلاباً ، واشترك هانيء بن خطاب الأرحبي ، وزياد بن خصفة في قتل عبد الله بن وهب الراسبي رأس الخوارج ، وشدّ جيش بن ربيعة أبو المعتمر الكناني ، على حرقوص بن زهير فقتله ، وشدّ عبد الله بن زحر الخولاني على عبد الله بن شجرة السلمي ، فقتله ، ووقع شريح بن أوفى الخارجي إلى جانب جدار ، فقاتل على ثلمة فيه طويلاً ، الى أن قتل ثلاثة من همدان ، فأخذ يرتجز ويقول :

قد علمت جارية عبسيّة   ناعمة في أهلها مكفيّة
أنّي سأحمي ثلمتي العشيّة

فشدّ عليه قيس بن معاوية الدهني ، فقطع رجله ، وظلّ يقاتل ، وهو يقول :

القرم يحمي شوله معقولا

ثم شدّ عليه قيس بن معاوية ثانية ، فقتله ، ولما انتهت المعركة ، طلب عديّ بن حاتم الطائي ، ولده طرفة ، بين القتلى من الخوارج ، فوجده ، فدفنه ، وقال : الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك .

ولم يقتل من جند علي في هذه المعركة إلّا سبعة (الطبري ٥/٧٢ - ٩٢) .

ولما قتل أهل النهروان ، خرج أشرس بن عوف الشيباني ، على عليّ بالدسكرة في مائتين ، ثم سار إلى الأنبار ، فوجّه علي إليه الأبرش بن حسّان في ثلثمائة ، فواقعه ، فقتل أشرس (ابن الأثير ٣/٣٧٢) .

وفي موقعة النهروان ، خرج أحد الخوارج ، فدعا الإمام عليّاً للمبارزة ، وهو يقول :

أطعنهم ولا أرى عليّا ولو بدا أوجرته الخطّيا

فخرج إليه الإمام علي ، فضربه بالسيف ، فقتله ، فلما خالطه السيف صاح : يا حبّذا الروحة إلى الجنّة (شرح نهج البلاغة ٥/٩٦) .

وخرج على الإمام علي ، هلال بن علفة ، من تيم الرباب ، ومعه أخوه مجالد ، فجاء ماسبذان ، فوجّه إليه الإمام علي ، معقل بن قيس الرياحي ، فقتله ، وقتل أصحابه ، (ابن الأثير ٣/٣٧٢) .

أقول : كان هلال بطلاً من الأبطال ، وهو الذي قتل رستم في حرب القادسية (الاعلام ٩/٩٣) .

ثم خرج على الإمام علي ، الأشهب بن بشر ، في مائة وثمانين رجلاً ،

فوجّه إليهم الإمام علي ، جارية بن قدامة السعدي ، فاقتتلوا بجرجرايا ، فقتل الأشهب وأصحابه (ابن الأثير ٢/٣٧٣) .

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي ، من تيم الله بن ثعلبة ، بالبندنيجين (مندلي) ومعه مائتا رجل ، فأتى درزيجان ، على فرسخين من المدائن (اسمها الآن سلمان باك) فخرج إليهم سعد بن مسعود ، فقتلهم (ابن الأثير ٢/٣٧٣) .

ثم خرج أبو مريم السعدي التميمي ، ومعه أربعمائة رجل ، فقصدوا الكوفة ، وكانوا من أشجع الخوارج ، فأرسل إليه علي يدعوه إلى دخول الكوفة ، فأبى ، وقال : ما بيننا غير الحرب ، فبعث إليه جيشاً فكشفهم ، فخرج إليهم عليّ ، وقدّم بين يديه قائده جارية وأسفرت المعركة عن قتلهم بأجمعهم إلّا خمسين نفراً آستأمنوا فأمّنهم (ابن الأثير ٣/٣٧٣) .

وفي السنة ٣٨ خرج على عليّ ، الخريت بن راشد الناجي ، في جماعة من قومه ، وكفّروا عليّاً لأنّه حكّم الرجال ، ولاقوا في طريقهم دهقاناً مسلماً ، من دهاقين أسفل الفرات ، اسمه زاذان فروخ ، فسألوه عن رأيه في علي ، فقال : إنّه أمير المؤمنين ، فضربوه بالسيوف فقطّعوه ، فبعث إليهم الإمام علي ، بعثاً في مائة وثلاثين رجلاً ، فلحقهم بالمذار، واصطدموا بهم في معركة عارمة ، ثم آنسحب الخريت وأصحابه ، فمروا إلى الأهواز ، فبعث الإمام علي معقل بن قيس في ألفي رجل ، فصدم الخريت صدمة حادة برامهرمز ، فقتل كثير من أنصاره ، وفرّ الخريت حتى لحق بأسياف البحر ، فتبعه معقل ، حتى وجده ، ونصب معقل راية أمان ، من أتاها من الناس فهو آمن ، فتفرّق عن الخريت جلّ من كان معه من غير قومه ، ثم التحم العسكران ، فقتل الخريت بن راشد ، ومعه مائة وسبعون رجلاً من اتباعه ، وفرّ الباقون (الطبري ٥/١١٣ ـ ١٢٢) .

وخرج حوثرة بن وداع الأسدي ، على معاوية ، ومعاوية في الكوفة ، في السنة ٤١ ، ووافى نخيلة في مائة وخمسين ، فدعا معاوية أبا حوثرة ، وقال له : إذهب فاكفني أمر ابنك فصار إليه أبوه ، ودعاه إلى الرجوع ، فأبى ، فقال له : يا بنيّ ، أجيئك بابنك ، فلعلّك تراه فتحنّ إليه ، فقال له : يا أبت ، أنا ـ والله ـ إلى طعنة نافذة ، أتقلّب منها على كعوب الرمح ، أشوق منّي إلى ابني ، فرجع أبو حوثرة إلى معاوية ، فوجّه معاوية إلى حوثرة جيشاً من أهل الكوفة ، وخرج أبو حوثرة فيمن خرج ، ودعا أبو حوثرة ولده للبراز ، فقال له : يا أبت ، لك في غيري سعة ، ولي في غيرك مذهب ، واشتبك جيش الكوفة مع حوثرة وأتباعه في معركة فقتل حوثرة وأصحابه إلّا خمسين رجلاً دخلوا الكوفة ، فلما رأى قائد جيش الكوفة ، حوثرة قتيلاً ، ورأى بوجهه أثر السجود ، وكان صاحب عبادة ، ندم على قتله ، وقال : (ابن الأثير ٣/ ٤١٠ و٤١١ وشرح نهج البلاغة ٥/ ٩٩) .

قتلت أخا بني أسدٍ سفاها لعمر أبي فما لقّيت رشدي
فهب لي توبة يا ربّ وآغفر لما قارفت من خطأ وعمد

وفي السنة ٤٢ قتل الحارث بن مرة العبدي ، من أصحاب الإمام علي ، بأرض السند غازياً ، وكان قد قصد السند في السنة ٣٩ بأمر من الإمام ، فغنم ، وبقي غازياً إلى أن قتل بأرض القيقان هو ومن معه إلّا قليلاً (ابن الأثير ٣/ ٣٨١) .

وفي السنة ٤٣ قتل المستورد بن علفة ، أمير الخوارج بالعراق ، إذ خرج بجماعة من أصحابه بالمذار ، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة ، أمير الكوفة لمعاوية ، بعثاً من شيعة علي ، أميرهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف ، وبعث إليهم أمير البصرة عبد الله بن عامر ، بعثاً من شيعة علي ، أميرهم شريك بن الأعور الحارثي ، في ثلاثة آلاف ، والتقى الخوارج وجماعة معقل ، في معركة ضارية ، فقتل عمير بن أبي اشاءة الأزدي ، من صناديد

أهل الكوفة ، وبلغ الخوارج مسير جيش من البصرة إليهم ، فتسللوا هاربين إلى ساباط ، فعاد البصريون إلى البصرة ، ولحق معقل بن قيس بالخوارج ، فناجزهم ، وتبارز معقل والمستورد ، بيد المستورد رمح ، وبيد معقل سيف ، فأشرع المستورد الرمح في صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره ، وضرب معقل المستورد بالسيف ، على رأسه حتى خالط السيف أمّ الدماغ ، فخرّا ميتين ، وقتل أصحاب المستورد ، إلّا واحداً أمّنه المغيرة (الطبري ٥/١٨١ - ٢٠٩) .

وفي السنة ٥٠ قتل عبد العزيز بن زرارة الكلابي ، عند أسوار القسطنطينية ، وكان من فرسان العرب ، وهو القائل :

قد عشتُ في الدهر أطواراً على طرق ... شتّى فصادفت منها اللين والبشعا
كلًّا بلوتُ فلا النعماء تبطرني ... ولا تجشّمت من لاوائها جزعا
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه ... ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا

وكان عبد العزيز يتعرّض للشهادة ، فلم يقتل ، وفي أحد أيّام المعركة حمل على من يليه ، فقتل فيهم ، وآنغمس بينهم ، فشجره الروم برماحهم حتى قتلوه (ابن الأثير ٣/٤٥٩) .

وفي السنة ٥٢ خرج زياد بن خراش العجلي ، في ثلثمائة فارس ، فأتى أرض مسكن من السواد ، فسيّر إليه زياد بن أبيه خيلاً عليها سعد بن حذيفة ، فقتل زياد العجلي وأصحابه (ابن الأثير ٣/٤٩١) .

وفي السنة ٥٧ قتل قثم بن العباس بن عبد المطلب ، في إحدى المعارك التي دارت على أسوار سمرقند ، وكان الإمام علي ولّاه المدينة ، فلما قتل الامام علي ، خرج في أيّام معاوية إلى سمرقند ، وقتل هناك (الاعلام ٦/٢٩) .

وفي السنة ٥٨ كانت طائفة من الخوارج الذين بايعوا المستورد بن

علفة ، في سجن المغيرة بن شعبة ، فلما مات المغيرة خرجوا من السجن ، فاجتمعوا بقيادة حيّان بن ظبيان السلمي ، ومن رؤسائهم معاذ بن جوين الطائي ، وأبو سليمان عتريس بن عرقوب الشيباني ، وعسكروا ببانقيا ، فبعث إليهم جيش ، فقتلوا جميعاً (الطبري ٥/٣٠٩ - ٣١١) .

وفي السنة ٥٨ كان قوم من الخوارج بالبصرة ، أخذهم عبيد الله بن زياد ، فحبسهم ، ثم دعا بهم ، وعرض عليهم أن يقتلوا من يأمرهم بقتله ، ويخلي سبيل القاتلين ، ففعلوا ، فأطلقهم ، وكان منهم طوّاف بن غلّاق ، فلامهم أصحابهم ، وقالوا لهم : قتلتم إخواننا ، فقالوا : أكرهنا ، وندم طوّاف وأصحابه ، وأخذوا يبكون ، وعرضوا الدية على أولياء من قتلوا ، فأبوا ، وعرضوا عليهم القود ، أي أن يقتلوهم مقابل من قتلوا ، فأبوا ، ثم تداعوا إلى الخروج ليفتكوا بابن زياد ، فخرجوا وكانوا سبعين رجلاً ، ومضوا إلى الجلحاء ، فندب ابن زياد لهم الشرطة البخارية ، فانهزم الشرط ، وكثرهم الناس ، فقاتلوهم ، فقتلوهم ، وبقي طوّاف في ستّة نفر ، فأقحم فرسه الماء ، فرماه البخاريّة بالنشّاب ، فقتلوه ، وصلبوه ، فقال شاعر منهم : (ابن الأثير ٣/٥١٧) .

يا رب هب لي التقى والصدق في ثبت	وآكف المهمّ فأنت الرازق الكافي
حتى أبيع التي تفنى بآخرة	تبقى على دين مرداس وطوّاف

معركة الطف

وفي السنة ٦١ كانت مذبحة الطفّ ، التي قتل فيها الإمام الشهيد أبو عبد الله الحسين بن علي ، سبط الرسول ، وأهل بيته ، وإخوانه ، وأولاد أخيه وأبناء عمّه ، وأنصاره ، على يد القائد عمر بن سعد ، الذي بعثه عبيد الله بن زياد عامل العراق ليزيد بن معاوية ، وكان عمر على رأس جيش

قوامه أربعة آلاف ، وكان الحسين في اثنين وستّين رجلاً ، فكانت معركة لا تعادل فيها ، وتغلّبت الكثرة على الشجاعة ، وقاتل الحسين ، وأصحابه ، قتالاً لم يشاهد مثله ، وظهر من الحسين ومن خاصّته وأصحابه ، من الصبر ، والإحتساب ، والشجاعة والورع ، والخبرة بآداب الحرب ، والبلاغة ، والمواساة بالنفس ، وكراهية الحياة ، ما ظلّ خالداً على كرّ السنين ، حتى قتلوا جميعاً ، وحمل رأس الحسين ، ونساؤه ، وأطفاله ، أسرى إلى الشام ، حتى أوقفوا أمام يزيد بن معاوية (الفخري ١١٥) .

وقتل مع الحسين ، من إخوته ، العباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، ومحمد ، وأبو بكر ، ومن أولاده علي ، وعبد الله ، ومن أبناء أخيه الحسن ، أبو بكر ، وعبد الله ، والقاسم ، وقتل عون ومحمد ولدا عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب ، ومن أولاد عقيل ، جعفر ، وعبد الرحمن ، وعبد الله ، ومسلم (قتل بالكوفة) وعبد الله بن مسلم ، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل (الطبري ٥/٤٦٨ و٤٦٩) .

وفي الليلة التي كانت في صباحها معركة الطفّ ، جمع الحسين عليه السلام أصحابه وقال لهم : إنّي قد رأيت لكم ، فانطلقوا جميعاً في حلّ ، فإنّ القوم إنّما يطلبونني ، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري ، فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي ، فقال: أنحن نتخلّى عنك ، ولم نعذر إلى الله في أداء حقّك ، أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي ، وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به ، لقذفتهم بالحجارة دونك ، حتى أموت معك (الطبري ٥/٤١٩) .

ولما أحاط جند عبيد الله بن زياد ، بالحسين وأصحابه ، عرض عليهم الحسين أمراً من ثلاثة أمور : إمّا أن يسيّروه إلى يزيد ، فيضع يده في يده ، أو يمكّنوه من الرجوع من حيث أتى ، أو يمكّنوه فيسير في ثغر من الثغور ، يقيم فيه بقية حياته ، فأبوا إلّا أن ينزل على حكم ابن زياد ، فقال الحرّ بن يزيد

الحنظلي ، وهو من جيش ابن زياد : والله ، لو سألكم هذا ، أحد الترك والديلم ، ما حلّ لكم أن تردّوه ، ولما رأى إصرارهم ، آنفصل عنهم ، والتحق بالحسين ، وحاربهم ، وقتل منهم رجلين ، ثم قتل (الطبري ٣٩٢/٥) .

وكان زهير بن القين ، من رجال ابن زياد ، وكان يساير الحسين في قدومه ، لا يتركه يفوته ، فدعاه الحسين مرّة إليه ، فذهب ثم عاد مستبشراً قد أسفر وجهه ، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدّم ، وحمل إلى الحسين ، ثم قال لامرأته : أنت طالق الحقي بأهلك ، فإنّي لا أحبّ أن يصيبك من سببي إلّا خير ، ثم قال لأصحابه : من أحبّ منكم أن يتبعني وإلّا فإنّه آخر العهد ، ثم لحق بالحسين ، وقتل معه (الطبري ٣٩٦/٥) .

وفي معركة الطفّ ، برز اثنان من جند ابن زياد ، هما يسار مولى زياد ، وسالم مولى عبيد الله بن زياد ، فقالا : من يبارز ؟ فبرز إليهما عبد الله بن عمر الكلبي ، من أصحاب الحسين ، فقالا له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقال له يسار : نحن لا نعرفك ، ليخرج إلينا زهير بن القين ، أو حبيب بن مظاهر ، فقال عبد الله ليسار : يا ابن الزانية ، ما يخرج إليك أحد من الناس إلّا وهو خير منك ، ثم شدّ عليه بسيفه فقتله ، فشدّ عليه سالم وضربه ، فأطاح أصابع يده اليسرى ، ومال عليه الكلبي فقتله ، ثم أقبل وقد قتلهما جميعاً وهو يرتجز : (الطبري ٤٢٩/٥ و٤٣٠) .

إنّي آمرؤ ذو مرّة وعصب ولست بالخوّار عند النكب

وفي معركة الطفّ ، برز نافع بن هلال ، من أصحاب الحسين ، ونادى : أنا الجملي ، أنا على دين علي ، فبرز إليه من أصحاب ابن زياد مزاحم بن حريث ، فحمل عليه نافع فقتله ، فصاح عمرو بن الحجّاج بأصحابه : يا حمقى أتدرون من تقاتلون ؟ فرسان المصر ، قوماً مستميتين ، لا

يبرزن لهم منكم أحد ، فإنّهم قليل ، وقلّما يبقون ، والله ، لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم ، فقال عمر بن سعد ، قائد الجيش ، صدقت ، الرأي ما رأيت ، وأمر أصحابه ألّا يبارزوا أحداً من أصحاب الحسين (الطبري ٥/ ٤٣٥) وقاتل نافع أشدّ قتال ، ثم ضرب حتى كسر عضداه ، وأخذ أسيراً ، فأخذه شمر بن الجوشن ، ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً ، حتى جاءوا به إلى عمر بن سعد ، فقال له عمر : ويحك يا نافع ، ما حملك على ما صنعت بنفسك ، فقال له ، والدماء تسيل على لحيته : والله ، لقد قتلت منكم اثنى عشر ، سوى من جرحت ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد وساعد ، ما أسرتموني ، فانتضى شمر بن ذي الجوشن سيفه فقتله (الطبري ٥/ ٤٤١ و٤٤٢) .

وفي معركة الطفّ ، تظافر اثنان من جند ابن زياد ، على حبيب بن مظاهر ، من أنصار الحسين ، أحدهما تميمي آسمه بديل بن حريم ، والآخر آسمه الحصين بن تميم ، فطعنه التميمي بالرمح ، فوقع ، وذهب ليقوم ، فضربه الحصين بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتزّ رأسه ، واختلفا ، كلّ منهم يدعي قتله ، ثم أصلحوا بينهما ، على أن يأخذ الحصين الرأس ، فيعلّقه في عنق فرسه ، ويجول به في العسكر ، ثم يعيده للتميمي ليقدّمه للأمير فينال الجائزة ، فأخذه الحصين ، وجال به في العسكر ، ثم أعاده للتميمي الذي توجّه به إلى الكوفة ، فبصر القاسم بن حبيب بن مظاهر ، رأس والده مع التميمي ، فتثبّت منه ، ثم أخذ يختلف في طلبه ، وآلتماس غرّته ، حتى وجده في عسكر مصعب بن الزبير ، في فسطاطه وحيداً ، فضربه بسيفه حتى قتله (الطبري ٥/ ٤٣٩ و٤٤٠) .

ولما قتل حبيب بن مظاهر ، استقتل الحرّ بن يزيد ، وزهير بن القين ، فكانا إذا شدّ أحدهما واستلحم ، شدّ الآخر حتى يخلّصه ، ثم إنّ رجّالة شدّت على الحرّ بن يزيد ، فقتل ، وقاتل زهير أشدّ قتال ، فشدّ عليه كثير بن

عبد الله الشعبي ، ومهاجر بن أوس ، فقتلاه (الطبري ٥/٤٤١) .

ولما ترك الحرّ بن يزيد ، جيش ابن زياد ولحق بالحسين ، قال يزيد بن سفيان التميمي : اما والله لو أنّي رأيت الحرّ بن يزيد حين خرج منا ، لأتبعته السنان ، وإذا بالحرّ بن يزيد قد حمل على القوم ، وقرب منه ، فقيل له : هذا هو الحرّ بن يزيد ، فخرج إليه ، وقال له : هل لك يا حرّ في المبارزة ؟ قال : نعم ، قد شئت ، وتبارزا ، فقتله الحرّ (الطبري ٥/٤٣٤) .

وفي معركة الطفّ ، كان من أصحاب الحسين رجل من كلب ، قتل رجلين من أصحاب ابن زياد ، ثم قتل بعدهما آثنين آخرين ، فحمل عليه هانىء بن ثبيت الحضرمي ، وبكير بن حيّ التميمي فقتلاه ، فخرجت آمرأته تمشي إلى زوجها ، حتى جلست عند رأسه ، تمسح عنه التراب وتقول : هنيئاً لك الجنّة ، فقال شمر بن ذي الجوشن ، لغلام يسمّى رستم : إضرب رأسها بالعمود ، فضربها به ، فماتت مكانها (الطبري ٥/٤٣٨) .

وفي معركة الطفّ ، تبارز يزيد بن معقل ، من أصحاب ابن زياد ، وبرير بن حضير من أصحاب الحسين ، فضرب برير يزيد بن معقل ، ضربة بالسيف قدّت المغفر ، وبلغت الدماغ ، فقتله ، وتقدّم كعب بن جابر الأزدي ، فطعن بريراً بالرمح ، فغيّب السنان في ظهره ، فقتله (الطبري ٥/٤٣٢) .

وقاتل أصحاب الحسين ، في معركة الطفّ ، بين يديه ، قتالاً ينبىء عن العقيدة الصحيحة ، والمروءة ، والتفاني في التضحية ، وبذل الذات ، تقدّم إليه من أصحابه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاريان ، فسلّما عليه ، ثم انغمسا في المعركة ، فقاتلا حتى قتلا .

وأقبل عليه الفتيان الجابريان سيف بن الحارث ، ومالك بن عبد ، وهما

ابنا عم ، وأخوان لأمّ ، فسلّما عليه ، ثم انغمسا في المعركة ، فقاتلا حتى قتلا .

وأقبل عليه حنظلة بن أسعد الشبامي ، فسلّم عليه ، ثم انغمس في المعركة ، فقاتل حتى قتل .

وقاتل بين يدي الحسين ، عابس بن أبي شبيب الشاكري ، ومعه شوذب مولى شاكر ، فسلّما على الحسين ، ثم تقدّم شوذب ، فقاتل حتى قتل ، وانغمس عابس في المعركة ، وبه ضربة على جبينه ، فعرفه أصحاب ابن زياد ، فقالوا : هذا أشجع الناس ، هذا ابن أبي شبيب ، لا يخرجن إليه أحد ، فأخذ عابس ينادي : ألا رجل لرجل ، فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة ، فرموه بالحجارة من كلّ جانب ، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ، ثم شدّ على الناس ، فتعطّفوا عليه من كلّ جانب ، فقتلوه (الطبري ٥/٤٤٢ - ٤٤٤) .

وكان أبو الشعثاء يزيد بن زياد الكندي ، خرج مع جند ابن زياد ، لمحاربة الحسين ، فلما ردّ عمر بن سعد شروط الحسين ، مال أبو الشعثاء فانحاز إلى الحسين ، وأخذ يرمي بين يديه بالسهام ، وكان رامياً ، رمى بمائة سهم ، فأسقط منها خمسة أسهم ، وكان من أوّل من قتل في المعركة (الطبري ٥/٤٤٥ و٤٤٦) .

ولما حمي وطيس المعركة ، اجتمع من أصحاب الحسين عمر بن خالد الصيداوي ، وجابر بن الحارث السلماني ، وسعد مولى عمر بن خالد ، ومجمع بن عبد الله العائذي ، فشدّوا بأسيافهم على الجند الأمويّ أصحاب ابن زياد ، فلما أوغلوا فيهم ، عطفوا عليهم ، فأقبلوا يحوزونهم ، وقطعوهم عن أصحابهم ، فحمل العباس بن علي فاستنقذهم ، ثم عادوا فخاضوا المعركة ، حتى قتلوا في مكان واحد (الطبري ٥/٤٤٦) .

وممن قتل مع الحسين ، في معركة الطفّ ، يزيد بن نبيط من عبد القيس ، وقتل معه ولداه عبد الله وعبيد الله (الطبري ٥/٣٥٤) .

وأوّل من قتل في معركة الطفّ ، من آل أبي طالب ، علي الأكبر بن الحسين عليه السلام ، فإنّه شدّ على أصحاب ابن زياد ، وهو يرتجز :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي

تا الله لا يحكم فينا ابن الدعي

وفعل ذلك مراراً ، فبصر به مرّة بن منقذ بن النعمان العبدي ، فاعترضه ، فطعنه ، فصرع ، واحتوشه الناس (أحاطوا به) ، فقطّعوه بأسيافهم ، فأقبل الحسين إلى ابنه ، وأقبل فتيانه إليه ، فقال : احملوا أخاكم ، فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذين كانوا يقاتلون أمامه .

ثم إنّ عمرو بن صبيح الصداني ، رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم ، فوضع كفّه على جبهته ، فأخذ لا يستطيع أن يحرّك كفّه ، ثم انتحى له بسهم آخر ، ففلق قلبه .

وحمل عبدالله بن قطبة الطائي ، على عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، فقتله .

وحمل عامر بن نهشل التيمي ، على محمد بن عبدالله بن جعفر ، فقتله .

وشدَّ عثمان بن خالد بن أسْيَر الجهني ، وبشر بن سوط الهمداني على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب ، فقتلاه .

ورمى عبدالله بن عزرة الخثعمي، جعفر بن عقيل ، فقتله .

وبرز من أصحاب الحسين ، القاسم بن الحسن ، غلام ، عليه

قميص ، وفي يده سيف ، فشدّ عليه عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي ، فضرب رأسه ، بالسيف ، فوقع الغلام لوجهه ، وصاح : يا عمّاه ، فهجم الحسين على عمرو ، وضربه بالسيف ، فقطع يده من المرفق ، وحملت خيل ابن زياد ، لاستنقاذ عمرو ، فسقط عمرو تحت الخيل ، فوطأته ، فمات ، وبقي الحسين قائماً على رأس الغلام وهو يفحص برجليه، ثم احتمله حتى وضع جثّته إلى جانب جثة ولده علي (الطبري ٥/٤٤٦ و٤٤٧) .

وفي معركة الطفّ ، رمى عبدالله بن عقبة الغنوي ، أبا بكر بن الحسين ، بسهم فقتله .

وتقدّم إلى المعركة عبدالله وجعفر وعثمان ، أبناء علي بن أبي طالب ، أشقّاء أبي الفضل العباس بن علي ، قال لهم العباس : يا بني أمّي ، تقدّموا ، فقاتلوا حتى قتلوا (الطبري ٥/٤٤٨ و٤٤٩)، ثم قتل العباس بن علي ، قتله رجل من بني أبان بن دارم (مقاتل الطالبيّين ١١٨) أمّا عبدالله وجعفر فقتلهما هاني بن ثبيت الحضرمي ، وأما عثمان فإنّ خولّي بن يزيد رماه بسهم فأوهطه ، وشدّ عليه أحد بني أبان بن دارم ، فقتله (مقاتل الطالبيّين ٨٢-٨٤) .

ورمى رجل من بني أبان بن دارم، محمد بن علي بن أبي طالب ، فقتله وجاء برأسه (الطبري ٥/٤٤٩) .

وأبصر هانىء بن ثبيت الحضرمي ، غلاماً من آل الحسين ، وهو ممسك بعمود إحدى الخيم ، عليه أزار وقميص ، وهو مذعور ، يتلفّت يميناً وشمالاً ، فأقبل عليه ، حتى إذادنا منه ، مال عن فرسه ، واقتصد الغلام ، فقطعه بالسيف .

وخرج من أخبية الحسين غلام من أهله ، فمنعته زينب، أخت الحسين من الدخول بين المتحاربين ، فأفلت الغلام من يدها ، وجاء مشتداً إلى

الحسين ، فقام إلى جانبه ، فأهوى بحر بن كعب إلى الحسين بالسيف ، فصاح به الغلام : يا ابن الخبيثة، أتقتل عمّي ، فضربه بحر بالسيف ، فاتّقاه الغلام بيده ، فقطعها ، فإذا يده معلّقة ، فصاح الغلام : يا أمّتاه ، فأخذه الحسين فضمّه إلى صدره ، وقال : يا ابن أخي ، إصبر على ما نزل بك (الطبري ٥/٤٥١).

ولما قتل كلّ من كان مع الحسين ، إلاّ ثلاثة أو أربعة،دعا بسراويل محقّقة ، ففزره ، ونكثه ، لكيلا يسلبه ، ولكنّه لما قتل ، جاء بحر بن كعب ، فسلبه إيّاه ، وتركه مجرّداً (الطبري ٥/٤٥١).

ودنا الحسين ، لما اشتدّ به العطش ، ليشرب من الماء ، فرماه حصين بن تميم بسهم ، فوقع في فمه ، فجعل يتلقّى الدم بكفّه ، ويرمي به إلى السماء (الطبري ٥/٤٤٩).

وبعد أن قتل أصحاب الحسين ، وشباب أهل بيته ، مكث الحسين طويلاً كلّما انتهى إليه رجل من أصحاب ابن زياد ، انصرف عنه ، وكره أن يتولّى قتله ، فقصده مالك بن النسير ، من كنده ، وضربه على رأسه بالسيف ، وعليه برنس ، فقطع البرنس ، وأصاب السيف رأسه فأدماه ، وامتلأ البرنس دماً ، فألقى البرنس ، ودعا بقلنسوة فلبسها ، واعتمّ ، وقد أعيا ، وجيء له بطفل من أطفاله ، فوضعه في حجره ، فرماه أحد أصحاب ابن زياد ، بسهم ، فذبحه ، فتلقّى الحسين دمه في كفّه فلما ملا كفّه ، صبّه على الأرض (الطبري ٥/٤٤٨).

ولما قتل جميع من كان مع الحسين من المقاتلة ، نادى شمر بن ذي الجوشن : ويحكم ، ماذا تنتظرون بالرجل ، اقتلوه ، ثكلتكم أمّهاتكم ، فحملوا على الحسين من كلّ جانب ، وضربه زرعة بن شريك التميمي على يده اليسرى ، وضربه على عاتقه ، فأخذ ينوء ويكبو ، وحمل عليه وهو في

تلك الحال ، سنان بن أنس النخعي ، فطعنه بالرمح ، فوقع على الأرض ، فقال سنان لخولّى بن يزيد الأصبحي : احتزّ رأسه ، فضعف وأرعد ، فقال له سنان : فتَّ الله عضدك ، وأبان يدك ، ونزل سنان إلى الحسين فذبحه ، وأحتزَّ رأسه ، ثم دفع الرأس إلى خولّى ، وقد ضرب بالسيوف .

ووجد في جسد الحسين لما قتل ، ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة .

وسلب جسد الحسين ما عليه من الثياب ، فأخذ سراويله بحر بن كعب ، وأخذ قيس بن الأشعث ، قطيفته ، فسمّي من بعد ذلك : قيس قطيفة ، وأخذ نعليه رجل من بني أود ، يقال له الأسود ، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم ، فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل (الطبري ٥/٤٥٣).

وكان آخر من قتل من أصحاب الحسين ، سويد بن عمرو بن أبي المطاع ، وكان قد صرع فأثخن ، ووقع بين القتلى مثخناً ، فسمعهم يقولون : قتل الحسين ، فوجد إفاقة ، فجرّد سكيناً كان معه ، وقاتلهم بسكينته ، حتى قتل، قتله عروة بن بكار التغلبي ، وزيد بن رقاد الجنبي ، وكان آخر قتيل (الطبري ٣/٤٥٣).

وقتل من أصحاب الحسين عليه السلام أثنان وسبعون رجلاً ، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ، ثمانية وثمانون رجلاً ، سوى الجرحي (الطبري ٣/٤٥٥) .

ومال أصحاب ابن زياد ، على أخبية الحسين ، وعلى ثقله ومتاعه ، وإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها ، حتى تغلب عليه ، فيذهب به منها (الطبري ٣/٤٥٣).

وبعد إنتهاء المعركة ، نادى عمر بن سعد في أصحابه ، من ينتدب

للحسين ، ويوطئه فرسه ، فانتدب عشرة منهم إسحاق بن حيوة الحضرمي ، وهو الذي سلب قميص الحسين ، وأحبش بن مرثد بن علقمة الحضرمي ، فجاء هؤلاء العشرة ، فداسوا الحسين بخيولهم ، حتى رضوا صدره وظهره .

وفي ثاني يوم المعركة ، عاد عمر بن سعد مع جيشه إلى الكوفة ، وحمل معه بنات الحسين ، وأخواته ، ومن كان معه من الصبيان ، وعليّ بن الحسين (السجاد زين العابدين) وهو مريض ، فلما مررن بمصارع الحسين وأهل بيته وأتباعه، صحن، ولطمن ، فقدم بهنّ على ابن زياد بالكوفة ، فنصب ابن زياد مجلساً ، ووضع رأس الحسين بين يديه وأحضر المجلس صبيان الحسين وأخواته ونساءه ، يتشفّى منهنّ ، وأخذ ينكت ثنايا الحسين بقضيب في يده ، فلما رآه زيد بن أرقم قال له : أعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيّتين، فوالله الذي لا إله غيره ، لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبّلهما ، ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد : أبكي الله عينيك ، فوالله لولا أنّك شيخٌ قد خرفت وذهب عقلك ، لضربت عنقك ، فنهض وخرج (الطبري ٥/ ٤٥٤- ٤٥٧).

وأمر عبيد الله بن زياد ، بنساء الحسين وصبيانه ، وأمر بعلي بن الحسين ، فغلّ بغلّ إلى عنقه ، ثم سرح بهم مع شمر بن ذي الجوشن ، ومحفز بن ثعلبة ، فلما انتهوا إلى باب يزيد بن معاوية ، بدمشق ، صاح محفز : هذا محفز بن ثعلبة ، أتى باللئام الفجرة (الطبري ٥/ ٤٦٠) .

وجلس يزيد بن معاوية مجلساً عاماً ، وأدخل عليه علي بن الحسين ، وصبيان الحسين ونساؤه ، والناس ينظرون ، ثم دعا بالنساء والصبيان ، فأجلسوا بين يديه ، فرأى هيأة قبيحة (الطبري ٥/ ٤٦١).

ولما بلغ أمير المدينة ، عمرو بن سعيد الأشدق ، نعي الحسين ،

وسمع واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين ، ضحك ، وقال (الطبري ٥/٤٦٦).

عجّت نساء بني زياد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

أقول : هذه الشماتة من عمرو بن سعيد ، دلّت على وضاعة ولؤم، إذ ليست الشماتة من شيم الرجال .

وفي السنة ٦١ قتل كهمس بن طلق الصريمي ، من شجعان الخوارج ، كان مع أبي بلال مرداس بن حدير ، بآسك ، في المعركة ، وكان كهمس من أبرّ الناس بأمّه ، قال لها قبل أن يخرج : يا أمّه ، لولا مكانك لخرجت ، فقالت له : يا بنيّ قد وهبتك لله ، فخرج (الأعلام ٦/٩٦).

وفي السنة ٦٢ قتل الفاتح عقبة بن نافع الفهري ، في إفريقية ، بعد انتصاراته العظيمة على الروم والبربر ، حتى وصل الى البحر المحيط ، فقال : يا ربّ ، لولا هذا البحر لمضيتُ مجاهداً في سبيلك ، ولما آطمأنّ عقبة ، أمر أصحابه أن يتقدّموه فوجاً فوجاً ، وسار في نفر يسير ، فطمع أعداؤه فيه ، وهاجموه ، فكسر عقبة وأصحابه أجفان سيوفهم ، واستقتلوا ، فقتلوا بأجمعهم (ابن الأثير ٤/١٠٥ـ١٠٨).

وقعة الحرة

وفي السنة ٦٣ كانت وقعة الحرّة ، وهي الوقعة التي استباح فيها جند يزيد بن معاوية ، مدينة الرسول صلوات الله عليه ، قتلاً ، ونهباً ، وسلباً ، وانتهاك حرمات ، وسبب الوقعة إنَّ أهل المدينة ، وكانوا ما يزالون قريبي العهد بالخلفاء الراشدين ، أنفوا من استخلاف يزيد بن معاوية ، إذ لم يطيقوا خلافة شاب « لا دين له ، يشرب الخمر ، ويضرب بالطنابير ، وتعزف عنده القيان ، ويلعب بالكلاب » (ابن الأثير ٤/١٠٣) وكما سماه أبو حمزة « يزيد

الفهود ، ويزيد القرود ، ويزيد الصيود » فأعلنوا خلع يزيد ، وأخرجوا بني أمّية من المدينة ، فأرسل يزيد ، مسلم بن عقبة المرّي ، الذي سمّاه الناس : مسرفاً . على رأس جيش اشتمل على اثني عشر ألفاً ، وأوصاه يزيد بأن يبيح المدينة ثلاثة أيّام ، وقدم مسلم ، فخاض مع أهل المدينة معركة غير متكافئة ، وغلبت الكثرةُ الشجاعةَ ، وكان أوّل من قتل في المعركة غلام من غلمان مسلم ، كان يحمل راية أهل الشام ، فحسبه الفضل بن العباس الهاشمي ، قائدهم مسلماً ، فهاجمه وهو يقول : لأقتلنَّ أميرهم أو لأقتلنّ دونه ، فانفرجت خيل أهل الشام عن نحو خمسمائة رجل جثاة على الركب ، مشرعي الأسنّة ، فخرقهم حتى وصل إلى حامل الراية ، فضربه على رأسه بالسيف ، فقد المغفر ، وفلق هامته ، وصاح ، قتلت طاغية القوم وربّ الكعبة ، فصاح به مسلم : أخطأت استك الحفرة وتناول مسلم الراية ، وذمر أصحابه ، ومشى بالراية ، وحمي القتال ، فقتل الفضل بن العباس ، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف ، وإبراهيم بن نعيم العدوي ، في رجال من اهل المدينة .

ثم أمر مسلم ، فوضع له سرير بين الصفّين ، وجلس عليه ، وقال لأهل الشام : قاتلوا عن أميركم أو دعوا .

وكان على رأس أهل المدينة عبدالله بن حنظلة (غسيل الملائكة) فقدّم بنيه واحداً واحداً ، وكانوا ثمانية ، حتى قتلوا بين يديه ، وهو يضرب بسيفه ويقول :

بعداً لمن رام الفساد وطغى وجانب الحقَّ وآيات الهدى
لا يبعد الرحمن إلّا من عصى

فقتل عبدالله بن حنظلة ، وأولاده الثمانية ، وقتل معه أخوه لأمّه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وقتل كذلك عبدالله بن عاصم الأنصاري ، وعبيدالله بن عبد الله بن موهب ،

ووهب بن عبدالله بن زمعة بن الأسود ، وعبدالله بن عبد الرحمن بن حاطب ، وزيد بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبدالله بن نوفل بن الحارث بن المطلب ، وعبدالله بن زيد بن عاصم الأنصاري ، قاتل مسيلمة الكذّاب (الطبري ٤٨٣/٥- ٤٩٠ وابن الأثير ١٢١/٤ والاعلام ٢١٩/٤).

أما ما صنعه مسلم بأهل المدينة من قتل ونتف لحي ونخس بالقضيب وشتم ، فيعود ذلك لأبواب أخرى من هذا الكتاب .

وفي السنة ٦٤ لما انتهى جيش يزيد بن معاوية ، من آستباحة المدينة ، وقتل رجالها ، ونهب أموالهم ، قصد مكة ، وفيها عبدالله بن الزبير ، وقد لحق به أخوه المنذر بن الزبير ، بعد أن شهد وقعة الحرة ، ولما تقابل الجمعان ، برز أحد الشاميّين ، فدعا المنذر للمبارزة ، فبرز اليه المنذر ، فضرب كلّ واحد منها صاحبه، فخرا ميتين .

ثم التحم عبدالله وأصحابه بجند يزيد ، فقتل من أصحاب عبدالله ، المسور بن مخرمة أصابه حجر من حجارة المنجنيق فقتله ، وقتل المصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، أصابه سهم فقتله ، وقتل من أصحابه آخرون .

وكان جند يزيد يقذفون الكعبة بالمجانيق ، وأحرقوها بالنار ، وهم يرتجزون :

خطّارة مثل الفنيق المزبد   نرمي بها أعواد هذا المسجد

وظل جيش يزيد محاصراً الكعبة ، حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية (الطبري ٤٩٦/٥- ٤٩٩).

موقعة مرج راهط

وفي السنة ٦٤ وقعت معركة مرج راهط ، بين الزبيرية الذين يدعون إلى خلافة عبدالله بن الزبير ، والمروانية الذين يدعون إلى استخلاف مروان بن

الحكم ، وكان رأس الزبيريّة، الضحّاك بن قيس ، ورأس المروانية مروان بن الحكم ، واستمرت المعركة عشرين ليلة ، وكان الظفر فيها لبني أميّة ، وقتل الضحّاك ، وقتلت قيس قتلاً ذريعاً ، وقتل مع الضحاك من أشراف الناس من أهل الشام ثمانون رجلاً كلّهم كان يأخذ القطيفة ، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ معها ألفين من العطاء ، وهو شرف العطاء ، وفرّ زفر بن الحارث وهو من أصحاب الضحاك من المعركة ، فقال يعتذر من فراره : (الطبري ٥/٥٣٥-٥٤٢).

لعمري لقد أبقت وقيعةُ راهطٍ	لمروان صدعاً بيّناً متنائيا
ولم تر منّي نبوةٌ قبل هذه	فراري وتركي صاحبيّ ورائيا
أيذهب يوم واحد أن أسأته	بصالح أيّامي وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا	وتثأر من نسوان كلب نسائيا
وقد ينبت المرعى على دمن الثرى	وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وكان الذي قتل الضحاك ، دحية بن عبدالله ، وقتل مع الضحاك هانىء بن قبيصة النميري ، سيّد قومه ، قتله وازع بن ذؤالة الكلبي ، وقتل مالك بن يزيد بن مالك من بني عليم ، وزمل بن عمرو بن ربيعة صاحب لواء قضاعة ، وثور بن معن بن يزيد السلمي (الطبري ٥/٥٣٨ وابن الأثير ٤/١٥٠) .

معركة التوابين

وفي السنة ٦٤ تحرّك الشيعة بالعراق ، للمطالبة بدم الإمام الشهيد الحسين ، وذلك إنّ قوماً من الشيعة ، اجتمعوا بالكوفة ، اثر مقتل الحسين ، فتلاوموا ، وقالوا : دعونا الحسين ، ووعدناه النصرة ، ثم تركناه ، وإنّه لا يغسل عارنا إلّا قتل من قتله ، وفزعوا إلى رؤسائهم ، وهم خمسة : سليمان بن صرد الخزاعي ، من الصحابة ، والمسيّب بن نجبة الفزاري ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وعبد الله بن وأل التميمي ، ورفاعة بن شدّاد

البجلي ، فاجتمع هؤلاء في دار سليمان بن صرد ، وتذاكروا ، وكاتبوا أصحابهم ، ثم نادوا في الكوفة : يا لثارات الحسين ، فثار الناس معهم ، وسار سليمان بن صرد على رأس جيش التوابين ، يريد عبيد الله بن زياد ، فمرّوا في طريقهم بقبر الحسين ، فصاحوا صيحة واحدة ، وبكوا عنده ، وأقاموا يوماً وليلة ، ثم سار حتى وصلوا قرقيسيا ، فتزوّدوا ، ثم انتهوا إلى عين الوردة ، وواجههم الجيش الأموي ، فطالبهم التوابون بأن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، لأنّ ثأرهم عنده ، فأبوا ، فنزل التوابون ، وكسروا جفون سيوفهم ، والتحموا في معركة ضارية ، فقتل سليمان بن صرد ، فأخذ الراية المسيب بن نجبة ، فقاتل حتى قتل ، فأخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل ، حتى طعن في ثغرة نحره فقتل ، ثم قتل أخوه خالد بن سعد ، وأخذ الراية عبد الله بن وأل ، فقاتل حتى قتل ، واستمرّ القتال حتى العشاء ، وخرج من التوابين عبد الله بن عزيز الكندي ، ومعه ابنه محمد غلام صغير ، فصاح : يا أهل الشام ، هل فيكم أحد من كندة ؟ فخرج إليه منهم رجال ، فقالوا : نعم ، نحن هؤلاء ، فقال لهم : دونكم أخوكم ، فآبعثوا به إلى قومكم بالكوفة ، فصاحوا به : أنت آمن ، وأخذ ولده يبكي ، فقال لهم عبد الله : إنّي لا أرغب عن مصارع إخواني ، وقاتل الجند الأموي ، حتى قتل ، وأخذ الراية الوليد بن غصين الكناني ، فقاتل أشدّ قتال ، وقتل قبل المساء ، وتقدّم كريب بن يزيد الحميري ، في مائة رجل من أصحابه من حمير وهمدان ، حتى إذا دنا من جند أهل الشام ، اقترب منهم ابن ذي الكلاع الحميري ، وسألهم ، فلما عرفهم صاح بهم : أنتم آمنون ، فقال له كريب : إنّا قد كنّا آمنين في الدنيا ، وإنّما خرجنا نطلب أمان الآخرة ، فقاتلوا ، حتى قتلوا بأجمعهم . ومشى صخير بن حذيفة المزني ، في ثلاثين من مزينة ، فقاتلوا حتى قتلوا ، حتى إذا آدلهمّ الليل ، انسحب الباقون من التوابين ، بقيادة رفاعة بن شدّاد ، ومروا بقرقيسيا ، فتزوّدوا ، وداووا جرحاهم ، وعاد كلّ من سلم إلى أهله (الطبري ٥٥٢ ـ ٦٠٥) .

وفي السنة ٦٥ بعث مروان بن الحكم جيشاً إلى المدينة ، بقيادة حبيش بن دلجة ، لطرد عامل ابن الزبير، فاجتمع عليه جند المدينة ، وجند من البصرة جاءوا لمعونة ابن الزبير ، والتحموا في معركة قتل فيها حبيش بسهم غرب ، قالوا إنّه رماه به يزيد بن سياه الأسواري ، وقتل معه المنذر بن قيس الجذامي ، وأبو عتّاب مولى أبي سفيان ، وتحرّز منهم نحو خمسمائة في المدينة ، فنزلوا على حكم عباس بن سهل الأنصاري ، عامل المدينة لابن الزبير ، فأمر بهم ، فضربت أعناقهم (الطبري ٦١١/٥ و٦١٢) .

وفي السنة ٦٥ قتل نافع بن الأزرق ، رأس الخوارج ، وكانت شوكته قد اشتدّت ، وقصد البصرة ، وفلّ بعوثها واحداً بعد الآخر ، وقتل عثمان بن عبيد الله بن معمر ، وهزم جنده ، ولما بلغ دولاب من الأهواز ، التحم مع الجيش الذي جاء لمحاربته من البصرة ، فاقتتلوا أشدّ قتال ، فقتل مسلم بن عبيس أمير جند البصرة ، فأمّروا عليهم الحجّاج بن باب الحميري ، وقتل نافع بن الأزرق ، فأمّر الأزارقة عليهم عبيد الله بن الماحوز ، فقتل الحجّاج بن باب ، فأمّر أهل البصرة عليهم ربيعة الأجذم التميمي . وقتل ربيعة ، فأخذ الحارثة بن بدر راية أهل البصرة ، وكانوا قد انكشفوا ، فانسحب بهم ، وهو يقول :

كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وأقبل الخوارج يريدون البصرة ، فنهد لهم المهلّب بن أبي صفرة ، وحازهم إلى الأهواز ، فالتقوا في معركة ضارية ، فانكشف أهل البصرة ، وانحاز المهلّب في ثلاثة آلاف ، فهجم على الخوارج في معسكرهم ، وقتل عبيد الله بن الماحوز ، وأصحابه قتلاً ذريعاً ، وانفلّ عسكرهم وتشتّتوا ، وقتل منهم في هذه الواقعة سبعة آلاف (الطبري ٦١٣/٥ ـ ٦١٩) .

وفي معركة سلى بالأهواز ، بين الخوارج وجند البصرة ، قاتل أبو علقمة

اليحمدي قتالاً لم يقاتله أحد من الناس ، وأخذ ينادي في شباب الأزد وفتيان اليحمد ، أعيرونا جماجمكم ساعة من نهار ،فكرّ معه الشباب والفتيان ، يحاربون ثم يرجعون إليه يضحكون ، ويقولون : يا أبا علقمة ، القدور تستعار (الطبري ٥/٦٢١) .

ولما ظهر المختار الثقفي بالكوفة في السنة ٦٦ ، اصطدم أصحابه بأصحاب إبراهيم بن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة ، فقتل نعيم بن هبيرة ، أحد قوّاد المختار ، وبصر خزيمة بن نصر العبسي ، أحد أصحاب المختار ، براشد بن إياس ، صاحب شرطة ابن مطيع ، فحمل عليه ، وطعنه ، فقتله ، ونادى : قتلت راشداً ورب الكعبة ، فانهزم أصحاب راشد (الطبري ٦/٢٥ ـ ٢٧) .

وفي السنة ٦٦ كان المختار الثقفي قد استقرّ أمره بالعراق وفارس ، واستقرّ أمر مروان بن الحكم بالشام ومصر ، فبعث مروان إلى العراق جنداً عليهم عبيد الله بن زياد ، وأمره ان يستبيح الكوفة ثلاثة أيّام إذا ظفر بأهلها ، فأقبل عبيد الله بجند الشام نحو الموصل ، فوجّه إليه المختار ثلاثة آلاف مختارين ، على رأسهم يزيد بن أنس ، وبلغ يزيد موضعاً اسمه بنات تلى، وهو مريض مدنف ، فبعث إليه عبيد الله ستّة آلاف رجل من جند الشام على رأسهم ربيعة بن المخارق ، ولما تصافّ الفريقان ، خرج يزيد بن أنس ، وهو مريض ، على حمار ، يمشي معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله ، بفخذيه ، وعضديه ، وجنبيه ، فشجّع أصحابه ، وآستثار هممهم ، ثم وضع له سرير في وسطهم ، واستقرّ مطروحاً عليه ، وقال لأصحابه : إن شئتم فقاتلوا عن أميركم ، وإن شئتم ففرّوا عنه ، والتحم الفريقان في معركة ضارية ، فقتل ابن المخارق ، وتشتّت جند الشام ، وجيء إلى يزيد بن أنس ، وهو في السوق (النزع) بثلثمائة أسير ، فأخذ يومىء بيده ، أن آضربوا أعناقهم ، فقتلوا عن آخرهم (الطبري ٦/٣٨ ـ ٤٢) .

وفي السنة ٦٦ حارب قسم من أهالي الكوفة المختار ، فانكشفوا ، وانتصر المختار ، وممن قتل في هذه المعركة حسّان بن فائد من قوّادهم ، وشرحبيل بن ذي بقلان ، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، اختصم فيه ثلاثة نفر ، سعر الحنفي وأبو الزبير الشبامي ، ورجل آخر ، قال سعر : طعنته طعنة ، وقال أبو الزبير : لكنّي أنا ضربته عشر ضربات أو أكثر ، فقال المختار : كلّكم محسن (الطبري ٦/٤٩ و٥٦) .

معركة الخازر

وفي السنة ٦٦ وجّه المختار الثقفي ، قائده إبراهيم بن الأشتر ، على رأس جند من العراق ، لقتال جند الأمويّين ، المقبل من الشام إلى الموصل ، بقيادة عبيد الله بن زياد ، فالتقوا بخازر ، على خمسة فراسخ من الموصل ، وكان جند الشام أربعين ألفاً ، أضعاف جند العراق ، والتحم الفريقان في معركة ضارية ، قتل فيها قائد الميسرة في جيش العراق ، علي بن مالك الجشمي ، فأخذ الراية قرّة بن علي ، وقاتل حتى قتل ، وقتل معه رجال من أهل الحفاظ ، وانهزمت الميسرة ، فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء ، وأرجع رجال الميسرة للقتال، وكشف ابن الأشتر رأسه ، وصاح : يا شرطة الله ، إليّ ، أنا ابن الأشتر ، وقال لصاحب رايته : إنغمس برايتك فيهم ، وكرد إبراهيم الرجال بن يديه كأنّهم الحملان ، فآنفلّ الجيش الشامي ، وفرّوا ، وحمل شريك بن جدير التغلبي ، من جند العراق ، على الحصين بن نمير ، من قوّاد الجند الشامي ، وهو يحسبه عبيد الله بن زياد ، وأخذ شريك يصيح : اقتلوني وابن الزانية ، فقتل الحصين بن نمير ، وقتل في ذلك اليوم شرحبيل بن ذي الكلاع ، من قوّاد الشام ، ولما انهزم جند الشام ، تبعهم الجند العراقي ، فكان من غرق من جند الشام ، أكثر ممن قتل ، وقال إبراهيم لأصحابه : إنّي قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك ، شرّقت يداه ،

وغـرّبت رجلاه ، فـالتمسوه ، فـإذا هو عبيـد الله بن زياد ، وقـد قدّ بـدنه إلى نصفين (الطبري ٦/٨٦ ـ ٩٢) .

أقول : وفي مقتل عبيد الله بن زياد ، يقـول الشاعـر : (معجم البلدان ٢/٩٠٣) .

إنّ الـذي عـاش ختّـاراً بـذمّتـه	ومـات عبـداً قتيـل الله بـالـزاب
أقـول لمّـا أتـاني ثمّ مصرعـه	لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي
مـا شقّ جيب ولا ناحتـك نائحـة	ولا بكتـك جيـاد عنـد أسـلاب
إن المنـايـا إذا حـاولن طـاغيـة	ولجن مـن دون أستـار وأبـواب
العبـد للعبـد لا أصـلٌ ولا ورق	ألـوت بـه ذات أظفـار وأنيـاب

ولما قَتَلَ إبـراهيم بن الأشتر ، عبيـد الله بن زياد ، بعثت إليـه هند بنت أسمـاء بن خـارجـة الفـزاري ، امـرأة عبيـد الله بن زيـاد ، وكـانت معـه في العسكر ، فأخبرت إبراهيم بانتهاب ما كان معها من المال ، فقـال : كم ذهب لك ؟ قالت : ما قيمته خمسون ألف درهم ، فأمر لها بمائة ألف درهم ، ووجّه معها مائة فارس ، حتى أتوابها أباها بالبصرة (الأخبار الطوال ٢٩٦) .

قـارن ، هـداك الله ، بين صنيـع إبـراهيم هـذا ، وصنيـع المصعب بن الزبير ، فإنّه لما قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، أحضر عمرة بنت النعمـان بن بشير الأنصاري ، زوجـة المختار ، وسـألها عن رأيهـا في زوجها ، فـأثنت عليه ، وطلب منها أن تبرأ منه ، فقـالت : كيف تبرأ الحـرّة من زوجها ؟ فـأمر بهـا فأخـرجت إلى الجبّانـة ، فضربت عنقهـا ، راجع تفصيـل ذلـك في هـذا الكتـاب ، في الباب التـاسع عشـر «المرأة» في الفصـل الثاني « قتـل المرأة بالسيف » .

وعلى أثـر انتهاء معـركة الخـازر ، دخل عبيـد الله بن عمر السـاعدي ،

على إبراهيم بن الأشتر ، ومدحه بأبيات من الشعر الرائق النفيس ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، قال : (الأخبار الطوال ٢٩٦) .

الله أعطاك المهابة والتقى	وأحلّ بيتك في العديد الأكثر
وأقرّ عينك يوم وقعة خازر	والخيل تعثر بالقنا المنكسر
إنّي أتيتك إذ بنابي منزلي	وذممتُ إخوان الغنى من معشري
وعلمت أنّك لا تخيّب مدحتي	ومن تكن بسبيل خير تشكر
فهلمّ تحوي من يمينك نفحة	إنّ الزمان ألحّ يا ابن الأشتر

وقعة المذار

وفي السنة ٦٧ خرج المصعب بن الزبير ، من البصرة ، قاصداً المختار الثقفي وأصحابه ، بالكوفة ، فالتقى الجمعان بالمذار ، يقود جند الكوفة أحمد بن شميط ، ويقود جند البصرة ، المصعب بن الزبير ، والتحم الجيشان في معركة طاحنة ، فقتل أحمد بن شميط قائد جند الكوفة ، وقتل عبد الله بن كامل من كبار قوّاد المختار ، وآخرون معهم ، وكان عبد الله بن عمرو النهدي ، من أصحاب صفّين ، في جيش المختار ، فقتل في هذه المعركة ، وانفلّ جيش الكوفة ، وكان الكوفيّون الذين فرّوا من المختار ولجأوا إلى المصعب ، أشدّ على الكوفيين من أهل البصرة ، إذ قتلوا كلّ من أسر وآستسلم ، وقتل جماعة من أصحاب المصعب منهم عبيد الله بن علي ، ومحمد بن الأشعث ، وآنحاز المختار إلى القصر ، ولما اشتدّ عليه الحصار ، خرج مستقتلاً في تسعة عشر رجلاً من أصحابه ، فقتل ، وقتلوا معه ، وأمر المصعب بكفّ المختار فقطعت ثم سمّرت بمسمار حديد إلى جنب المسجد ، فما زالت هناك حتى جاء الحجّاج بن يوسف الثقفي أميراً على العراق ، ونظر إليها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : كفّ المختار ، فأمر بنزعها ، أمّا رأس المختار ، فقد بعث به إلى أخيه عبد الله بن الزبير بالحجاز ، وأما

المحصورون في القصر من أصحاب المختار وعددهم ستّة آلاف أو سبعة آلاف ، فقد استنزلهم المصعب من القصر بالأمان ، ثم قتلهم بأجمعهم (الطبري ٦/٩٣ ـ ١١٠ والأخبار الطوال ٣٠٨ واليعقوبي ٢/٢٦٤) .

وفي السنة ٦٨ قصد الخوارج إصبهان ، وحصروها ، وكان مصعب بن الزبير قد ولّى عليها إسماعيل بن طلحة ، فبعث عليها عتّاب بن ورقاء ، فصبر عتّاب ، وأخذ يخرج إليهم في كلّ يوم يقاتلهم على باب المدينة ، ويرميهم من فوق السور بالنبل والنشّاب والحجارة ، ودام الحصار أشهراً ، فأصاب الناس في إصبهان جهد من الحصار ، فجمع عتّاب جنده وخطبهم ، وحرّضهم ، ونصب لواء لجاريته ياسمين ، وقال : من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ، ومن أراد الجهاد فليخرج معي ، وصبّح الخوارج ، وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم ، حتى انتهى إلى الزبير بن (أبي) الماحوز ، فثبت في جماعة من أصحابه ، فقاتل حتى قتل ، وانحازت الأزارقة إلى قطري فبايعوه ، وقال أحد أصحاب عتّاب في ذلك : (الطبري ٦/٢٥ و١٢٦ والاعلام ٩/١٥٣ و ١٥٤) .

خرجت من المدينة مستميتاً ولم أك في كتيبة ياسمينا

وفي السنة ٦٩ ولّى عبد الملك بن مروان ، زهير بن قيس البلوي على إفريقية ، وبعثه على رأس جيش لقتال كسيلة البربري ، قاتل عقبة بن نافع الفهري ، فلاقاه كسيلة في حشد عظيم ، فانتصر زهير ، وقتل كسيلة وجماعة من قوّاده ، وانفضّ جمعه ، فاغتنم روم القسطنطينية خلوّ برقة من الجيش ، فهاجموها بمراكب كثيرة من جزيرة صقلية فقتلوا ونهبوا ، فاستنجد المسلمون في برقة بزهير ، فخفّ إليهم في خفّ من أصحابه ، فقتل زهير وأصحابه ، ولم ينج منهم أحد (ابن الأثير ٤/١٠٨ ـ ١١٠) .

وفي السنة ٦٩ حكّم محكّم من الخوارج بالخيف من منى ، فقتل ،

قالوا : كان معه جماعة ، فأمسك الله بأيديهم ، وبدر هو من بينهم فسلّ سيفه ، فمال عليه الناس فقتلوه (الطبري ٦/١٤٩) .

أيام بين قيس وتغلب

وفي السنة ٧٠ نشبت معارك بين قيس وتغلب ، وسبب ذلك إنّه لما انقضى أمر مرج راهط ، بايع عمير بن الحباب السلمي ، مروان بن الحكم ، وفي نفسه ما فيها مما أصاب قيساً في يوم مرج راهط ، فانضمّ عمير إلى زفر بن الحارث في قرقيسيا ، يدبّران لكلب واليمانية ، وتغلّب عمير على نصيبين ، ثم استأمن إلى عبد الملك بن مروان ، فأمّنه ، ثم غدر به فحبسه عند مولاه الريّان ، فسقاه عمير ومن معه من الحرس خمراً ، فأسكرهم ، وتسلّق في سلّم من الحبال ، وأفلت من السجن ، وعاد إلى الجزيرة ، فاجتمعت إليه قيس ، فأغار على كلب ، ثم اشتبك مع تغلب ، فاقتتلوا في يوم ماكسين ، وكان لقيس على تغلب ، وقتل من تغلب خمسمائة ، وقتل قائدهم شعيث بن مليك ، وكانت رجله قد قطعت في المعركة ، فقاتل حتى قتل وهو يقول :

قد علمت قيس ونحن نعلم إنّ الفتى يقتل وهو أجذم

وثاني أيّامهم ، يوم الثرثار الأوّل ، وكان لتغلب على قيس ، فإنّ تغلب استعدّت وآستجاشت ، فانهزمت قيس ، وقتلت تغلب منهم مقتلة عظيمة ، وبقروا بطون ثلاثين امرأة ، وثالث الأيّام ، يوم الثلاثاء الثاني ، وكان لقيس على تغلب ، وكان ممن قتل فيه من تغلب ابنا عبد يشوع وغيرهما من أشراف تغلب ، ورابع الأيّام يوم الفدين لقيس على تغلب ، وخامسها يوم السكر ، لقيس على تغلب ، وسادسها يوم المعارك ، تناصفوا فيه ، وسابعها يوم الشرعبية ، وكان لتغلب على قيس ، قتل فيه عمّار بن المهزم السلمي ، وثامنها يوم البليخ ، لقيس على تغلب ، وبقر فيه القيسيّون بطون نساء من

تغلب ، كما حصل من تغلب في يوم الثرثار الأوّل ، وتاسعها يوم الحشاك ، وكانت فيه المعارك على أشدّها ، وكان لتغلب على قيس ، وفيه قتل عمير بن الحباب السلمي ، وقتل معه من قيس بشر كثير ، وعاشرها يوم الكحيل ، وسببه إنّ تميم بن عمير بن الحباب ، قصد زفر بن الحارث في قرقيسيا ، واستنجد به للثأر من تغلب ، فاستخلف زفر على قرقيسيا أخاه أوساً ، ووجّه خيلاً إلى بني فدوكس ، بطن من تغلب ، ووجّه ابنه الهذيل في جيش إلى بني كعب بن زهير ، وبعث مسلم بن ربيعة العقيلي إلى بطن من تغلب ، ثم قصد بني تغلب ، فلحق بهم في الكحيل من أرض الموصل ، فقتل من تغلب مقتلة عظيمة ، وبقروا بطون النساء ، وغرق من بني تغلب في دجلة أكثر ممن قتل ، وأسر زفر من بني تغلب مائتين ، فقتلهم صبراً ، ولما استقرّت الأمور لعبد الملك ، قدم عليه الأخطل التغلبي ، وعنده الجحّاف بن حكيم السلمي ، فقال له عبد الملك : يا أخطل ، أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هو الذي أقول فيه :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائر   بقتلى أصيبت من سليم وعامر

وأنشد القصيدة بتمامها ، وكان الجحّاف يأكل تمراً ، فجعل النوى يتساقط من يده غيظاً ، وأجاب الأخطل ، فقال :

بلى سوف نبكيهم بكلّ مهنـدٍ   ونبكي عميراً بالرماح الشواجر

ثم قال للأخطل : يا ابن النصرانية ، ما كنت أظنّ أنّك تجترىء عليّ بمثل هذا ، فأرعد الأخطل من خوفه ، وقام إلى عبد الملك فأمسك ذيله ، وقال : هذا مقام العائذ بك ، فقال له عبد الملك : أنا لك جار ، وقام الجحّاف وهو يجرّ ثوبه ما يعقل ، فزوّر لنفسه عهداً على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة ، وقال لأصحابه : إنّ أمير المؤمنين ولّاني على هذه الصدقات ، فمن أراد اللحاق بي فليفعل ، فخرج معه جماعة ، فلما أتى رصافة هشام ،

أعلم أصحابه بما كان من الأخطل إليه ، وإنّه قد افتعل هذا العهد لينتقم من تغلب ، فمن أراد أن يصحبني على ذلك ، وإلّا فليعد ، فعادوا إلّا ثلثمائة ، فقصد بني تغلب ، وهم على الرحوب عند جبل البشر ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسرف في القتل ، وبقر بطون النساء عن الأجنّة ، واقترف أمراً عظيماً ، فدخل الأخطل على عبد الملك ، فأنشده : (معجم البلدان ٦٣٣/١) .

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكي والمعوّل
فإن لم تداركها قريش بعدلها يكن عن قريش مسترادٌ ومزحل

فقال له عبد الملك : إلى أين يا ابن النصرانية ؟ قال : إلى النار ، فقال له عبد الملك : أولى لك ، لو قلت غير ذلك لقتلتك ، وهرب الجحّاف فالتجأ إلى بلاد الروم ، ثم أمّنه عبد الملك على أن يؤدّي ديات من قتل ، فعاد ، وجمع الديات ، وتنسّك ، ومضى حاجاً ، وقد خزم هو وأصحابه آنافهم ، وتعلّق الجحاف بأستار الكعبة ، وهو يصيح : اللهم أغفر لي ، وما أظنّك تفعل ، فسمعه محمد بن الحنفية ، فقال له : يا شيخ ، قنوطك من رحمة الله شرّ من ذنبك (ابن الأثير ٣٠٩/٤ـ ٣٢٢) .

معركة مسكن

وفي السنة ٧١ تلاقى في دير الجاثليق بمسكن ، جند العراق ، عليهم المصعب بن الزبير ، وقائده ابراهيم بن الأشتر ، بجند الشام عليهم عبدالملك بن مروان ، والتحم العسكران في معركة ضارية ، فقتل إبراهيم بن الأشتر ، ومسلم بن عمرو الباهلي ، والد قتيبة ، ويحيى بن مبشر ، وكلّهم من أصحاب المصعب ، وعرض عبد الملك الأمان على المصعب ، فأباه ، ولما أدرك مصيره ، قال لولده عيسى : يا بنيّ أركب أنت ومن معك الى عمّك بمكّة ، ودعني فإنّي مقتول ، فقال له ابنه : والله ، لا أخبر قريشاً عنك أبداً ،

وتقدّم فقاتل حتى قتل ، وأثخن المصعب بالرمي ، فشدّ عليه زائدة بن قدامة ، وصاح : يا لثارات المختار، فصرعه ، ونزل إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، فأحتزّ رأسه ، وجاء به إلى عبد الملك بن مروان ، فأثابه بألف دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : إنّي لم أقتله على طاعتك ، وإنّما قتلته على وتر صنعه بي ، إذ كان قتل أخاه النابىء بن زياد (الطبري ٦/١٥١ـ ١٥٩) .

وفي مصرع المصعب ، يقول ابن قيس الرقيات : (الاخبار الطوال ٣١٣) .

لقد أورث المصرين خزياً وذلّة ... قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما صبرت للحرب بكر بن وائل ... ولا ثبتت عند اللقاء تميم
ولكنّه ضاع الذمار فلم يكن ... بها عربيٌّ عند ذاك كريم

أقول : كان سبب قتل المصعب للنابىء بن زياد ، إنّ المطرّف صاحب شرطة المصعب بالبصرة ، أخذ النابىء بن زياد ، ورجلاً من بني نمير ، كانا قد قطعا الطريق فقتل النابىء ، وضرب النميري بالسياط وتركه ، ثم إنَّ المطرّف ولّاه المصعب الأهواز ، فخرج إليها ، فلاقاه عبيد الله بن زياد أخو النابىء ، فطعنه فقتله ، ولحق بعبد الملك بن مروان ، ثم مرّ بالبصرة ، ورأته ابنة مطرّف ، فقيل لها : هذا قاتل أبيك ، فقالت : في سبيل الله أبي ، فقال ابن ظبيان : (الطبري ٦/١٥٩ـ ١٦٠) .

وما في سبيل الله لاقى حمامه ... أبوك ولكن في سبيل الدراهم

أقول : منطقة مسكن التي قتل فيها المصعب ، اسمها الآن عند الأعراب في تلك المنطقة : خرايب مسكين ، وما يزال قبر المصعب عليه قبّة ، والأعراب هناك قد حرّفوا اسمه ، فهو عندهم الشيخ منصور (الديارات ٣٥٠ـ ٣٥١ وريّ سامراء ١/١٩٨)، وأحسب أنَّ القبة بنيت على قبر المصعب في السنة ٤٢٥ وكانت الفتن في بغداد قد اشتعلت بين الشيعة والسنّة ، وكان

الشيعة يحتفلون في النصف من شعبان بزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فأحدث خصومهم زيارة قبر المصعب بن الزبير في رمضان من كلّ سنة ، واستعدّوا لهذه الزيارة ، وعملوا مجانيق مذهبة ، ورفعوها ، وطافوا بها في الأسواق ، وبين أيديهم البوقات ، ووقفوا بإزاء دار المملكة ، ومعهم لفيف كثير ، ودعوا للسلطان ، وأحدث ذلك وقوع القتال بين هذه الطائفة ، وبين أهل الكرخ (المنتظم ٨/٧٨).

وفي السنة ٧٢ كتب عبد الملك بن مروان ، لعبد الله بن خازم ، عامل خراسان لابن الزبير ، وعرض عليه إمارة خراسان سبع سنين إن بايعه وترك ابن الزبير ، فأبى ، فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح عامل مرو ، يعرض عليه إمارة خراسان ، ويحرضه على الخروج على ابن خازم ، فخلع بكير بن وشاح ، ابن الزبير ، ودعا إلى عبدالملك ، فقصده عبدالله بن خازم الى مرو ، وحارب بكيراً ، فقتل ابن خازم ، وحمل على بغل ، وقد شدّوا في مذاكيره حبلاً وحجراً عدلوه به على البغل (الطبري ٦/١٧٦ و ١٧٧).

وفي السنة ٧٢ سار عبدالملك بن مروان إلى قرقيسيا ، فحصر زفر بن الحارث فيها ، وبعد معارك حصلت ، أمر عبدالملك أخاه محمداً ، أن يعرض على زفر الأمان وكان ابنه وكيع بن زفر قد قتل ، فأعطاه محمد الأمان له ولولده هذيل ، على أنفسهما ومن معهما ، وأن يعطيا ما أحبّا ، فأبى زفر ، فقال له ولده الهذيل : لو صالحت هذا الرجل فقد أطاعه الناس وهو خير لك من ابن الزبير ، فأجاب الى قبول الأمان على أنّ له الخيار في بيعته سنة ، وأن ينزل حيث شاء ، وأن لا يعين عبد الملك على قتال ابن الزبير ، فبينا الرسل تختلف بينهما ، إذ جاء رجل من كلب ، فقال إنّ الجند الشامي هدم من سور قرقيسيا أربعة أبراج ، فعاد عبد الملك عن المصالحة ، وزحف إليهم ، فهزموا أصحابه ، فاضطر إلى إعطاء زفر ما أراد ، وعدّل الشرط الأخير ، بأن لا يبايع زفر عبد الملك حتى يموت ابن الزبير ، وخاف زفر ان يغدر به عبد الملك ،

كما غدر بعمرو بن سعيد ، فلم ينزل إليه ، إلاَّ بعد أن أرسل إليه قضيب النبي صلوات الله عليه ، أماناً له ، فنزل إليه ، ولما رأى عبد الملك قلّة من كان مع زفر ، ندم على أمانه ، وقال : لو علمت إنّه في هذه القلّة لحاصرته أبداً حتى ينزل على حكمي ، فبلغ قوله زفر ، فقال: إن شئت رجعنا ورجعت ، فقال : بل نفي لك يا أبا الهذيل (ابن الأثير ٤/٣٣٧ـ ٣٤٠).

وفي السنة ٧٣ قتل عبدالله بن الزبير بمكّة ، وكان قد أعلن خلافته ، واستولى على أكثر بلاد الإسلام ، إذ حكم مصر وإفريقية ، وفلسطين، وجزيرة العرب ، والعراق ، وخراسان، وما وراء النهر ، والسند، ثم عاكسته الظروف ، فتقلّص ظلّ حكمه ، وقتل أخوه المصعب ، وآل أمره إلى أن حصره الحجّاج في جند عبد الملك بن مروان بمكّة، فلما كان قبيل مقتله تفرّق عنه الناس ، وخرجوا الى الحجّاج بالأمان ، حتى فارقه ابناه حمزة وخبيب ، وختم عبدالله حياته بعمل نادر المثيل ، من أعمال البطولة والفداء ، شاركته فيه أمّه أسماء ذات النطاقين بنت الصدّيق أبي بكر ، فإنَّ عبدالله ، لما أدرك مصيره ، جاء الى أمّه ، وهي عجوز عمياء بلغت المائة ، وشكا إليها تخلّي الناس عنه ، وخذلانهم أيّاه ، وقال لها : إنَّ القوم يعطونني ما أردت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : يا بنيّ ، أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنّك على حقّ، فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، فقال لها : إنّي أخشى إن قتلت أن يمثّل بي ، فقالت له : يا بنيّ إنَّ الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ ، فخرج ، وحارب ، واستقتل ، فقتل (ابن الأثير ٤/٣٥٢ـ ٣٥٤)، ولما وثق الحجاج بمقتل ابن الزبير ، تظاهر بالشجاعة ، وتقدّم إلى ابن الزبير وهو ميت في المسجد الحرام ، فبرك عليه ، واحتزّ رأسه بيده في داخل المسجد (العقد الفريد ٤/٤١٨).

أقول : وهكذا يأبى الحجّاج ، إلاَّ أنَّ يكون حقيراً في جميع تصرّفاته ، فقد جبن عن لقاء عبدالله بن الزبير وهو حيّ ، حتى إذا وثق من موته ، تقدّم فقطع رأسه .

الحجاج بن يوسف الثقفي
سيرة رجل شرير

أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠- ٩٥)، والي العراقين لعبد الملك بن مروان ، وهو الذي يضرب به المثل في الظلم والجور ، ثقفّي من نسل أبي رغال (اليعقوبي ٢/ ٢٧٤). وأبو رغال بقيّة من قوم ثمود ، كان قائد الفيل ، ودليل الحبشة ، لما غزوا الكعبة فهلك فيمن هلك منهم ، ودفن بين مكة والطائف ، ومرّ النبي صلوات الله عليه بقبره فرجمه وأمر برجمه فرجم (الأغاني ٤/٣٠٣).

وكانت ثقيف ، عشيرة الحجاج ، من أشدّ القبائل على رسول الله ، فقد تهزأوا به ، وقعدوا صفّين، فلما مرّ بهم ، رجموه بالحجارة حتى أدموا رجله ، وقال رسول الله : ما كنت أرفع قدماً ، ولا أضعها ، إلاّ على حجر (اليعقوبي ٢/ ٣٦).

وقال الإمام علي ، في احدى خطبه : لقد هممت أن أضع الجزية على ثقيف (الأغاني ٤/٣٠٦).

كلّ ذلك كان من جملة أسباب حقد الحجاج ، على النبيّ صلوات الله عليه ، وعلى أولاده ، وبغضه أيّاهم، حتى ضرب بذلك المثل ، قال الشاعر : (معجم البلدان ٢/ ٣٢٣).

أنا في الحلّة الغداة كأنّي   علويّ في قبضة الحجّاج

وبلغ من حقده على النبي ، إنّه لما دخل المدينة ، سمّاها : نتنة ، وقد سمّاها رسول الله : طيبة ، ولما رأى الناس يطوفون بقبر رسول الله ومنبره ، قال إنما يطوفون برمّة وأعواد (العقد الفريد ٥/ ٤٩)، يريد بالأعواد منبر النبي ، وبالرمّة جسده الشريف .

وتبع حقده على النبي ، حقده على الذين نصروه وآزروه ، وهم الانصار ، فكان يسميهم : الأشرار (العقد الفريد ٥/ ٣٩)، وختم أعناق بعض الصحابة منهم ، بقصد إذلالهم (الطبري ٦/ ١٩٥).

وكان يقول : ويحكم ، أخليفة أحدكم في أهله ، أكرم عليه ، أم رسوله إليهم ؟ يشير بذلك إلى أنَّ عبد الملك بن مروان أكرم على الله من النبي صلوات الله عليه (العقد الفريد ٥/ ٥٢).

ولد الحجاج بالطائف ، وكان والده يؤدّب الصبيان (العقد الفريد ٥/ ١٣) وجاء مشوّهاً وآحتيج إلى إجراء جراحة له ، لكي يكون في حالة طبيعية (مروج الذهب ٢/ ٩٧) ، ونشأ أخفش العينين ، دقيق الصوت (شذرات الذهب ١/ ١٠٦، والعيون والحدائق ، ٣/ ١١) ، فكان لتشويه بدنه ، وخفش عينيه ، ودقّة صوته ، ووضاعة نشأته ، أصل قويّ فيما ابتلي به من قسوة عجيبة ، وكان يخبر عن نفسه أنّ اكبر لذّاته في سفك الدماء (وفيات الأعيان ٢/ ٣٠) وكان يقول : إنّي ـ والله ـ لا أعلم على وجه الأرض خلقاً ، هو أجرأ على دم منّي (العقد الفريد ٢/ ١٧٦)، وكان له في القتل ، وسفك الدماء ، غرائب لم يسمع بمثلها (وفيات الأعيان ٢/ ٣١)، وهو أحد أربعة في الإسلام قتل كلّ واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل (لطائف المعارف ١٤١).

وكانت سياسة الحجاج التي سلكها في العراق ، من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى سقوط الدولة الأموية (السياسة العربية ٤٤)، ولما هلك ، خلّف في حبسه ثمانين ألفاً حبسوا بغير جرم ، منهم خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ، ولم يكن لحبسه ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ، ولا من المطر والبرد في الشتاء (مروج الذهب ٢/ ١٢٨ ، والعيون والحدائق ٣/ ١٠) وذكر صاحب محاضرات الأدباء

١٩٥/٣ إنَّه أحصي من قتل الحجاج ، سوى من قتل في بعوثه ، وعساكره ، وحروبه فوجدوا مائة وعشرين ألفاً ، ووجد في حبسه مائة ألف وأربعة عشر ألف رجل ، وعشرون ألف امرأة ، منهنّ عشرة آلاف امرأة مخدّرة ، وكان حبس الرجال والنساء في مكان واحد ، ولم يكن في حبسه ظلّ ولا سقف ، وربما كان الرجل ليستتر بيده من الشمس فيرميه الحرس بالحجارة ، وكان أكثرهم مقرّنين بالسلاسل ، وكانوا يسقون الزعاف ، ويطعمون الشعير المخلوط بالرماد ، وكان المسجونون في سجن الحجاج يقرّنون بالسلاسل ، فإذا قاموا قاموا معاً ، وإذا قعدوا قعدوا معاً (الفرج بعد الشدة ـ لابن أبي الدنيا ـ مخطوط ص ١١) ولا يجد المسجون المقيّد منهم ، إلَّا مجلسه ، فيه يأكلون، وفيه يتغوطون ، وفيه يصلّون (القصة ٨٧ من كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف).

وبلغ من شنيع سمعة الحجاج ، وشهرته بالظلم ، إنَّ أبا مسلم الخراساني ، الذي اشتهر بقسوته، وضراوته على الدم الحرام ، حتى قيل أنَّه قتل أكثر من ألف ألف رجل ، (لطائف المعارف ١٤١ـ ١٤٢)، قيل في حقّه إنَّه حجاج زمانه (مرآة الجنان ١/٢٨٥)

وقال الخليفة الصالح، عمر بن عبد العزيز : لعن الله الحجاج ، فإنَّه ما كان يصلح للدنيا ، ولا للآخرة (معجم البلدان ٣/١٧٨)، وقال فيه : لو جاءت كلّ أمّة بمنافقيها ، وجئنا بالحجاج لفضلناهم (العقد الفريد ٥/٤٩)، وقيل للشعبي : أكان الحجاج مؤمناً ، قال : نعم : بالطاغوت، كافراً بالله (البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ٧٣ والعقد الفريد ٥/٤٩)، وقيل لعبد الله بن المبارك : أبو مسلم كان خيراً أو الحجاج ؟ قال لا أقول أنَّ أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكنّ الحجاج كان شراً منه (ابن الأثير ٥/٤٧٩) وكان الحسن البصري ، يسميه : فاسق ثقيف (وفيات الأعيان ٢/٣٧٤)، وقال القاسم بن

محمد بن أبي بكر : كان الحجاج ينقض عرى الإسلام عروة عروة (العقد الفريد ٥/٤٩) وقال ابن سيرين لم يرَ أغشم من الحجاج (شذرات الذهب ١/١٠٦) .

وقال فيه صاحب العقد الفريد للملك السعيد (ص ١١٨) : كان الحجاج بن يوسف الثقفي ، قد جمع خلالاً قبيحة ، ظاهرة وباطنة ، من دمامة الصورة ، وقبح المنظر ، وقساوة القلب ، وشراسة الاخلاق ، وغلظ الطبع ، وقلّة الدين ، والاقدام على انتهاك حرمة الله تعالى ، حتى حاصر مكة ، وهدم الكعبة ، ورماها بالمنجنيق ، والنفط والنار ، وأباح الحرم ، وسفك الدماء ، وقتل في مدة ولايته ألف ألف وستمائة ألف مسلم ، ومات في حبوسه ثمانية عشر ألف إنسان ، وكان لا يرجو عفو الله ، ولا يتوقّع خيره ، وكأنّه قد ضرب بينه وبين الرأفة والرحمة بسور من فظاظة ، وغلاظة ، وقسوة .

وكان الحجاج يتفنّن في ابتكار ألوان العذاب التي يعذّب بها من أوقعه سوء الطالع في يديه ، فقد جيء الله بابن القرية، أحد فصحاء العرب وحكمائهم ، فأمر به ، فأمسكه رجال أربعة ، حتى لا يستطيع حراكاً ، ثم وضع الحجاج حربة في ثندوته، ودفعها حتى خالطت جوفه ، ثم خضخضها ، وأخرجها ، فأتبعها دم أسود ، فقال الحجاج : هكذا تشخب أوداج الأبل ، وفحص ابن القرية برجله ، وشخص ببصره ، وجعل الحجاج ينظر إليه ، حتى قضى (الأخبار الطوال ٢٢٢ و٢٢٣) .

وأمر الحجاج بأحد أسراه ، فشدّ على بدنه القصب الفارسي المشقوق ثم سلّ عنه ، حتى شرّح بدنه ، ثم نضحه بالخلّ والملح ، حتى مات (الكامل للمبرّد ٢/٢٠٧) .

وجيء إليه بمحمد بن سعد بن أبي وقاص أسيراً ، فظلّ يضرب رأسه بعصا كانت في يديه ، حتى أدماه ، ثم أطمعه في أن يطلقه ، وأطرق ملياً ، كأنّه يفكّر ، ثم قال لرجل من أهل الشام : أضرب لي مفرق رأسه ، فضربه ،

فمال نصفه ها هنا ، ونصفه ها هنـا ، (الطبـري ٦/ ٣٧٩ والإمامـة والسياسـة ٢/ ٤١- ٤٢).

وحبس إبراهيم بن يزيد التيميّ الزاهـد ، ومنع عنـه الطعـام ، ثم أرسل عليه الكلاب تنهشـه حتى مات (اللبـاب ١/ ١٩٠) ولمّا مـات رمي بجثّتـه في الخندق ، ولم يجرأ أحد على دفنه ، حتى مزّقته الكلاب (البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ٣٠٤).

وفي معركة الزاوية ، إحدى معاركه مع ابن الأشعث ، قتل الحجاج أحد عشر الفاً ، بالخديعة والمكر ، فقد أمر مناديه ، فصاح لا أمان لفلان ابن فلان وسمى رجالاً فقال العـامة : قـد أمّن الناس ، وحضـروا فأمـر بهم فقتلوا (ابن الأثير ٤/ ٤٦٩) ولما دخـل البصرة ، جلس على المنبـر بالجـامع ، وأمـر جنده بأخذ الأبواب، وقال لهم : إذا رأيتمـوني وضعت عمامتي عن رأسي ، فضعـوا سيـوفكم ، ثم بدأ خطبتـه ، فحصبـه النـاس فخلع عمـامتـه ، ووضعهـا على ركبتيه ، فجعلت السيوف تبرى الرقاب ، وسالت الدماء إلى أبواب المسجد ، وإلى السكك (الامامة والسياسة ٢/ ٢٥- ٢٦).

وكان صغيراً في تصرّفاتـه ، حبس مالـك بن اسماء بن خـارجة ، وضيّق عليـه كلّ أحـوالـه ، حتى كـان يشاب لـه الماء الـذي كان يشـربه ، بـالرمـاد والملح ، وأحضره عنده يوماً ، فبينما هو يحـدّثه ، استسقى مـاء ، فأتي بـه ، فلمـا نظر إليـه الحجاج ، قـال : لا، هات مـاء السجن، فـأتي بـه وقـد خلط بالملح والرماد فسقيه (الأغاني ١٧/ ٢٣١).

وقبض على يـزيد بن بن المهلب ، وعـذّبـه ، فكـان يـزيـد يصبـر على العذاب ، فقيل لـه : إنّه رمي بنشـابة ، فثبت أصلهـا في ساقـه ، فلا يمسّهـا شيء إلّا صـاح ، فأمـر أن يعذب بـذلك ، وأن يـدهق ساقـه ، فلمـا فعـل بـه ذلـك ، صـاح وسمعتـه أختـه هنـد بنت المهلب ، وكـانت عنـد الحجـاج ، فصاحت فطلّقها (وفيات الأعيان ٦/ ٢٩١).

وبقدر ما كان الحجّاج قاسياً ، متغطرساً على الناس ، كان ذليلاً أمام عبد الملك بن مروان ، كتب إليه مرّة : إنَّ خليفة الله في أرضه ، أكرم عليه من رسوله إليهم ، يريد بذلك أن عبدالملك بن مروان ، أكرم على الله من النبيّ صلوات الله عليه.

وبلغه أنّ عبد الملك عطس يوماً فشمّته أصحابه ، فردّ عليهم ودعا لهم ، فكتب إليه : بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين ، ومن تشميت أصحابه له ، وردّه عليهم ، فيا ليتني كنت معهم ، فأفوز فوزاً عظيماً (العقد الفريد ٥/٥٣).

وكان الحجاج ، إضافة إلى صفاته القبيحة هذه ، جباناً ، منخلع الفؤاد ، برغم تظاهره بالشجاعة، فهو في السنة ٧٣ حاصر بالجيش الأموي ، عبدالله بن الزبير ، بمكة ، ولمّا بلغه أنَّ عبدالله قد قتل ، تصرف تصرفاً بادي الخزاية ، إذ تظاهر بالبطولة ، وجاء إلى مسجد الكعبة ، ولما رأى عبد الله قتيلاً ، برك على جثته ، وقطع عنقه بيده ، فقد جبن عن مواجهته حياً ، فبادر باحتزاز عنقه ميتاً (العقد الفريد ٤/٤١٨).

وفي السنة ٧٧ طالبته غزالة ، إحدى المحاربات في جيش الخوارج، بالمبارزة ففرّ منها ، وجبن عن مواجهتها ، فقال فيه الشاعر : (وفيات الأعيان ٢/٤٥٥).

أسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تفزع من صفير الصافر
هلّا برزت الى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

وكانت السياسة المخرّبة ، التي اتّبعها الحجاج ، خلال مدّة حكمه ، من أهم الأسباب التي أدّت إلى سقوط دولة بني مروان (السياسة العربية لفان فلوتن ٤٤)، وخرّبت العراق تخريباً تامّاً ، فقد فرض الحجاج ، على أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السواد ، من أهل الذمّة

فأسلم ، بالعراق ، أن ردّهم إلى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم ، على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم (وفيات الأعيان ٦/٣١١)، إذ أنَّ هؤلاء لما أسلموا ، كتب عمال الحجاج إليه ، بأنَّ الخراج قد انكسر ، وأنّ أهل الذّمة قد اسلموا ، ولحقوا بالأمصار ، فأمر بإخراج أهل القرى إلى قراهم ، وأن تؤخذ منهم الجزية على نحو ما كانت تؤخذ منهم ، وهم كفّار (ابن الأثير ٤/٤٦٤ و٥/١٠١)، فاجتمع إلى ابن الاشعث ، أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، والقرّاء ، وأهل الثغور والمسالح ، وتضافروا على حرب الحجاج (ابن الأثير ٤/٤٦٩).

ولما ثار أهل العراق على الحجاج واحتشدوا لحربه ، استنجد بعبد الملك ، فأمدّه بجند من أهل الشام (بلاغات النساء ١٢٥) فأنزلهم في بيوت أهل الكوفة ، وهو أوّل من أنزل الجند في بيوت الناس (ابن الأثير ٤/٤٨٢).

ولما قتل الحجاج ، ابن الأشعث ، قال الحجاج : الآن فرغت لأهل السواد ، فعمد إلى رؤسائهم ، وأهل بيوتاتهم من الدهاقين ، فقتلهم صبراً ، وجعل كلما قتل رجلاً من الدهاقين ، أخذ أمواله ، وأضرّ بمن بقي منهم اضراراً شديداً ، فخربت الأرض (فتوح البلدان ٢٩١).

وكانت عاقبة هذه السياسة الخرقاء ، أنَّ جباية سواد العراق ، وكانت على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ، نزلت في عهد الحجاج ، إلى ثمانية عشر ألف ألف درهم فقط ، ثم ارتفعت في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم (احسن التقاسيم للمقدسي ١٣٣) فقال عمر بن عبد العزيز : لعن الله الحجاج ، فإنّه ما كان يصلح للدنيا ولا للآخرة ، فإنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، جبى العراق ، بالعدل والنصفة ، مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ، وجباه الحجاج مع عسفه وجبروته ثمانية عشر ألف ألف درهم فقط ، قال عمر : وها أنا وقد رجع إليّ على

خرابه ، جبيته مائة ألف ألف، وأربعة وعشرين ألف ألف درهم بالعدل والنصفة (معجم البلدان ٣/١٧٨).

ومما يدلّ على عقليّة الحجاج الفاسدة ، إنّه لما خرب السواد ، من جراء إفراطه في الظلم وفي سوء الجباية ، تخيّل أنّ الانقطاع عن الزراعة ، إنما كان لقلّة الماشية التي تعين الفلاحين على حرث الأرض ، فأصدر أمره بتحريم ذبح البقر فقال الشاعر (الأغاني ١٦/٣٧٨).

شكونا إليه خراب السواد فحرّم فينا لحوم البقر
فكنّا كمن قال من قبلنا أريها السها وتريني القمر

وسمّى الناس سليمان بن عبد الملك ، مفتاح الخير ، لأنّه أذهب عنهم سنّة الحجّاج ، وأخلى السجون ، وأطلق الأسرى (وفيات الأعيان ٢/٤٢٠) ، ولما تولّى يزيد بن المهلب العراق نظر في نفسه ، وقال : إنّ العراق قد أخربها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق ، ومتى أخذت الناس بالخراج ، وعذبتهم عليه ، صرت مثل الحجاج ، أدخل على الناس الخراب ، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها (وفيات الأعيان ٦/٢٩٦ و ٢٩٧) ولما خرج يزيد بن المهلب ، بالعراق، على الأمويّين ، بايعه الناس على كتاب الله ، وسنّة رسوله ، وأن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج (وفيات الأعيان ٦/٣٠٤).

وليس الحجاج هو الملوم وحده على سياسته المخرّبة ، فإنّ عبد الملك بن مروان ، الذي سلطه على العراق ، هو الملوم الأوّل على ذلك ، فالحجاج سيئة من سيئات عبد الملك (واسطة السلوك ٢٠٩) ويحقّ لعبد الملك أن يحذر من الله تعالى لأن من يكن الحجاج بعض سيئاته ، يعلم أيّ شيء يقدم عليه (ابن الأثير ٤/٥٢١).

وقد كان عبد الملك ، مطلعاً تمام الاطلاع ، على سياسة الحجاج

المخرّبة، وقد كتب اليه مرّة يقول : إنَّ رأيك الذي يسوّل لك أنّ الناس عبيد العصا ، هو الذي أخرج رحالات العرب إلى الوثوب عليك ، وإذا أخرجت العامة بعنف السياسة ، كانوا أوشك وثوباً عليك عند الفرصة ، ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي ، ولا هداه ، إذا رجوا بذلك إدراك الثأر منك ، وقد ولي العراق قبلك ساسة، وهم يومئذٍ أحمى أنوفاً، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح منك عليهم (العقد الفريد ٥/٤٥).

وظلت سيرة الحجاج في الظلم والعسف ، تدور مع التاريخ ، ويتداولها الناس خلفاً عن سلف حتى حيكت حولها الروايات، ورتّبت بشأنها القصص ، فذكروا أنّ أعرابياً سأله الحجاج : كيف سيرة أميركم الحجاج ؟ فقال ظلوم غشوم ، لا حيّاه الله ، ولا بيّاه ، فقال : لو شكوتموه إلى أمير المؤمنين ، فقال الأعرابي : هو أظلم منه وأغشم ، عليه لعنة الله (الملح والنوادر للحصري ١٥).

وذكروا إنَّ رجلاً رأى في منامه الحجاج بن يوسف ، فقال له ما حالك ؟ فقال له : ما أنت وذاك لا أم لك؟ فقال : سفيه في الدنيا ، سفيه في الآخرة (المحاسن والمساوىء ٢/١٤.

ووصف الحجاج نفسه ، بأنَّه : حقود ، حسود ، كنود ، فقال له سيده عبد الملك بن مروان : ما في إبليس شرّ من هذه الخلال (نهاية الأرب ٣/٢٦٧).

ولعلّ أصدق ما وصف به الحجاج ، ما وصفه به سيّده عبد الملك بن مروان ، فقد كتب اليه يقول : إنَّك عبد طمت بك الأمور ، فغلوت فيها ، حتى عدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، أنسيت حال آبائك في اللؤم والدناءة في المروءة والخلق ، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين، أسكّ الرجلين ، ممسوح الجاعرتين (ابن الأثير ٤/٣٨٦).

وقد عمَّ شؤم الحجاج ، أفراد عائلته من آل أبي عقيل جميعهم ، فإنّهم بعد هلاكه، أمر سليمان بن عبد الملك باعتقالهم وسيّرهم إلى العراق ، حيث حبسهم صالح بن عبد الرحمن بواسط ، وعذّبهم حتى قتلهم (ابن الأثير ٤/٥٨٨ و٥٨٩)، ولما استخلف الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، سيّر الباقين من آل أبي عقيل إلى البلقاء ، وكتب إلى الحارث بن عمر الطائي ، عامله عليها : أما بعد ، فقد بعثت إليك بآل أبي عقيل ، وبئس ـ والله ـ أهل البيت في دين الله ، وهلاك المسلمين ، فأنزلهم بقدر هوانهم على الله تعالى ، وعلى أمير المؤمنين (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٥٨٦).

راجع بقية أخبار الحجاج في الطبري ٦/٢٠٢، ٣٢٠، ٣٨٠ ـ ٣٨٨، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٨، و ٨/٦٩ وابن الأثير ١/٤٨١، ٤/٣٥٩ ، ٤٣٤، ٤٦٢، ٥٠٤، و ٥/٣٧، ٥١، والأغاني ٦/٦٧، ٦٨، ١٤٥، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٤٦، ٨/٧٥، والعقد الفريد ٢/١٧٤، ١٧٥، ٣٢٤، ٣٥٤، و ٣/٤٧٧، ٤/١١٩، و ٤/١١٩، و ٥/٣٧، ٣٨، ٤٦ ـ ٤٨، ٥٥، ٥٧، ٥٩، و العيون والحدائق ٣/١٩ والبيان والتبيين ١/٢١، ٢٢، ١٩٣، ٢/٢٩، ٨٤، وشذرات الذهب ١/١٠٦، ١٠٨، ومروج الذهب ٢/٢٧٤، ٢٩١، ٢٩٥، والامتاع والمؤانسة ٣/١٧٨، ١٨٢ والمحاسن والمساوىء ١/١٠٠، ٢٢٠، والمعارف لابن قتيبة ٥٤٨ والفهرست ٢٠٢ وتاريخ الخلفاء ١٧٩.

وفي السنة ٧٢ قامت معركة في كرمان بين الخوارج أصحاب قطري بن الفجاءة ، يقودهم صاحب بن مخارق ، وبين جند البصرة يقودهم عبد العزيز بن عبدالله ، أخو خالد بن عبدالله أمير البصرة ، ومعه مقاتل بن مسمع من قوّاد البصريين ، فقتل مقاتل وآنفلّ الجيش ، وأنهزم عبد العزيز (ابن الأثير ٤/٣٤٢ و ٣٤٣).

وفي السنة ٧٣ بعث ابن الزبير سليمان بن خالد الأنصاري عاملاً على

خيبر وفدك ، فبعث عبد الملك بن مروان ، عبد الواحد بن الحكم في أربعة آلاف ، فنزلوا وادي القرى ، وسيّر سريّة عليها أبو القمقام في خمسمائة الى سليمان ، فوجدوه قد هرب ، فطلبوه ، فأدركوه ، فقتلوه ومن معه .

وآستعمل ابن الزبير جابر بن الأسود الزهري على المدينة ، فوجّه جابر ، أبا بكر بن أبي قيس في ستمائة وأربعين فارساً إلى خيبر ، فوجدوا أبا القمقام ومن معه بفدك يعسفون الناس ، فقاتلوهم ، فانهزم اصحاب أبي القمقام ، وأسر منهم أسرى ، فقتلوا صبراً .

فوجّه عبد الملك جيشاً بقيادة طارق بن عمرو ، وأمره أن ينزل بين ايلة ووادي القرى ، فوجّه طارق الى أبي بكر جيشاً ، فاقتتل الجيشان ، وقتل أبو بكر ومائتا رجل من أصحابه .

وكان عامل ابن الزبير على البصرة ، قد بعث ألفي رجل إلى المدينة لمعونة ابن الزبير ، فلما قتل أبو بكر ، أمر ابن الزبير جند البصرة ، بأن يسيروا لقتال طارق فقصدوه ، واشتبكوا معه في معركة ، فقتل مقدّم البصريين ، وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً ، وطلب طارق مدبرهم ، وأجهز على جرحاهم ، وقتل الأسرى (ابن الأثير ٤/٣٤٨ و ٣٤٩).

وقتل مع عبد الله بن الزبير ، عبدالله بن مطيع الكعبي القرشي ، وكان من رجال قريش ، ولي الكوفة لابن الزبير ، وكافح في محاربة الحجّاج كفاحاً مجيداً ، وكان يحارب وهو يرتجز :

أنا الذي فررت يوم الحرّة والحرّ لا يفرّ إلا مرّة
واليوم أجزى فرّة بكرّة

ولما قتل ، أرسل الحجاج رأسه مع رأسي ابن الزبير وابن صفوان إلى الشام (ابن الأثير ٤/٣٥٥ والاعلام ٤/٢٨٢).

وقتل مع عبدالله بن الزبير في حصار مكّة ، أخوه المنذر بن الزبير ، وكان على بغلة، فصرع عنها ، فقاتل وهو راجل، وهو يقول : (الاعلام ٨/٢٢٨).

يأبى بنو العوّام الاّ وردا من يقتل اليوم يزوّد حمدا

وقتل مع عبدالله بن الزبير ، عبدالله بن صفوان بن أميّة بن خلف الجحمي ، رئيس مكّة وابن رئيسها ، وهو من الشجعان ، وعمارة بن عمرو بن حزم الأنصاري ، من أشراف التابعين ، وقطع الحجّاج رأسي عبدالله وعمارة ، وبعث بهما مع رأس ابن الزبير إلى عبد الملك بن مروان (ابن الأثير ٤/٣٥٧ والاعلام ٤/٢٢٦ و ٥/١٩٤).

أقول : كان عبدالله بن الزبير أوّل مولود ولد للمهاجرين في المدينة، فلما ولد كبّر المسلمون فرحاً به ، ولما قتل كبّر أهل الشام فرحاً بقتله ، فقال عبدالله بن عمر : انظروا إلى هؤلاء ، يكبّرون فرحاً بقتله ، ولقد كبّر المسلمون فرحاً بولادته .

ولما قتل ابن الزبير ، أراد الحجاج أن ينتقم من أخيه عروة بن الزبير ، وكان عروة ، قد قصد عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى عبد الملك أن ينفذ عروة اليه ، فقال عبد الملك لبعض أحراسه : انطلق بعروة الى الحجاج ، فقال عروة : يا بني مروان ، ليس الذليل من قتلتموه ، ولكنّ الذليل من ملكتموه ، وليس بملوم من صبر فمات ، ولكنّ الملوم من فرّ من الموت ، فخجل عبد الملك ، وامتنع عن إنفاذه ، وكتب إلى الحجّاج : اله عن عروة، فلن أسلّطك عليه (الاخبار الطوال ٣١٤ـ ٣١٦ وابن الأثير ٤/٣٥٦ـ ٣٥٨).

وفي السنة ٧٣ قتل أبو فديك عبدالله بن ثور ، الزعيم الحروري ، هزم عدّة قوّاد ، فأمر عبد الملك بن مروان ، عامله على البصرة عمر بن عبيد

الله بن معمر ، أن يندب اليه الناس ، ويسير إلى قتاله ، فقصده في عشرة آلاف ، فالتقى الجمعان بالبحرين ، واشتبكوا في معركة ضارية ، فقتل أبو فديك واستبيح عسكره ، وحصر أصحابه بالمشقر ، فنزلوا على الحكم ، فقتل منهم نحو ستة آلاف ، وأسر ثمانمائة (ابن الأثير ٤/٣٦٢) .

وكان عبد الملك بن مروان ، قد ولّى على إفريقية حسّان بن النعمان الغسّاني ، لما قتل عامله على إفريقية زهير بن قيس ، في السنة ٦٩ ، فسار حسّان إليها في جيش عظيم لم يدخل إفريقية جيش مثله ، فحصر قرطاجنة وبها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة ، فقتل منهم كثيراً ، وفرّ الباقون في المراكب ، فدخلها حسّان ، فقتل وسبى ونهب ، ثم هدمها ، ثم جمع له الروم والبربر في صطقورة وبنزرت ، فسار إليهم ، وحاربهم ، واصطلمهم ، ثم قصد ملكة البربر بجبل أوراس وكانوا يسمّونها الكاهنة ، اجتمع عليها البربر بعد قتل كسيلة ، فسار اليها ، والتحم الجيشان ، فأسفرت المعركة عن انهزام المسلمين ، وقتل منهم خلق كثير ، وانهزم قائدهم حسّان ، وأسرت الكاهنة جماعة كبيرة من المسلمين فأطلقتهم ، وعاد حسّان إلى برقة ، واستقرّ بها خمس سنين ، وفي السنة ٧٤ سيّر إليه عبد الملك الجنود والأموال ، فسار إلى الكاهنة ، ولما بلغها قدومه ، أحضرت أولادها ، وقالت لهم : إنّي مقتولة ، فأمضوا إلى حسّان ، وخذوا لأنفسكم أماناً ، فساروا إليه ، والتقى جند المسلمين ، وجند الكاهنة ، واشتدّ القتال ، فنصر المسلمون ، وانهزم البربر ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وانهزمت الكاهنة . وأدركت ، فقتلت (ابن الأثير ٤/٣٦٨-٣٧٢) .

وفي السنة ٧٥ ولّى عبد الملك بن مروان ، على السند ، سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلاقيان ، فقتلاه وغلبا على البلاد (ابن الأثير ٤/ ٣٨٠) .

معارك الخوارج

وفي السنة ٧٥ ورد الحجّاج الثقفي البصرة ، وجنّد الناس لحرب الخوارج ، وخطب فيهم ، فقال : إنّ الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم ، زيادة فاسق منافق ، ولست أجيزها ، فقام اليه عبدالله بن الجارود العبدي ، فقال : إنّها زيادة قد أثبتها لنا أمير المؤمنين عبد الملك ، فكذّبه وتوعّده ، فخرج ابن الجارود على الحجّاج وتابعه وجوه الناس ، وحاربوا الحجّاج ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه ، وبعث الحجّاج برؤوسهم إلى المهلّب ، إرهاباً للناس (الطبري ٦/ ٢١٠ و ٢١١)

وفي السنة ٧٥ اصطدم جند العراق ، بالخوارج في رامهرمز ، في معركة عنيفة ، فقتل عبد الرحمن بن مخنف قائد جند الكوفة ، وقتل معه أبو الاحوص صاحب عبد الله بن مسعود، وخزيمة بن نصر العبسي ، أبو نصر الذي قتل مع الإمام زيد بن علي بن الحسين وصلب معه (الطبري ٦/ ٢١١ و ٢١٢).

وفي السنة ٧٦ خرج صالح بن مسرح ، بدارا ، وكان صالح ناسكاً مخبتاً مصفرّ الوجه ، صاحب عبادة وكان له أصحاب يقرؤهم القرآن ويفقّههم ، ثم جمع اصحابه، وقال لهم : هذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد عفا ، ولا تزداد هذه الولاة على الناس إلاّ غلّواً وعتوّاً وتباعداً عن الحقّ ، وجرأة على الرّب ، فاستعدّوا وخرج مع مائة وعشرة ، فبعث إليهم محمد بن مروان صاحب أرمينية جيشاً يشتمل على ألف مقاتل ، فهزموه ، فغضب محمد بن مروان ، وبعث إليهم ثلاثة آلاف بقيادة قائدين فالتحموا مع الخوارج في معركة ضارية ، ولما جنّ الليل انسحب الخوارج قاصدين العراق ، فبعث إليهم الحجّاج جيشاً من ثلاثة آلاف محارب بقيادة الحارث بن عميرة، فلاقاه صالح في تسعين رجلاً ، وكانت معركة غير متكافئة قتل فيها صالح وعشرون من أصحابه فبايع السبعون الباقون شبيباً ، فهجم بهم ليلاً على معسكر

الجند العراقي ، فصرع قائده الحارث ، **فاحتمله اصحابه وفرّوا** ، وغنم شبيب ما في المعسكر العراقي ، وقصد بأصحابه الكوفة ، وفيها الحجّاج ، ثم ارتحل نحو المدائن ، ثم اصعد إلى تكريت ، ثم نزل إلى براز الروز ، وعبر إلى جرجرايا (الطبري ٦/٢٢٤-٢٣٢).

وفي السنة ٧٦ بعث الحجاج عثمان بن سعيد ، الملقب بالجزل ، على أربعة آلاف ، لقتال شبيب الخارجي ، فطاوله عثمان ، فغضب الحجّاج ، وبعث سعيد بن المجالد قائداً بدلاً من الجزل ، فتعجّل القائد الجديد الإصطدام بالخوارج ، ولم يستمع لنصائح الجزل ، فدخل مع الخوارج في معركة كانت عاقبتها أن قتل سعيد، وانكسر الجيش العراقي ، ودار شبيب في العراق ، وصعد إلى أذربيجان ، ثم عاد إلى حربى ، وجاء فدخل الكوفة ، وفيها الحجّاج ، فأغلق الحجاج باب قصره خوفاً من شبيب ، وجاء شبيب فضرب على باب القصر بعمود في يده ، ثم قال يعرّض بالحجاج :

وكأنَّ حافرها بكلّ خميلةٍ   كيل يكيل به شحيح معدم
عبد دعيّ من ثمود أصله   لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

واقتحم شبيب المسجد الأعظم بالكوفة ، فقتل فيه عقيل بن مصعب الوادعي ، وعديّ بن عمرو الثقفي ، وأبو ليث بن أبي سليم ، وأزهر بن عبدالله العامري ، ومرّوا بدار حوشب ، وهو على الشرط ، فنادوه لينزل ، فحذرهم ، وأغلق الباب في وجوههم ، فقتلوا غلامه ، وأخذوا برذونه ، ومرّوا بالجحّاف بن نبيط الشيباني ، فنادوه لينزل فأبى ، وقتلوا ذهل بن الحارث ، وكان زاهداً مصليّاً ، ثم خرجوا من الكوفة ، ومرّوا بالمردمة ، فدخل عاملها الحمّام ، فدخل عليه شبيب ، فأخرجه ، وضرب عنقه ، ثم لاقاه النضر بن القعقاع بن شور ، فقال له شبيب : يا نضر ، لاحكم الا لله ، يزيد أن يلقّنه، ليقول مثل قوله فيسلم ، فلم يفهم النضر ، وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ،

فشدَّ أصحاب شبيب على النضر فقتلوه ، فوجّه إليه الحجّاج زحر بن قيس في ألف وثمانمائة فارس ، فصدمه شبيب ، فصرع زهر ، وهرب أصحابه ، وعاد زحر إلى الحجاج وبوجهه ورأسه بضع عشرة جراحة ، ما بين ضربة وطعنة (الطبري ٦/٢٣٣ـ ٢٤٣).

وفي السنة ٧٦ ولّى عبد الملك بن مروان ، محمد بن موسى بن طلحة ، سجستان ، وبعث به إلى الحجّاج ، ليبعث معه بعثاً يوصله إلى محلّ عمله، فقال الحجّاج : أنت عامل كل بلد مررت به ، وهذا شبيب في طريقك ، فحاربه ، فعدل إليه محمد ، فأرسل إليه شبيب : إنّك امرؤ مخدوع ، قد اتّقى بك الحجّاج ، وأنت جاري ، ولك عليّ حق ، فانطلق لما أمرت به ، ولك الله ، أن لا أوذيك ، فأبى إلَّا محاربته ، فراجعه شبيب مراراً ، وهو يأبى إلَّا محاربته ، وبرز للقتال ، فبرز إليه البطين ، ثم قعنب ، ثم سويد ، من رؤساء الخوارج ، فأبى إلَّا منازلة شبيب ، فبرز إليه شبيب ، وقال له : أنشدك الله في دمك ، فإنَّ لك جواراً ، فأبى إلا قتاله ، فحمل عليه شبيب ، فضربه بعصا من حديد ، فيها أثنا عشر رطلاً بالشامي ، فهشم بيضة كانت على رأسه ، وانهشم رأسه فسقط ـ فكفّنه شبيب ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، وقال لأصحابه : إنّه جارى بالكوفة ، ولي أن أهب ما غنمت لأهل الردّة (الطبري ٦/٢٤٧ و٢٤٨) .

وفي السنة ٧٦ بعث الحجاج جنداً من الكوفة ، ستة آلاف محارب ، عليهم عبد الرحمن بن الأشعث ، لمحاربة شبيب الخارجي ، فطاوله عبد الرحمن ، ولم يدخل معه في معركة حاسمة ، فسعى به عثمان بن قطن ، عامل المدائن ، إلى الحجّاج ، واتّهم عبد الرحمن ، بالإهمال ، فكتب الحجّاج إلى عثمان بتأميره على الجيش وعزل عبد الرحمن ، فقدم عثمان واشتبك مع شبيب وأصحابه في معركة كانت خاتمتها أن قتل عثمان بن قطن ، قائد الجيش ، قتله مصاد أخو شبيب ، وقتل عقيل بن شدّاد قائد الميسرة ،

ومالك بن عبدالله الهمداني ، وخالد بن نهيك الكندي ، والأبرد بن ربيعة الكندي ، وقتل في المعركة من الجند العراقي ما يزيد على ألف ، وقتل معظم العرفاء ، وعاد الجيش مفلولاً إلى الكوفة (الطبري ٦/ ٢٤٩ـ ٢٥٥).

وفي السنة ٧٦ بعث الحجّاج جنداً من الكوفة ، على رأسهم زائدة بن قدامة، لحرب شبيب الخارجي ، فدخل زائدة مع شبيب في معركة شديدة ، فقتل القائد زائدة ، وقتل قائد الميسرة بشر بن غالب في نحو خمسين من أصحابه من أهل الصبر ، منهم عروة بن زهير الأزدي ، واستسلم الجيش ، وبايعوا شبيباً ، فأطلقهم (الطبري ٦/ ٢٤٤ـ ٢٤٦).

وفي السنة ٧٧ استنصر الحجّاج بعبد الملك بن مروان ، فبعث إليه جيشاً من ستّة آلاف مقاتل ، لمحاربة شبيب ، فضمّ إليهم جيشاً من أهل الكوفة يشتمل على خمسين ألف مقاتل ، وجعل على الجميع عتّاب بن ورقاء أميراً ، فتلاقى مع شبيب بالمدائن ، ومع شبيب ألف رجل ، ولكنّه دخل المعركة بستمائة منهم ، إذ تخلّف عنه أربعمائة ، وحمل شبيب بأصحابه ، فهزم ميسرة الجيش الأموي ، وقتل قائدهم قبيصة بن والق ، ثم حمل على قائد الجيش عتّاب بن ورقاء فقتله ، ووطئت الخيل زهرة بن حويّة ، وكان هرماً لا يقدر على القيام ، فأخذ يذبّ بسيفه وهو جالس ، فضربه الفضل بن عامر الشيباني بسيفه، فقتله ، ورآه شبيب قتيلاً ، فقال : هذا زهرة بن حوية ، والله ، لئن قتل اليوم على ضلالة ، لربّ يوم من أيّام المسلمين حسن فيه بلاؤه ، وعظم فيه غناؤه ، ولربّ خيل للمشركين هزمها ، وسرية لهم ذعرها ، وقتل في المعركة عمّار بن يزيد الكلبي ، وأبو خيثمة بن عبدالله ، وانفلّ العسكر الأموي ، فأحضرهم شبيب ، فبايعوه ، وأطلقهم ، وحوى شبيب ما في المعسكر ، ثم قصد الكوفة ، فوجّه الحجاج إليه الحارث بن معاوية الثقفي في ناس من الشرط ، فخرج في نحو ألف رجل ، فصدمه شبيب فقتله ، وعاد أصحابه منهزمين إلى الكوفة ، فأخذ أهل الكوفة بأطراف

السكك ، وجاء شبيب فاستقرّ بأقصى السبخة ، فأخرج الحجّاج مولى له اسمه أبو الورد عليه تجفاف ، وقالوا : هذا الحجّاج ، فحمل عليه شبيب فقتله ، ثم أخرج له الحجّاج غلامه طهمان في مثل عدّة أبي الورد ، وعلى هيأته ، فحمل عليه شبيب فقتله ، فخرج اليه الحجّاج في جميع عسكره ، وشاغل شبيب في الحرب ، ثم بعث خالد بن عتّاب الى معسكر شبيب ، فقتل مصاداً أخا شبيب، وقتل غزالة امرأة شبيب ، وأحرق معسكره، فكرّ شبيب راجعاً وفكّ حصاره عن الكوفة (الطبري ٦/٢٥٧- ٢٧١).

أقول : لما حمل شبيب على طهمان ، حاسباً أنّه الحجّاج ، وضربه ، قال لما سقط : آخ (بالخاء) فقال شبيب : قاتل الله ابن أمّ الحجاج ، اتّقى الموت بالعبيد ، ذلك إنَّ العرب تقول عند التأوّه (آح) بالحاء المهملة (شرح نهج البلاغة ٤/ ٢٧٠).

وفي السنة ٧٧ بعث الحجاج جنداً من الكوفة ثلاثة آلاف بقيادة سفيان بن الأبرد ، وجنداً من البصرة أربعة آلاف بقيادة زياد بن عمرو العتكي ، لمحاربة شبيب ، فاجتمعوا بجسر دجيل ، واشتبكوا وشبيب في معركة ضارية ، وتتاركوا لحلول الظلام ، وجاء شبيب ليعبر الجسر ، فنزل حافر فرسه على حرف سفينة الجسر ، فسقط في الماء ، فأرتمس، ثم ارتفع وهو يقول : ذلك تقدير العزيز العليم ، واحتواه الماء فغرق ، وانفلّ أصحابه (الطبري ٦/ ٢٧٩- ٢٨٢).

وفي السنة ٧٧ أعلن مطرّف بن المغيرة بن شعبة ، وكان عاملاً على المدائن ، خلع عبد الملك بن مروان والحجّاج ، وبايعه على ذلك قوم ، وخرج يريد حلوان ، ثم عبرها ونزل قم وقاشان وإصبهان ، فبعث اليه الحجّاج جنداً ستّة آلاف ، فاشتبكوا وأصحاب مطرّف في معركة عنيفة ، وقاتل مطرّف حتى قتل ، وقتل معه جماعة من أصحابه ، من الزهّاد الأخيار (الطبري ٦/ ٢٨٤- ٢٩٩).

وفي السنة ٧٧ قتل أمير الخوارج قطري بن الفجاءة ، وأحد كبارهم عبيدة بن هلال ، وأمير من امرائهم عبد ربه الكبير ، ومعهم كثير من أصحابهم ، وذلك إنَّ الخوارج اختلفوا على قطري ، فانخزل عنه منهم جماعة بايعوا عبد ربه الكبير ، فقصد قطري وأصحابه طبرستان ، فبلغ الحجّاج ذلك ، فجرّد عليه جيشاً عظيماً من أهل الشام ، وجعل قائدهم سفيان بن الأبرد ، وكتب الى جيش الكوفة بطبرستان ، أن ينضمّ إلى جيش سفيان ، فتقابلوا في شعب من شعاب طبرستان ، واقتتلوا ، فسقط قطري عن فرسه ، وقد هوى في الشعب ، فرموه بالحجارة ، واندفع اليه نفر من أهل الكوفة ، فقتلوه ، أما عبد ربه وأصحابه، فأقام بكرمان ، فحاربه المهلّب ، فقتل عبد ربه ، وقتل أكثر أصحابه ، ولم ينج منهم إلاّ القليل ، وبقتل قطري وعبيدة بن هلال، ضعف أمر الخوارج ، وكان أمرهم قد اتصل بضعاً وعشرين سنة ، وأوّل رؤسائهم نافع بن الأزرق ، وآخرهم قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال (الطبري ٦/٣٠٨- ٣١١) وابن الأثير ٤/٤٣٧- ٤٤٣).

أقول : كان عبيدة بن هلال من متألّهي الخوارج ، وشعرائهم ، وخطبائهم ، راجع في هذا الكتاب رأيه في الفرزدق وجرير في الباب الأول : الشتيمة ، الفصل الأول : الشتيمة مع ذكر اسم الله ، في بحث : لعنه الله .

معركة دير الجماجم ومسكن

وفي السنة ٧٩ غزا عبيدالله بن أبي بكرة عامل سجستان ، رتبيل ملك الترك ، فانسحب رتبيل أمام جيش المسلمين ، حتى إذا أوغلوا في بلاده ، أطبق عليهم من كلّ جانب ، وأخذ الترك عليهم الدروب ، فصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف درهم ، يؤدّيها إلى رتبيل على أن يمكّن جيش المسلمين من الخروج من أرضه ، فقال له شريح بن هانىء ، وهو من أصحاب الإمام علي إنّي بلغت من العمر طويلاً، وقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ، وإن

فاتتني اليوم فلن أدركها حتى أموت ، ثم صاح : يا أهل الإسلام ، تعاونوا على عدوّكم ، من أراد الشهادة فإليَّ ، فأجابه قليل من المتطوّعة ، وسار معه أهل الحفاظ وفرسان الناس ، فقاتلوا ، فقتل هانىء ، وقتل جماعة من أصحابه ، ونجا الباقون فخرجوا إلى دار الإسلام (ابن الأثير ٤/ ٤٥٠ و ٤٥١).

ولما بلغ الحجّاج ذلك ، بعث في السنة ٨٠ جيشاً من أربعين ألف مقاتل ، عشرين ألفاً من البصرة ، ومثلهم من الكوفة ، وأمّر عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقصد بهم سجستان ، فانضم اليه جيش سجستان ، وحارب رتبيل ، وفي السنة ٨١ ألحّ عليه الحجّاج في مناجزة رتبيل ، فإن لم يناجزه فهو معزول ، فأعلن عبد الرحمن خروجه على الحجّاج، وصالح رتبيل على أنَّ ابن الأشعث إذا ظهر فلا خراج على رتبيل أبداً ما بقي ، وإن هزم فأراد ، الجاه عنده ، وأقبل عبد الرحمن يسير بالناس عائداً لحرب الحجّاج ، وجاء حتى نزل البصرة ، وجاءه الحجّاج بجند من الشام ، فاشتبك الجيشان في معركة ضارية، قتل فيها كثير من أصحاب ابن الأشعث ، من القراء والزهّاد ، وانفلّ جيش عبد الرحمن ابن الأشعث ، فقصد الكوفة ودخلها ، وطرد منها جند الشام ، وانضاف اليه مع أهل الكوفة ، أهل البصرة ، وقصده الحجاج من البصرة ، فخرج إليه ، والتقى الجيشان في دير الجماجم ، ومع ابن الأشعث أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل الثغور والمسالح ، والقرّاء من المصرين ، اجتمعوا جميعاً على قتال الحجاج ، وعدد من يأخذ العطاء منهم مائة ألف مقاتل ، ومعهم مثلهم من مواليهم ، فبعث اليهم عبد الملك بن مروان أخاه محمداً ، وابنه عبدالله ، فعرض على ابن الأشعث أن يعزل عنهم الحجّاج ، ولابن الأشعث أيّ بلدٍ من العراق (أي البصرة أو الكوفة) يكون عليه والياً ما دام حيّاً وعبد الملك والياً ، ومال عبد الرحمن بن الأشعث إلى القبول ، ولكنّ جند العراق ، أبوا

ذلك ، وقالوا بخلع عبد الملك بن مروان مع الحجّاج ، والتحم الجيشان في السنة ٨٣ في معركة دير الجماجم ، فقتل رأس كتيبة القرّاء جبلة بن زحر ، وكان من النسّاك الزهّاد ، شجره الشاميون بالرماح ، فأذروه عن فرسه ، فوقع قتيلاً ، وجزع عليه أصحابه من القرّاء مع ابن الأشعث ، ولما انتهت معركة دير الجماجم بانتصار الحجّاج ، فتك في جيش ابن الأشعث فتكاً ذريعاً ، وجلس يبايع الباقين من أصحاب ابن الأشعث ، وكان لا يبايعه أحد الاّ سأله : أتشهد أنّك كفرت بخروجك عليّ ؟ فإن أقرّ بالكفر بايعه ، وإلاّ قتله ، وقتل منهم أحد عشر ألفاً غدراً ، خدعهم بالأمان ، حتى إذا اجتمعوا إليه ، أمرهم بوضع أسلحتهم ، ثم قتلهم بأجمعهم (الطبري ٦/٣٢٢ ـ ٣٥٩) وقد أثبتنا هذا الخبر في القسم الثالث (القتل غدراً) من الفصل الأوّل (القتل بالسيف) من الباب الحادي عشر (القتل) فراجعه هناك .

ومن بعد معركة دير الجماجم ، وقعت معركة مسكن ، بين جند الحجاج ، وجند ابن الأشعث ، فقتل زياد بن غنيم القيني من أصحاب الحجاج ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث ، أبو البختري الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ومشى بسطام بن مصقلة الشيباني ، في أربعة آلاف من أهل الحفاظ ، من أصحاب ابن الأشعث ، فكسروا جفون السيوف ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل قسم عظيم منهم ، وأخذ منهم بكير بن ربيعة ، فقتله الحجّاج (الطبري ٦/٣٦٦ و ٣٦٧) .

وفي السنة ٨٥ قتل توبة بن الحمير العقيلي العامري، صاحب ليلى الأخيلية، قتل في إحدى غزواته ، قتله بنو عوف بن عقيل (الاعلام ٢/٧٣ و ٧٤) .

وفي السنة ٨٥ قتل موسى بن عبدالله بن خازم ، وكان من رجالات العرب ، قاتل مع أبيه ، ثم خرج يسير في بلاد خراسان ، فاستولى على ترمذ ، وحصره العرب والترك ، فلم يقدروا عليه ، وأقام في حصنه خمس

عشرة سنة ، وصار ما وراء النهر لموسى لا يعازّه فيه أحد، وفي السنة ٨٥ بعث المفضّل بن المهلّب عامل خراسان، عثمان بن مسعود ، وأمره بمحاربة موسى ، فخرج في جيش ، واستعان بالترك وطرخون ، فحصروا موسى مدّة طويلة ، وخرج إليهم مرّة يقاتلهم ، فعثر فرسه فسقط، ثم عاد فوثب على فرسه ، فصاح عثمان : وثبة موسى وربّ الكعبة ، وعادت فرس موسى فعثرت، فسقط عنها ، فانطووا عليه ، فقتلوه ، فجاء رجل من الجند ، فضرب ساق موسى ، فلما ولي قتيبة ، أخبر بذلك، فأحضره ، وقال له : ما حملك على ما صنعت بفتى العرب بعد موته ؟ قال : كان قتل أخي ، فأمر به قتيبة ، فقتل بين يديه (الطبري ٦/٤٠٩-٤١٢).

وفي السنة ٨٧ غزا قتيبة بيكند ، وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر ، فلما نزل بهم استنصروا الصغد ، واستمدّوا من حولهم ، فأتوهم في جمع كثير ، وأخذوا الطرق على قتيبة ، فانقطعت الأخبار عنه شهرين ، وهم يقتتلون في كل يوم ، وكان لقتيبة عين من العجم اسمه تندر ، أعطاه أهل بخارى مالاً ليردّ عنهم قتيبة ، فأتاه فقال له سرّاً : إنَّ الحجّاج قد عزل ، وقد أتى عامل الى خراسان ، فلو رجعت بالناس ، فأمر به فقتل ، خوفاً من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ، ثم أمر أصحابه ، بالجدّ في القتال ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزم الكفّار ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وتحصّنوا في المدينة ، وسألوه الصلح ، فصالحهم ، واستعمل عليهم عاملاً ، وارتحل يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه ، فرجع قتيبة وحصرهم ، فسألوه الصلح فأبى ودخل المدينة عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة (ابن الأثير ٤/٥٢٨ و ٥٢٩).

وفي السنة ٨٩ قتل داهر ملك السند ، قتله محمد بن القاسم الثقفي في معركة فاصلة ، وكان محمد قد استعمله الحجّاج على السند ، وسيّره مع ستّة آلاف مقاتل مجهّزين بجميع ما يحتاجون إليه ، فقصد السند عن طريق

مكران ، وفتح في طريقه قزبور ، وارمائيل ، والديبل ، والبيرون ، وسربيدس ، وسهبان ، وسدوستان ، ثم التقى وداهر ، وكان داهر على فيل وحوله الفيلة ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ، فقتل داهر ، وانهزم جيشه ، وقال الذي قتل داهر :

الخيل تشهد يوم داهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد
أنّي فرجت الجمع غير مصرّد حتى علوت عظيمهم بمهنّد
فتركته تحت العجاج مجدّلاً متعفّر الخدين غير موسّد

ثم أتمّ محمد فتح السند (ابن الأثير ٤/٥٣٦- ٥٣٩).

وفي السنة ٩٠ فتح قتيبة بن مسلم بخارى ، ولما حصرها بجيشه ، استجاش صاحبها وردان خداه ، الصغد والترك ، فأتوه ، وقاتلوا اشدّ قتال ، ثم صالحوه فعاد عنهم ، فغدر نيزك ونقض العهد بينه وبين قتيبة ، فقصده قتيبة ، وحصره ، ثم بعث اليه من خدعه حتى أحضره بغير أمان ، فقتله بيده ، وأمر بقتل ابن أخيه ، وصول طرخان ، وقتل من أصحابه سبعمائة (ابن الأثير ٤/٥٤٢- ٥٥٢).

وفي السنة ٩١ غزا قتيبة شومان وكش ونسف ، وكان ملك شومان طرد عامل قتيبة من عنده ، فبعث اليه قتيبة رسولين احدهما عربي اسمه عيّاش ، والآخر من أهل خراسان ، يدعوان ملك شومان الى الإلتزام بالعهد الذي قطعه على نفسه مع قتيبة ، فخرج أهل شومان إليهما ، فرموهما ، فانصرف الخراساني ، وقاتلهم عيّاش ، فقتلوه ، ووجدوا به ستين جراحة ، فسار إليهم قتيبة ، وحصر حصنهم ، فلما أيس ملك شومان من الخلاص ، جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ، ورمى به في بئر بالقلعة ، لا يدرك قعرها ، ثم خرج إليهم فقاتل حتى قتل ، ثم فتح كش ونسف وفارياب ، وقصد الصغد فصالحه ملكها طرخون ودفع إليه رهناً ، وعاد قتيبة (ابن الأثير ٤/٥٥٣ و ٥٥٤).

وفي السنة ٩٢ غزا طارق بن زياد الأندلس في اثني عشر ألفاً ، وقتل ملكها لذريق في معركة فاصلة ، وبعث فصائل من جيشه ، ففتح قرطبة وغرناطة وما لقه وتدمير ، وقصد طليطلة فاستولى عليها .

وفي السنة ٩٣ دخل موسى بن نصير ، أمير إفريقية والمغرب ، الأندلس ، وسار من طريق غير الطريق الذي سلكه مولاه طارق ، ففتح عدّة مدن ، منها قرمونة ، وإشبيلية ، ومـاردة ، وباجة ، وسرقسطة ، ووصل إلى جيليقية ، واستخلف على الأندلس ولده عبد العزيز ، وعاد فعبر البحر إلى سبتة (ابن الاثير ٤/٥٥٦ ـ ٥٦٧) .

وفي السنة ٩٣ غزا قتيبة خوارزم ، بطلب من ملكها خوارزم شاه ، وكان أخوه خرزاد قد غلبه على السلطة ، وكثر تعدّية على الناس ، فكتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوه لفتح خوارزم ، على أن يسلم إليه أخاه ، وأن يعينه على خصمه ملك خام جرد ،فغزا قتيبة خوارزم وصالحه ملكها على فدية ، وأسلم إليه أخاه وأصحاب أخيه فقتلهم ، ثم غزا قتيبة خام جرد ، ففتحها ، وقتل ملكها ، ثم سار إلى سمرقند ، فاستجاش له الصغد جميع جيرانهم ، فاجتمع عليه ملك الشاش ، وخاقان ، وأخشيد فرغانة ، فحصرهم قتيبة ، وقتل منهم جماعة ، فصالحوه ، واشترط عليهم أن يدخل سمرقند فيصلّي ويتغدّى ويخرج ، فلما دخل ، قال لهم : لست خارجاً منها ، واستقرّ فيها ، فقال الناس : غدر قتيبة بأهالي سمرقند (ابن الاثير ٤/٥٧١ ـ ٥٧٣) .

أقول : لما استخلف الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، تظلّم إليه أهالي سمرقند ، وشكوا اليه أنّ قتيبة غدر بهم ، إذ دخل سمرقند على أن يخرج منها ، فمكث فيها وأخرجهم من أرضهم ، فأحالهم عمر الى القاضي ، فأقاموا لديه البيّنة على مدّعاهم ، فأصدر القاضي حكمه ، بأن يخرج الجيش من سمرقند ، وأن يعادوا إلى حالتهم الأولى التي كانوا عليها قبل غدر قتيبة ،

ثم تجري المراجعة بينهم ، فإما حرب وإما صلح ، فاقرّ السمرقنديون الصلح (الطبري ٦/٥٦٨) .

وفي السنة ٩٥ خلع الحارث بن سريج بخراسان ، ولبس السواد ، ودعا إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، فخرج إليه نصر بن سيار في عشرة آلاف ، والحارث في أربعة آلاف ، فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنّة ، فقال له قطن بن عبد الرحمن الباهلي : يا حارث ، أنت تدعو إلى الكتاب والسنّة ، والله ، لو أنّ جبرائيل عن يمينك ، وميكائيل عن يسارك ، ما أجبتك ، فقاتلهم ، فأصابت قطن رمية في عينه ، فكان أوّل قتيل (الطبري ٧/٩٥ و٩٧) .

وفي السنة ٩٦ فتح قتيبة كاشغر ، وأوغل حتى بلغ قريب الصين ، وكان يبعث طلائعه من فرسان الناس ، ومعهم من العجم من يستنصحه ، وإذا بعث طليعة بعث معه بنصف لوح منقوش ، وأبقى النصف الثاني عنده ، ويأمر الطليعة بأن يدفن النصف في موضوع يعينه له ، ثم يبعث بعد سفر الطليعة من يستخرجه من المحلّ الذي دفن فيه ، ليعلم أصدقت الطليعة أم لا (ابن الاثير ٥/٥ ـ ٨) .

وفي السنة ٩٦ قتل قتيبة بن مسلم ، أمير خراسان ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من أهل بيته ، من بني مسلم ، منهم سبعة من صلب مسلم ، وأربعة من بني أبنائهم ، قتلوا في معركة غير متكافئة ، بين قتيبة وأهل بيته في جهة ، وبين الجند بقيادة وكيع بن أبي سود في الجهة الأخرى ، وسبب ذلك : ان الوليد بن عبد الملك كان قد رغب في تنحيه أخيه سليمان بن عبد الملك عن ولاية العهد ، ومبايعة ولده عبد العزيز ، ومالأه على ذلك كبار عمّاله ، ومنهم الحجّاج وقتيبة بن مسلم ، فلما مات الوليد ، واستخلف سليمان ، أدرك قتيبة إنّه سوف يلاقي من سليمان يوماً عصيباً ، فآثران يتغذّى بسليمان قبل أن يتعشّى به ، فأعلن خلع سليمان ، فلم يؤيده الجند ، وحاربوه ، وقتلوه وجماعة من اهل بيته ، راجع القصّة مفصّلة في هذا الكتاب ، في الباب الأوّل :

الشتيمة ، الفصل الرابع ، القسم الثاني « مجموعة ألفاظ في الشتمية » .

وفي السنة ٩٨ كان عبد الله بن معمر اليشكري ، يلي قهستان ليزيد بن المهلّب أمير خراسان ، فثار عليه أهلها ، وحاربوه ، فقتلوه ، وقتلوا معه جنده ، وكانوا أربعة آلاف (الاعلام ٢٨٣/٤) ، فغزا يزيد بن المهلّب جرجان وطبرستان ، وفي احدى المعارك خرج محمد بن أبي سبرة الجعفي فبارز تركيّاً قد صدّ الناس عنه ، فاختلفا ضربتين ، فثبت سيف التركي في بيضة ابن سيرة ، وضربه ابن أبي سبرة ، فقتله ، ثم أقبل وسيفه في يده يقطر دماً ، وسيف التركي في بيضته ، فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه من فارس ، ونظر يزيد إلى ائتلاف السيفين والبيضة والسلاح ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : ابن أبي سبرة (الطبري ٣٣/٦ هـ) ، ثم إنّ يزيد بن المهلب صالح صاحب طبرستان وقصد صولاً التركي ، صاحب جرجان ، فصدمه صدمة عنيفة ، فصالحه عن نفسه وماله وثلثمائة من أهله وخاصّته ، فأجابه يزيد ، وخرج صول بماله وبثلثمائة ممن أحبّ ، فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً ، وأطلق الباقين ، وأعطى يزيد الجند أرزاقهم من الغنائم التي غنمها ، وأصاب يزيد بها تاجاً فيه جوهر ، فقال : أترون أنّ أحداً يزهد في هذا ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الأزدي ، فقال له : خذ هذا التاج ، قال : لا حاجة لي به ، فقال له : عزمتُ عليك ، فأخذه وخرج ، فلقي سائلاً ، فدفعه إليه ، فأحضر يزيد السائل ، واستعاد منه التاج ، وعوّضه عنه مالاً كثيراً (ابن الأثير ٢٩/٥ ـ ٣٦) .

وفي السنة ١٠١ خرج شوذب ، واسمه بسطام من بني يشكر ، في ثمانين رجلاً ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الكوفة ، أن لا يحرّكهم إلاّ إذا سفكوا دماً أو أفسدوا في الأرض ، وكتب عمر إلى شوذب ، طلب فيه منه أن يبعث إليه من يناظره ، فبعث إليه شوذب اثنين من أصحابه ، أحدهما حبشي اسمه عاصم ، والآخر من بني يشكر ، فقدما على

عمر بخناصرة ، وجرت بينهم محاورة ، دلّت على مقدار ما كان يتحلّى به عمر من فضل ومعرفة وعدل ، راجعها مفصّلة في ابن الاثير ٤٩/٥ و ٥٠ ، فقال له أحدهما وهو عاصم : أشهد أنّك على حقّ ، وأقام عنده ، أمّا اليشكري فقال له : ما أحْسَنَ ما ذكرتَ ، ولكنّي أعود إلى أصحابي فأعرض عليهم ما قلت وأعلم حجّتهم ، وذهب ، فتوفيّ عمر بعد ذلك بأيّام (ابن الاثير ٤٥/٥ - ٤٨) فلما توفيّ عمر ، أمر عامل الكوفة أحد قوّاده أن يهاجم شوذباً ، فتأهّب لمهاجمته ، فقال الخوارج : قد مات الرجل الصالح ، فاقتتلوا ، فانتصر شوذب ، وفرّ جيش الكوفة، وجرح قائدهم محمد بن جرير في آسته ، ثم وجّه يزيد بن عبد الملك إلى شوذب ، تميم بن الحباب في ألفين ، فقتلوه وقتلوا أصحابه ، فأرسل إليهم يزيد نجدة بن الحكم الأزدي في جيش ، فقتلوه وقتلوا أصحابه ، ثم وجّه إليهم الشحّاج بن وداع في ألفين ، فقتلوه وهزموا أصحابه ، (ابن الاثير ٦٨/٥ - ٧٠) فلما قدم مسلمة الكوفة لمحاربة يزيد بن المهلّب الذي خرج بالبصرة ، شكا إليه أهل الكوفة مكان شوذب ، وخوفهم منه ، وما قتل منهم ، فبعث إليه سعيداً الحرشي في عشرة آلاف ، فرأى شوذب ما لا طاقة له به ، فقال لاصحابه : من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، ومن كان يريد الدنيا فقد ذهبت الدنيا ، وإنّما البقاء في الدار الآخرة ، وكسروا أغماد سيوفهم ، وحملوا ، فكشفوا سعيد الحرشي وأصحابه مراراً ، حتى خاف سعيد الفضيحة ، وذمر أصحابه ثم هجم بهم ، فطحنهم طحناً ، وقتلوا جميعاً (الطبري ٥٧٥/٦ - ٥٧٨) .

وفي السنة ١٠٢ أقبل كورصول ، عظيم الترك ، وحصرَ قصر الباهلي ، فصالح أهل القصر الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ، ولما بلغ المسلمين ذلك ، ندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب له المسيّب بن بشر الرياحي ، ومعه أربعة آلاف ، وكان كلّما تقدم نحو القصر ، انصرف عنه بعض من معه ، حتى انصرف عنه ألف وثلثمائة ، وسار

بالباقين فرسخاً، فانصرف عنه ألف آخر ، ثم سار فرسخاً آخر ، فانصرف عنه ألف ، حتى إذا كان على فرسخين من القوم ، أخبروه بأنّ الترك قد قتلوا الرهائن الذين كانوا في أيديهم من المسلمين ، فوصلوا إلى القصر وكان من فيه قد أزمعوا على قتل النساء والأطفال ، ثم يخرجون مستقتلين حتى يموتون ، فأمرهم المسيّب بالصبر ، ثم جمع أصحابه وكانوا سبعمائة ، وأثار حماستهم ، وذمرهم ، فثاروا في السحر ، وهاجموا الترك ، وأبلى رجال من المسلمين ترّجلوا وقاتلوا منهم البختري أبو عبد الله المرائي ، قاتل حتى قطعت يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذبّ بيديه حتى استشهد ومنهم محمد بن قيس الغنوي ، وزياد الأصبهاني ، ومعاوية بن الحجّاج ، وثابت قطنة ، ضرب عظيماً من عظمائهم فقتله ، ونادى منادي المسيّب لما انهزم الترك : لا تتبعوهم ، وآقصدوا القصر فآحملوا من لا يقدر على المشي ممن فيه ، وقال لهم : من حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً فأجره على الله ، ومن أراد الأجر ، فله أربعون درهماً ، وإن كان في القصر أحد من أهل عهدكم (أي ذمّي) فآحملوه ، وانتهى رجل من فقيم إلى امرأة ، فقالت له : أغثني أغاثك الله ، فوقف وقال لها : دونك وعجز الفرس ، فوثبت فإذا هي على عجز الفرس ، فإذا هي أفرس من رجل ، وتأخّر عنهم هلال الحريري ، فحملوه وبه بضع وثلاثون جراحة ، فبرأ ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد ، وعوّر في تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجّاج الطائي ، وشلّت يده ، وقد كان ولي لسعيد ولاية ، فبقي عليه شيء ، فدفعه سعيد إلى شدّاد بن خليد الباهلي ليحاسبه ويستأديه ، فضيّق عليه شدّاد ، فقال : يا معشر قيس ، سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش، حديد البصر، فعوّرت ، وشلّت يدي ، وقاتلت مع من قاتل حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا على القتل والاسر والسبي، وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع، فكفّوه عنّي، فخلاّه (الطبري ٦/٦٠٧ ـ ٦١٢) .

معركة العقر

وفي السنة ١٠٢ قتل يزيد بن المهلّب ، واصحابه في معركة العقر ، وذلك إنّ يزيد بن المهلّب ، كان قد ولي خراسان لسليمان بن عبد الملك ، ففتح جرجان ، وكتب إلى سليمان بخبر الفتح ، وذكر أنّه قد حصل عنده من الخمس ستمائة ألف ألف ، فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرّة : لا تكتب بتسمية مال ، فإنّك من ذلك بين أمرين ، إمّا طالبك بحمله إليه ، وإمّا أعطاكه ، فلا تجيئه من بعد ذلك هديّه منك إلّا استقلّها ، ويبقى ذكر المال مخلّداً في دواوينهم ، فإن ولي وال بعده أخذك به ، فلم يقبل يزيد، وأمره بإمضاء الكتاب ، فلما توفّي سليمان ، وخلفه عمر بن عبد العزيز ، أرسل إلى يزيد فأحضره ، وطالبه بالمال الذي أقرّ به في كتابه إلى سليمان ، فقال له يزيد : كنتُ من سليمان بالمكان الذي رأيت ، وإنّما كتبت إلى سليمان لأسمع به الناس ، وقد علمت أنّ سليمان لم يكن ليأخذني به ، فقال له عمر : لا أجد في أمرك إلّا حبسك ، فاتّق الله وأدّ ما قبلك ، فإنّها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها ، وحبسه حتى يؤدّي ، فلم يزل محبوساً ، حتى اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز ، فخاف يزيد أن يقتله يزيد بن عبد الملك إذا ولي الخلافة، ففرّ من سجن عمر ، وكان سبب خوفه من يزيد ، أنّ سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة ، طلب جميع رهط الحجاج ، من آل أبي عقيل ، وسلّمهم إلى يزيد بن المهلّب ، وكان أمير العراق ، ليستخلص منهم أموالهم ، فعذّبهم ، وأمر بأموال الحجّاج وعياله ، وكانوا بالبلقاء من أعمال دمشق ، فنقل الخزائن والعيال إليه ، وكان فيمن أتي به أخت لأمّ الحَجاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وهي بنت أخي الحَجاج محمد بن يوسف الثقفي ، فعذّبها يزيد فيمن عذّب ، فجاء يزيد بن عبد الملك ، إلى يزيد بن المهلّب ، فشفع فيها ، فلم يشفعه ، فقال له : الذي قرّرتم عليها أنا أحمله ، فأبى يزيد ، فقال لابن المهلّب : والله ، لين وليت من الأمر شيئاً لأقطعنّ منك

عضواً ، فقال له يزيد : وأنا ـ والله ـ لئن كان ذلك لأرمينّك بمائة ألف سيف ، فحمل يزيد بن عبد الملك ، ما كان عليها ومقداره مائة ألف دينار ، فأداه ، وحقدها على يزيد ، فلما اشتدّ مرض عمر ، فرّ يزيد من السجن وكتب إلى عمر كتاباً يقول فيه ، إنّي ـ والله ـ لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ، ولكنّي خفت أن يلي يزيد فيقتلني شرّ قتلة ، فلما ولي يزيد أمر باعتقال جميع آل المهلّب فحبسهم أمير البصرة ، وفيهم المفضّل وحبيب ومروان بنو المهلّب ، ولما وصل يزيد إلى البصرة ، اختلف الناس إليه ، فجمع جمعاً واستولى على البصرة ، وواسط ، فجهّز إليه يزيد بن عبد الملك جيشاً من سبعين ألف مقاتل بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك وإبن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فسار يزيد عن واسط حتى نزل العقر ، وقد أحصى ديوانه مائة وعشرين ألفاً ، والتحم العسكران في معركة طاحنة ، فقتل يزيد بن المهلّب وقتل قبله أخوته حبيب ، ومحمد ، والسميدع ، وانهزم الناس، وكان معاوية بن يزيد بن المهلّب بواسط ، ولديه أسرى محبّسين ، فلما بلغه خبر قتل أبيه ، أخرجهم من الحبس ، اثنين وثلاثين أسيراً ، فضرب أعناقهم ، منهم عديّ بن أرطاة أمير البصرة ، ومحمد ولده ، ومالك وعبد الله ابنا مسمع وآخرون ، ولما قتل يزيد ، اجتمع آل المهلّب بالبصرة ، وأعدوا لهم السفن البحرية ، وحملوا فيها عيالاتهم وأموالهم ، ولجّجوا في البحر ، حتى إذا كانوا بحيال كرمان ، نزلوا من السفن ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب ، فبعث مسلمة بن عبد الملك جيشاً في طلبهم ، فأدركهم في عقبة كرمان ، فقاتلوه ، فقتل المفضل بن المهلّب ، والنعمان بن ابراهيم بن الاشتر ، ورث كره بني أمّيه عن أبيه ابراهيم وجده مالك الاشتر ، ومحمد بن اسحاق بن محمد بن الأشعث ، وجرح أخوه عثمان جراحة شديدة ، وهرب إلى حلوان ، ودلّ عليه فقتل ، ومضى الباقون من آل المهلّب حتى بلغوا قندابيل ، فلحق بهم جند بعث بهم مسلمة فاشتبكوا معهم في معركة ضارية فقتلوا عن آخرهم ، وحملت رؤوسهم ، وفي أذن كلّ واحد منهم رقعة فيها اسمه ،

ولحق أبو عيينة بن المهلّب وعمر بن يزيد بن المهلّب وعثمان بن المفضّل بن المهلّب بخاقان ورتبيل ، وحمل تسعة أحداث من أولاد بني المهلّب إلى يزيد بن عبد الملك ، فضرب أعناقهم ، وهو تصرّف بادي الخزاية ولكنه غير مستغرب من يزيد ، ولما أحضر هؤلاء الأحداث في مجلسه ، كان عنده كثير عزة ، فأنشده أبياتاً سلّ فيها سخيمته ، قال :

حليم إذا ما نال عاقب مجملاً ... أشدّ العقاب أو عفا لم يثرّب
فعفواً أمير المؤمنين وحسبة ... فما تأته من صالحٍ لك يكتب
أساءوا فإن تصفح فإنّك قادر ... وأفضل حلم حسبة حلمُ مغضب

فأبي يزيد أن يعفو عنهم ، وأمر بهم فضربت أعناقهم في مجلسه ، وبقي غلام صغير ، فقال : اقتلوني معهم ، فما أنا بصغير ، فقال : انظروا اهل أنبت ؟ فقال : أنا أعلم بنفسي ، فقد آحتلمت ،فأمر به يزيد فقتل (الطبري ٦/٥٧٨ ـ ٦٠٢ وابن الاثير ٥/٣٤ ـ ٨٩) .

وتصرف مسلمة بن عبد الملك ، تصرفاً مخزياً كذلك ، فإنه سبى نساء آل المهلّب ، وأصرّ على أن يبيعهم بيع الرقيق ، فاشتراهم الجراح بن عبد الله الحكمي بمائة ألف درهم وأطلقهم ، ولم يأخذ مسلمة منه شيئاً .

قال كثير عزّة : ضحى بنو أميّة بالدين يوم ألطفّ ، وبالكرم يوم العقر .

وفي السنة ١٠٢ قتل في معركة مع الإفرنج بالأندلس ، الأمير السمح بن مالك الخولاني ، في وقعة البلاط ، وكانت قرطبة عاصمة إمارته وهو الذي بنى قنطرتها (الاعلام ٣/٢٠٣) .

وفي السنة ١٠٤ غزا الحرشي الصغد ، فحصرهم في خجندة ، وجرت على بابها معركة ضارية ، فانكسر الصغد ، وطلبوا الصلح ، فصالحهم على أن لا يحدثوا حدثاً ، فان أحدثوا حلّت دماؤهم ، ثم بلغ الحرشي أنّ امرأة مسلمة قتلت ، فأحضر قاتلها فقتله ، فقتل الصغد مائة وخمسين رجلاً من

المسلمين كانوا عندهم أسرى ، فانتقض الصلح ، وقاتل الصغد بالخشب ، فقتل منهم ثلاثة آلاف ، ثم توجّه إلى حصن تحصّن به ديوشتي ، دهقان سمرقند ، فنزل ديوشتي على حكم الحرشي ، فأكرمه ، وصالح أصحاب القلعة على أن لا تسبى نساؤهم ويسلموا القلعة ، ثم وافي كتاب ابن هبيرة باطلاق ديوشتي ، فقتله الحرشي وصلبه (بعد الأمان الذي أعطاه) ، ثم نزل على كش ، فصالحه ملكها سبكرى ، ونزل بالأمان ، فغدر به وقتله وصلب جثته ومعه الأمان (ابن الأثير ٥/١٠٧ ـ ١٠٩)

وفي السنة ١٠٤ اجتمعت الخزر ، وأعانهم القفجاق وغيرهم من الترك ، ولاقوا المسلمين في موضع يعرف بمرج الحجارة ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ، فقتل كثير من المسلمين ، وغنم الخزر مافي عسكرهم ، فاستعمل يزيد بن عبد الملك الجرّاح بن عبد الله الحكمي على أرمينية وأمدّه بجيش كثيف ، فلاقاه الخزر يقودهم ابن ملكهم ، فظفر المسلمون بالخزر ، وقتل منهم خلق كثير ، ثم فتح حصوناً عدّة ، وحصر حصن بلنجر ، وهو من أشهر حصون الخزر ، واشتبك الجيشان في معركة ضارية ، فانهزم الخزر ، واستولى المسلمون على الحصن (ابن الاثير ٥/١١٠ ـ ١١٣) .

وفي السنة ١٠٥ خرج مسعود بن أبي زينب العبدي (من عبد القيس) بالبحرين ، فاستولى عليها ، ثم قصد اليمامة ، وعليها سفيان بن عمرو العقيلي ، فالتقيا بالخضرمة ، وأسفر القتال عن قتل مسعود ، وقام بأمر الخوارج بعده هلال بن مدلج ، فقاتلهم ، فقتلت زينب أخت مسعود ، فتحصّن هلال وأصحابه في قصر هناك ، فنصبوا عليه السلالم ، وصعدوا إليه فقتلوه ، واستأمن أصحابه فأمنوا (ابن الاثير ٥/١١٨ و١١٩) .

وفي السنة ١٠٥ خرج مصعب بن محمد الوالبي ، ومعه مالك بن الصعب ، وجابر بن سعد ، وهم من رؤساء الخوارج ، فأمّروا عليهم مصعباً ، وأمّروا معه اخته آمنة ، وساروا معه ، فوجّه إليهم خالد القسري جيشاً ،

فلاقاهم في اعمال الموصل ، فقتلوا جميعاً (ابن الاثير ٥/ ١١٩ و١٢٠) .

وفي السنة ١٠٦ غزا مسلم بن سعيد الترك ، فلما بلغ فرغانة ، لاقاه خاقان ملك الترك ، فحاربه ، فقتل جماعة من المسلمين ، وقتل المسيب بن بشر الرياحي ، والبراء ، وكان من فرسان المهلّب ، وقتل أخو غوزك ، وسار مسلم حثيثاً ليتخلّص من الترك ، فأرسل إليه حميد بن عبد الله ، وكان على الساقة : قف لي ، فإنّ خلفي مائتي رجل من الترك ، حتى أقاتلهم ، وكان حميد مثقل جراحة ، فوقف له ، وعطف حميد على الترك ، فقاتلهم ، وأسر قائد الصغد ، وقائد الترك ، فانهزم الباقون ، ورجع حميد ، فرمي بنشّابة في ركبته ، فمات (ابن الأثير ٥/١٢٨و١٢٩) .

وفي السنة ١٠٧ خرج عباد الرعيني باليمن محكّماً ، ومعه ثلثمائة من أصحابه، فحاربهم يوسف بن عمر ، أمير اليمن ، فقتلوا بأجمعهم(الطبري ٧/ ٤٠) .

وفي السنة ١١٠ في معركة مع الترك بما وراء النهر ، مرّ ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي ، فقال له : هل لك في الجهاد ؟ فقال : أمهلني حتى آغتسل وأتحنّط ، فوقف له حتى آغتسل ، ثم مضيا ، وقال ثابت لأصحابه : أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحرّضهم ، فحملوا ، واشتدّ القتال ، فقال ثابت قطنة : اللهم إنّي كنت ضيف ابن بسطام البارحة ، فآجعلني ضيفك الليلة ، وحمل ، وحمل أصحابه، فرجع أصحابه ، وثبت هو ، ورمي برذونه فشبّ ، وضربه فأقدم ، وضرب ثابت ، فارتثّ ، فقال وهو صريع : اللهم ، إنّي اصبحت ضيفاً لابن بسطام ، وأمسيت ضيفك ، فإجعل قراي منك الجنّة ، فقتلوه ، وقتلوا معه عدّة من المسلمين ، منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدي ، وعبد الملك بن دثار الباهلي (ابن الاثير ٥/ ١٠ و١٥١) .

وفي السنة ١١٠ حصر خاقان مدينة كمرجة ، وهي من أعظم مدن خراسان ، وبها جمع من المسلمين، فتحصّنوا بها ، وترامووا بالسهام ، فأصابت بازغرى أحد كبارهم نشابة في سرّته ، فمات من ليلته ، فغضبوا لموته ،

وأخذوا الاسرى الذين عندهم وهم مائة ، فيهم أبو العوجاء العتكي ، والحجّاج بن حميد النضري ، فقتلوهم ، ورموا إليهم برأس الحجّاج ، وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوهم ، وحمي الوطيس ، وآشتد القتال ، وتقدّم ملك الطاربند ، وقاتل وهو على ثلمة في السور إلى جنب بيت فيه رجل مريض من تميم ، فرماه التميمي بكلاّب فتعلّق بدرعه ، ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه ، فسقط لوجهه ، ورماه رجل بحجر ، فأصاب أصل أذنه ، فصرع ، وطعنه آخر فقتله ، فاشتد قتله على الترك ، ثم اتّفق الطرفان على هدنة ، يرتحل بموجبها خاقان عنهم ، ويرتحلون هم عن كمرجة إلى الدبّوسيّة، وتمّ ذلك (ابن الاثير ٥/١٥١ـ ١٥٤) .

وفي السنة ١١١ ولي الجنيد بن عبد الرحمن ، خراسان ، لهشام بن عبدالملك ، فقدم خراسان في خمسمائة ، وامتد إلى ما وراء النهر ، وكتب إلى سلفه أشرس ، وكان يقاتل أهل بخارى والصغد : أن أمدّني بخيل ، فوجّه إليه عامر بن ملك الحماني ، فعرض لعامر الترك والصغد ، فدخل حائطاً حصيناً ، وقاتلهم على الثلمة ، فانهزم الترك وقتل عظيم من عظمائهم ، ووصل إلى الجنيد ، فالتحم الجنيد والترك في معركة ضارية ، وكاد الجنيد أن يهلك ومن معه ، ثم ظفر الجنيد ، وأسر ابن أخي خاقان ، فبعث به إلى هشام (ابن الاثير ٥/١٥٦ و١٥٧) .

وفي السنة ١١٢ قتل الجرّاح بن عبد الله الحكمي، دخل بلاد الخزر ، وحاربهم فهزمهم، فاجتمع عليه الخزر والترك ، واقتتلوا أشد قتال ، وصبر الفريقان ، فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل ، فلما قتل طمع الخزر وأوغلوا في البلاد ، حتى قاربوا الموصل وكان الجرّاح خيّراً ، فاضلاً ، من عمّال عمر بن عبد العزيز ، ولما بلغ هشاماً خبره ، دعا سعيداً الحرشي ، وقال له : بلغني أنّ الجراح انحاز (اي هرب) عن المشركين ، قال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، الجرّاح أعرف بالله من ان يهزم ، ولكنّه قتل ، فبعث به هشام إلى أرمينية ، فوصل مدينة أرزن ، ولقيه جماعة من أصحاب الجرّاح ، فردّهم

معه ، وفتح بهم خلاط ، وما يليها من الحصون ، حتى وصل برذعة ، وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يغير وينهب ، ويسبي ويقاتل ، وهو محاصر مدينة ورثان ، فخاف الحرشي أن يملكها ، فأرسل بعض أصحابه ، إلى أهل ورثان سرّاً ، يعرّفهم وصوله ، ويأمرهم بالصبر ، فسار القاصد ، إلى ورثان ، وآعتقله الخزر وهو في طريقه، ووعدوه بإطلاق سراحه ، إن أخبر أهل ورثان بأنّه لا مدد لهم ، ولكنّ الرجل وقف موقفاً بديعاً من مواقف النبل والشهامة ، والتضحية ونكران الذات ، إذا أخبر أهل ورثان ، بأنّه رسول الحرشي إليهم ، وإنّه قادم لخلاصهم ، فرفع أهل ورثان أصواتهم بالتكبير والتهليل ، وثبتوا على مقاومة أعدائهم ، وقتلت الخزر الرجل ، ورحلوا عن ورثان ، فوصل الحرشي إليها ، ثم فارقها ألى أردبيل ، فارتحل الخزر عنها ، وبلغ الحرشي باجروان ، فجاء من أخبره بأنّ عسكراً للخزر ، عشرة آلاف ، ومعهم أسارى مسلمون خمسة آلاف ، على أربعة فراسخ ، فسرى إليهم الحرشي ليلاً ، وكبسهم مع الفجر ، فآستأصلهم جميعاً غير رجل واحد ، وإستنقذ الاسرى المسلمين منهم ، ثم جاءه من أخبره بوجود جيش للخزر ومعهم حرم الجرّاح وأولاده أسرى ، فسار الحرشي إليهم ، وهاجمهم ، فأبادهم ، ولم يفلت إلاّ الشريد ، واستنقذ حرم الجرّاح وأولاده ، وأكرمهم ، وأحسن إليهم ، فحشد له ابن ملك الخزر في عساكر كثيرة ، والتقيا بأرض برزند ، واقتتل الجيشان أشدّ قتال ، وآستغاث الأسارى المسلمون الذين هم في يد الخزر ، فحمي المسلمون ، واشتدّت نكايتهم في العدوّ ، فولّى الخزر الأدبار ، وغنم المسلمون ما في معسكرهم ، ثم عاود ابن ملك الخزر الكّرة ، فاصطدم بجيش المسلمين على نهر البيلقان ، وكانت العاقبة للمسلمين ، وكان من غرق من الخزر أكثر ممن قتل المسلمون (ابن الأثير ٥/١٥٩ ـ ١٦٢) .

وفي السنة ١١٢ خرج الجنيد أمير خراسان ، غازياً يريد طخارستان ، فوجّه عمارة بن حريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفاً ، ووجّه ابراهيم بن

بسّام الليثي في عشرة آلاف إلى وجه آخر ، وعبر الجنيد ، فنزل كش ، ثم قصد سمرقند ، فكان على أربعة فراسخ منها ، فصبّحه خاقان في جيش عظيم يشتمل على أهل الصغد وفرغانه والشاش وطائفة من الترك ، واشتبك الفريقان في معركة حامية ، فقتل عبيد الله بن زهير ، وابن جرقاش ، والفضيل بن هناد ، وتداول راية الأزد ثمانية عشر رجلاً فقتلوا ، وقتل من الأزدثمانون ، وتقاتل الناس حتى أعيوا ، فكانت السيوف لا تقطع ، وقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به ، حتى ملّ الفريقان ، فكانت المعانقة ، ثم المحاجزة ، وقتل من الأزد عبد الله بن بسطام ، ومحمد بن عبد الله بن حوزان ، والحسن بن شيخ ، والفضيل صاحب الخيل ، ويزيد بن الفضل الحداني ، وكان قد حجّ فأنفق في حجّته ثمانين ومائة ألف ، وقال لأمّه : إدعي الله أن يرزقني الشهادة ، فدعت له ، وغشي عليها ، فاستشهد بعد مقدمه من الحجّ بثلاثة عشر يوماً ، وقتل النضر بن راشد العبدي ، وكان قد دخل على امرأته ، والناس يقتتلون ، فقال لها : كيف أنتِ إذا أتيت بأبي ضمرة (يعني نفسه) في لبد مضرّجاً بالدم ، فشقّت جيبها ، ودعت بالويل ، فقال لها : حسبك ، لو أعولَتْ عليّ كّل أنثى لعصيتها ، شوقاً إلى الجنّة ، وقاتل حتى آستشهد ، ولما اشتّد ضيق الجنيد بعث إلى سورة بن الحرّ ، وهو محاصر بسمرقند يستنجد به ، فخرج إليه في اثني عشر ألفاً ، فلاقاه الترك وقاتلوه ، فجمع سورة الخيل وصكّ الترك بها صكاً ، وسقط سورة فاندقّت فخذه ، وقتلهم الترك فلم ينبج منهم غير ألف أو ألفين ، واستشهد حليس بن غالب الشيباني ، وآنحاز المهلّب بن زياد العجلي في سبعمائة إلى رستاق يسمّى المرغاب ، فنزلوا قصراً هناك ، فأتاهم الاشكند صاحب نسف ، في خيل ومعه غوزك ، فأعطاهم غوزك الأمان ، فنزلوا بالأمان ، وسيقوا إلى خاقان ، فقال : لا أجيز أمان غوزك ، وقتلهم ، وعاد الترك إلى محاربة الجنيد ، فنادى الجنيد : أيّ عبد قاتل فهو حرّ ، فقاتل العبيد قتالاً عجيباً ، وانهزم الترك ، ودخل الجنيد سمرقند ، ثم زحف إلى

بخـارى ، وكان نصـر بن سيّار قد أبلى في هذه الأيّـام بلاءً حسنـاً (ابن الأثيـر ٥/١٦٢ ـ ١٧٠) .

وفي السنة ١١٣ قتل أحد أبطال المسلمين عبد الوهاب بن بخت ، وكان يحارب مع البطّال في المعارك مع الروم ، فانكشف الناس عن البطّال ، فألقى عبد الوهاب بيضته عن رأسه ، وصاح : أمن الجنة تفرّون ؟ ثم تقـدّم في نحور العدو ، وخالط القوم ، فقتل فرسه وقتل (الطبري ٧/٨٨) .

وفي السنة ١١٣ كان عبـد الرحمن بن عبـدالله الغافقي أميـر الأندلس ، ولّاه عليهـا في السنـة ١١٠ عبيـدة بن عبـد الـرحمن السلمي ، أميـر إفـريقيـة لهشام ، فخرج عبد الرحمن في غزاة ببلاد الافـرنج ، وعبـر جبال البيـرانس ، وأوغل في بلاد الغال ، وفتح مدينة بوردو ، ودحر جيوش شارل مـارتل (والـد شارلمان) ثم جمع شارل مارتل جيشاً آخر ، ونشبت حـرب دامية في بـواتية ، بقـرب نهـر اللوار ، قتـل فيهـا عبـد الـرحمن (ابن الأثيــر ٥/١٧٤ والأعـلام ٤/٨٤و٨٥) .

وفي السنـة ١١٦ خلع الحارث بن سـريج ، ولبس السـواد ، ودعـا إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، والبيعة للرضا ، وكان في أربعة آلاف ، فحاربـه نصر بن سيّار وهو في عشرة آلاف ، فانتصر الحارث ، ودخل بلخ ، ثم فتح الجوزجان والطالقان ومـرو الروذ ، ثم قصد مرو في ستّين ألفاً ، وفيها عاصم بن عبد الله أميـر خراسـان ، فالتقـوا ، فانهـزم جيش الحارث ، وغـرق منهم بشـر كثيـر ، وغرق خازم بن عبدالله بن خازم ، من أصحاب الحارث (ابن الأثيـر ٥/١٨٣ و ١٨٤) .

وفي السنة ١١٧ استعمل هشام بن عبد الملك على إفريقية والأنـدلس ، عبيدالله بن الحبحاب ، وكان على مصر ، فـاستخلف عليها ولـده ، وسار إلى إفريقية ، وبعث حبيب حفيد عقبة بن نـافع غـازياً إلى المغـرب ، ثم سيّره في

البحر الى جزيرة سردانية ، فظفر ، فسيّره ثانياً إلى صقلية في السنة ١٢٢ ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب ، فظفر ، وحصر سراقوسة ، حتى صالحوه على الجزية ، ثم عاد إلى إفريقية لينجد عبيدالله لأنَّ البربر ثاروا عليه لسوء سيرة ولده إسماعيل الذي استعمله على طنجة ، فظلم الناس ، فثاروا عليه مسلمهم وكافرهم ، ورأسوا عليهم ميسرة السقّاء ، وكان خارجياً صفرياً ، فقتلوا القائد عمر بن عبدالله المرادي ، واستولوا على طنجة ، وبايعوا ميسرة بالخلافة ، وخوطب بأمير المؤمنين وكثر جمعه ، ثم إنَّ البربر انكروا من ميسرة بعض سيرته فقتلوه ، وولّوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي ، فسيّر اليهم عبيدالله جيشاً يقوده خالد بن حبيب فانكسر جيشه وقتل خالد في جماعة من أصحابه من حماة العرب وفرسانها ، فسمّيت غزوة الأشراف ، وانتقضت إفريقية والأندلس، فعزل هشام عبيدالله في السنة ١٢٣ واستعمل كلثوم بن عياض القشيري ، وسيّره على رأس جيش كثيف ، فقتل كلثوم في أوّل معركة مع البربر ، وقتل معه حبيب بن أبي عبيدة ووجوه العرب، فظهر خارجيّ اسمه عكاشة بن أيوب الفزاري ، وحارب جيش القيروان فهزمه أوّلاً ، وقابل جيشاً آخر فانهزم عكاشة ، وانفلّ جيشه ، فبعث هشام حنظلة بن صفوان الكلبي أميراً على إفريقية ، فزحف إليه عكاشة الخارجي ، وبعد معركة ضارية انهزم عكاشة ، وقتل من البربر ما لا يحصى ، ثم حاربهم خارجي آخر اسمه عبد الواحد بن يزيد الهواري ، فهزمهم ، وكان جيشه يشتمل على ثلثمائة ألف مقاتل ، فحصر القيروان ، فكسر الناس أجفان سيوفهم وحملوا على الخوارج حملة واحدة ، في موضع يعرف بالأصنام ، فانهزم الخوارج والبربر ، وقتل عبد الواحد ، وحمل رأسه إلى حنظلة ، وأمر حنظلة بإحصاء القتلى من الخوارج والبربر فعجز الناس حتى عدّوهم بالقصب ، فكانت عدّة القتلى مائة ألف وثمانين ألفاً ، ثم أسر عكاشة مع طائفة أخرى بمكان آخر ، فحمل الى حنظلة ، فقتله ، وكان الليث بن سعد يقول : ما غزوة إلى الآن أشدّ بعد غزوة بدر ، من غزوة العرب بالأصنام (ابن الأثير ٥/ ١٩٠ـ ١٩٤) .

وفي السنة ١١٩ غزا أسد القسري ، عامل خراسان ، الختل ، وحاربهم فانتصر ، وبلغ خاقان ملك الترك أنَّ أسداً في حال مضيعة ، فأراد ان يصطلمه ، فحشد له ، وقصده ، وبعد معارك عدّة ، قتل خاقان (الطبري ٧/١١٣- ١٢٤).

وفي السنة ١١٩ خرج البختري ، صاحب الأشهب ، على خالد القسري في ستّين ، فوجّه خالد إليه السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف ، فاقتتلوا بناحية الفرات ، فانهزمت الخوارج ، وقتلوا (ابن الأثير ٥/٢١٢).

وفي السنة ١١٩ خرج الصحاري بن شبيب بن يزيد ، وكان قد أتى خالداً وسأله الفريضة ، فقال خالد : وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ؟ فمضى ، وندم خالد ، وخاف أن يفتق عليه فتقاً ، فطلبه ، فلم يرجع إليه ، فلامه أصحابه على مواجهة خالد وطلبه الفريضة ، فقال : ما أردت الفريضة ، وإنّما أردت التوصّل إليه لئلا ينكرني ، ثم أقتله بفلان (يريد رجلاً من الصفرية كان خالد قتله صبراً)، ثم خرج في ثلاثين رجلاً ، فوجّه اليه خالد جنداً ، فلاقوه ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فقتلوه وجميع أصحابه (ابن الأثير ٥/٢١٣).

وفي السنة ١١٩ قتل بهلول بن بشر ، والبهلول لقب له ، واسمه كثارة ، وكان متألهاً زاهداً ، مشتهراً بالبأس ، وكان قوته في كلّ يوم دانقاً واحداً ، فخرج يريد الحجّ ، فأمر غلامه أن يبتاع له خلّاً بدرهم ، فجاءه غلامه بخمر ، فأمره بردّه وأخذ الدرهم ، فلم يجبه البائع إلى ذلك ، فجاء بهلول إلى عامل القرية ، وهي من السواد، **فكلّمه** ، فقال له العامل : الخمر خير منك ومن قومك ، فمضى بهلول في حجّه حتى فرغ منه ، وعزم على الخروج على السلطان ، ولقي بمكّة من كان على رأيه ، فاتعدوا على قرية من قرى الموصل ، فاجتمع بها أربعون رجلاً ، وأمّروا عليهم البهلول ، حتى

انتهوا إلى القرية التي كان ابتـاع الغلام فيهـا الخلّ فـأعطي خمـراً ، فجاء إلى العامل فقتله ، فبعث إليه خالد القسري بعثاً ، فهزمـه بهلول ، وبلغ بهلول أنّ ستّة نفر من أهل الكوفـة ، خرجـوا إليه يـريدون اللحـاق به ، فقتلوا في قـرية صريفين ، فجاء بهلول إلى القرية ، وسأل عمّن قتلهم ، وأظهر إنّه جاء من قبل خـالد ليعـطيهم مـالاً لقتلهم من قتلوا ، فتقـدّم إليـه قـوم أدّعـوا أنّهم القتلة ، فخشي بهلول أن يكون هؤلاء قد ادّعوا ذلك حبّاً في الربح ، وسأل أهل القرية عنهم ، فـأيّدوا أنّهم القتلة ، فـأمر بهم فقتلوا ، وبعث إليـه خالـد بعثاً آخـر ، فحـاربه البهلول ، فـانفلّ البعث ، ومـرّ البهلول بالمـوصل ، فخـافـه صـاحب الموصل ، وكتب إلى هشام بأنّ خارجة خرجت ، فكتب إليه هشام : وجّه لهـا كثارة ، فقال العامل : إنّ كثـارة هو الخـارج ، فبعثوا إليـه جنداً من الكـوفة ، وجنـداً من الجزيـرة، فلما رأى كثـرتهم وهو في سبعين ، استقتـل وكان عـدد محاربيه من الجيوش عشرين ألفاً ، فخاض معهم معركة غير متكافئة حتى قتل (ابن الأثير ٥/٢٠٩ـ ٢١٢).

وفي السنـة ١٢١ غزا نصـر بن سيّار الشـاش ، فـأغـار عليهم الأخـرم ، فارس الترك ، فقتله المسلمون ، ورموا برأسه الى الترك ، فصاحوا وانهزموا ، ثم سار نصر إلى فرغانة ، فحاصر قبا ، واقتتلوا ، فقتل الـدهقان ، وأسـر ابنه، فقتله نصر (ابن الأثير ٥/٢٣٨).

وفي السنة ١٢٢ قتل الإمام زيد بن علي بن الحسين ، بعث به هشام بن عبد الملك إلى الكوفة ، فأقبلت الشيعة إليه ، وبـايعوه ، وبلغ عـدد من بايعـه أربعون ألفاً ، وحلفـوا له الإيمـان المغلّظة على تأييـده ، فجاء إليـه مسلمة بن كهيل ، فقال لزيد : أنشدك الله كم بايعك ؟ قال : أربعون ألفاً ، قـال : فكم بايع جـدّك ؟ (يريـد الحسين) فقال : ثمـانون ألفـاً ، قال : فكم بقي معـه ؟ قال : ثلثمائة ، قال : نشدتك الله أنت خير أم جدّك ؟ قـال : جدّي ، قـال : فهذا القرن خير أم ذلك القرن ؟ قال : ذلـك القرن ، قـال : أفتطمـع أن يفي

لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدّك ؟ وكتب إليه عبدالله بن الحسن بن الحسن يصدّه عن الخروج ، فلم يصغ إليه ، وأمر أصحابه بالإستعداد ، وألحّ يوسف بن عمر الثقفي ، عامل العراق لهشام في البحث عنه ، فخاف أن يؤخذ ، وتعجّل في خروجه ، فلما خرج كان مجموع من وافاه مائتين وثمانية عشر رجلاً ، فاشتبك مع جند الشام في عدّة معارك في داخل الكوفة ، كان الظفر فيها لزيد ، وحمل نائل بن فروة العبسي من أهل الشام على نصر بن خزيمة من أصحاب زيد ، فضربه بالسيف ، فقطع فخذه ، وضربه نصر فقتله ، ولم يلبث نصر أن مات ، وحمي الوطيس ، فقتل معاوية بن اسحاق الأنصاري وقاتل بين يدي زيد قتالاً شديداً حتى قتل ، ثم رمي زيد بسهم ، فأصاب جبهته اليسرى ، فثبت في دماغه ، فأحضروا له طبيباً ، فانتزع النصل ، فلما نزع النصل مات ، فدفنه أصحابه في نهر يعقوب ، سكر أصحابه الماء ، ودفنوه ، ثم أجروا الماء ، ودُلّ يوسف على قبره ، فاستخرجه ، وقطع رأسه ، وصلب بدنه بالكناسة هو ونصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحاق وزياد النهدي، وبعث الرأس إلى هشام ، فعلّق على باب دمشق ، ثم أرسل إلى المدينة ، وبقي البدن مصلوباً إلى أن مات هشام ، وولي الوليد ، فأمر به فأنزل وأحرق (ابن الأثير ٥/٢٢٩-٢٤٧) .

وفي السنة ١٢٢ قتل عبدالله الانطاكي ، الملقّب بالبطّال ، أحد أبطال المسلمين ، في معركة مع الروم ، وكان له عندهم ذكر عظيم ، وخوف شديد ، وروي إنّه دخل بلادهم في بعض غزواته ، ودخل قرية لهم ليلاً ، فسمع امرأة تقول لصغير لها يبكي : اسكت ، وإلّا اسلمتك للبطّال ، ثم رفعته بيدها ، وقلت : خذه يا بطّال ، فتناول البطّال من يدها، ثم أعاده إليها (ابن الأثير ٥/٢٤٨) .

وفي السنة ١٢٥ قتل يحيى بن الإمام زيد بن عليّ بن الحسين بالجوزجان ، وكان يحيى مع والده في المعركة التي قتل فيها بالكوفة، فلما

قتل أبوه ، انصرف إلى بلخ ، فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر ، فانتقل الى نيسابور ، فقاتله واليها عمرو بن زرارة ، وكان يحيى في سبعين ، وعمرو في عشرة آلاف ، فانتصر يحيى ، وقتل عمْراً ، فبعث نصر بن سيّار ، صاحب شرطته سلم بن أحوز المازني ، فقاتل يحيى قتالاً شديداً ، فأصاب يحيى سهم عاثر في جبهته ، فسقط قتيلاً ، وحمل رأسه إلى الوليد بن يزيد ، وصلب جسده بالجوزجان ، وبقي مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني ، فأنزل الجثة ، وصلّى عليها ، ودفنها ، وقتل سلم بن أحوز (الاعلام ١٧٩/٩).

وفي السنة ١٢٦ قتل يزيد بن الطثرية ، الشاعر المطبوع من بني قشير ، في يوم الفلج الأوّل ، وسبب ذلك إنَّ الوليد بن يزيد لما قتل ، كان على اليمامة علي بن المهاجر ، استعمله عليها يوسف بن عمر ، فقال له المهير : أترك لنا بلادنا ، فأبى ، فحاربه المهير ، فهرب عليّ ، وتأمّر المهير على اليمامة ، ثم مات ، واستخلف عبدالله بن النعمان ، فاستعمل المندلث على الفلج ، فقاتله بنو كعب بن عامر ، فقتل المندلث وجماعة من أصحابه، ومنهم يزيد بن الطثرية ، والطثرية أمّه ، واسم أبيه : المنتشر (ابن الأثير ٢٩٩/٥).

وفي السنة ١٢٧ سار مروان الجعدي في جنود الجزيرة، لمحاربة إبراهيم بن الوليد ، الذي خلف يزيد بن الوليد ، وكان مروان في ثمانين ألفاً ، فلاقاه جيش إبراهيم في مائة وعشرين ألفاً ، واشتبك الجيشان في معركة ، فظفر مروان ، وقتل من جيش إبراهيم سبعة عشر ألفاً ، فلما رأى أصحاب إبراهيم ظفر مروان ، عمد يزيد بن خالد القسري إلى سجن دمشق ، فقتل الحكم وعثمان ولدي الوليد بن يزيد ، وضرب عنق يوسف بن عمر ثأراً لأبيه خالد ، لأنَّ الوليد بن يزيد اسلمه إلى يوسف بن عمر فعذّبه حتى قتله ، ولما دخل مروان دمشق ، ثار من بدمشق من موالي الوليد بن يزيد إلى عبد العزيزبن الحجّاج بن عبد الملك، فقتلوه، ونبشوا يزيد بن الوليد من قبره ،

فصلبوه على باب الجابية ، فبويع مروان بالخلافة ، وآمن إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام ، فقدما عليه بحرّان ، فبايعاه (ابن الاثير ٥/٣٢١-٣٢٤).

وفي السنة ١٢٧ انتقض أهل حمص على مروان ، فسار إليهم وحاربهم ، فقتل منهم جماعة ، وصلب خمسمائة حول المدينة ، ثم خالف عليه أهل الغوطة ، وولّوا عليهم يزيد بن خالد القسري ، وحصروا دمشق ، فوجّه إليهم مروان جيشاً من عشرة آلاف ، فانهزموا ، وقتل يزيد ، وقتل معه عمر بن هانىء العبسي ، وكان عابداً ، كثير المجاهدة ، ثم خالف على مروان أهل فلسطين ، فسيّر اليهم جيشاً فهزمهم ، ثم خرج عليه سليمان بن هشام وعسكر بقنسرين، واجتمع إليه نحواً من سبعين ألفاً من أهل الشام ، وجاء مروان في جيشه ، فاقتتلا ، ففرّ سليمان ومن معه ، وقتل من جيشه ما ينوف على ثلاثين ألف قتيل ، وقتل إبراهيم بن سليمان ، وهو أكبر ولده ، وخالد بن هشام المخزومي ، خال هشام بن عبدالملك ، وانتهى سليمان في هزيمته إلى حمص ، فعسكر بها وحصّنها ، فقصده مروان ، واقتتلا ، فظفر مروان ، وقتل من عسكر سليمان نحو ستة آلاف ، فلما بلغ سليمان ذلك ، غادر حمص إلى تدمر ، فنزل مروان على حمص ، ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً يرمي بها بالليل والنهار ، فطلبوا الأمان ، فأمّنهم على أن يمكّنوه من سعيد بن هشام ، وابنيه عثمان ومروان ، ومن رجل يسمى السكسكي كان يغير على عسكره ، ومن حبشي كان يشتم مروان، فأسلموهم إليه ، وسار عنهم (ابن الأثير ٥/٣٢٨- ٣٣٤).

وفي السنة ١٢٧ خرج الضحّاك بن قيس بالكوفة في ثلاثة آلاف ، فقاتله عامل العراق ، عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، وهو في أكثر من ثلاثين ألفاً ، فانكسر عبدالله بن عمر ، وقتل أخوه عاصم ، وجعفر بن عباس الكندي صاحب شرطته ، واستولى الضحّاك على الكوفة ، وأرضها ، والسواد ، فقال

عبدالله يرثي أخاه : (الطبري ٧/٣١٦- ٣٢٠) .

رمى غـرضي ريبُ الزمـان فلم يـدع غـداة رمى للقوس في الكفّ منـزعا
رمى غرضي الأقصى فأقصد عاصمـاً آخـاً كان لي حـرزاً ومأوى ومفـزعـا
فليت المنـايـا كنّ خلّفن عـاصمـاً فعشنا جميعـاً أو ذهـبن بنـا معـا

وفي السنـة ١٢٨ اصـطلح الضحّـاك بن قيس الخـارجي ، وعبـدالله بن عمـر عامـل العراق ، فقـدم عبـدالله عليـه ، وصلّى خلفـه ، فـانصـرف عنـه الضحّـاك ، واستولى على المـوصـل بمـواطـأة من أهلهـا ، ثم قصـد نصيبين فحاصرها ، وهو في مـائة وعشـرين ألفاً ، فقصـده مروان في جنـده ، فترجّـل الضحـاك في ستّـة آلاف من ذي الثبـات من أصحـابـه ، وأحـدقت بهم خيـل مروان، فأصطلموهم ، وعثروا على الضحّاك بين القتلى ، وفي وجهه أكثر من عشرين ضربة ، فبايع أصحابه الخيبري ، فقتل ، فبايعوا أبا الذلفاء شيبـان بن عبد العزيـز اليشكري ، فـانسحب بهم إلى الموصـل ، فتبعهم مروان ، وظـلّ يحاربهم ستّة أشهر ، فارتحلوا عن الموصل الى حلوان ، فالأهواز ، ففارس ، فالبحرين ، فعمان ، وكان الخوارج بعمان أباظية ، وشيبان وأصحابه صفرية ، فاقتتلوا ، فقتل شيبان ومن معه (الطبري ٧/٣٤٤- ٣٥١- ٤٦٣) .

وفي السنـة ١٢٨ قتل الحـارث بن سريـج بخراسـان ، وكـان قـد خرج منذ السنة ١١٦ على عامل خراسـان ، ولبس السواد ، وخلع طـاعـة بني مروان ، ودعا إلى الكتاب والسنّة ، واستولى على الجوزجان والطالقـان ومـرو الروذ ، وعظم أمره ، وارتفع عدد جيشه ألى ستين ألفاً ، ثم انكسر ، فرحل إلى بلاد الترك ، وأقام اثنتى عشرة سنة ، ثم أمّنه يزيد بن الوليد ، فعـاد إلى مرو ، وعرض عليه نصر عامـل خراسـان ، أن يولّيـه ، وأن يعطيـه مائـة ألف دينار ، فـأبى ، وقال : أنـا لا أطلب الدنيـا ، وإنّما أطلب العمـل بكتـاب الله وسنّـة نبيّه ، واستعمال أهل الخير ، ثم اختلف مع نصر بن سيّار، فحاربه، فقتل من

الطرفين كثير ، ثم انهزم أصحاب الحارث ، فثبت ، وقتل وقتل معه جماعة كثيرة من أصحابه (الطبري ٧/ ٣٣٠- ٣٤٠) .

وفي السنة ١٢٩ قَتَلَ نصر بن سيّار عامل خراسان ، وزعيم المضرية ، جديع بن علي الكرماني ، زعيم اليمانيّة ، لقّب بالكرماني لأنّه ولد بكرمان ، وكان نصر وجديع قد اشتبكا في حرب طويلة ، وكان الكرماني قد قتل الحارث بن سريج ، فقصده ابن الحارث وطعنه في خاصرته ، فخرّ عن دابته ، وقتل ، فالتحق ولده علي بن جديع بأبي مسلم الخراساني ، مخاصمة منه لنصر بن سيّار (الطبري ٧/ ٣٧١) .

وفي السنة ١٢٩ قتل بشر بن جعفر السعدي عامل مرو الروذ لنصر بن سيّار ، قتله خازم بن خزيمة ، من شيعة بني العبّاس ، وكان خازم لما أراد الخروج بمرو الروذ ، منعه بنو تميم ، فقال لهم : إنّما أنا رجل منكم أريد أن أغلب على مرو ، فإن ظفرت فهي لكم ، وإن قتلت فقد كفيتم أمري ، فكفّوا عنه ، فلما أمسى ، بيّت أهل مرو ، فقتل بشراً عاملها (ابن الأثير ٥/ ٣٦١) .

وفي السنة ١٢٩ قتل أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي الذي كان أميراً بالأندلس ، وسبب ذلك إنّ ثوابة بن سلامة الذي تأمّر بالأندلس ، توفي ، فاختلف المضريّة واليمانيّة ، في اختيار خلفه ، كلّ فئة تريده منها ، ثم حسمت الفتنة باختيار الأمير من قريش ، فأختير يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وأراد أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي أن يستعيد إمارته ، فجمع اليمانية ، واجتمع المضرية حول الصميل بن حاتم ، واقتتلوا أيّاماً كثيرة قتالاً لم يكن بالأندلس أعظم منه ، فانهزمت اليمانية ، واستتر أبو الخطار ، فدلّ عليه ، وأخذه الصميل بن حاتم فقتله ، ثم خرج على يوسف الفهري ، ابن علقمة اللخمي بأربونة ، فقتل وحمل رأسه إلى يوسف ، ثم خرج عليه عذرة الذمّي ، لقّب بالذمّي لاستعانته بأهل الذّمة ، فانتصر أوّلاً ، وانكسر أخيراً وقتل (ابن الأثير ٥/ ٣٧٥و ٣٧٦) .

وفي السنة ١٣٠ قتل شيبان بن سلمة الحروري ، رأس الخوارج ، وسبب قتله إنَّ علي بن جديع الكرماني ، كان قد اجتمع مع شيبان على قتال نصر بن سيّار ، لأنَّ نصراً قتل جديع أبا علي وصلبه ، فلما فرّ نصر من مرو ، وصالح علي بن جديع أبا مسلم الخراساني ، فارق شيبان علياً ، وتنحّى عن مرو ، فبعث أبو مسلم إلى شيبان يطلب منه أن يبايعه ، فقال شيبان : أنا أدعوك إلى بيعتي ، وسار شيبان إلى سرخس ، فبعث إليه أبو مسلم جيشاً ، فقتل شيبان وعدّة من أصحابه (الطبري ٧/٣٨٥و ٣٨٦) .

وفي السنة ١٣٠ وجّه أبو مسلم الخراساني ، قحطبة بن شبيب إلى طوس في عدّة من القوّاد والجند، لمحاربة نصر بن سيّار ، عامل خراسان ، فالتقى الجيشان بطوس ، فانهزم أصحاب نصر ، وقتل منهم بضعة عشر ألفاً ، وقتل تميم بن نصر ، وكثير من قواده وجنده (الطبري ٧/٣٨٨- ٣٩٠) .

وقصد قحطبة جرجان ، وعاملها نباته بن حنظلة ، ولاّه عليها يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراق ، وكان مع نباته جند من أهل الشام ، فاقتتلوا ، فقتل نباته ، وقتل معه عشرة آلاف من جند الشام ، وبعث قحطبة إلى أبي مسلم برأس نباته ، ورأس ابنه حيّة (الطبري ٧/٣٩١ و ٣٩٢) .

ثم بلغ قحطبة أنّ أهل جرجان على وشك الإنتقاض عليه فاستعرضهم، وقتل منهم ثلاثين ألفاً (الطبري ٧/٤٠١) .

وفي السنة ١٣٠ قتل أبو حمزة الخارجي واسمه المختار بن عوف الأزدي السليمي البصري ، وكان أوّل أمره من الخوارج الأباظيّة ، يوافي كلّ سنة مكّة ، يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد ، وكان قد ورد مكّة في السنة ١٢٩ وهو في سبعمائة فحجوّا ، وخرج عامل مكّة والمدينة وهو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك من مكّة إلى المدينة ، فجرّد على أبي حمزة وأصحابه بعثاً ، فظفر بهم أبو حمزة وقتل منهم خلفاً كثيراً ، ثم دخل

المدينة ، وخرج بأصحابه يريد الشام لقتال مروان ، وكان مروان قد جرّد له أربعة آلاف فارس بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ، فالتقوا بوادي القرى ، فقال أبو حمزة لأصحابه : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم ، فصاحوا بهم : ما تقولون في القرآن والعمل به ؟ فقال الشاميون : نضعه في الجوالق ، فقالوا لهم : ما تقولون في مال اليتيم ؟ قالوا : نأكل ماله ونفجر بأمّه ، فقال أبو حمزة لأصحابه : قد حلّ لكم قتالهم، فاشتبكوا في معركة ضارية ، فقتل أبو حمزة وكثير من أصحابه ، وعاد فلّه إلى المدينة منهزمين ، فوثب بهم أهل المدينة ، فقتلوهم (الطبري ٣٩٨/٧و ٣٩٩ وابن الأثير ٣٥١/٥، ٣٧٣، ٣٩١). وممن قتل في هذه المعارك من خصوم أبي حمزة، ما يقرب من ثلثمائة رجل من أهل المدينة من قريش، منهم أمير أهل المدينة عبد العزيز بن عبدالله ، وحمزة بن مصعب بن الزبير ، وابنه عمارة ، وابن أخيه مصعب ، وقتل من أصحاب أبي حمزة بلج بن عيينة (سمّاه صاحب الأعلام ٧١/٨ عقبة) بن الهيصم الأسدي ، وأبو الحرّ علي بن الحصين التميمي ، من فقهاء الأباظية ، وعبد العزيز القارىء المدني المعروف بيشكست النحوي ، وكان من أهل المدينة يكتم مذهب الخوارج، فلما دخل أبو حمزة المدينة انضمّ إليه (الطبري ٣٩٨/٧ وابن الأثير ٣٩١/٥) والأعلام ٣١/٨و ٩٣/٥).

وفي السنة ١٣٠ لما قتل محمد بن عطية ، أبا حمزة الخارجي ، أقام بالمدينة شهراً ، ثم سار نحو اليمن ، وبلغ عبدالله بن يحيى ، الملقّب الطالب بالحقّ مسيره ، وهو بصنعاء فأقبل إليه بمن معه ، فنشبت بينهما معركة ، فقتل ابن يحيى ، وحمل راسه الى مروان بالشام (ابن الأثير ٣٩٢/٥).

وسار آبن عطية إلى صنعاء ، فدخلها وأقام بها ، فكتب إليه مروان يأمره أن يسرع السير ليحجّ بالناس ، فسار في اثني عشر رجلاً ، وخلّف

عسكره أربعين ألفاً وخيله بصنعاء ، فلما نزل الجرف أتاه ابنا جمانة المراديان في جمع كثير ، وقالوا له ولأصحابه : أنتم لصوص ، فأراهم ابن عطيّة كتاب الخليفة بتأميره على الموسم ، فقالوا : هذا باطل ، فأنتم لصوص ، وحاربوه ، فقاتلهم ابن عطية قتالاً شديداً ، حتى قتل (ابن الأثير ٣٩٢/٥ والطبري ٣٩٨/٧ ، ٤٠٠) .

أقول : راجع ما صنعه الوليد بن عروة ، ابن أخي محمد بن عبد الملك ، انتقاماً لعمّه من الذين قتلوه ، في الباب الرابع عشر من الكتاب « التعذيب بالنار » القسم الأول من الفصل الأوّل (الاحراق) وفي الباب التاسع عشر (المرأة) الفصل الخامس (ألوان أخرى من القتل) .

وفي السنة ١٣١ قتل القائد عامر بن ضبارة ، قائد جيش الأمويّين ، وكان نصر بن سيّار عامل خراسان لمروان الحمار ، كتب إليه يستنجد به ، ويطلب مدداً ، وجاء في كتابه إليه : إنّما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ، ثم أخرج من حجرته إلى داره ، ثم أُخرج من داره إلى فناء داره ، فإن أدركه من يعينه ، فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له ، وإن أخرج من داره إلى الطريق ، فلا دار له ولا فناء ، فكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة عامله على العراق ، أن يبعث إليه مدداً ، فكتب ابن هبيرة ، إلى ولده داود ، وإلى عامر بن ضبارة ، أن يسيرا لملاقاة قحطبة ، قائد جيش أبي مسلم الخراساني ، الداعية العباسي ، وكان يقال لعسكر ابن ضبارة ، عسكر العساكر ، والتقى الجيشان ، قحطبة في عشرين ألفاً ، والجند الأموي مائة وخمسون ألفاً ، فانكسر الجند الأموي ، وفرّ داود بن يزيد بن هبيرة ، فسأل عنه عامر بن ضبارة ، فقيل : انهزم ، فقال : لعن الله شرّنا منقلباً ، وقاتل حتى قتل (الطبري ٤٠١/٧ ـ ٤٠٦) .

وفي السنة ١٣١ كان الحسن بن قحطبة ، يحاصر نهاوند ، وبلغه خبر قتل

عامر بن ضبارة ، فكبّر وأصحابه ، فقال عاصم بن عمير السعدي ، الملقب هزار مرد ، للجيش المحصور في نهاوند ، أخرجوا إلى الحسن بن قحطبة ، فإنّكم تقومون له ، فإذا جاء أبوه معه ، لم تقوموا له ، فأبوا عليه ، وسار قحطبة إلى ابنه ، وطلب من المحصورين خروجهم بالأمان ، فأبى الخراسانيون ، ورضي أهل الشام ، وخرجوا إلى قحطبة ، وقالوا للخراسانيين: أخذنا الامان لنا ولكم ، فخرجوا جميعاً ، فأمر قحطبة بقتل الخراسانيين ، ووفى لأهل الشام بالأمان ، وكان ممن قتل من أهل خراسان ، عاصم بن عمير من ابطال العرب ، وأبو كامل، وحاتم بن الحارث بن سريج ، وابن نصر بن سيّار ، وعلي بن عقيل ، وبيهس (ابن الأثير ٥/ ٤٠٠).

وفي السنة ١٣١ وجّه قحطبة القائدين أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طرفة الخراساني ، في أربعة آلاف إلى شهرزور ، وبها عثمان بن سفيان على مقدّمة عبدالله بن مروان الحمار ، واشتبكوا في معركة فقتل عثمان وانهزم أصحابه (ابن الأثير ٥/ ٤٠٠ـ ٤٠١).

وفي السنة ١٣٢ عبر قحطبة بن شبيب الفرات في جيشه العبّاسي ، لقتال ابن هبيرة والجيش الأموي ، واشتبك في معركة على شاطىء الفرات ، فضرب معن بن زائدة ، قحطبة بالسيف على حبل عاتقه ، فسقط في الفرات ، فأخرجوه ، فقال لهم : إذا أنا متّ ، فشدّوا يديّ ، وألقوني في الماء ، لئلا يعلم الناس بموتي ، ففعلوا ذلك ، وقام ولده الحسن بن قحطبة بأمر الجيش (ابن الأثير ٥/٤٠٣ـ ٤٠٤).

وفي السنة ١٣٢ قتل معاوية بن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب ، وكان أبوه قد ولي البصرة للعبّاسيين ، وقدمها وعليها سلم بن قتيبة الباهلي ، للأمويين ، فكتب إليه يأمره بالتحوّل من دار الإمارة ، فأبى ، وحاربه ، فقتل معاوية بن سفيان ، فانكسر سفيان لقتل ولده وانهزم (ابن الأثير ٥/٤٠٦).

وفي السنة ١٣٢ قتل يحيى بن معاوية بن هشام ، أخو عبد الرحمن الداخل ، في معركة الزاب ، مع مروان الحمار (الأعلام ٩/٢١٨).

وفي السنة ١٣٢ اقتحم العبّاسيون دمشق ، وقتلوا أميرها الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك ، وكان يليها لمروان الحمار (الاعلام ٩/١٤٤).

وفي السنة ١٣٢ قتل مروان الحمار ، آخر الحكّام الأمويين ، ببوصير من اعمال مصر ، وكانت هزائمه قد توالت ، من معركة الزاب بالعراق ، فمرّ بحرّان ، وحمص ، ودمشق ، وفلسطين ، والعريش ، حتى نزل ببوصير ، واشتبك هناك في معركة مع الجيش العبّاسي ، فقتل في المعركة، وحمل رأسه إلى السفّاح (ابن الأثير ٥/٤١٧- ٤٢٦).

ولما أحضر رأس مروان ، ووضع بين يدي السفّاح ، سجد لله شكراً ، وقال : الحمدلله الذي أظفرني بك ، وأظهرني عليك ، قد قتلت بالحسين وبني أبيه ، من بني أمّية مائتين ، وأحرقت شلو هشام ، بابن عمّي زيد بن علي ، وقتلت مروان بأخي إبراهيم (مروج الذهب ٢/٢٠٣).

وفي السنة ١٣٢ بيّض أبو الورد مجزأة بن الكوثر الكلابي، أي إنّه خرج على بني العباس ولبس البياض شعار بني أميّة ، لأنّ العبّاسيين شعارهم السواد ، وسبب ذلك : إنّ أبا الوردكان من قواد مروان، فلما قتل، دخل في طاعة بني العبّاس ، وكان يقيم بقنسرين، وكان أولاد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ، ببالس والناعورة ، فقدم قائد من قوّاد عبد الملك بن علي فاضطهد أولاد مسلمة بن عبد الملك ، فشكوا ذلك إلى أبي الورد ، فخرج من مزرعته واسمها خساف ، حتى هجم على القائد وهو بحصن مسلمة ، فقتله وقتل من معه ، وبيّض وخلع عبدالله بن علي ، ودعا أهل قنسرين إلى ذلك ، فبيّضوا بأجمعهم ، ثم بيض أهل دمشق بأجمعهم ، وقدّموا عليهم أبا

محمد السفياني بن عبدالله بن زيد بن معاوية ، وكانوا في أربعين ألفاً ، واقتتلوا مع جيش عبدالله بن علي ، فكانت الدائرة أوّل الأمر على الجيش العبّاسي ، وقتل منهم ألوف ، ثم عاود الجيش العباسي الكرّة ، وثبت أبو الورد في نحو خمسمائة من قومه وأهل بيته ، فقتلوا جميعاً ، وهرب السفياني ولحق بتدمر ، ثم بالحجاز ، وبلغ عامل الحجاز للمنصور الموضع الذي استتر السفياني فيه ، فبعث إليه من قتله ، وأخذ آبنين له أسيرين ، وبعث بالرأس والإبنين إلى المنصور (الطبري ٧/٤٤٣- ٤٤٥).

وفي السنة ١٣٣ خرج شريك بن شيخ المهري ببخارى ، وهو أحد انصار العبّاسيين ، خرج على أبي مسلم الخراساني ، لما أبصر جوره وظلمه ، وقال : ما على هذا اتبعنا آل محمد ، أن تسفك الدماء ، ويعمل فينا بغير الحقّ ، وآزره أكثر من ثلاثين ألفاً ، فقاتله أبو مسلم وقتله (الأعلام ٣/٢٣٩).

ولما غدر أبو جعفر المنصور بيزيد بن عمر بن هبيرة ، وقتله في السنة ١٣٣ بعد أن آمنه ، ، خرج ولده المثنّى بن يزيد باليمامة ، وكان أميرها ، وجمع جمعاً ، فبعث إليه عامل المدينة القائد أبا حمّاد الأبرص ، واسمه ابراهيم بن حسان السلمي ، فقتل المثنّى وأصحابه (ابن الأثير ٥/٤٤٨).

وفي السنة ١٣٤ خلع بسّام بن إبراهيم بن بسّام ، من فرسان أهل خراسان، وخرج بالمدائن ، فوجّه اليه السفّاح خازم بن خزيمة ، فاقتتلوا ، فانهزم بسّام وأصحابه ، وقتل منهم كثير (ابن الأثير ٥/ ٤٥٠).

وفي السنة ١٣٤ قتل شيبان بن عبد العزيز اليشكري الحروري ، أحد شجعان الخوارج ، وكان قاتل مروان في نواحي ماردين ، ثم انصرف إلى الموصل ، ثم تراجع إلى البصرة ، ثم أرسى بجزيرة بن كاوان ، ثم صار إلى عمان ، وهم صفريّة ، وكان في عمان الجلندى وأصحابه وهم أباظيّة ،

فاقتتلوا فيما بينهم ، فقتل شيبان ومن معه ، ثم قدم خزيمة بن خازم عمان على رأس جيش ، فلقيهم الجلندى وأصحابه ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ، وكثر القتل في أصحاب خازم ، وقتل أخ له من أمّه في تسعين رجلاً ، واقتتلوا من الغد ، فقتل من الخوارج تسعمائة ، واحرق منهم تسعون ، ثم أمر خازم خلال المعركة بإحراق بيوتهم وكانت من خشب ، فلما أضرمت النار في بيوتهم أنصرفوا إليها فغشيهم خازم وأصحابه وقتلوا الجلندى وقتلوا أصحابه ، وبلغ عدد القتلى عشرة آلاف بعث برؤوسهم إلى البصرة ، فحملت إلى السفّاح (ابن الأثير ٥/٤٥١ و٤٥٢).

وفي السنة ١٣٥ خرج زياد بن صالح ، أحد القواد الخراسانيين في مّا وراء النهر ، فقصده أبو مسلم ، فانفصل قوّاد زياد عنه ، وانصرفوا إلى أبي مسلم ، فلجأ زياد إلى دهقان هناك فقتله وبعث برأسه إلى أبي مسلم ، وعلم أبو مسلم أنّ الذي أفسد زياد هو سباع بن النعمان الأزدي ، وقيل له إنّ السفّاح بعث به ، وأمره إن رأى فرصة من أبي مسلم أن يقتله ، فأمر بسباع فحبس بآمل ، ثم كتب إلى عامله بآمل أن يقتل سباعاً فقتله (ابن الأثير ٥/٤٥٥).

وفي السنة ١٣٧ خرج عبدالله بن علي ، على المنصور ، فسيّر إليه أبا مسلم الخراساني ، وبعد معركة عنيفة ، انهزم عبدالله ، وانفلّ جيشه ، وقصد عبدالله أخاه سليمان بن علي بالبصرة ، فتوارى عنده (ابن الأثير ٥/٤٦٤-٤٦٨).

وفي السنة ١٣٧ خرج سنباذ في خراسان ، يدعو للمطالبة بدم أبي مسلم الخراساني ، واستولى على نيسابور وقومس والري ، فوجّه اليه المنصور جيشاً اشتبك معه في معركة ، فقتل من أصحابه نحواً من ستين ألفاً ، ثم قتل سنباذ بين طبرستان وقومس (الطبري ٧/٤٩٥).

وفي السنة ١٣٧ خرج ملبّد بن حرملة الشيباني ، وحكّم بناحية

الجزيرة ، فوجّه إليه أبو جعفر المنصور تسعة بعوث ، فانتصر ملبّد عليها جميعاً ، وفلّها ، وهزم جندها ، فوجّه إليه المنصور خازم بن خزيمة في ثمانية آلاف ، فالتحم معه في معركة ضارية ، فقتل الملبّد وألف ومائة من أصحابه ، وهرب الباقون (الطبري ٧/٤٩٥- ٤٩٩).

وفي السنة ١٣٨ خرج على المنصور أحد قوّاده جمهور بن مرار العجلي ، فوجّه إليه المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي ، فانكسر جيش جمهور ، وقتل من أصحابه خلق كثير ، ولحق جمهور بأذربيجان ، فأخذ وقتل (الطبري ٧/٤٩٧).

وفي السنة ١٤٣ ثار بالأندلس رزق بن النعمان الغسّاني على عبد الرحمن الداخل ، وكان رزق على الجزيرة الخضراء ، فاجتمع اليه خلق عظيم ، فسار إلى شذونة فملكها، ودخل مدينة إشبيلية ، فحصره عبد الرحمن فيها وقتله (ابن الأثير ٥/٥١٢).

وفي السنة ١٤٤ قُتِلَ أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري ، زعيم الأباظية في إفريقية ، وكان قد استولى على طرابلس الغرب، وحكم إفريقية كلّها ، فوجّه المنصور إليه جيشاً بقيادة أمير مصر محمد بن الأشعث، فقتله ، وقتل اثني عشر ألفاً من أصحابه (الأعلام ٤/٤٢).

وفي السنة ١٤٥ ظهر بالمدينة محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ، الملقّب بالنفس الزكيّة ، فبعث إليه المنصور عيسى بن موسى في جيش ، وقاتل محمد حتى قتل ، فلما أحضر رأسه الى عيسى ، قال لأصحابه : ما تقولون فيه ؟ فوقعوا فيه ، فقال : كذبتم ، ما لهذا قتلناه ، وإنّه كان صوّاماً قوّاماً ، ولكنّه خالف أمير المؤمنين ، وشقّ عصا المسلمين (ابن الأثير ٥/٥٤٣- ٥٥١).

وممن قتل مع محمد بن عبدالله النفس الزكية ، أخوه موسى بن

عبدالله ، والحسين وعلي ابنا زيد بن علي بن الحسين ، ولما بلغ المنصور أنّ ابني زيد أعانا محمداً عليه ، قال : عجباً لهما قد خرجا عليّ ، وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه ، وقتل مع محمد ، حمزة بن عبدالله بن محمد بن الحسين ، وعلي وزيد ابنا الحسن بن زيد بن علي وكان أبوهما مع المنصور ، والحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر ، والقاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر، والمرجّى علي بن جعفر بن اسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر ، وكان أبوه مع المنصور ، ومن غير بني هاشم محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد ، ومحمد بن عجلان ، وعبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم ، أخذ أسيراً ، فأحضر أمام المنصور فقال له : أنت الخارج عليَّ ؟ قال : لم أجد إلَّا ذلك ، أو الكفر بما أنزل الله على محمد ، (ابن الأثير ٥/٥٥٢ و٥٥٣).

وفي السنة ١٤٥ لما ظهر محمد بن عبدالله (النفس الزكية) بالمدينة ، كان من أقوى أنصاره ابن خضير ، وهو من أولاد المصعب بن الزبير ، وقد دعاه قائد الجيش العباسي حميد بن قحطبة أن ينزل على الأمان ، فأبى، وظلّ يحارب حتى قتل ، وآحتزّ رأسه وكأنّه باذنجانة مفلّقة من كثرة الجراح ، ولما رأى ابن خضير الخلل في أصحاب محمد ، عاد إلى المدينة ، فدخل إلى حيث سجن رياح بن عثمان المرّي عامل المدينة ، وأخوه عباس ، فذبح رياحاً ، ولم يجهز عليه ، فجعل رياح يضرب برأسه الجدار حتى مات ، ثم أحرق ابن خضير الديوان ، كي لا يؤخذ من بايع محمداً فيعاقبون ، ثم عاد إلى المعركة من جديد ، فجعل ابن قحطبة يدعوه إلى الأمان ويشحّ به على الموت ، وهو يشدّ بسيفه على الناس راجلاً ، فخالط الناس ، فضربه ضارب على أليته فحلّها ، فرجع الى اصحابه وشقّ ثوباً فعصبها إلى ظهره ، وعاد إلى القتال ، فضربه ضارب على حجاج عينه ، فأغمض السيف عينه ، وخرّ ، فابتدره القوم ، واحتزّوا رأسه ، فلما قتل ترجّل محمد ، وقاتل على جثّته ، حتى قتل .

ولما قتل ابن خضير ، كانت أخته أمينة بنت خضير ، خارج المدينة ، فمرّ بها رجل مصعد من المدينة ، فسألته : ما فعل محمد ؟ فقال : قتل ، قالت : فما فعل ابن خضير ؟ قال : قُتل ، فخرّت ساجدة ، فقال لها زوجها : أتسجدين أن قتل أخوك ؟ قالت : نعم ، أليس لم يفرّ ولم يؤسر (الطبري ٧/٥٩١-٥٩٤و٦٠٥) .

وفي السنة ١٤٥ ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، أخو النفس الزكيّة ، بالبصرة ، فوجّه إليه المنصور عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً ، وكان ديوان إبراهيم قد أحصى مائة ألف ، وكان معه لما فصل عن البصرة عشرة آلاف ، ونزل بباخمرى ، على ستّة عشر فرسخاً من الكوفة ، واشتبك مع الجيش العبّاسي ، وكان على ابراهيم قباء زرد ، فآذاه الحرّ ، فحلّ ازرار قبائه ، وشال الزرد حتى سال عن ثدييه ، وحسر عن لبّته ، فأتته نشابة عائرة فأصابته في لبّته ، فنحرته (ابن الأثير ٥/٥٦٥- ٥٧٠) .

ولما أتى المنصور برأس إبراهيم ، وضعه بين يديه ، وجلس مجلساً عاماً، وأذن للناس ، فكان الداخل يسلّم ، ويتناول إبراهيم فيسيء القول فيه ، ويذكره بالقبيح ، التماساً لرضا أبي جعفر ، وأبو جعفر ممسك ، متغيّر اللون ، حتى دخل جعفر بن حنظلة ، فوقف ، فسلّم ، ثم قال : عظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمّك ، وغفر له ما فرط فيه من حقك ، فأسفر لون أبي جعفر وأقبل عليه ، فقال : أبا خالد ، مرحباً وأهلاً ، ها هنا (الطبري ٧/٦٤٨ و ٦٤٩) .

وفي السنة ١٤٦ دخل العلاء بن مغيث الأندلس ، ولبس السواد ، ودعا للمنصور العباسي ، واجتمع إليه خلق كثير ، فخرج إليه عبد الرحمن الداخل ، وقاتله بنواحي إشبيلية ، فقتل من أصحابه سبعة آلاف ، وقتل العلاء (ابن الأثير ٥/٥٧٥) .

وفي السنة ١٤٧ أغار أستراخان الخوارزمي ، في جمع من الترك ، على المسلمين بأرمينية ، فقتل كثيراً من المسلمين ، فسيّر المنصور لمحاربته جبرائيل بن يحيى وعبد الله بن حرب، فهزم جبرائيل، وقتل آبن حرب (الطبري ٧/٨ وابن الأثير ٥/٥٧٧).

وفي السنة ١٤٨ خرج حسّان بن مجالد الهمداني ، بنواحي الموصل، فخرج اليه عسكر الموصل ، وعليهم الصقر بن نجدة وبلال القيسي والحسن بن صالح الهمداني ، فالتقوا ، فانهزم الصقر ، وأسر الحسن وبلال ، فقتل حسّان بلالاً واستبقى الحسن ، لأنّه من همدان ، ففارقه بعض أصحابه لهذا ، ولما بلغ المنصور خروج حسّان ، وأنّه همداني ، قال متعجباً : خارجيّ من همدان ؟ وإنّما أنكر المنصور ذلك لأنّ عشيرة همدان عامّة شيعة لعلي ، فقيل له : إنّ خاله حفص بن أشيم وكان من علماء الخوارج وفقهائهم ، فقال المنصور : فمن هناك (ابن الأثير ٥/٥٨٤ و ٥٨٥).

أقول : لما خرج حسّان، أعانه قوم من أهل الموصل، فعزم المنصور على إنفاذ الجيوش للفتك بأهالي الموصل ، وأحضر أبا حنيفة، وابن أبي ليلى ، وابن شبرمة ، وقال لهم : إنّ أهل الموصل شرطوا لي أنّهم لا يخرجون عليّ ، فإن فعلوا حلّت دماؤهم ، وأموالهم ، وقد خرجوا ، فسكت أبو حنيفة ، وتكلّم الرجلان ، فقالا : رعيّتك فإن عفوت فكنت أهل لذاك ، وإن عاقبت فبما يستحقّون، فقال لأبي حنيفة : أراك سكتّ يا شيخ ، فقال له : يا أمير المؤمنين أبا حوك ما لا يملكون ، أرأيت لو أنّ امرأة أباحت فرجها بغير عقد نكاح ، أكان يجوز أن توطأ ؟ قال : لا ، وكفّ عن أهل الموصل (ابن الأثير ٥/٨٥).

وفي السنة ١٥٠ خرج الحسن بن حرب الكندي بتونس على الأغلب بن سالم التميمي عامل المنصور بها ، فالتقى الجيشان ، واقتتلا ، فأصاب الأغلب سهم فقتله ، وأصيب الحسن فقتل كذلك ، وولّى أصحابه منهزمين ،

فصلب الحسن ودفن الأغلب وسمّي : الشهيد (ابن الأثير ٥/٥٨٦ و٥٨٧) .

وفي السنة ١٥٠ خرج سعيد اليحصبي على عبد الرحمن الداخل واستولى على إشبيلية ، فحصره عبد الرحمن فيها وقتله . فقدّم أصحابه خليفة بن مروان ، فدام الحصار عليهم حتى قتل خليفة (ابن الأثير ٥/٥٨٨ و٥٨٩) .

وفي السنة ١٥٠ خرج غياث بن المسير الأسدي ، بالأندلس ، على عبد الرحمن الداخل ، فقاتله عمّال عبد الرحمن ، وقتلوه ، وبعثوا برأسه إلى قرطبة (الأعلام ٥/٣١٨) .

وفي السنة ١٥٠ خرج أستاذ سيس ، في خراسان ، وهزم عدّة من القوّاد ، فوجّه إليه المنصور خازم بن خزيمة ، فاشتبك معه في معركة ضارية ، قتل فيها من أصحاب أستاذ سيس نحواً من سبعين ألفاً ، وأسر أربعة عشر أيضاً ، قدّمهم خازم فضرب أعناقهم ، ونزل أستاذ سيس على حكم أبي عون ، أحد القوّاد فحكم بأن يوثق أستاذ سيس وأهله وبنوه بالحديد ، وأن يعتق الباقون ، وهم ثلاثون ألفاً ، فأجاز خازم حكم أبي عون، وكسا كلّ واحد منهم ثوبين (الطبري ٨/٢٩-٣٢) .

وفي السنة ١٥٤ قُتِلَ أمير إفريقية للمنصور ، عمر بن حفص بن عثمان المهلّبي ، وكان يلقّبه العجم : هزارمرد ، أي ألف رجل لشجاعته ، دخل القيروان سنة ١٥١ فتكاثر عليه الخوارج ، وحصروه في القيروان، فقاتل حتى قتل (الأعلام ٥/٢٠٢) .

وفي السنة ١٥٥ قتل أبو حاتم يعقوب بن حبيب الأباظي ، رأس الخوارج الأباظية بإفريقية ، قتله يزيد بن حاتم أمير إفريقية للمنصور العباسي (ابن الأثير ٦/٥) .

وفي السنة ١٥٦ عصى أهل إشليبية على عبد الرحمن الداخل فسيّر إليهم ابن عمّه عبد الملك بن عمر ، وبقي عبد الرحمن كالمدد له ،

فلما قارب عبد الملك أهل إشبيلية ، قدّم ابنه أميّة ليعرف حالهم ، فرآهم مستيقظين ، فرجع إلى أبيه ، فلامه أبوه على إظهار الوهن ، وضرب عنقه ، وجمع أهل بيته وخاصّته ، وقال لهم : طردنا من المشرق إلى أقصى هذا الصقع ، ونحسد على لقمة تبقي الرمق ، أكسروا جفون السيوف ، فالموت أولى أو الظفر ، فحملوا بأجمعهم ، فهزم أهل إشبيلية ، وظفر عبد الملك ، فقدم عليه عبد الرحمن ، وعبد الملك يسيل جرحه دماً ، وسيفه يقطر دماً ، وقد لصقت أصابع يده بقائم سيفه ، فقبّله بين عينيه ، وجزاه خيراً ، وشكره وصاهره ، وموّله (ابن الأثير ٦/٩ و١٠) .

وفي السنة ١٦١ خرجت المحمّرة بجرجان ، عليهم رجل اسمه عبد القهّار ، فغلب عليها وقتل بشراً كثيراً ، فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان ، فقتله وأصحابه (ابن الأثير ٦/٥٨) .

وفي السنة ١٦١ سيّر عبد الرحمن الداخل جيشاً إلى دحية الغسّاني ، وكان عاصياً في بعض حصون البيرة ، فقتله ، وسيّر جيشاً إلى إبراهيم بن شجرة البرلسي ، وكان قد عصى ، فقتله ، وسيّر جيشاً إلى العبّاس البربري ، فقتله أيضاً ، وعصى بطليطلة القائد السلمي ، أحد قوّاد عبد الرحمن الداخل ، فسيّر إليه جيشاً حصره في طليطلة ، وفي أحد الأيّام طلب السلمي البراز ، فبرز إليه مملوك أسود ، فاختلفا ضربتين ، فوقعا صريعين ، ثم ماتا جميعاً (ابن الأثير ٦/٥٨و ٥٩) .

وفي السنة ١٦٢ قتل عبد السلام بن هاشم اليشكري ، بقنسرين ، بعث إليه المهدي جيشاً بقيادة شبيب بن واج المروروذي ، ألف فارس ، أعطى كلّ واحد ألفاً ، فوافوا عبد السلام بقنسرين ، فقاتلوه فقتلوه (ابن الأثير ٦/٥٧) .

وفي السنة ١٦٨ خرج بأرض الموصل خارجيّ اسمه ياسين ، من بني تميم ، وهزم عسكر الموصل ، وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة ، فوجّه إليه المهدي أبا هريرة محمد بن فرّوخ وهرثمة بن أعْيَن، فحارباه ، فصبر

لهما ، فقتلاه وعدّة من أصحابه وفرّ الباقون (ابن الأثير ٦/ ٧٨) .

وفي السنة ١٦٨ ثار أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وكان عبد الرحمن الداخل قد سجنه بسجن قرطبة ، لما فرّ أبوه ، وقتل أخوه عبد الرحمن، فتعامى في الحبس ، حتى اقتنع الجميع بأنّه أعمى ، ثم فرّ من الحبس ، والتجأ إلى طليطلة، واجتمع له خلق كثير ، واشتبك مع جيش عبد الرحمن الداخل في معركة ضارية ، فانهزم محمد ، ومات في السنة ١٧٠ وقام بعده أخوه قاسم ، وجمع جمعاً ، ثم جاء إلى عبد الرحمن بغير أمان ، فقتله (ابن الأثير ٦/

وفي السنة ١٦٨ قتل أمير مصر للمهدي ، موسى بن مصعب الخثعمي ، وكان ظالماً شريراً ، نقم عليه الجند والناس ، وقاتلوه فقتلوه (الاعلام ٨/ ٢٨٣) .

وفي السنة ١٦٩ ظهر الحسين بن علي ، صاحب فخّ ، بالمدينة ، دخل المسجد، وجلس على المنبر ، ثم صلّى الغداة ، وجاء الناس لمبايعته ، فجاء خالد البربري القائد ، في جند له عددهم مائتان ، فاقتحم الرحبة ، وقد ظاهر بين درعين ، وبيده السيف مصلتاً ، وفي منطقته عمود ، وأخذ يصيح بالحسين : أنا كسكاس ، قتلني الله إن لم أقتلك ، وحمل عليهم حتى دنا منهم ، فقام إليه إبنا عبد الله بن حسن ، يحيى وإدريس ، فضربه يحيى على أنف البيضة فقطعها وقطع أنفه ، وشرقت عيناه بالدم فلم يبصر ، وبرك يذبّ عن نفسه بسيفه وهو لا يبصر ، واستدار له إدريس من خلفه ، فضربه فصرعه ، وعلوه بسيفيهما حتى قتلاه ، وسلباه درعيه وسيفه وعموده ، وحملوا على أصحابه فانهزموا (الطبري ٨/ ١٩٤) وأقام الحسين بالمدينة أحد عشر يوماً ثم غادرها إلى مكّة ونادى فيها أيّما عبد أتانا فهو حرّ ، فأقبل إليه العبيد ، ثم وقعت المعركة بين أصحاب الحسين والجند العبّاسي ، فقتل الحسين ، وقتل معه سليمان بن عبدالله بن الحسن المثنى جدّ السليمانيين أصحاب الدولة في تلمسان ، وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبدالله ، أبو

الأدارسة بالمغرب ، وقع إلى مصر ، وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور ، وكان يتشيّع ، فحمله على البريد إلى المغرب ، فضرب الهادي عنق واضح ، وصلبه (الطبري ٨/١٩٨ والأعلام ٣/١٩٠ وابن الأثير ٦/٩٠-٩٣) .

وفي السنة ١٧١ خرج الصحصح الخارجي بالجزيرة ، وكان عليها أبو هريرة محمد بن فروخ فوجّه عسكراً إلى الصحصح ، فهزمه صحصح وسار إلى الموصل ، فلقيه عسكرها فظفر بهم وقتل منهم كثيراً ، وعاد إلى الجزيرة فغلب على ديار ربيعة ، فوجّه الرشيد جيشاً بقيادة أبي حنيفة حرب بن قيس ، فاشتبك مع الخارجي في دورين، وقتله، وعزل الرشيد أبا هريرة عن الجزيرة ، وأحضره إلى بغداد ، وقتله (ابن الأثير ٦/١١٢ و ١١٤) .

وفي السنة ١٧١ قتلت تغلب القائد روح بن صالح الهمداني، وكان قد استعمله الرشيد على صدقات تغلب ، وكان قد جرى بينه وبين تغلب خلاف ، وجمع جمعاً وقصدهم ، فاجتمعوا وبيّتوه ، فقتلوه هو وجماعة من أصحابه ، وبلغ ذلك حاتم بن صالح ، وهو بالسكير فجمع جمعاً كثيراً ، وبيّت تغلب ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر مثلهم (ابن الأثير ٦/١١٣) .

وفي السنة ١٧٢ خرج سليمان وعبدالله ابنا عبد الرحمن الداخل على اخيهما هشام بالأندلس ، فجرّد إليها جيشاً ، وحصلت بينهم معارك ، ثم إنّ الحال استقرّ على أن يأخذ سليمان أهله وأولاده وأمواله ويفارق الأندلس ، وأعطاه هشام ستين ألف دينار مصالحة عن حصّته من تركة أبيه عبد الرحمن، واجلى عبد الله أيضاً عن الأندلس .

ثم خرج بالأندلس على هشام ، سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري بشاغنت في شرق الأندلس، فملك طرطوشة، فعارضه موس بن فرتون، واقتتلا ، فانهزم سعيد ، وقتل ، وسارموسى إلى سرقسطة فملكها ، فخرج عليه مولى للحسين بن يحيى ، اسمه جحدر ، فقاتله، وقتل موسى .

ثم خرج بالأندلس على هشام ، مطروح بن سليمان بن يقظان ببرشلونة ، وجمع جميعاً كثيراً ، فملك سرقسطة ووشقة ، ثم قتله بعض أصحابه وانتهى أمره (ابن الأثير ٦/١١٦ـ ١١٨ و ١٢٣).

وفي السنة ١٧٥ خرج الفضل الخارجي بنواحي نصيبين ، وقصد الموصل ، فخرج إليه عسكرها، فهزمهم على الزاب ، ثم عادوا لقتاله ، فقتلوه وأصحابه (ابن الأثير ٦/١٣٣ و ١٣٤).

وفي السنة ١٧٥ وقعت الفتنة بين المضريّة واليمانية بالشام ، وكان رأس المضرية فيها أبو الهيذام عامر بن عبادة بن خريم الناعم ، أحد فرسان العرب المشهورين ، لم ينكسر له جند ، ولم تنكس له راية ، وكان سبب الفتنة ، إنَّ عامل الرشيد على الشام قتل أخاً لأبي الهيذام ، فخرج أبو الهيذام بالشام ، وجمع جمعاً عظيماً، وقال يرثي أخاه :

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإنَّ بها ما يبلغ الطالب الوترا
ولست كمن ينعى أخاه بعبرةٍ ... يعصّرها من ماء مقلته عصرا
وإنّا أناسٌ ما تفيض دموعنا ... على هالك منّا وإن قصم الظهرا
ولكنّني أشفي الفؤاد بغارة ... تلهّب في قطري كتائبها جمرا

ودامت المعارك بين المضريّة واليمانية سنين ، ثم احتيل على أبي الهيذام ، بأن كتب اليه أخ له أن يكفّ فكفّ ، وحمله أخوه إلى الرشيد ، فمنّ عليه وأطلقه ومات أبو الهيذام في السنة ١٨٢ (ابن الأثير ٦/١٢٧ـ ١٣٣).

وفي السنة ١٧٧ قتل بخراسان الحصين الخارجي ، وكان قد خرج في السنة ١٧٥ بخراسان، فأرسل إليه عامل سجستان عثمان بن عمارة جيشاً فظفر بهم الحصين ، فكتب الرشيد إلى الغطريف في طلبه ، فسيّر إليه جيشاً بقيادة داود بن يزيد في اثني عشر ألفاً ، فهزمه الحصين وكان في ستمائة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ثم قتل في السنة ١٧٧ (ابن الأثير ٦/١٢٤).

وفي السنة ١٧٨ قتل الفضل بن روح بن حاتم، عامل إفريقية للرشيد ، وكان الرشيد استعمله على إفريقية في السنة ١٧٧ ، فأساء السيرة في أهلها ، فخرجوا عليه ، وأمّروا عليهم عبدالله بن الجارود ، ويعرف بعبدويه الأنباري واعلنوا بأنّهم لم يخلعوا طاعة الرشيد ، وإنّما يريدون خلع الفضل عنهم ، فسيّر إليهم الفضل جيشاً بقيادة ابن عمّه يزيد بن حاتم، فقتلوه، وأسروا من كان معه من القواد ، . وعاد الفضل فسيّر اليهم عسكراً آخر فانكسر ، وعاد الفضل إلى القيروان منهزماً ، فحصروه في القيروان وقتلوه ، فانقسم الجند إفريقي إلى فئتين، واشتدّ القتال بينهما ، فوجّه الرشيد إلى إفريقية القائد هرثمة بن أعين ، وبعث معه يحيى بن موسى لمحلّه من أهل خراسان ، فسيّر هرثمة ابن الجارود إلى الرشيد ، فحبسه (ابن الأثير ٦/١٣٥ ـ ١٣٩) .

وفي السنة ١٧٨ خرج بالجزيرة الوليد بن طريف التغلبي ، ففتك بابراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ، ثم قويت شوكة الوليد ، فدخل أرمينية ، وحصر خلاط ، وأصعد إلى أذربيجان ، ثم انحدر إلى حلوان ، فأرض السواد ، وعبر إلى غرب دجلة ، وقصد مدينة بلد ، وعاث في أرض الجزيرة ، فسيّر إليه الرشيد ، يزيد بن مزيد الشيباني ، فاشتبك مع الوليد في معركة قتل فيها الوليد ، فلما قتل ، لبست أخته الدرع واعتقلت رمحاً ، وحملت على الناس ، فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج إليها ، فضرب بالرمح قطاة فرسها ، ثم صاح بها ، أغربي غرب الله عليك ، فقد فضحت العشيرة ، فاستحيت وانصرفت ، وقالت في أخيها الوليد قصيدة من أبدع الرثاء وأفجعه ، مطلعها : (الطبري ٨/٢٦١ وابن الأثير ٦/١٤١ ـ ١٤٣) .

بتلّ نهاكى رسمُ قبر كأنّه ... على جبل فوق الجبال منيف
تضمّن مجداً عد مليّاً وسؤدداً ... وهمّة مقدام ورأي حصيف

وفي السنة ١٨٠ خرج خراشة الشيباني ، وحكّم بالجزيرة ، فقتله مسلم بن بكّار العقيلي (الطبري ٨/٢٦٦) .

وفي السنة ١٨١ استعمل الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكّي ، ومحمد هذا رضيع الرشيد ، فأساء السيرة في أهلها ، فاختلف عليه الجند ، وقدّموا عليهم مخلد بن مرة الأزدي ، فسيّر إليه محمد بن مقاتل جيشاً فقاتلوه ، فانهزم مخلد ، واختفى في مسجد ، فأخذ وذبح (ابن الأثير ١٥٤/٦) .

وفي السنة ١٨٣ خرج بنسا من خراسان ، أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائي مولى الحريش ، ثم خرج إلى علي بن عيسى بن ماهان عامل خراسان ، بالأمان ، في السنة ١٨٤ فأكرمه ، ثم عاد فخرج ثانية في السنة ١٨٥ ، فحاربه عليّ في السنة ١٨٦ فقتله ، وسبى نساءه وذراريه (الطبري ٢٧٠/٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥) .

وفي السنة ١٨٤ خرج أبو عمرو الشاري ، فوجّه الرشيد إليه زهير القصّاب ، فقتله بشهر زور (الطبري ٢٧٢/٨) .

وفي السنة ١٨٥ قتل أهل طبرستان ، عاملها مهرويه الرازي (الطبري ٢٧٣/٨) .

وفي السنة ١٨٥ قتل عبد الرحمن الأبناوي ، أبان بن قحطبة الخارجي بمرج القلعة (الطبري ٢٧٣/٨) .

وفي السنة ١٨٥ خرج حمزة بن اترك الخارجي ، وقصد بوشنج ، فخرج إليه عمرويه بن يزيد الأزدي ، عامل هراة ، في ستّة آلاف ، فقاتله ، فهزمه حمزة ، وقتل من أصحابه جماعة ، وقتل عمرويه ، فوجّه إليه علي بن عيسى عامل خراسان ولده عيسى ، فقاتله حمزة ، فظفر أوّلاً ، وانهزم أخيراً ، وقتل أصحابه (ابن الأثير ١٥٠/٦ و١٥١) .

وفي السنة ١٨٦ خرج بتونس ، خارجي اسمه حمديس ، ونزع السواد ، وكثر جمعه ، فسيّر إليه ابراهيم بن الأغلب ، عامل إفريقية ،

عمران بن مخلد ، فنهزم حمديس ، وقتل من أصحابه عشرة آلاف رجل (ابن الاثير ١٥٦/٦) .

وفي السنة ١٨٧ خرج عبد السلام بآمد ، وحكّم ، فقتله يحي بن سعيد العقيلي (الطبري ٣٠٢/٨) .

وفي السنة ١٩٠ خرج سيف بن بكر ، من عبد القيس ، فوجّه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد ، فحاربه ، وقتله بعين النورة (الطبري ٣٢٢/٨ وابن الاثير ١٩٧/٦) .

وفي السنة ١٩١ خرج بناحية حولايا خارجي اسمه ثروان بن سيف ، فوجّه إليه طوق بن مالك ، فهزمه طوق ، وفلّ جمعه (الطبري ٣٢٣/٨) ثم عاد وجمع ، وقتل عامل السلطان بطفّ البصرة (٣٤٠/٨) .

وفي السنة ١٩١ غزا يزيد بن مخلد الهبيري ، أرض الروم ، في عشرة آلاف ، فأخذت الروم عليه المضيق ، فقتلوه وخمسين رجلاً (ابن الأثير ٢٠٥/٦) .

وفي السنة ١٩٢ قتل الرشيد الهيصم اليماني ، أحد الخوارج ، وكان حمّاد البربري عامل الرشيد على مكّة واليمن قد ظفر به (الطبري ٢٧٢/٨ و٣٤٠ وابن الاثير ٢٠٩/٦) .

وفي السنة ١٩٤ قتل شقيق البلخي الزاهد ، في غزاة كولان من بلاد الترك (ابن الاثير ٢٣٧/٦) .

وفي السنة ١٩٥ اقتتل جيش الأمين بقيادة علي بن عيسى بن ماهان ، وجيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين ، وقتل علي بن عيسى ، وجيء برأسه إلى طاهر ، وحملت جثته على خشبة ، وقد شدّت يداه إلى رجليه ، كما يحمل الحمارالميت ، فأمر به طاهر ، فلفّ في لبد ، وألقي في بئر ، وكتب

طاهر بالفتح إلى ذي الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون : كتبتُ إليك ، ورأس علي بن عيسى بين يدي ، وخاتمه في إصبعي ، والحمد لله رب العالمين (الطبري ٨/ ٣٩٠ ـ ٣٩٤ وابن الأثير ٦/ ١٩٥ ـ ٢٤٤) .

وفي السنة ١٩٥ لما قتل علي بن عيسى بن ماهان ، وانفلّ عسكره ، وجّه الأمين عبد الرحمن بن جبلة الأبناوي ، في عشرين ألف رجل إلى همذان ، وآستعمله عليها ، فسار إليها ونزلها ، وتحصّن فيها ، وحاصره طاهر ، فخرج إليه ، فظفر طاهر به ، وشدّد عليه الحصار ، فطلب الأمان ، فأمّنه طاهر ، فخرج عن همدان وأقام يتظاهر بالمسالمة ، ثم آغترّهم وهم آمنون ، فركب في أصحابه ، وهجم على طاهر وجيشه ، فثبت له طاهر وجنده ، وآقتتلوا أشدّ قتال ، فقتل عبد الرحمن ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة (الطبري ٨/ ٤١٦ و٤١٧وابن الاثير ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨) .

وفي السنة ١٩٦ قتل محمد بن يزيد المهلّبي ، أمير الأهواز للأمين ، في معركة نشبت بينه وبين طاهر بن الحسين أمير جيش المأمون (الطبري ٨/ ٤٣٢ ـ ٤٣٤) .

معارك العيّارين في حصار بغداد الاول

العيّار : الشخص الذي لا يهتم بأمور عيشه ، وإنّما يعيش كيفما اتّفق ، لا يتقيّد بالدين ، ولا بالمتعارف بين الناس ، وهو أشبه بمن يسمّونهم اليوم بالهيبيّين راجع نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، حاشية ١/ ٤ .

وأوّل ما ظهرت هذه التسمية في السنة ١٩٧ عندما حاصر طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون بغداد ، وفيها الأمين ، فظهر قوم من العامّة البغداديّين ، يحاربون عراة ، سمّاهم الناس ، وسمّوا أنفسهم بالعيّارين ، ذكرهم صاحب مروج الذهب ٢/ ٣١٨ فقال : ظهر العيارون في الحرب بين

جيش المأمون بقيادة طاهر ، وجيش الأمين ، لما حاصر طاهر بغداد ، وكان العيّارون يقاتلون عراة ، وفي أوساطهم التبابين والمآزر ، وقد آتّخذوا لرؤوسهم دواخل من الخوص ، وسمّوها الخوذ ، ودرقاً من الخوص والبواري قد قيّرت وحشيت بالحصى والرمل ، على كلّ عشرة منهم عريف ، وعلى كلّ عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كلّ عشرة نقباء قائد ، وعلى كلّ عشرة قوّاد أمير ، ولكلّ ذي مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده ، فالعريف له أناس يركبهم ، غير ما ذكرناه من المقاتلة ، وكذلك النقيب ، والقائد ، والأمير ، وناس عراة قد جعل في أعناقهم الجلاجل ، والصوف الاحمر والاصفر ، ومقاود قد اتّخذت لهم ، ولجم ، وأذناب من مكانس ومذابّ ، فيأتي العريف وقد ركب واحداً ، وقدّامه عشرة من المقاتلة ، وعلى رؤوسهم خوذ الخوص ، ودرق البواري ، وتقف النظّارة ، ينظرون إلى حربهم مع أصحاب الخيول ، والجواشن ، والدروع ، والتجافيف ، والسواعد ، والرماح ، والدرق التبّتيّة ، هؤلاء عراة ، وهؤلاء على ما ذكرنا من العدّة .

وذكر صاحب العيون والحدائق ٣/٣٣٣ : إنّ طاهراً لما حصر الأمين ببغداد ، وضيّق على أهلها ، وأحرق دور من لم ينحز إليه منهم ، ذلّ البغداديّون ، وانكسروا ، وعجزت الأجناد عن القتال ، إلّا أهل السوق ، والعراة ، وأهل السجون ، والأوباش ، وأباح الأمين لهم النهب ، وأمرهم باتّخاذ التراس من البواري ، والرمي بالمقاليع ، فكانوا يقاتلون ، ويؤثّرون في أصحاب طاهر ، وذكر الطبري ٨/٤٥٧ إنّ أحد أصحاب طاهر من أهل البأس والنجدة ، خرج يوماً للحرب ، فنظر إلى قوم عراة لا سلاح معهم ، فآستهان بهم ، وآستحقرهم ، وقال لأصحابه : ما يقاتلنا إلّا من أرى ؟ إستهانة بأمرهم ، وآحتقاراً لهم ، فقيل له : نعم ، هؤلاء الذين ترى ، هم الآفة ، فقال : أفّ لكم حين تنكصون عن هؤلاء ، وتخيمون عنهم ، وأنتم في السلاح الظاهر ، والعدّة والقوّة ، ولكم ما لكم من الشجاعة والنجدة ، وما

عسى أن يبلغ كيد من أرى من هؤلاء ، ولا سلاح معهم ، ولا عـدّة لهم ، ولا جنّة تقيهم ، فأوتـر قوسـه وتقدّم ، وأبصـره بعضهم ، فقصد نحـوه ، وفي يده بارية مـقيّـرة ، وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة ، فجعل الخـراساني كلّمـا رمى بسهم ، استتر منه العيّار فوقع في باريته ، أو قريباً منه ، فيـأخذه ، فيجعله في موضع من باريته ، قد هيأه لذلك ، وجعله شبيهـاً بالجعبـة ، وجعل كلّمـا وقع سهم أخذه وصاح : دانق ، أي إنّه أحرز ثمن النشّابه دانقاً ، ولم تزل تلك حالة الخـراساني ، وحـال العيّار ، حتى أنفـد الخراسـاني سهامـه ، ثم حمل على العيار ليضربه بسيفه ، فأخرج العيّار من مخلاته حجراً ، فجعله في المقلاع ، ورماه ، فما أخـطأ به عين الخراساني ، ثم ثنّاه بآخـر ، فكاد أن يصـرعه عن فرسه لولا تحامله ، فكّر الخراساني راجعاً وهو يقول : ليس هؤلاء بإنس .

وإلى قصـة هذا القـائد ، وأمثـالها ، أشـار الشاعـر البغدادي ، فقـال : (الطبري ٨/٤٥٩) .

لقـد ضيّقـوا من أرضنـا كـلّ واسـع	وصـار لهم أهــل بهـا وتعـرّصـوا
وقـد أفسـدوا شـرق البـلاد وغـربهـا	علينـا فمـا نــدري إلى أين نشخص
تـرى البـطل المشهـور في كـلّ بلدة	إذا مـا رأى العـريـان يـومـاً يبصبص
إذا مــا رآه شــمّــريــاً مــقــزّلاً	عـلى عقـيبـة لـلمخـافـة يـنكـص

وقد وصف عمرو بن عبـد الملك العتري ، أحـد الشعراء البغـداديّين ، هذا الجيش من العراة ، وصفاً صادقاً ، فقال : (الطبري ٨/٤٥٨) .

خــرّجت هـذه الحــروب رجـالاً	لا لــقـحـطـانـهـا ولا لــنــزار
معشراً في جواشن الصـوف يعدو	ن إلى الحرب كالاسود الضواري
وعليهم مغـافـر الخـوص تجـزيـ	ـهم عن البيض والتراس البواري
ليس يـدرون مـا الفـرار إذ آلابـ	ـطال عــاذوا من القنا بــالفـرار

واحـدٌ مـنـهـم يـشدّ على ألـ ـفيـن عـريـان مـالـه مـن إزار
ويقـول الفـتى إذا طـعن الـطعـ ـنـة خـذهـا من الفتى العيّـار

وقد ملح عمرو الورّاق ، في وصف الواحدمن هؤلاء العراة ، فـذكر إنّـه يرتدي بالشمس ، قال : (الطبري ٨/٤٦٩) .

حـبشـي يـقـتـل الـنـا س عـلى قـطعـة خـيش
مـرتـدٍ بـالـشـمس را ضٍ بـالمنى من كـلّ عـيش

وذكر في قصيدة أخـرى من قصائـده ، الطوائف التي ينتهي إليهـا هؤلاء العراة فقال : (الطبري ٨/٤٧٤) .

رجـعت إلـى أعـمـالـهـا الـ أولـى عـراة مـحـمـد
مـن بـيـن نـطّاف وسـ ـوّاطٍ وبـيـن مـقـرّد
ومـجـرّدٍ يـأوي إلـى عـيّـارةً ومـجـرّدٍ
ومـقـيّـد نـقـب الـسجـو ن فـعـاد غِـر مـقـيّـد
ومـسـوّد بـالـنـهـب سـا دَ وكـان غـيـر مـسـوّد

وقال أيضاً : (الطبري ٨/٤٥٦) .

عـريـان ليس بـذي قميص يـعـدو على طـلب القـميص
يـعـدو عـلى ذي جـوشـن يعمي العيـون من البصـيص
فـي كـفّـه طـرادة حمـراء تلمع كـالفصـوص
مـالـلكـمـيّ إذا لـمـقـ ـتله تـعـرّض مـن مـحيص

وقـد نظم الخـريمي الشـاعـر البغـدادي ، قصيـدة اشتملت على مـائـة وخمسـة وثـلاثين بيتـاً ، تحسّـر فيهـا على بغـداد ، ووصفهـا أيّـام عمـرانهـا وبهجتها ، وتفجّع لما أصابها من جراء هذه الحرب ، ووصف بعض ما شاهده من حروب هؤلاء العراة ، قال : (الطبري ٨/٤٤٨) .

يـا بـؤس بـغـداد دار مـمـلـكـة دارت عـلى أهـلهـا دوائـرهـا
مـحـفـوفـة بـالـردى مـنّـطـقـة بـالـصغـر مـحصـورة جبابـرهـا
يـحـرقـهـا ذا ، وذاك يـهـدمـهـا ويـشتـفي بـالـنهـاب شـاطـرهـا
والـكـرخ أسـواقـهـا مـعـطّلة يـسـتـنّ عـيّـارهـا وعـائـرهـا
أخـرجت الحـرب من سـواقـطهـا آسـاد غـيـلٍ غـلبـاً تـسـاورهـا
مـن الـبـواري تـراسـهـا ومـن الـ خـوص إذا استلأمت مغـافـرهـا
تعـدو إلى الحرب في جواشنهـا الـ ـصـوف إذا مـا غـدت أسـاورهـا
كـتـائـب الهـرش تـحـت رايتـه سـاعـد طـرّارهـا مـقـامـرهـا
بمثـل هـام الـرجـال من فلق الصخـ ـر يـرود الـمـقـلاع بـائـرهـا
والـقـوم من تـحتهـا لـهـم زجـل وهـي تـرامـى بـهـا خـواطـرهـا

وذكر الشاعر بغداد ، أيّام كانت دار السلام والاطمئنان :

إذ هـي مثـل الـعـروس بـاطنهـا مـشـوّق لـلفـتـى وظـاهـرهـا
جـنّـة خـلدٍ ودار مـغـبـطةً قـلّ مـن الـنـائـبـات واتـرهـا
درّت خلوف الـدنيـا لـسـاكنهـا وقـلّ مـعـسـورهـا وعـاسـرهـا
فـالـقـوم منهـا في روضـةً أنـفٍ أشـرق غـبّ الـقـطار زاهـرهـا
فـهـل رأيـت الـجـنـان زاهـرةً يـروق عين الـبـصـيـر زاهـرهـا
وهـل رأيـت الـقـصـور شـارعـة تكنّ مـثـل الـدمى مـقـاصـرهـا
محفـوفـة بـالكـروم والنخـل والـ ـريحـان مـا يستقـلّ طـائـرهـا

فلما أصيبت في هذه الحرب ، أصبحت :

قفـراً خـلاءً تعـوي الكـلاب بها ينكـر منهـا الـرسـوم زائـرهـا
وأصبـح البؤس مـا يفـارقـهـا إلفـاً لهـا والسـرور هـاجـرهـا
أمست كجـوف الحمـار خـاليـة يسعـرهـا بـالجحيم سـاعـرهـا
أمـا رأيـت الـخـيـول جـائـلة بـالقـوم منكـوبـة دوابـرهـا

تعثـر بـالأوجـه الحسـان من الـ ـقتلى وعلّت دمـاً أشـاعـرهـا
يـطأن أكبـاد فتـيـة نـجـدٍ تـفلق هـامـاتـهم حـوافـرهـا
وهل رأيت الفتيان في عرصة المعـ ـرك مـعـفـورة مـنـاخـرهـا
كـلّ فـتى مـانـع حـقيـقتـه تشقى بـه في الـوغى مساعـرها
بـاتت عليـه الكـلاب تنهشـه مخضـوبـة من دم أظـافـرهـا
أمـا رأيت النساء تحت المجانيـ ـق تعـادى شعثـاً ظفـائـرهـا
عقائل القوم ، والعجائز ، والعذّ س لـم تختـبـر معـاصـرهـا
تسـأل عن أهلهـا وقـد سلبت وابتـزّعن رأسهـا غفـائـرهـا
وهـل رأيت الثكلى مـولـولـة في الطرق تسعى والجهد باهرها
في إثـر نعش عليـه واحـدهـا فـي صـدره طعنـة يسـاورهـا
تنـظر في وجهـه وتهتف بـالثكـ ـل وجـاري الـدمـوع حـادرهـا
غـرغـر بـالنفس ثم أسلمـهـا مـطلولـة لا يخـاف ثـائـرهـا

ثم يتفجّع على أيّامها الزاهية ، فيقول :

فـأين محـروسهـا وحـارسهـا وأيـن مجبـورهـا وجـابـرهـا
وأيـن خصيـانهـا وحشـوتهـا وأيـن سكّـانهـا وعـامـرهـا
أين الجـراديّـة الصقـالب والأحـ ـبش تعـدو هـدلاً مشـافـرهـا
ينصـدع الجنـد عن مـواكبهـا تعـدو بهـا شـزّبـاً ضـوامـرهـا
أين الظباء الأبكار في روضة الملـ ـك تـهـادى بـه غـرائـرهـا
أيـن غـضـاراتـهـا ولـذّتـهـا وأيـن محبـورهـا وحـابـرهـا
بـالمسـك والعنبـر اليمـان وبـالـ ـيلنجـوج مشبـوبـة مجامـرهـا
يرفلن في الخزّ والمجاسد والمو شـيّ مـخـطومـة مـزامـرهـا
وأيـن رقّـاصـهـا وزامـرهـا يجبن حيث انتهت حنـاجـرهـا
تـكـاد أسمـاعـهـم تـسـكّ إذا عـارض عيـدانهـا مـزامـرهـا

بدأ حصار بغداد في السنة ١٩٧ فنزل القائد زهير بن المسيب بقصر رقّة كلواذى ، ونزل هرثمة نهربين ، ونزل عبيدالله بن الوضّاح بالشمّاسيّة ، ونزل طاهر بالبستان بباب الانبار ، وألحّ قوّاد الأمين وقوّاد طاهر في إحراق الدور والدروب ، وهدمها بالمجانيق والعرادات ، كلّ فيما يليه ، وفي قتال جرى في قصر صالح بين قوّاد طاهر وقوّاد الأمين ، قتل من أصحاب طاهر القائد أبو العباس يوسف بن يعقوب الباذغيسي ، ومن كان معه من القوّاد والرؤساء المعدودين ، ثم اشتبكوا في معركة بالكناسة ، باشرها طاهر بنفسه ، وقتل فيها بشر كثير ، ثم اشتبكوا في معركة بدرب الحجارة ، وكانت لأصحاب محمد ، وقتل فيها خلق كثير ، ثم اشتبكوا في معركة بباب الشمّاسيّة ، وكانت للعراة أصحاب محمد على أصحاب هرثمة ، ثم اشتبكوا في معركة بجزيرة العبّاس ، صدم فيها طاهر ، أصحاب محمد صدمة صعبة ، وغرق منهم بشر كثير في الصراة ، وفي السنة ١٩٨ استولى طاهر على بغداد ونادى بالأمان لمن لزم منزله ، وتحصّن محمد الأمين بالمدينة (مدينة المنصور) يقاتل ومن معه ، ثم أشار عليه قوّاده بمبارحة بغداد ، إلى حيث يقاتل في جبهة جديدة ، ثم أشاروا عليه بالإستسلام ، فأختار أن يخرج بالأمان إلى هرثمة ، فغضب طاهر وأضمر أمراً ، فلما خرج الى هرثمة ، وركب في حرّاقته ، أغرقها أصحاب طاهر ، وأخذوا الأمين فقتلوه (الطبري ٨/ ٤٤٥- ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٨).

وفي السنة ٢٠٠ خرج خارجي من البربر ، بناحية موررور ، بالأندلس ، ومعه جماعة ، فوصل كتاب العامل إلى الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، صاحب الأندلس بخبره ، فاستدعى الحكم احد قوّاده ، وأخبره بذلك سراً ، وقال له : سر من ساعتك هذه الى الخارجي فأتني برأسه ، وإلاّ فرأسك عوضه ، وأنا قاعد هنا إلى أن تعود ، فسار القائد إلى الخارجي ، وقتله ، وعاد إلى الحكم بعد أربعة أيّام ، فوجده بمكانه لم يتحوّل عنه (ابن الأثير ٦/٣١٨و ٣١٩).

وفي السنة ٢٠٢ قتل علي بن الحسين الهمداني ، وأخوه أحمد ، وجماعة من أهل بيته ، وكان متغلّباً على الموصل، فحاربه الأزد بقيادة السيّد بن أنس ، فاستنصر علي بخارجيّ اسمه مهدي بن علوان ، وكانت الدائرة على علي بن الحسين ، فطردوه من الموصل إلى الحديثة ، وتبعه الأزد فقتلوه ، وقتلوا أخاه وجماعة من أهله (ابن الأثير ٦/٣٤٩) .

أقول: لما دخل المأمون بغداد ، تظلّم إليه محمد بن الحسين الهمداني ، من السيّد بن أنس ، وذكر إنّه قتل أخوته وأهل بيته، فأحضر المأمون السيّد بن أنس ، وقال له : أنت السيّد ؟ فقال : السيّد أمير المؤمنين ، وأنا ابن انس ، فاستحسن ذلك منه ، وسأله : أنت قتلت أخوة هذا ؟ قال : نعم ، ولو كان معهم لقتلته ، لأنّهم أدخلوا الخارجي بلدك، وأعلوه على منبرك ، وأبطلوا دعوتك ، فعفا عنه ، واستعمله على الموصل (ابن الأثير ٦/٣٥٩) .

وفي السنة ٢٠٥ قتل القائد عبد العزيز الجذامي ، وكان يلي الشرطة بمصر في عهد المطّلب الخزاعي أمير مصر ، ثم خرج عليه ، واستولى على الاسكندرية بخمسين ألف جندي ، ودعي له ، واستفحل أمره ، ثم خرج من الإسكندرية في إحدى حروبه ، فانتقضت عليه ، فعاد وحاربها ، ونصب عليها المجانيق ، فأصابه فلقة حجر من منجنيقه ، فقتلته (الاعلام ٤/١٥٤) .

وفي السنة ٢١١ نشبت معركة بين السيّد بن أنس ، عامل الموصل للمأمون ، وزريق بن علي بن صدقة الأزدي الموصلي ، المتغلّب على الجبال ، ما بين الموصل واذربيجان ، فخرج إليه السيّد في أربعة آلاف ، وكان زريق في أربعين ألفاً ، فحين رآهم السيّد حمل عليهم وحده ، وكانت هذه عادته أن يحمل وحده بنفسه ، وحمل عليه رجل من أصحاب زريق ، فقتل كلّ منهما صاحبه . (ابن الأثير ٦/٤٠٣ و٤٠٤) .

وفي السنة ٢١٣ كانت مصر في ولاية المعتصم ، وخلع بها عبد السلام وابن حليس ، فأمر المأمون، أخاه أبا اسحاق ، فسار إليها ، لأنّهما وثبا بعامله الباذغيسي فقتلاه ، فلما وصلها قاتلهما ، وقتلهما ، ثم عاد (ابن الأثير ٤٠٩) .

وفي السنة ٢١٣ قتل في المعركة ، أبو عبدالله اسد بن الفرات ، قاضي القيروان ، وأحد القادة الفاتحين ، فتح صقلية على رأس جيش وأسطول إفريقي ، وقتل على أبواب سرقوسة حيث كان محاصراً لها من البرّ والبحر (الاعلام ١/٢٩١).

وفي السنة ٢١٤ قتل عمير بن الوليد التميمي ، عامل مصر ، خرج لقتال اهل الحوف ، فقتل في المعركة . (الاعلام ٥/٢٦٦).

وفي السنة ٢١٤ خرج بلال الغسّاني الشاري ، فوجّه إليه المأمون ابنه العبّاس ، في جماعة من القوّاد ، فقتل بلال (ابن الأثير ٦/٤١٥).

وفي السنة ٢١٤ قتل القائد محمد بن حميد الطوسي ، في المعركة بين الجيش العباسي ، والثائر الفارسي بابك الخرمي ، وقتل جمع من أصحابه ، وقد خلّده أبو تمام الطائي بقصيدة كلّ أبياتها غرر ، مطلعها : (الطبري ٨/٦٢٢ وابن الأثير ٦/٤١٢ و٤١٣).

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذر

قال فيها :

توفيّت الآمال بعد محمدٍ ... وأصبح في شغل عن السَفَر السَفْر
وما كان إلاّ مال من قلّ ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر
وما كان يدري مجتدي جود كفّه ... إذا ما استهلّت أنّه خلق العسر
ألا في سبيل الله من عطّلت له ... فجاج سبيل الله وأنثغر الثغر
فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي بأسه شطر وفي جوده شطر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتةً ... تقوم مقام النصر إن فاته النصر

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر
ونفس تخاف العار حتى كأنّما هو الكفر يوم الروع أودونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من دون أخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلاَّ وأكفانه الأجر
تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلاَّ وهي من سندس خضر
كأنَّ بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خرّ من بينها البدر
يعزّون عن ثاوٍ تعزّى به العلى ويبكي عليه الجود والمجد والشعر
فتى سلبته الخيل وهو حمىً لها وبزّته نار الحرب وهولها جمر

أقول أبيات القصيدة كلّها جديرة بأن تثبت ، ولما توفّي أبو تمّام بالموصل ، وكان يلي البريد بها ، بني أبو نهشل بن حميد الطوسي على قبره قبّة (وفيات الأعيان ٢/١٧) وهكذا تقارضا الثناء ، اثنى أحدهما قولاً ، وأثنى الآخر فعلاً .

وفي السنة ٢١٦ قتل هاشم الضرّاب ، بالأندلس ، وكان قد خرج بطليطلة ، فاجتمع اليه جمع كثير ، واشتدّت شوكته ، فسيّر إليه عبد الرحمن في السنة ٢١٤ جيشاً فلم يظفر به ، ثم سيّر إليه في السنة ٢١٦ جيشاً آخر ، فقتل هاشم ، وقتل كثير ممن معه (ابن الأثير ٦/٤١٦) .

وفي السنة ٢١٨ وجّه زيادة الله بن الأغلب ، صاحب إفريقية ، جيشاً لمحاربة فضل بن أبي العنبر بالجزيرة ، فاستنجد فضل بعبد السلام بن المفرّج الربعي ، وكان عبد السلام مخالفاً من عهد فتنة منصور ، فأنجده ، والتقوا مع عسكر زيادة الله ، فقتل عبد السلام ، وحمل رأسه إلى زيادة الله (ابن الأثير ٦/٤٤٠) .

وفي السنة ٢١٩ وجّه المعتصم عجيف بن عنبسة لحرب الزطّ ، الذين كانوا قد غلبوا على طريق البصرة ، وأخافوا السبيل ، فسار عجيف حتى نزل

تحت واسط ، وسدّ الأنهار التي كانوا يمرّون بها ، وأخذ عليهم الطرق ، وحاربهم ، فأسر منهم في معركة واحدة خمسمائة رجل ، وقتل في المعركة ثلثمائة ، فضرب أعناق الأسرى وبعث بالرؤوس إلى باب المعتصم (ابن الأثير ٤٣٣/٦) ثم طلب الزطّ الأمان ، فأمّنهم ، ونقلهم إلى بغداد، وكانت عدّة المقاتلة منهم اثني عشر ألفاً وكانت عدتهم جميعاً مع النساء والصبيان سبعة وعشرين ألفاً وأدخلهم بغداد في السفن معبأين على هيأتهم في الحرب . . . فنظر إليهم المعتصم ، ثم نقلوا إلى الجانب الشرقي ، ورحلوا عن طريق خانقين إلى عين زربة ، فأغارت عليهم الروم ، فاجتاحوهم ، ولم يفلت منهم أحد (ابن الأثير ٤٤٦/٦).

وفي السنة ٢١٩ سيّر عبد الرحمن بن الحكم، صاحب الأندلس جيشاً إلى طليطلة ، بقيادة ميسرة ، المعروف بفتى أبي أيّوب، فحارب أهل طليطلة ، ونصب لهم كميناً ، فلما خرجوا إليه ، تراجع عنهم ، وأبعدوا ، فلما بلغوا الكمين، خرج عليهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وعاد من سلم منهزماً إلى طليطلة ، وجمعت رؤوس القتلى ، وحملت إلى ميسرة ، فلما رأى كثرتها، ارتاع، واغتمّ غماً شديداً ، فمات بعد أيّام (ابن الأثير ٦/ ٤٤٤).

وفي السنة ٢٢٢ قتل مالك بن علي الخزاعي ، وكان يلي طريق خراسان ، اشتبك في معركة مع الشراة ، فضرب على رأسه، فمات (الأعلام ١٣٩/٦).

وفي السنة ٢٢٣ خرج ملك الروم ، في مائة ألف أو أكثر ، إلى بلاد الإسلام ، وأوقع بأهل زبطرة ، وكان بابك قد كتب إليه يحرّضه على حرب المسلمين ، حاسباً أنّ انشغالهم به يخفف عنه ، ولما فتح ملك الروم زبطرة ، قتل من بها من الرجال ، وسبى النساء والذريّة ، وكذلك صنع بملطية وغيرها من حصون المسلمين (ابن الأثير ٦/ ٤٧٩).

وفي السنة ٢٢٣ بلغ المعتصم ما صنع ملك الروم بالمسلمين في زبطرة وغيرها ، وبلغه أنّ امرأة مسلمة صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم : وامعتصماه ، وكان جالساً على سريره ، فنهض وصاح : يا لبيكاه ، وأمر بالنفير ، وركب دابّته ، وأمر العسكر باتّباعه ، وعسكر بغربي دجلة ، ثم سأل : أيّ بلاد الروم أمنع ؟ فقيل : عموريّة ، فقصدها ، وفتحها عنوة ، وأمر بها فهدمت وأحرقت (ابن الأثير ٦/ ٤٨٠-٤٨٨) .

وفي السنة ٢٢٤ عصى ، بأعمال الموصل رجل اسمه جعفر ، من مقدّمي الأكراد ، وتبعه خلق كثير ، فسار إليه عبدالله بن السيّد بن أنس الأزدي ، عامل الموصل للمعتصم ، فظفر جعفر ، وانفلّ عسكر الموصل ، وكان فيمن أسره جعفر رجلان ، أحدهما اسمه اسحاق ، وهو صهر جعفر ، والثاني اسمه اسماعيل وهو عمّ عبد الله بن السيّد ، فظنّ اسماعيل أنّ جعفر يقتله ، ولا يقتل إسحاق للصهر الذي بينهما ، فأخذ يوصي إسحاق بأولاده ، فقال له إسحاق : أتظنّ أنّك تقتل وأبقى بعدك ؟ ثم التفت إلى جعفر وقال له : أسألك أن تقتلني قبله لتطيب نفسه ، فبدأ به فقتله ، وقتل اسماعيل من بعده ، فلما بلغ المعتصم ذلك ، أمر إيتاخ بالمسير إلى جعفر ، فتجهّز وسار إلى الموصل في السنة ٢٢٥ واشتبك مع جعفر في معركة ضارية ، فقتل جعفر ، وتفرّق أصحابه (ابن الأثير ٦/٥٠٦ ـ ٥٠٧) .

وفي السنة ٢٢٥ قتل محمود بن عبد الجبار المارديّ ، رأس الثائرين في ماردة ، بالأندلس ، وكان قد خرج بماردة في السنة ٢١٣ مع جماعة من أهلها ، وقتلوا عاملها ، فسيّر إليها عبد الرحمن الأموي جيشاً هدم سور المدينة ، فأبوا إلى الطاعة ، فلما عاد الجيش عنهم عاودوا العصيان ، وفي السنة ٢١٤ حصرها جيش عبد الرحمن فلم يبلغ منها شيئاً ، وكذلك في السنة ٢١٧ ، وفي السنة ٢١٨ عاود حصارها ، ففتحها ، وطرد عنها محمود بن عبد الجبار الماردي ، وقتل كثيراً من رجاله ، فمضى محمود والباقون من

أصحابه إلى مونت سالوط ، فسيّر إليه عبد الرحمن في السنة ٢٢٠ جيشاً ، فانحاز محمود وأصحابه إلى حلقب ، ثم عبروا إلى حدود المشركين ، واستولى محمود على قلعة لهم فأقام فيها وأصحابه خمس سنين ، ثم قصدهم الفونس ملك الفرنج في السنة ٢٢٥ فملك الحصن ، وقتل محموداً ومن معه (ابن الأثير ٦/ ٤١٠ و ٤١١).

وفي السنة ٢٣٠ قتل عذيرة بن قطاب السلمي ، مقدم بني سليم ، وكانوا قد عاثوا في المدينة ، فسيّر إليهم الواثق جيشاً ، فدوّخهم ، وحبس منهم في القيود بالمدينة ألف رجل ، فنقبوا الحبس وخرجوا منه ، فأحاط بهم أهل المدينة ، وقتلوهم ، وكان رأسهم عذيرة يقاتل وهو يرتجز :

لا بدّ من زحم وإن ضاق الباب   الموت خير للفتى من العاب

فقتل وصلب (الأعلام ٥/ ١٣).

وفي السنة ٢٣٦ قتل عمرو بن سليم التجيبي ، الثائر التونسي ، في معركة نشبت بينه وبين جيش سيّره إليه محمد بن الأغلب أمير إفريقية ، وكان قد سيّر له قبل ذلك جيشين كسرهما التجيبي (الأعلام ٥/ ٢٤٦).

وفي السنة ٢٤٩ قتل في المعارك مع الروم ، بطلان من أبطال الإسلام عمر بن عبيدالله الأقطع ، وعلي بن يحيى الأرمني ، وقتل معهما جمع من أصحابهما ، فهاج الناس ببغداد ، وسامراء ، ونادى عامّة بغداد بالنفير ، وفتحوا السجون، وأخرجوا من فيها ، وأحرقوا أحد الجسرين ، وقطعوا الآخر، وانتبهوا دار بشر وإبراهيم ابني هارون، كاتبي محمد بن عبد الله بن طاهر ، أمير بغداد ، وفي سامراء ، وثب نفر من العامّة ، ففتحوا السجن وأخرجوا من فيه ، وحاربوا الأتراك ، وهزموهم ، ثم سكنت الفتنة . (الطبري ٩/ ٢٦١- ٢٦٣ وابن الأثير ٧/ ١٢١ - ١٢٢).

وفي السنة ٢٥٠ ظهر يحيى بن عمر العلوي ، بالكوفة ، وكان سبب

خروجه سوء المعاملة التي لاقاها من عمر بن فرج الرخجي ، الذي ولّاه المتوكل أمر الطالبيّين ، فتحرّك بالكوفة ، وطرد عاملها ، وحاربه عبدالله السرخسي ، العامل على معاون السواد ، فضربه يحيى ، فأثخنه ، ففرّ هارباً ، فوجّه إليه محمد بن عبد الله بن طاهر جيشاً ، ونشبت معركة ، أسفرت عن يحيى بن عمر قتيلاً ، فحمل الرأس إلى محمد بن عبدالله بن طاهر ، فبعث به إلى المستعين بسامراء ، فنصبه بسامراء لحظة ، ثم أخفاه ، خوفاً من الناس ، وجلس محمد بن عبدالله بن طاهر ببغداد ، يتقبّل التهاني بقتل يحيى بن عمر ، فدخل عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفري فقال له : أيّها الأمير ، إنّك لتهنّأ بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حياً ، لعزّي به ، فلم يردّ عليه (الطبري ٩/٢٦٦ـ ٢٧٠ وابن الأثير ٧/١٢٦ـ ١٢٩) .

أقول : وفي مقتل يحيى بن عمر ، قال ابن الرومي قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

أمامك فانظر أيّ نهجيك تنهجُ　　طريقان شتّى مستقيم وأعوجُ

يقول فيها :

أيحيى العلى لهفي لذكراك لهفةً　　يعاود مكواها الفؤاد فينضج

أحين تراءتك العيون جلاءها　　واقذاءها أضحت مراثيك تنسج

سلامٌ وريحانٌ وروحٌ ورحمةٌ　　عليك وممدودٌ من الظلّ سجسج

ولا برح القاع الذي أنت جاره　　يرفّ عليه الأقحوان المفلّج

ويا أسفي أن لا تردّ تحيّة　　سوى أرج من طيب رمسك يأرج

ألا إنّما ناح الحمائم بعدما　　ثويتَ وكانت قبل ذلك تهزج

معارك العيّارين في حصار بغداد الثاني

كانت أوّل معارك للعيارين العراة البغداديين ، في حصار بغداد أوّل مرّة ، في السنة ١٩٧ لما حصر طاهر بن الحسين ، قائد جيش المأمون ، بغداد وفيها الأمين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه .

وفي السنة ٢٥١ انحدر المستعين **ومعه وصيف وبغا إلى** بغداد ، منزعجاً من تصرّفات الجنود والقوّاد الأتـراك ، فلحقوا بـه في بغداد ، وتـوسّلوا إليه أن يعود ، فتلكّأ ، فعادوا إلى سامراء ، وأخرجـوا المعتزّ من محبسـه بالجـوسق ، وبـايعوه بـالخـلافـة ، وخلعـوا المستعين ، فجهّـز المعتـزّ جيشـاً قصـد بغـداد وحاصرها ، فظهر العراة من العيّـارين من جديـد ، واتخذوا لهم خيـلاً منهم ، يـركب القائـد على واحد من العيّـارين ، ويسير إلى الحـرب في خمسين ألف عـراة (مـروج الـذهب ٢ / ٣١٩). فـأمـر المستعين ، أميـر بغــداد محمـد بن عبدالله بن طاهر أن يحصّن بغداد ، فتقـدّم في ذلك ، وأديـر عليها السـور من دجلة ، من باب الشماسية ، إلى سوق الثلاثاء ، حتى أورده دجلة ، ومن باب قطيعة أمّ جعفر ، حتى أوردها قصر حميد ، ورتّب على كلّ باب قائداً وجماعة من أصحـابه ، وغيـر أصحابـه ، وأمر بحفـر الخنـادق حـول السـورين ، كمـا يدوران في الجانبين جميعاً ، ومظلّات يأوي إليها الفرسان في الحـرّ والمطر ، فبلغت النفقـة على السورين والخنـادق والمظلّات ثلثمـائة ألف دينـار وثـلاثين ألف دينار ، وجعل على باب الشمّاسية خمس شدّاخـات ، بعرض الـطريق ، فيها العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة ، وجعل من خارج الثاني باباً معلّقاً بمقدار الباب ، ثخيناً، قد ألبس صفائح الحديـد ، وشدّ بـالحبال ، كي إن وافى أحد من ذلك البـاب ، أرسل عليـه الباب المعلّق ، فقتـل من تحته ، وجعل على الباب الآخر عرّادة ، وعلى الباب الخارج خمسـة مجانيق كبـاراً ، فيهـا واحد كبيـر سمّوه الغضبـان ، وستّ عرادات يـرمى بهـا إلى نـاحيـة رقّـة الشمّاسيّة ، وصيّر على باب البردان ثماني عرّادات في كلّ ناحية أربع ، وأربع شدّاخات ، وكذلك كلّ باب من أبواب بغداد، في الجانب الشرقي والغربي ، وجعـل لكـلّ بـاب من أبوابهـا دهليزاً عليـه السقائف ، ووكـلّ بكل بـاب قوّاداً برجالهم تسعمائة فـارس ومائـة راجل ، ولكـلّ منجنيق وعرّادة رجـالاً مرتّبين ، يمدّون حباله ، وراميا يرمي إن كان قتال .

وفي المعارك التي حصلت حول سور بغداد ، في السنة ٢٥١ بين جيش

المعتزّ ، وجيش المستعين المحصور ببغداد ، أمر محمد بن عبدالله بن طاهر ، أمير بغداد ، ففرض للعيّارين ، وجعل عليهم عريفاً ، وعمل لهم تراساً من البواري المقيّرة ، ومخالي تملأ حجارة ، وكان الرجل منهم يقوم خلف البارية فلا يرى منها ، وكان العريف على أصحاب البواري المقيّرة من العيّارين ، رجلاً يقال له بنتويه (الطبري ٩/٢٨٨) ثم أمر أمير بغداد أن يتخذ لعيّاري أهل بغداد كافر كوبات (دونكيّات) وأن يصيّر فيها مسامير الحديد ، لأنّهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح ، وكانوا يرمون بالآجر ، فقسم الكافر كوبات فيهم، وأثبت أسماءهم، ورأس العيّارون عليهم رجلاً اسمه بنتويه، وكنيته أبو جعفر ، ورأسوا عليهم أربعة آخرين ، وهم دونل ، ودمحال ، وأبا نملة ، وأبا عصارة ، فلم يثبت منهم إلاّ بنتويه ، فإنّه لم يزل رئيساً على عيّاري الجانب الغربي ، حتى انقضى أمر هذه الفتنة ، ولما أعطي العيّارون الكافركوبات ، تفرّقوا على أبواب بغداد ، فقتلوا من الأتراك ومن أتباعهم نحواً من خمسين نفراً، في ذلك اليوم ، وقتل منهم عشرة ، وجرح منهم خمسمائة بالنشّاب ، وأخذوا من الأتراك علمين وسلّمين (الطبري ٩/٣٠٩) وفي أحد الأيّام خرج بنتويه وأصحابه من العيّارين من باب قطربل ، فمضوا يشتمون الأتراك حتى جازوا قطربّل ، فعبر إليهم جماعة من الأتراك الناشبة (الضاربون بالنّشاب) في الزواريق ، فقتلوا منهم رجلاً ، وجرحوا عشرة ، وكاثرهم العيّارون ، بالحجارة حتى اثخنوهم ، فرجعوا إلى معسكرهم ، فأحضر بنتويه في دار ابن طاهر ، وأمر ألاّ يخرج إلاّ في يوم قتال وسوّر ، وأمر له بخمسمائة درهم (الطبري ٩/ ٣١٠).

وكان أحد قوّاد جيش المعتزّ ، الذي يحاصر بغداد ، واسمه الدرغمان ، شجاعاً بطلاً ، فذكر القائد المغربي يحيى بن العكّي ، إنّه كان إلى جنب الدرغمان ، إذ وافاه ناوكي (سهم) فأصاب عينه ، ثم أصابه بعد ذلك حجر منجنيق فأطار رأسه ، وحمل ميتاً (الطبري ٩/ ٣٠٥)، وكان من جملة هؤلاء

العيّارين العراة، الذين يحاربون بالحجارة والمقلاع غلام لم يبلغ الحلم ، معه مخلاة فيها حجارة، ومقلاع في يده ، يرمي عنه فلا يخطىء وجوه الأتراك ، ووجوه دوابّهم ، فاجتمع عليه أربعة من فرسان الأتراك يرمونه ويرميهم فلا يخطىء ، وتقطّر به دوابهم ، فجاءوا معهم بأربعة من رجالة المغاربة ، بأيديهم الرماح والتراس ، فجعلوا يحملون عليه ، ثم داخله اثنان منهم ، فرمى بنفسه في الماء ، ودخلا خلفه ، فلم يلحقانه ، وعبر إلى الجانب الشرقي (الطبري ٣١٣/٩).

وفي السنة ٢٥١ وجّه محمد بن عبدالله بن طاهر ، أمير بغداد ، جيشاً بقيادة الحسين بن اسماعيل ، ليقصد الأنبار ، ويمنع قدوم جيش الأتراك التابع للمعتزّ منها ليحاصر بغداد ، ووعده أمير بغداد أن يوصل عدد جيشه إلى عشرة آلاف ، وأزاح علّته ، وحمل اليه مال ، وأطواق ، وأسورة ، وجوائز ، لمن يبلي في الحرب ، فلاقاهم الأتراك ، وكمنوا لهم كميناً ، وصافّوهم ، وقتل من أصحاب الحسين مقتلة عظيمة ، وخرج عليهم الكمين ، فرموا بأنفسهم إلى الفرات ، فغرق منهم خلق كثير ، وحوى الأتراك جميع ما في معسكر الحسين من مضارب وأثاث ، حتى تجارات أهل السوق ، وانفلّ جيش الحسين ، فوافى هو والفلّ الياسرية ، فلقي الحسين رجلٌ من التّجار الذين ذهبت أموالهم في عسكره ، فقال له : الحمد لله الذي بيض وجهك ، أصعدت في اثني عشر يوماً ، وانصرفت في يوم واحد ، فتغافل عنه (الطبري ٩/ ٣١٩- ٣٢٣).

وفي السنة ٢٥٣ حكّم بالبوازيج مساور بن عبد الحميد ، فوجّه أمير بغداد إليه جيشين ، أحدهما بقيادة بندار الطبري ، والثاني بقيادة مظفّر بن سيسل ، فأراد بندار أن يكون النصر على مساور خاصاً به ، فتعجّل مقاتلته ، وقتل من الطرفين كثير ، وفرّ بندار ، فلحقوه، وقتلوه، ونصبوا رأسه (الطبري ٩/ ٣٧٥- ٣٧٦).

وفي السنة ٢٥٥ قتل أمير صقلية خفاجة بن سفيان، بعد أن حكم صقلية ثماني سنوات ، وخلفه ولده محمد بن خفاجة ، فقتل في السنة ٢٥٧ ، وخلفه ولده جعفر بن محمد بن خفاجة ، فقتل في السنة ٢٦٤ (معجم انساب الأسرات الحاكمة ١٠٦).

المعارك مع صاحب الزنج

وفي السنة ٢٥٥ كانت حركة صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني ، ودامت حركته خمس عشرة سنة حتى قتل ، وللزنج ، بالبصرة ثلاث ثورات ، الأولى في السنة ٧١ في آخر أيام مصعب بن الزبير ، وكانوا قلّة ، فأخذ بعضهم وقتلوا ، وتفرّق الباقون ، والثانية في السنة ٧٥ في زمن الحجّاج ، وكانوا كثرة ، فتزعّمهم رجل اسمه رباح ، ولقّبوه شيرزنجي ، يعني أسد الزنج ، وحاربهم صاحب الشرطة بالبصرة ، فهزموه أولاً ، ثم هزمهم وفرّقهم ، والثالثة كانت في السنة ٢٥٥ وهي أعظمها ، قام بها علي بن محمد ، وادّعى أنّه علويّ النسب ، وجمع اليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ بالبصرة ، وهم عشرات ألوف ، فادّعى أنّ الله بعثه لإنقاذهم مما هم عليه من سوء الحال ، ولرفع أقدارهم ، وتمليكهم الأموال والمنازل ، وكان كلّ من فرّ إليه من الزنج حرّره ، وأكرمه ، وضمّه إلى جنده ، وفي أوّل معركة خاضها، لم يكن معه إلاّ ثلاثة أسياف ، وكان عدد مهاجميه أربعة آلاف ، وحدث أنّ أحد أصحابه وهو فتح الحجّام، كان يحمل طبقاً فيه بقيّة طعامه ، فحذف أوّل من قابله من مهاجميه بالطبق ، ففرّ المهاجم ، ورمى سلاحه ، وفرّ الباقون ، وقتل منهم من قتل ، وأسر منهم قوم ، وجيء بهم إلى صاحب الزنج فضرب أعناقهم ، وصار في أيدي الزنج سيوف وبالات وزقايات وتراس (الطبري ٩/ ٤١٠-٤١٧). واقتتل صاحب الزنج مع اصحاب السلطان ، يقودهم رجل من الأتراك يدعى أبا هلال في سوق الرّيان ، فانتصر صاحب الزنج ، وهزم أصحاب السلطان ، وقتل منهم ألفاً وخمسمائة (الطبري ٩/ ٤٢٤) ثم اشتبك مع

الخول وأصحاب الزينبي ، وكانوا يزيدون على أربعة آلاف ، فقتل من أصحابه فتح الحجّام ، ومن أصحاب السلطان أبو الكباش وبشير القيسي ، ادّعى قتلهما علي بن أبان، من أصحاب صاحب الزنج وكانا يقودان القوم ، فانهزم أصحابهما لما قتلا (الطبري ٩/٤٢٧). وسلك علي بن أبان ، في نهربيان ، فإذا كمين في ألف من المغاربة ، معهم حسين الصيداني ، من أصحاب صاحب الزنج أسيراً ، فلما رأوا الزنج ، شدّوا على الحسين فقطعوه قطعاً ، ثم اقتتلوا مع الزنج ، فأكبّ عليهم السودان ، فقتلوهم جميعاً (الطبري ٩/٤٢٨)، وجيء إلى صاحب الزنج بزهير الخول ، قائد أصحاب الخول ، ولم يعرفه، فعرّفه به أصحابه ، فأمر به فضربت عنقه ، ثم جيء إليه برأس ابي الليث القواريري ، من رؤساء أصحاب السلطان ، ورأس عبدان الكسبي ، ثم وقعت الدبرة على الزنج ، فغرق منهم جماعة من قوّادهم ، منهم أبو الجون ، ومبارك البحراني ، وعطاء البربري ، وسلام الشامي ، ثم بعث صاحب الزنج ، محمد بن سلم من أصحابه إلى أهل البصرة ، يعظهم ، فقتلوه، فخطب صاحب الزنج في أصحابه ، وقال لهم : سوف تقتلون به غداً عشرة آلاف من أهل البصرة ، ثم هاجمه رجال السلطان في سميريّات وشذا (جمع شذاءة وشذاوة ـ نوع من السفن) فصدّهم الزنج صداً عنيفاً ، فغرقت منهم طائفة ، وقتلت طائفة ، وهربت طائفة ، فجمع صاحب الزنج القتلى ، وأطلق الجثث في الماء ، فوافت البصرة ، وقوي صاحب الزنج بعد هذا ، وتمكّن الرعب في قلوب أهل البصرة منه ، وأمسكوا عن حربه (الطبري ٩/٤٢٨-٤٣٧). ثم وافى جعلان الى البصرة لحرب صاحب الزنج في السنة ٢٥٦، فناوشه صاحب الزنج ، فانصرف جعلان الى البصرة ، ودخل الزنج الأبلّة ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً ، وأحرقوها ، ومن جملة من قتل ، أبو الأحوص ، وآبنه ، وعبدالله بن حميد الطوسي ، وابن له كان في شذاة بنهر معقل ، ثم استولى صاحب الزنج على عبادان ، ثم قصد جبى ، فقتل ، ونهب ، وأحرق ، وخرّب ، ثم وافى الأهواز ، وأميرها سعيد بن يكسين ، وعاملها على

الخراج إبراهيم بن المدبّر، ففرّ الأمير سعيد ، وثبت العامل إبراهيم ، فأسر وفي وجهه ضربة ، وفي السنة ٢٥٧ جاء سعيد الحاجب ، القائد العباسي ، لقتال صاحب الزنج ، فأوقع بالزنج وقعة في نهر المرغاب ، فهزمهم ، واستنقذ ما في أيديهم من النساء والنهب ، ثم انتهز صاحب الزنج غفلة من سعيد الحاجب ، فهاجمه، وطحنه وعسكره ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فصرف سعيد ، وقدم منصور الخيّاط القائد لحرب الزنج ، فاقتتلوا وكان النصر حليف صاحب الزنج ، ثم وجّه صاحب الزنج جيشاً إلى الأهواز، بقيادة علي بن أبان ، فقتل شاهين بن بسطام عامل الأهواز ، وابن عمّ له يقال له حيّان وقتل معهما من أصحاب شاهين بشراً كثيراً ، ثم واقع جيشاً بقيادة إبراهيم بن سيما ففلّه ، وفرّ إبراهيم ، ثم هاجم مدينة البصرة ، من ثلاث جهات ، وقتلوا من أصابوا ، واجتمع قوم في دار إبراهيم بن يحيى ، فأمر بهم فقتلوا بأجمعهم، وكان قوّادهم يقولون للزنج : كيلوا ، وهي علامة يعرفونها فيمن يأمرون بقتله، ثم قام قوّاد صاحب الزنج ، بإحراق المسجد الجامع ، فاحترقت البصرة ، وقتلوا جميع من وجدوه فيها ، فمن كان ذا مال يقرّر على ماله حتى يستخرجه ويقتله ، ومن كان مملقاً قتل عاجلاً (الطبري ٩/ ٤٧٠- ٤٨٨)، وفي السنة ٢٥٨ قتل صاحب الزنج القائد منصور الخياط ، في معركة ضارية ، وقتل معه أخوه خلف بن جعفر ، ثم قتل القائد مفلح ، أصابه سهم في صدغه فقتله ، وحملت جثّته إلى سامراء ، فدفن بها ، وفرّ أصحابه إثر قتله ، وجاء الزنج إلى صاحبهم برؤوس القتلى يحملونها في أسنانهم ، وجعل الزنج يقتسمون لحوم القتلى ، ويتهادونها بينهم ، ثم أسر يحيى بن محمد البحراني ، من كبار قوّاد الزنج ، رشق بالسهام، فأصابه منها ثلاثة ، في عضديه وساقه اليسرى ، وتسلّمه أصحاب السلطان ، فحمل إلى أبي أحمد (الموفّق) فحمله أبو أحمد إلى سامراء ، فأدخل على جمل وبنيت له دكّة في الحير ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط ، ضرب مائتي سوط بثمارها ، ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خبط بالسيوف ، ثم ذبح ، ثم احرق ، وعظم قتل

يحيى على صاحب الزنج ، وفي السنة ٢٥٩ دخل المهلّبي ، ويحيى بن خلف النهربطي ، من قوّاد الزنج ، الأهواز ، فقتلوا بها صاحب المعونة ، وخلقاً كثيراً ، وممن قتل القائد نيزك وأصغجون صاحب المعونة ، وفي السنة ٢٦١ كانت بين عبد الرحمن ، صهر أبي الساج ، وبين المهلّبي ، قائد الزنج ، معركة قتل فيها عبد الرحمن ، ودخل الزنج الأهواز ، فقتلوا أهلها ، وسبوا ، وانتهبوا ، وأحرقوا ، وفي السنة ٢٦٢ قصد الزنج البطيحة ، ودست ميسان، واشتبكوا في معارك قتل فيها القائد خشيش ، من رجال السلطان ، وقتل أبو تميم أخو أبي عون ، وحصلت وقعة في الأهواز بين الزنج ، وأحمد بن ليثويه ، فقتل كثير من الزنج ، وأصيب قائدهم علي بن أبان بسهم في ساقه ، وقتل فتح غلام أبي الحديد ، من أنجاد الزنج ، كما قتل من أنجاد الزنج وأبطالهم جماعة كثيرة (الطبري ٤٩٢/٩ـ ٥٢٩) ثم واقع أحمد بن ليثويه ، الخليل بن أبان ، أخا علي بن أبان ، من أنجاد أبطال الزنج ، فكسره أوّلاً ، وقتل كثيراً منهم ، ثم كمنوا له كميناً ، فقتلوا من أصحابه جماعة ، وحملت رؤوسهم إلى علي بن أبان ، فوجّهها إلى صاحب الزنج ، وفي السنة ٢٦٤ ولي محمد المولد ، واسطاً ، فحاربه سليمان بن جامع ، عامل واسط لصاحب الزنج ، فطرد محمداً عن واسط ، ودخل الزنج واسطاً ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً ، وانتهبوها ، وأحرقوها ، وقتل بها كنجور البخاري ، أحد القوّاد ، وفي السنة ٢٦٥ واقع أحمد بن ليثويه ، سليمان بن جامع ، قائد الزنج ، فقتل من الزنج سبعة وأربعين قائداً ، وخلقاً لا يحصى عددهم ، ودخل الزنج النعمانية ، فأحرقوا سوقها ، وأكثر منازل أهلها ، وسبوا ، وصاروا إلى جرجرايا ، ودخل أهل السواد بغداد، وشخص تكين البخاري الى الأهواز ، والياً عليها ، فصدمه علي بن أبان قائد الزنج ، على أبواب تستر ، فانكسر الزنج ، وقتلوا ، وهزموا ، وتفرّقوا، وانصرف علي مفلولاً ، وتسمّى هذه الوقعة ، وقعة باب كودك المشهورة ، ثم دهمهم تكين ، وهم على قنطرة فارس متشاغلين بالطعام والنبيذ ، فأوقع بهم ليلاً . وقتل من قوّادهم انكلويه ،

والحسين المعروف بالحمامي ، ومفرج المكنى أبا صالح ، وأندرون ، وانهزم الباقون ، ثم سار تكين فصدم علي بن أبان في جمعه، فانهزم عنه ، وأسر غلاماً لعلي اسمه جعفرويه ، فحصلت من جرّاء أسر جعفرويه مكاتبة ، بين علي بن ابان ، وتكين البخاري ، فاتهم تكين بممايلته للزنج ، وجاء مسرور البلخي إلى الأهوز، وأمّن تكين ، حتى حضر أمامه ، فأمر بأخذ سيفه واعتقاله ، فانقسم جيش تكين ، شطرٌ التجأ إلى الزنج ، وشطر إلى محمد بن عبيدالله الكردي ، عامل يعقوب بن الليث ، فبسط مسرور الأمان لمن بقي ، فلحقوا به ، ومات تكين في الحبس (الطبري ٩/٥٣١- ٥٣٧) وفي السنة ٢٦٦ ولي أغرتمش ، ما كان تكين البخاري يليه من الأهواز ، فاجتمع اغرتمش ، وأبّا ، ومطر بن جامع ، على قتال علي بن أبان ، فانتهوا إلى تستر ، فاستخرجوا من كان في الحبس، ومعهم جعفرويه غلام علي بن أبان ، فقتلوا جميعاً ، تولّى قتلهم مطر بن جامع ، ثم تصافّوا مع الزنج واقتتلوا ، فكانت الغلبة للزنج، واسر مطر بن جامع ، فأخذه بهبود ، وجاء به إلى علي ، فأراد منه مطر أن يستبقيه ، فقال له علي : لو أبقيت على جعفرويه لأبقيت عليك ، وأمر به ، فأدني منه ، فضرب عنقه بيده ، ثم أرتاب علي بن أبان بمحمد بن عبيدالله عامل رامهرمز للصفّار ، فهاجمه ، ودخل رامهرمز ، وفرّ عنه محمد ، ثم كتب إلى صاحب الزنج ، وحمل إليه مالاً ، فأمسك عليّ عنه ، ثم هاجم علي بن أبان أكراد داربان ، فصدمهم الأكراد صدمة قويّة ، فعادوا مفلولين ، وفي السنة ٢٦٧ غلب الأمير أبو العباس أحمد (المعتضد فيما بعد) على عامّة ما كان لسليمان بن جامع ، قائد الزنج ، ثم عسكر أبو أحمد الموفّق ، بالفرك ، وقصد المدينة التي سمّاها صاحب الزنج : المنيعة ، من سوق الخميس ، فهاجمها ، وصعد أصحاب أبي العباس على السور ، ودخلوا المدينة ، وقتلوا ، وأسروا ، وحووا، وهرب الشعراني ، أحد قوّاد صاحب الزنج ، وعاد أبو أحمد وقد استنقذ من المسلمات زهاء خمسة آلاف إمرأة ، فحملن الى واسط ، ليدفعن إلى أوليائهنّ ، وفي اليوم الثاني ، هدم

سورها ، وطمّ خندقها ، وأحرق ما بقي من السفن فيها ، ثم دخل أبو أحمد وأصحابه إلى طهيثا ، ورمى أبو العباس ، أحد قوّاد الزنج ، أحمد بن مهدي الجبائي بسهم في أحد منخريه، فخرق كلّ شيء ، ووصل الى دماغه ، فخرّ صريعاً (الطبري ٩/٥٤٩ـ ٥٧٢) ، وفي السنة ٢٦٧ قصد الأمير أبو أحمد ، مدينة سليمان بن جامع التي سمّاها : المنصورة ، وكان لها خمسة أسوار ، أمام كلّ سور خندق ، فاقتحمها جند أبي أحمد ، واستحرّ في الزنج القتل والأسر ، واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط وصبيانهم ، وما اتّصل بذلك ، زهاء عشرة آلاف ، فحملوا إلى واسط ، ودفعوا إلى أهاليهم ، وهدم أبو أحمد أسوار المدينة ، وطمّ خنادقها ، ثم توجّه إلى الأهواز لطرد الزنج عنها ، فانجلى المهلّبي قائد الزنج عنها هارباً ، وكتب صاحب الزنج إلى بهبوذ ، وإليه يومئذٍ عمل الفندم والباسيان ، يأمره بالقدوم عليه ، فترك بهبوذ والبحراني جميع الغلّات والحبوب والتمر والمواشي ، فحازه أبو أحمد ، وتسلّل عدد كبير من الزنج إلى أبي احمد بالأمان ، وفي السنة ٢٦٧ أسر صندل الزنجي ، من قوّاد صاحب الزنج ، وكان يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورؤوسهنّ، ويقلّبهن تقليب الإماء ، فإن أمتنعت منهنّ امرأة ، ضرب وجهها ، ودفعها إلى بعض علوج الزنج ، يبيعها بأوكس الثمن ، فلما أتي به أبو أحمد ، أمر به فشدّ بين يديه ثم رمي بالسهام حتى قتل (الطبري ٩/٥٧٣ـ ٥٨٨).

وفي السنة ٢٦٠ قتل عامل الكوفة ، علي بن زيد العلوي ، ، قتله قائد صاحب الزنج (الطبري ٩/٥٠٨).

وفي السنة ٢٦٠ قتل منجور ، والي حمص ، فاستعمل عليها بكتمر (الطبري ٩/٥١٠)

وفي السنة ٢٦٠ أصيب العلاء بن أحمد الأزدي ، عامل أذربيجان بالفالج ، فولّى السلطان عليها أبا الرديني عمر بن علي بن مرّ ، فصار إليها

ليتسلّمها، فخرج العلاء في قبّة لحرب أبي الرديني ، واشتبك معه في معركة ، فقتل العلاء (الطبري ٩/ ٥١٠ و ٥١١).

وفي السنة ٢٦١ قتل مساور الشاري ، يحيى بن حفص الذي كان يلي خراسان ، قتله بكرخ جدّان (الطبري ٩/ ٥١٢).

وفي السنة ٢٦٢ قصد يعقوب بن الليث الصفّار رامهرمز فاستولى عليها ، وتقدّم يريد الوصول الى الحضرة (بغداد)، فجلس أبو أحمد وليّ العهد ببغداد ، وأعلن أنّ أمير المؤمنين ولّى يعقوباً خراسان وطبرستان وجرجان والريّ وفارس والشرطة بمدينة السلام ، وكان هذا الإعلان بمحضر من درهم صاحب يعقوب، ولكنّ يعقوب أصرّ على الوصول إلى الحضرة ، ووصل إلى واسط ، فاستعدّ له المعتمد ، وانحدر من سامراء حتى جاوز بغداد ، وفي اصطربند، اقتتل جيش الخليفة وجيش يعقوب ، فقتل من الطرفين جماعة، فأصابت يعقوب ثلاثة سهام في حلقه ويديه ، وانكسر يعقوب ، وانهزم أصحابه ، وتخلّص محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر ، وكان مثقلاً بالحديد في قبضة يعقوب (الطبري ٩/ ٥١٦- ٥١٩).

وفي السنة ٢٦٥ حصر أحمد بن طولون أنطاكية ، وفيها سيما الطويل ، وكان حسن الأثر ، عظيم النكاية في الروم ، ففتح أحمد أنطاكية ، وقتل سيما (الطبري ٩/ ٥٤٣).

وفي السنة ٢٦٨ قتل بهبوذ بن عبد الوهّاب ، أكثر أصحاب صاحب الزنج غارات ، وأشدّهم تعرّضاً لقطع السبيل ، وأخذ الأموال ، أصيب بطعنة من يد غلام أسود ، فهوى إلى الماء ، فابتدره أصحابه ، فحملوه فلم يصلوا به إلى صاحب الزنج حتى مات (الطبري ٩/ ٦٠٩ - ٦١١) .

وفي السنة ٢٦٨ أسر العلوي المعروف بالحرون في مكّة ، وأدخل إلى عسكر أبي أحمد ، في أوّل السنة ، على جمل ، وعليه قباء ديباج وقلنسوة طويلة (الطبري ٩/ ٦١٢ و٦١٣) .

وفي السنة ٢٧٠ قتل صاحب الزنج ، علي بن محمد الـورزنيني ،وقـد ظهـر في السنة ٢٥٥ والتفّ حـوله سـودان البصرة ، فـاستولى على البصـرة ، والأبلّة ونزل البطائح ، واستولى على الأهـواز ، وأغار على واسط ، وبلغ عـدد جيشـه ثلثمائـة ألف مقاتـل ، وآستمر مسيـطراً على جنوب العـراق إلى وسطـه خمس عشرة سنة ، وقتل في هذه السنة في معركة ضاريـة ، وحمل رأسـه إلى بغداد (الطبري ٩/٦٥٤ - ٦٦٠) .

وفي السنة ٢٧٠ نزل الروم بناحيـة باب قلميـة ، قرب طـرسوس ، وهم مـائة الف ، فخـرج إليهم يازمـان الخـادم ، فبيّتهم ، فقتـل بـطريق البـطارقـة أنـدرياس ، وبـطريق القباذق ، وبـطريق الناطلـق ، وأفلت بـطريق قـرة وبـه جراحات ، وأخذ لهم سبعة صلبـان ، من فضّة وذهب ، فيهـا صليبهم الأعظم من ذهب مكلّل بـالجوهـر ، وقيل إنّـه قتل من الـروم سبعـون ألفـاً (الـطبـري ٩/٦٦٦) .

وفي السنـة ٢٧٧ قتل في كـورة البيرة بـالأندلس ، سـوّار بن حمدون بن يحي القيسي المحاربي ، وكان قد ثار بالأندلس ، والتفّت حوله بيوتات العرب (الأعلام ٣/٢١٣) .

وكان موسى بن موسى السامي ، القاضي ، من فقهاء الأباظية بعمان ثار على الإمـام راشد بن النضـر اليحمدي ، وشـارك في خلعه ، وبـايع بـالإمامـة لعزان بن تميم ، فـأقـرّه عزان على القضـاء ، ثم عـزلـه ، فثـار على عـزان ، ونشبت بينهما معركة ، فقتل موسى في السنة ٢٧٨ (الاعلام ٨/٢٨٣) .

وفي السنـة ٢٧٨ غزا يـازمان الـروم ، وكان عـظيم الغناء ، مـاضيـاً في الجهاد ، فأصابته في المعركة شظية من حجر منجنيق أصابت أضـلاعه ، وهـو محاصر لحصن سلنـدو ، فإرتحـل عسكره ، وكـانوا قـد أشرفـوا على فتحه ، ومات يا زمان فحمل إلى طرسوس على أكتاف الرجال ، فدفن هناك (الطبري ١٠/٢٧) .

وفي السنة ٢٨٠ قتل عزان بن تميم الأزدي ، أحد أئمة الأباطية بعمان قتله في بلاد عمان ، محمد بن بور عامل المعتضد العباسي على البحرين ، وبعث برأسه إلى المعتضد . (الاعلام ٥/٢١) .

وفي السنة ٢٨٣ قتل رافع بن هرثمة ، في معركة بينه وبين عمرو بن الليث الصفّار ، وأنفذ رأسه إلى بغداد ، وكان رافع أميراً على خراسان من قبل محمد بن طاهر ، واستولى على طبرستان في أيّام أبي أحمد الموفّق ، فلما عزله المعتضد عن خراسان ، عصى ، وخطب لمحمد بن زيد الطالبي ، فقاتله عمرو بن الليث وقتله (الاسلام ٣/٣٦) .

وفي السنة ٢٨٥ حاصر محمد بن لبّ بن موسى بن فرتون ، مدينة سرقسطة ، فقتل على سورها ، وحمل رأسه إلى الأمير عبد الله بن محمد الأموي بقرطبة ، فأمر بأن ينصب على باب قصر الخلافة ثمانية أيّام ، ثم رفع (الأعلام ٧/٢٣٧) .

وفي السنة ٢٨٧ قتل محمد بن زيد العلوي ، صاحب طبرستان ، فإنّه لما أسر عمرو بن الليث الصفّار ، أصبحت خراسان خالية من عامل ، فطمع فيها محمد بن زيد ، واجتاز بجرجان في طريقه إلى خراسان ، فكتب إليه اسماعيل الساماني يسأله أن يعود إلى طبرستان ، وأن يترك جرجان له ، فأبى ، فبعث إليه جيشاً عليه محمد بن هارون ، فاقتتل الجيشان ، وأصابت محمد بن زيد ضربات مات منها (الطبري ١٠/٨١ و٨٢) .

وفي السنة٢٨٨ تصدّى أحمد بن معاوية من بيت الخلافة الأموية بالأندلس ، ويعرف بابن القطّ ، للغزو ، فغزا جليقية في جمع من البربر ، وانفلّ عنه أنصاره ، فثبت وقتل في المعركة (الاعلام ١/٢٤٣) .

وفي السنة ٢٩٤اجتاح القرامطة بقيادة زكرويه القرمطي ، قافلة الحاج الخراسانية ، وقتلهم عن آخرهم ، وسبوا من النساء ما أرادوا ، وقتلوا

الباقيات ، ثم انتظر القافلة التي تليها ، فلاقاها ، وحاربهم ثلاثة أيّام ، وهم على غير ماءٍ ، وقتلهم عن آخرهم ، وأرسل خلف المنهزمين يبذل لهم الأمان ، فلما عادوا ، قتلهم أجمعين ، وكان نساء القرامطة يطفن بالقتلى يعرضن الماء فمن كلّمهنّ ، قتلنه ، وبلغ عدد القتلى عشرين ألفاً ، وفرّ من القافلة من لم يفطن له ، ولكنّ من فرّ مات في الطريق ، فلما بلغ الخبر المكتفي ، جهزّ الجيوش ، وسيّرهم لقتال القرامطة ، فلقيهم زكرويه ، ونشبت معركة ضارية قتل فيها من القرامطة مقتلة عظيمة ، وأسر زكرويه وهو جريح ، وعاش خمسة أيّام ثم مات ، فسيّرت جيفته والاسرى إلى بغداد . (ابن الأثير ٧/٥٤٨ ـ ٥٥١) .

وفي السنة ٢٩٤ قتل يعقوب بن الأفلح ، صاحب تاهرت ، من الخوارج الأباضيّة ، وفرّ ولده أبو سليمان إلى ورجلان ، ثم انّ أبا عبد الله الداعي ، خرّب في السنة ٢٩٦ مدينة تاهرت (معجم انساب الأسر الحاكمة ١٠١) .

وفي السنة ٣٠٩ حارب الجند العباسي ، ليلى بن النعمان الديلمي ، صاحب جرجان ، فقتل ليلى في المعركة (ابن الاثير ٨/١٢٤) .

أقول : كان القائد ليلى بن النعمان الديلمي ، صاحب جرجان ، كريماً ، بذّالاً للأموال ، شجاعاً ، فكثر جنده ، وضاقت الأموال عليه ، فاستولى على نيسابور ، فأنفذ إليه الساماني قائده حمويه ، فاقتتلوا ، وكانت المعركة لليلى ، ثم انعكست فتفرّق جنده ، وقتل ليلى ، وقطع رأسه ، ونصبَ على رمح ، ثم حمل إلى بغداد .

وفي السنة ٣١١ دخل أبو طاهر الجنّابي ، رأس القرامطة ، البصرة ، في ألف وسبعمائة من القرامطة ، وكان على البصرة سبك المفلحي القائد ، فركب إليهم ، فحاربوه ، وقتلوه ، ووضعوا السيف في أهل البصرة ، وطرح

بعضهم أنفسهم في الماء فغرقوا ، وأقام أبو طاهر بالبصرة سبعة عشر يوماً ، يحمل منها ما يقدر على حمله من الأموال والأمتعة والنساء والصبيان ، ثم عاد إلى بلده (ابن الأثير ٨/١٤٤) .

وفي السنة ٣١١ سار يوسف بن أبي الساج من أذربيجان إلى الريّ ، فحارب أخا صعلوك ، أحمد بن علي ، فانهزم أصحاب أحمد ، وقتل أحمد في المعركة ، وكان أحمد قد قصد المقتدر ، فأقطعه الريّ ، ثم بدا له فخالف وأعلن المخالفة ، فأدّى ذلك إلى قتله (ابن الأثير ٨/١٤٤) .

وفي السنة ٣١٥ قصد أبو طاهر الجنّابي القرمطي ، الكوفة ، فهرب منه نوّاب السلطان ، فدخل الكوفة ، فقصده القائد يوسف بن أبي الساج مع جيش عظيم ، فرأى يوسف قلّة القرامطة ، فاستهان بهم ، وتقدّم بأن يكتب كتاب الفتح ، فاقتتلوا من ضحوة النهار إلى غروب الشمس ، وصبر أصحاب يوسف فباشر الحرب أبو طاهر بنفسه ومعه جماعة يثق بهم ، فطحن أصحاب يوسف ، فانهزموا ، وأسر يوسف جريحاً ، فقتله أبو طاهر ، وقتل جميع الأسرى ، ولما بلغ المقتدر خبر الواقعة ، قال : لعن الله نيفاً وثمانين ألفاً يعجزون عن ألفين وسبعمائة (ابن الأثير ٨/ ١٧٠ - ١٧٣) .

وفي السنة ٣١٦ قتل الحسن بن القاسم العلوي ، الملقّب بالداعي ، آخر رجال الدولة العلوية بطبرستان ، وكان الحسن قد استولى على الريّ وقزوين وزنجان وأبهر وقم ، ثم سار يريد الاستيلاء على طبرستان ، فالتقى بأسفار بن شيرويه الديلمي ، والتحم الجيشان في معركة ضارية ، فانهزم الحسن ، وقائده ما كان بن كالي الديلمي ، ولحق الحسن فقتل ، وكان سبب قتله إنّ معظم أصحابه هربوا من المعركة على عمد ، لأنّ الحسن كان يأمرهم بالإستقامة ، ويمنعهم عن ظلم الرعيّة ، وعن شرب الخمر ، فكانوا يبغضونه لذلك (ابن الأثير ٨/١٨٩) .

وفي السنة ٣١٧ قتل فتى عربي كريم ، في موقف من مواقف البطولة والتضحية ، وهو أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ، والد الأمير سيف الدولة ، وكان مع الخليفة القاهر ، لما هاجمه الجند في دار الخلافة ، وأرادوا قتله ، وإعادة المقتدر ، فاستجار القاهر بأبي الهيجاء ، وقال له : يا أبا الهيجاء أتسلمني ؛ فأخذته الحميّة العربية ، وقال له : لا والله ، لا أسلمك ، وجرّد سيفه ، ونافح دونه ، وهو ينادي : يال تغلب ، أأقتل بين الحيطان ، أين الكميت ، أين الدهماء ، فرشقوه بالسهام ، وقتلوه (التكملة ٦٠ و٦١) .

وفي السنة ٣١٧ وقعت ببغداد فتنة عظيمة بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي ، وبين غيرهم من العامّة ، ودخل في الفتنة كثير من الجند ، وسبب ذلك إنّ أصحاب المروزي ، قالوا في تفسير قوله تعالى : عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً ، هو أنّ الله سبحانه وتعالى يقعد النبي ﷺ معه على العرش ، وقالت الطائفة الاخرى : إنّما هو الشفاعة ، فوقعت الفتنة ، فقتل بينهم قتلى كثيرة (ابن الاثير ٨/٢١٣) .

وفي السنة ٣١٧ هاجم أبو طاهر القرمطي ، الحجّاج بمكّة ، يوم التروية ، فنهب وأصحابه أموال الحجّاج ، وقتلوهم حتى في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه، وقلع الحجر الأسود وأنفذه إلى هجر، وجاء إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف ، فسألوه في أموالهم ، فلم يشفعهم ، فقاتلوه ، فقتلهم أجمعين ، وطرح القتلى في بئر زمزم (ابن الأثير ٨/٢٠٧ و٢٠٨) .

أقول : حدّث أحد الحجّاج ، ممن كان بمكّة ، قال: كنت أطوف بالبيت فإذا بقرمطي سكران ، دخل المسجد بفرسه ، فصفر له حتى بال في الطواف ، وجرّد سيفه ليضرب به من لحق ، وكنت قريباً منه ، فعدوت ، فلحق رجلاً كان إلى جانبي فقتله ، ثم وقف وصاح : يا حمير ، أليس قلتم في هذا البيت من دخله كان آمناً ، فكيف يكون آمناً وقد قتلته الساعة ، قال :

فخشيت من الـردّ عليـه أن يقتلني ، ثم طلبتْ الشهـادة ، فجئت حتى لصقت به ، وقبضت على لجامـه ، وجعلت ظهري مـع ركبتيه لئـلا يتمكّن من ضربي بالسيف ، ثم قلت : إسمع ، قال : قل ، قلت : إنّ الله عـز وجل لم يـرد أنّ من دخله كـان آمنـاً ، وإنّمـا أراد من دخله فـأمّنـوه ، فلوى فـرسـه وخـرج من المسجد ، ما كلّمني بشيء (المنتظم ٦/٢٢٣) .

وفي السنة ٣١٩ غزا ثمـل والي طرسـوس بلاد الـروم ، فحاربـوا جمعـاً كبيراً من الروم ، ونصروا عليهم ، فقتل من الروم ستمائـة ، وأسروا نحـواً من ثـلاثة آلاف ، ثم إنّ ابن الـديراني الأرمني ، وكـان بأطـراف أرمينيـة ، كـاتب الروم وحثهم على قصد بلاد المسلمين ، ووعدهم النصرة ، فسارت الروم في حشد عظيم ، فخـرّبوا بـلاد خلاط ، وقتـل من المسلمين كثير ، فبلغ خبـرهم مفلحـاً غلام يـوسف ابن أبي الساج ، وهـو والي أذربيجان ، فسـار في عسكر كبير ، ومعه كثير من المتطوّعـة إلى أرمينية ، وقصـد بلد ابن الديـراني ، وقتل أهله ، ونهب أمـوالهم ، وتحصنّ منه ابن الـديـراني في قلعـة لـه ، وقيـل إنّ مفلحاً قتل من الأرمن مائة ألف ، وقصدت عساكر الروم سميساط ، فاستصرخ أهلها سعيد بن حمـدان ، وكان المقتـدر ولّاه الموصـل وديار ربيعـة ، واشترط عليه غزو الروم ، وأن يستنقـذ ملطية منهم ، وكان أهل سميساط قـد ضعفوا ، فصـالحوا الـروم ، وسلّموا مفـاتيح البلد إليهم ، فسار سعيـد إلى سميساط ، فوصل إليها وقد كاد الروم أن يفتحـوها ، فلمـا قاربهم هـربوا منـه ، وسار إلى ملطية وبها جمع من الروم ، ومعهم بنيّ بن نفيس ، وكـان بنيّ هذا قـد شارك في الإنقلاب ضد المقتدر ، فلما فشل الانقلاب ، فرّ إلى الروم وتنصّر ، فلما أحسّ الروم باقبال سعيد ، فرّوا من ملطية (ابن الاثير ٨/٢٣٣ ـ ٢٣٥) .

وفي السنـة ٣١٩ خـالف لشكـري الـديلمي ، وقصـد أصبهـان ، وكـان لشكري من أصحاب أسفار بن شيرويـه ، ثم استأمن إلى الخليفـة ، وكان مـع هارون ابن غريب الخال (خـال المقتدر) في قـرميسين (كرمنشـاه) ، فسيّره

هارون إلى نهاوند لحمل مال بها إليه ، فلما صار لشكري بنهاوند ، ورأى غنى أهلها ، طمع فيهم ، وصادرهم فأخذ منهم ثلاثة آلاف ألف درهم ، واستخرجها في مدّة أسبوع ، وجنّد بها جنداً ، وقصد إصبهان ، هارباً من هارون ، وكان الوالي على إصبهان أحمد بن كيغلغ ، فانهزم أحمد هزيمة قبيحة ، وآستولى جيش لشكري علي إصبهان ، وركب لشكري يطوف بسور إصبهان ، فأبصر ثلاثين فارساً يطوفون ، فسأل عنهم ، فقيل إنّهم من اصحاب أحمد بن كيغلغ ، فقصدهم ، فإذا فيهم أحمد بن كيغلغ ، فاقتتلا ، فضربه أحمد بن كيغلغ ضربة بالسيف على رأسه ، قدّت المغفر ، والخوذة ، ونزل السيف حتى خالط دماغه ، فسقط ميتاً ، وكان أحمد ـ إذ ذاك ـ قد جاوز السبعين ، فلما قتل لشكري فرّ أصحابه من إصبهان على وجوههم ، وتركوا أثقالهم ، وعاد أحمد إلى إصبهان (ابن الأثير ٨/٢٢٩) .

أقول : ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد أورد صاحب الاعلام في كتابه ٦/٣٠٠ إنّه روي عن الشريف أبي هاشم محمد بن جعفر بن محمد الحسني ، أمير مكّة (توفّي سنة ٤٨٧) ، إنّه كان على غاية من القوّة ، ضرب فارساً بالسيف فقطع درعه ، وجسده ، وفرسه .

وقد شاهدت أنا ، في متحف برج لندن ، درعاً للصدر (جوشناً) من الحديد المصمت ، سمكها قدر الإصبع ، وقد خرقتها ضربة من فأس أو طبر ، فأحدثت فيها خرقاً واسعاً ، يبعث من يبصره على التعجّب من قوّة الضربة .

وفي السنة ٣١٩ انحدر القائد مؤنس المظفّر من الموصل ، بعد أن حاربه بنو حمدان بأمر من الوزير الحسين بن القاسم ، وامتنع داود بن حمدان من محاربته ، وقال : يا قوم ، بأيّ وجه ألقى مؤنساً مع إحسانه العظيم إليّ ، والله ، ما آمن أن يجيئني سهم عائر فيقع في هذا الموضع ، ويشير إلى حلقه ، فألحّ عليه بنو حمدان ، فآشترك في حرب مؤنس ، فجاءه السهم

العائر في الموضع الذي وضع فيه إصبعه ، فذبحه (تجارب الأمم ١ / ٢٣٣) .

أقول : كان داود من اشجع الناس ، وكان يلقب بالمجفجف، وفيه يقول بعض الشعراء وقد هجا أميراً : (ابن الاثير ٨ / ٢٣٧ ـ ٢٤٠) .

لـو كنت في ألف ألف كلّهم بـطل	مثـل المجفجف داود بـن حمـدان
وتحتك الريـح تجري حيث تـأمرهـا	وفي يـمينـك سيـف غيـر خـوّان
لـكـنـت أوّل فـرّار إلـى عَـدَنٍ	إذا تـحـرّك سيـف من خـراسـان

وفي السنة ٣٢٠ قتل الخليفة المقتدر ، وكان ذلك لما قصد مؤنس الخادم الملقّب بالمظفّر ، بغداد بجيشه ، وخيّم بباب الشماسيّة (الصليخ) وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط ، فردّه القائد محمد بن ياقوت ، فبقي في بغداد وهو كاره ، ثم أشار عليه بحضور المعركة ، فخرج وهو كاره ، وبين يديه الفقهاء والقرّاء معهم المصاحف مشهورة ، وعليه البردة ، فوقف على تلّ بعيداً عن المعركة فأرسل إليه قوّاده مراراً يسألونه أن يتقدّم ، فلما ألّحوا عليه تقدّم ، فإنهزم أصحابه قبل وصوله إليهم ، فلقيه بعض جنود مؤنس ، فضربه أحدهم بالسيف على عاتقه ، فسقط على الأرض ، وذبحه بعضهم ، وكان المقتدر ثقيل البدن عظيم الجثّة ، فلما قتلوه قطعوا رأسه ، ورفعوه على خشبة ، وأخذوا ثيابه حتى سراويله ، وتركوه مكشوف العورة (ابن الأثير ٨ / ٢٤١ و٢٤٢) .

أقول : لما قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ أراد مؤنس أن يستخلف ولده أبا العباس محمد ، فاعترض عليه إسحاق بن اسماعيل النوبختي ، وقال : بعد الكدّ والتعب ، استرحنا من خليفة له أمّ وخالة وخدم يدبّرونه فنعود إلى تلك الحال ؟ والله لا نرضى إلاّ برجل كامل يدبّر نفسه ويدبّرنا ، وما زال حتى ردّ مؤنساً عن رأيه وذكر له أبا منصور محمد بن المعتضد (القاهر) فأجابه مؤنس إلى ذلك ، وكان النوبختي في ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه ، فإنّ القاهر

قتله وقتل مؤنساً (ابن الأثير ٨ ٢٤٤) .

وفي السنة ٣٢٢ ظهر بالصغانيان ، رجل ادّعى النبوة ، واتّبعه خلق كثير ، فأنفذ إليه أبو علي محمد بن المظفر جيشاً فحاربوه ، وضيّقوا عليه ، وقبضوا عليه ، وقتلوه ، وحملوا رأسه إلى أبي علي ، وقتلوا خلقاً كثيراً ممن آمن به (ابن الأثير ٨/ ٢٨٩) .

وفي السنة ٣٢٤ اقتتل القائد ياقوت على رأس جيش ، مع أبي عبد الله البريدي ، فأنكسر ياقوت ، وقتل في المعركة ، وأسرقوّاده ، وفيهم غلامه مؤنس فقتلوا (ابن الأثير ٨/ ٣٢١) .

وفي السنة ٣٢٥ ورد بجكم القائد التركي ، وكان تحت إمرة الأمير ابن رائق ، أمير الأمراء ، إلى السوس لمحاربة أبي عبد الله البريدي ، وكان مع بجكم مائتان وسبعون رجلًا ، فأخرج إليه البريدي ثلاثة آلاف رجل مع غلامه القائد أبي جعفر محمد المعروف بالجمّال ، فاقتتلوا بظاهر السوس ، فانهزم أصحاب البريدي ، وعادوا إليه ، فضرب البريدي غلامه محمد الجمّال بالنعل ، وقال له انهزمت بثلاثة آلاف من ثلثمائة ؟ وقام إليه وجعل يلكمه بيده (ابن الأثير ٨/ ٣٣٥) .

وفي السنة ٣٢٦ استولى القائد الديلمي لشكري بن مردي ، على أذربيجان ، ثم حاربه ديسم بن ابراهيم الكردي ، فانفلّ جمع لشكري ، وقتل كثير من أصحابه ، وانحاز إلى موقان ، ثم جمع جيشاً قصد به بلاد الأرمن ، فكمن له بعضهم في مضيق ، فقتل ، وقتل كثير من عسكره (ابن الاثير ٨/ ٣٤٩ و ٣٥٠) .

وفي السنة ٣٢٧ قتل بجكم ، أمير الأمراء ، بجنوبي واسط ، وكان قد خرج يتصيّد ، فأبصر أكراداً ، فحمل عليهم ، فهربوا من بين يديه ، ورمى هو

أحـدهم فلم يصبه ، ورمى آخـر فأخـطأه ، فأتـاه غلام من الأكـراد ، وكـان لا يعرفه ، فطعنه في خاصرته ، فقتله (ابن الاثير ٨/٣٧١) .

وفي السنـة ٣٢٧ وقعت فتنة بـالأنـدلس ، خـلاصتهـا أنَّ عبـد الـرحمن النـاصر كـان له وزيـر اسمه أحمـد بن اسحاق ، فقتله ، وكـان أخـوه أميّـة بن اسحاق على شنترين ، فلما بلغه قتل أخيه عصى فيها ، والتجأ إلى ردمير ملك الجلالقة ، فاستوزره ، وغزا عبد الـرحمن الجلالقـة ، فانهـزموا ، وقتـل منهم خلق كثيـر ، ثم كرّ الجـلالقة عليـه ، فقتلوا من أصحـاب عبـد الـرحمن مقتلة عظيمة ، ثم عاود عبد الرحمن تجهيز الجيوش وغزا الجلالقة ، فـانتصر عليهم وقتل منهم أضعاف ما قتلوا من أصحابه ، ثم إنَّ أميّة استأمن إلى عبد الرحمن فأكرمه (ابن الأثير ٨/٣٥٧ و٣٥٨).

وفي السنة ٣٢٨ استولى ابن رائق على الشام ، وقصد مصر ، فوجّه إليه الإخشيد أخاه أبا نصر بن طغـج في جيش كثيف ، فالتقى بـابن رائق ، وانهزم عسكـر أبي نصر ، وقتـل هو ، فـأخـذه ابن رائق ، وكفّنـه ، وحمله إلى أخيـه الإخشيـد ، وهو بمصـر ، وأنفذ معـه ولده مـزاحم بن محمد بن رائق ، وكتب إلى الإخشيد كتاباً يعزّيه به عن أخيه ، ويعتذر عما جرى ، ويحلف إنّه ما أراد قتله ، وإنّـه قد أنفـذ أبنه ليقيـده به إن أحبّ ذلـك ، فتلقّى الإخشيد مـزاحمـاً بالجميل ، وخلع عليه ، وردّه إلى أبيه ، واصطلحا على أن تكـون الرملة ومـا وراءهـا إلى مصر لـلإخشيد ، وبـاقي الشـام لابن رائق (ابن الأثيـر ٨/٣٦٣و ٣٦٤).

وفي السنة ٣٢٩ قتل مـا كان بن كـالي ، صاحب طبـرستان ، وكـان قد قصد الريّ ، ليعين وشمكيـر على عماد الـدولة الـذي هاجمـه، ولما اشتبكت الحرب ، ترجّل ما كان، وابلى بلاءً حسناً ، وظهرت منه شجاعة لم ير النـاس مثلها ، فأتاه سهم غرب ، فوقع في جبينـه ، فنفّذ في الخـوذة والرأس، حتى طلع من قفاه ، وسقط ميتاً ، وفرّ وشمكير ، وانفلّ جيشه ، وأنفذ رأس ما كـان

إلى بخاري ، والسهم فيه ، ثم حمل إلى بغداد بعد أن قتل بجكم (ابن الأثير ٣٦٩/٨ و ٣٧٠).

وفي السنة **٣٣٢** هاجمت طائفة من الروس مدينة برذعة ، فخرج إليهم عامل البلدة ، ومعه متطوّعة من الجند يزيد عددهم على خمسة آلاف ، فاقتتلوا ساعة ، ثم آنهزم المسلمون ، وقتل الديلم عن آخرهم ، واستولى الروس على البلد ، ونادوا فيه بالأمان ، وبلغ المسلمين المجاورين الخبر ، فقصدوا برذعة ، وحاربوا الروس ، وكان أهل البلد لا يضبطون أنفسهم ، فيرجمون الروس بالحجارة ، ويصيحون بهم ، فلما طال ذلك عليهم ، نادى مناديهم بأن يخرج أهل البلد منه ، وأن لا يقيموا به بعد ثلاثة أيّام ، فخرج من كان له ظهر يحمله ، وبقي أكثرهم بعد الأجل ، فوضع الروس فيهم السلاح ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا بعد القتل بضعة عشر الف إنسان ، وجمعوهم في الجامع ، وقالوا : اشتروا أنفسكم ، وإلاَّ قتلناكم ، وقرّروا على كلّ رجل عشرين درهماً ، فدفع منهم القليل ، وامتنع الباقون ، فقتلهم الروس عن آخرهم ، وغنموا أموال أهل المدينة ، واستعبدوا السبي ، واختاروا من النساء من آستحسنوها ، ولما فعل الروس بأهل برذعة ذلك ، تنادى المسلمون بالنفير ، وحصروهم في برذعة ، وأكمنوا لهم كميناً ، وزاد في الأمر أن تفشى الوباء فيهم ، فاضطر الروس الباقون إلى مبارحة المدينة ، وعلى ظهورهم أحمالهم، وركبوا في سفنهم، ومضوا . (ابن الأثير ٤١٣/٨و ٤١٤).

وفي السنة **٣٣٣** كان سيف الدولة الحمداني بحلب ، فقصده الإخشيد بعسكر ، والتقوا بقنسرين ، واشتبك الجيشان في معركة لم يقتل فيها إلاَّ رجل واحد ، هو معاذ بن سعيد ، والي معرة النعمان ، فإنّه قصد سيف الدولة في المعركة ، وأراد أن يأسره ، فضربه سيف الدولة بمستوفى كان في يده ، فقتله (إعلام النبلاء ٢٥٣/١) .

أقول : المستوفى عمود من الحديد طوله ذراعان ، مربع الشكل ، له مقبض مدور في وسطه .

وفي السنة ٣٣٤ وقعت الحرب بمدينة بغداد ، بين معزّ الدولة البويهي ، وجنوده الديلم ، وبين ناصر الدولة الحمداني وجنوده الأعراب والأتراك ، واستعان بالعيّارين والعامة ببغداد ، وكان معزّ الدولة ، بالجانب الغربي ، وناصر الدولة بالجانب الشرقي ، فعبر بعض العسكر من الديلم إلى الجانب الشرقي ، وحاربوا جيش ناصر الدولة، فكسروه ، وملك معزّ الدولة الجانب الشرقي ، وأعيد الخليفة المطيع إلى داره ، ونهب الديلم أموال الناس ببغداد ، وبلغ مقدار ما نهبوه من أموال المعروفين دون غيرهم ما يزيد على عشرة آلاف ألف دينار ، وأمر معزّ الدولة جنوده بالكفّ عن القتل والنهب ، فلم ينتهوا ، فأمرو أبا جعفر الصميري فركب ، وقتل ، وصلب جماعة ، وطاف بنفسه ، فامتنعوا (ابن الأثير ٨/٤٥٣- ٤٥٥).

وفي السنة ٣٣٥ على أثر الحرب بين ناصر الدولة ومعزّ الدولة ببغداد ، واستيلاء معز الدولة على بغداد ، تصالح ناصر الدولة ومعزّ الدولة ،، فغضب الأتراك أصحاب ناصر الدولة ، وأرادوا قتله ، فأصعد إلى الموصل ، فاتفق الأتراك ، ورأسوا عليهم تكين الشيرزادي ، وقصدوا ناصر الدولة ، فامتدّ إلى نصيبين ، ودخل الأتراك الموصل ، ثم ساروا في طلبه ، فمضى إلى سنجار ، ثم إلى الحديثة ، والأتراك في طلبه ، واستعان ناصر الدولة بمعزّ الدولة فبعث إليه جيشاً اجتمع به في السنّ ، والتقوا بالأتراك في معركة حادّة ، فانهزم تكين والأتراك ، وتبعهم العرب اصحاب ناصر الدولة ، وأكثروا القتل فيهم ، وأسروا تكين الشيرزادي، وحملوه إلى ناصر الدولة ، فسمله ، فأعماه ، وحمله إلى قلعة من قلاعه فسجنه بها (ابن الأثير ٨/٤٦٧).

وفي السنة ٣٣٦ قتل أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي البربري ، الثائر بإفريقية ، وكان قد استولى على رقادة ، والقيروان ، وسوسة ، وحصر باغاية ،

ثم تراجع وحصر في قلعة كتامة ، وجرح في المعركة ، وحمل إلى المنصور جريحاً ، فمات من جراحه ، فأمر المنصور به فسلخ ، وحشي جلده تبناً ، ووضع في قفص ، وجعل معه قردان يلعبان عليه (ابن الأثير ٤٢٢/٨-٤٤١) .

أقول : أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكاري ، ثائر من زعماء الأباظية وأئمتهم ، من قبيلة زناتة ، من مدينة توزر من قسطيلة بإفريقية ، أمّه جارية هوارية من السودان ، وقد نشأ بتوزر ، وتعلّم القرآن ، ثم سافر إلى تاهرت ، وأقام بها يعلّم الصبيان ، ثم انتقل إلى تقيوس ، واشترى بها ضيعة ، وأقام يعلّم فيها ، ثم بدأ يحتسب على الناس ، أي يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فصار له أتباع ، وذلك في أيّام المهدي ، في السنة ٣١٦ ، ثم كثر أتباعه في أيّام القائم بن المهدي ، فصار يغير ، ويحرق ، ويفسد ، وحصر باغاية ، وفي السنة **٣٣٣** حصر قسطيلة، وفتح تبسة ومجانة ، وأنفذ طائفة من عسكره إلى سبيبة ففتحها، وصلب عاملها ، وسار إلى الأربس ففتحها ونهبها وأحرقها ، واجتمع الناس في الجامع ، فقتلهم فيه ، ثم التقى بجيش سيّره القائم مع غلامه بشرى ، فهزمه ، وقتل كثيراً من عسكره ، ودخل باجة فأحرقها، وقتل الأطفال ، وسبى النساء ، فخافه كثير من الناس وأطاعوه ، ثم عاد القائم فسيّر إليه جيشاً بقيادة غلامه بشرى ، فانكسر جيش أبي يزيد ، وقتل منهم أربعة آلاف ، وأسر خمسمائة ، فسيّرهم بشرى إلى المهدية في السلاسل ، فقتلتهم العامّة ، ثم قصد أبو يزيد القيروان في مائة ألف مقاتل ، فدخل البلد ، وقتل كثيراً من أهلها ، واستنزل عاملها بالأمان ، ثم قتله ، وخرج شيوخ القيروان الى أبي يزيد ، فسلّموا عليه ، وطلبوا منه الأمان ، فماطلهم ، وأصحابه يقتلون وينهبون، فقالوا له : خربت المدينة ، فقال لهم : وما يكون، خربت مكّة وبيت المقدس ، وقصده جيش القائم ، بقيادة ميسور ، فكسره أبو يزيد ، وقتل ميسوراً ، فطيف برأسه في

القيروان ، ثم فتح سوسة ، وقتل الرجال وسبى النساء ، وأحرقها ، وشقّ فروج النساء، وبقر بطونهنّ ، ثم حصر المهدية ، ونشبت على بابها معارك ضارية ، فلم يتمكّن من دخولها ، فانسحب إلى ثرنوطة ، واجتمع إليه خلق عظيم من إفريقية والبربر ، ونفوسة ، والزاب ، وأقاصي المغرب ، فعاود حصار المهدية ، ثم زحف إليها ، وجرت معركة ضارية قتل فيها جماعة من قوّاد القائم ، واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى صار قريباً من باب البلد ، فعرفه بعض العبيد ، وصاح : هذا أبو يزيد ، وقبض على لجام دابّته ، فجاء رجل من أصحابه ، وضرب يد الرجل فقطعها ، ونجا أبو يزيد، ولما رأى أبو يزيد شدّة قتال أصحاب القائم أمر عامله على القيروان أن يبعث اليه بما عنده من المقاتلة ، ففعل ، فزحف بهم ، وجرى قتال شديد ، فانهزم أبو يزيد هزيمة منكرة ، وقتل جماعة من أصحابه ، ثم عاود الزحف على المهدية ، وجرى قتال عظيم ، فلم يتمكّن أحد الطرفين من الظفر وخرج من المهدية ، أكثر التجّار ، فكان البربر يأخذون من خرج ، ويقتلونه ، ويشقّون بطنه طلباً للذهب ، وقصد أبو يزيد قبيلة كتامة ، فحاربهم، وهزمهم ، ثم قلّ عدد اتباعه ، لأنّهم كانوا يتبعونه لينهبوا ، فلما لم يبق شيء ينهب ، تركوه ، وأخرج القائم عسكره لمحاربة أبي يزيد ، فجرى بينهم قتال شديد ، فقتل من أصحاب أبي يزيد جماعة ، ثم انعكس الحال ، وانكسر عسكر القائم ، وقتل منهم جماعة ، وعاد أبو يزيد لحصار المهدية ، وهرب كثير من أهلها إلى صقلية ، وطرابلس ، ومصر ، وبلد الروم ، ثم جمع أبو يزيد جموعاً عظيمة ، وعاود حصار المهدية ، فتخيّر الكتاميّون مائتي فارس منهم ، وحملوا حملة رجل واحد ، فقتلوا كثيراً من أصحاب أبي يزيد ، وأسروا مثلهم ، وحامى أصحاب أبي يزيد عنه ، فلم يصلوا إليه ، ودخلت السنة ٣٣٤ وهو مقيم على المهدية ، وظهر إذ ذاك ، رجل ادّعى إنّه عباسي ، ودعا إلى نفسه ، وتبعه خلق كثير ، فحاربه أبو يزيد ، وظفر به وقتله ، ثم تفرّق عنه الكثير من عسكره ، فعاد إلى القيروان ، وعاود جمع الجند ، فلما اجتمع له منهم عدد

صالح ، قصد تونس ، فدخلوها بالسيف، ونهبوا ، وسبوا ، وقتلوا ، وهدموا المساجد ، وألقى كثير من الناس أنفسهم إلى البحر ، فغرقوا ، فوجّه اليهم القائم جنداً حاربوهم ، فانكسر جيش القائم كسرة قبيحة ، ثم كرّوا على أبي يزيد ، فانكسر ، وطردوه من تونس ، وكان لأبي يزيد ولد اسمه أيّوب ، فلما بلغه خبر انكسار أبيه بتونس ، أخرج معه عسكراً ، وقصد تونس ، فقتل من بها من أصحاب القائم ، ومن عاد إليها من الناس ، وأحرقها ، ثم قصد باجة ، فقتل من بها وأحرقها ، واتفق جماعة على قتل أبي يزيد ، وراسلوا القائم ، فرغّبهم ، ووعدهم ، فاتصل الخبر بأبي يزيد فقتلهم ، وأخذ أولاد أبي يزيد يعتدون على الناس ، ويغصبون من الرعيّة نساءهم وبناتهم ثم يقتلونهم ، فضجّ الناس منه ، واشتبك عسكر القائم ، وعسكر ابي يزيد في عدّة معارك ضارية ، قتل فيها من الطرفين خلق كثير ، ثم جمع أبو يزيد عسكراً عظيماً ، وسار يريد سوسة ، وبها جيش عظيم للقائم ، فحصرها حصراً شديداً ، وكان يقاتل من فيها كلّ يوم ، فقتل من أهل سوسة خلق كثير ، وتوفّي القائم بالمهدية ، وخلفه ولده المنصور ، وكتم موت أبيه ، حتى لا يبلغ أبا يزيد الخبر ، وبعث المنصور جيشاً ، ومراكب لأهل سوسة ، وكان أبو يزيد قد أعدّ الحطب لإحراق السور ، وعمل دبّابة عظيمة ، فوصل أسطول المنصور إلى سوسة ، وخرج الجيش كلّه لقتال أبي يزيد ، فركب بنفسه ، واقتتلوا ، فانهزم أبو يزيد وأصحابه إلى القيروان ، وقتل من جيشه عدد عظيم ، فلما أراد أبو يزيد الدخول إلى القيروان ، منعه أهلها ، وأرادوا قتل عامله ، ففرّ منهم ، فرحل أبو يزيد إلى ناحية سبيبة ، فدخل المنصور إلى القيروان ، وأمّن الناس جميعاً ، ثم عاود أبو يزيد جمع الجند ، فكثر جمعه ، واشتبك مع المنصور في عدّة معارك ضارية ، قتل فيها من الطرفين خلق عظيم ، وبانت شجاعة المنصور ، ورحل أبو يزيد عن القيروان ، ثم عاد إليها ، فنادى المنصور : من جاء برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار ، ثم جرت معارك عدّة ، كان النصر فيها مرّة لهذا ، ومرّة لذاك ، ثم إنَّ أبا يزيد

كتب إلى المنصور أن يوجّه إليه عياله الذين خلّفهم بالقيروان وحلف له بـأغلظ الإيمان ، إنّه إن فعل ذلك ، فإنّه سيـدخل في طـاعته ، فـأجابـه المنصور إلى طلبه ، وبعث اليه عياله مكرمين ، وقد وصلهم وكسـاهم ، فلما وصلوا إليـه ، نكث ما عقده ، وقال : إنَّما أرسلهم خـوفاً منّي ، ودخلت السنـة **٣٣٥** والقتال على حاله ، وحصل بين الفريقين قتـال لم يسمع بمثله ، وفي آخـر المعارك ، انهـزم أبو يـزيد ، وأخـذت السيوف أصحـابـه ، فقتـل منهم أكثـر من عشـرة آلاف وسـار أبـو يـزيـد إلـى تـاه مـريـت ، ثـم قصـد بـاغـايـة فـأحـرقهـا فقصـده المنصـور بجيشـه ، ففـرّ أبـو يـزيـد منـه ، حتى وصـل المنصـور طنبه ، فاستأمن اليه جماعة من كبـار أصحاب أبي يـزيد ، فـأمّنهم المنصور ، واستمـرّ الهرب بـأبي يزيـد حتى وصل إلى جبـل البربـر ، فاجتمـع عليه خلق كثير ، فعاد لمحاربة المنصور ، واشتبك الطرفان في معـركة ضـارية ، فـانهزم أبـو يزيـد إلى جبل سـالات ، والمنصـور في أثـره ، حتى هـرب يـريـد بـلاد السودان ، ثم صعد إلى جبال كتامة ، فتحصّن بها ، وأعانه أهلها ، فسيّر اليـه المنصور جيشاً ، فانهزم أبو يزيد ، وأسر أولاده ، وأصحـابه ، ولحقـه فارسـان فعقرا فرسه ، فسقط عنه ، فأركبه أصحابه ، ولحقه زيري بن منـاد ، فطعنـه ، فألقاه ، وكثر القتال عليه ، فخلّصه أصحابه، وكانت حصيلة هذه المعركة قتـل عشـرة آلاف من أصحاب أبي يـزيد ، واشتبـك الفـريقـان في معـركـة أخـرى عـظيمة ، فـانهزم أبـو يزيـد ، واحترقت أثقـاله ، فـطلع أصحابـه على رؤوس الجبال ، يرمون بالصخـر وكثر القتـل ، حتى ظنّ أنّه الفنـاء ، ثم افترقـوا على السواء ، والتجأ أبو يزيد إلى قلعة كتامة ، وهي منيعة ، فاحتمى بها ، فحصره المنصور بها ، وفرّق جنده حولها ، وملك أصحابه بعض القلعـة ، وألقوا فيهـا النيـران ، وانهزم أصحـاب أبي يزيـد ، وقتلوا قتلاً ذريعـاً ، ودخل أبـو يـزيـد وأولاده ، وأعيـان أصحابـه ، إلى قصر في القلعـة ، فأحـرقت أبوابـه ، فخرج أصحـابه وهم يحملونـه على أيديهم ، وحملوا حملة منكـرة ، فأفـرجـوا لـه ، فنجوا به ، فأمر المنصور بطلبه ، فبينما هم كذلك إذ جيء بأبي يزيـد ، وذلك

إنّ ثلاثة من أصحابه حملوه من المعركة ، لقبح عرجه ، ثم تركوه ، ونجوا بأنفسهم ، فذهب لينزل من الوعر ، فسقط في مكان صعب، فأدرك ، وحمل إلى المنصور ، فسجد شكراً لله تعالى ، وبقي عنده إلى سلخ المحرم من السنة ٣٣٦، فمات من الجراح التي به ، فأمر به فسلخ جلده ، وحشي تبناً ، وأدخل في قفص ، وجعل معه قردان يلعبان عليه (ابن الأثير ٨/٤٢٢-٤٤١).

وفي السنة ٣٣٨ وقعت معركة بين الأمير سيف الدولة الحمداني ، والدوقس الرومي ، واشترك في المعركة أمير دمشق صصمصامة ، معونة لسيف الدولة ، فقتل الدوقس ، وقتل من عسكره أربعة عشر ألفاً ، وأسر منهم خلق كثير (خطط الشام ١/٢١٨ و ٢١٩).

وفي السنة ٣٤١ قتل مؤسّس الإمارة المكناسية بمراكش ، موسى بن أبي العافية ، وكان عبيدالله بن المهدي قد قدّمه ، وزاد في ملكه مدينة فاس ، وصار في حوزته من أحواز تيهرت إلى السوس الأقصى ، فانتقض على المهدي ، وخطب لعبد الرحمن الناصر الأموي ، فسيّر اليه المهدي جيشاً حاربه ، وقتله (الاعلام ٨/٢٧٤).

وفي السنة ٣٥١ فتح الدمستق حلب ، وأسر بضعة عشر ألفاً ، وكان معه ابن اخت الملك ، فأصرّ على اقتحام القلعة ، وترجّل ، وصعد إلى باب القلعة ، فلما قرب من الباب ، فتحوا الباب وأرسلوا عليه حجراً فأصابه ، ثم رموه بخشت فنشب في صدره وقتله ، فعمد الدمستق إلى جميع الأسرى فقتلهم ، وعاد إلى بلاد الروم (تجارب الأمم ٢/١٩٣ و ١٩٤).

وفي السنة ٣٥٤ قتل أبو الطيّب المتنبّي ، أحمد بن الحسين الجعفي الكندي ، وابنه محسّد ، وغلامه مفلح ، بالقرب من دير العاقول في سواد العراق ، وكان عائداً من عضد الدولة في فارس ، فقطع عليه الطريق ، وقتل وأصحابه في المعركة (الاعلام ١/١١١).

أقول : أورد صاحب نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة ، في المجلد الرابع في الصفحة ٢٤٨ ـ ٢٥١ خبر مقتله ، وسبب قتله ، وأورد أسباباً ثلاثة أوّلها : إنّه كان معه مال كثير ، وقطع عليه الطريق من أجل ما معه من المال ، وثانيها : إنَّ عضد الدولة دسّ عليه من قتله ، والثالث : إنّه هجا ضبّة الأسدي فأقام له من قتله ، وكنت قد علّقت على ما أورده التنوخي ، ونقلت ما أثبته صاحب اليتيمة ١/ ٢٤٠ بأنَّ المتنبّي ارتحل من شيراز بحسن حال ، ووفور مال ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الإحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين ، فخرج عليه أعراب قتلوه ، وفازوا بأمواله ، وهذا هو القول الراجح في مقتل المتنبّي ، فإنَّ قاطع الطريق لا يهمه من يسلب ، وإنَّما يهمه ما يسلب، ولعلّ الذين فتكوا بالمتنبّي ، قتلوه وهم لا يعرفونه ، أمّا القول بأنّ عضد الدولة دسّ إليه من قتله ، فقول لا يعلق بقبول ، وأمّا القول بأنّه هجا ضبّة ، وأنَّ ضبة قتله ، أو دسّ إليه من قتله ، فالمشهور أنّ الذي قتله لصّ من بني أسد، اسمه فاتك (وفيات الأعيان ١/ ١٠٥) ولا علاقة بين فاتك وبين ضبّة الذي لم يكن من بني أسد ، وإنّما هو ضبّة بن يزيد العيني (شرح ديوان المتنبي ٧٢٣)، وقد كان المتنبي لا يفصح عن نسبه ، محتجاً بأنّه يخبط القبائل ، ويطوي البوادي ، فهو لا يأمن ـ إذا انتسب ـ أن يأخذه بعض العرب بطائلة بينه وبين من انتسب إليه (نشوار المحاضرة ٤ ص ٢٤٥). والذي يكون على هذه الدرجة من التحفّظ ، لا يمكن أن يقذع في هجاء قاطع طريق ، ثم يمرّ بدياره .

وفي السنة ٣٥٥ خرج أهل أنطاكية عن طاعة الأمير سيف الدولة الحمداني ، فحاربهم ، وأخضعهم ، وقتل منهم خمسة آلاف (خطط الشام ١/ ٢٢١).

وفي السنة ٣٥٥ نصب أهل عمان أميراً عليهم يعرف بابن طغان ، وكان من صغار القوّاد ، وأدناهم مرتبة ، فلما استقرّ في الأمرة ، استأصل من كان

فوقه من القواد ، فقتل بعضهم ، وغرّق بعضهم ، وقدم البلد ابنا أخت لرجل ممن قد غرقهم ، فدخلا عليه في يوم أيام السلام فلما تقوّض المجلس قتلاه ، فاختار الناس عبد الوهاب بن احمد بن مروان ، فولي الإمارة بعد امتناع منه ، واستكتب كاتباً اسمه علي بن أحمد ، كان مع القرامطة ، فأنشأ علي ، فتنة بين الجنود البيض والسودان ، كانت عاقبتها أن نفي الأمير عبد الوهاب من البلد ، وتأمر فيها علي بن أحمد ، حتى بعث إليها معز الدولة جيشاً فاحتلّ عمان ، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وأحرق مراكبهم وهي تسعة وثمانون مركباً (ابن الأثير ٨/٥٦٧و ٥٦٨).

في السنة ٣٥٦ قبض أبو تغلب الحمداني ، على أبيه ناصر الدولة ، ورفعه الى إحدى القلاع ، (أي حبسه بها)، فاختلف مع بعض أخوته من جرّاء ذلك ، وكان أخوه حمدان ممن خالفه فقبض أبو تغلب أمواله ، وسيّر أخاه أبا البركات لمحاربة حمدان الذي كان في الرحبة ، فلما قرب أبو البركات من الرحبة ، فرّ حمدان منه ، والتجأ إلى بختيار البويهي ببغداد ، فأصلح بختيار بين حمدان وأبي تغلب ، وعاد حمدان الى الرحبة ، ثم عاد الإختلاف ، فعاود أبو البركات احتلال الرحبة ، فكرّ عليه حمدان ، واقتتلا ، فقتل حمدان أخاه أبا البركات ، وبعث بجثّته الى الموصل (ابن الأثير ٨/٦٣١-٦٣٤).

وفي السنة ٣٥٧ جرت نفرة بين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان ، وبين خاله أبي فراس الحارث بن سعيد الحمداني ، فبعث إليه مولاه قرغويه مع أعراب ، واقتتلوا، فقتل أبو فراس في المعركة (ابن الأثير ٨/٥٨٨).

وفي السنة ٣٥٨ سيّرا المعزّ لدين الله الفاطمي ، غلامه جوهراً الصقلي ، في جيش كثيف إلى الديار المصرية فاستولى عليها ، وسيّر جعفر

بن فلاح الكتامي إلى الشام ، فاشتبك في معارك عديدة ، وفتح الرملة وطبرية ودمشق (ابن الأثير ٨/٥٩١و ٥٩٢).

وفي السنة ٣٦٠ قتل في معركة بالشام ، أبو علي جعفر بن فلاح الكتامي ، أحد قوّاد المعزّ الفاطمي ، قتله الحسن بن أحمد القرمطي (الأعلام ٢/١٢١) .

وفي السنة ٣٦٠ قتل زيري بن مناد الصنهاجي الحميري ،أوّل ملوك الصنهاجيين بالمغرب الأوسط ، قتل في المعركة التي نشبت بينه وبين جعفر بن علي الأندلسي ، وزيري هو جدّ معدّ بن باديس (الأعلام ٣/١٠٣و ١٠٤).

وفي السنة ٣٦٥ جمع خزرون بن قلقول الزناتي ، جمعاً كبيراً ، وفتح سجسلماسة ، وقتل صاحبها (ابن الأثير ٨/٦٦٦).

وفي السنة ٣٦٥ قتل ملك زناتة ، واسمه عبس بن أمّ الأنصار ، وكان مشعبذاً ، وادّعى النبوّة ، وشرع لهم شريعة ، فغزاه بلكّين ، واشتبك معه في حروب عظيمة ، فظفر بلكّين، وقتل ملكهم عبس ، وهزم عساكره ، وقتلهم قتلاً ذريعاً (ابن الأثير ٨/٦٦٦).

وفي السنة ٣٦٥ قصد افتكين القائد التركي ، صاحب دمشق ، مدينة صيدا ، فحصرها، وبها ابن الشيخ ومعه رؤوس المغاربة ، فانتصر افتكين ، وقتل منهم أربعة آلاف (خطط الشام ١/٢٣١).

وفي السنة ٣٦٦ قتل بختيار البويهي ، ابن معزّ الدولة ، في معركة بينه وبين ابن عمّه عضد الدولة بن ركن الدولة ، وتفصيل ذلك إنّ ركن الدولة توفّي في السنة ٣٦٦ وخلفه ولده عضد الدولة ، فقصد العراق ، لبطرد عنه ابن عمّه بختيار ، والتقى الجيشان في الأهواز ، فانكسر عسكر بختيار ، وملك عضد الدولة البصرة ، فأصعد بختيار إلى بغداد ، وتركها يريد الشام ، فدخل

عضد الدولة بغداد ، ثم قرّر بختيار المقاومة ، واتفق مع أبي تغلب الحمداني ، واشتبكا مع عضد الدولة في معركة بقصر الجصّ بنواحي تكريت ، فقتل بختيار ، وفرّ أبو تغلب (ابن الأثير ٨/ ٦٦١) .

وفي السنة ٣٦٩ قتل أبو تغلب الحمداني ، الغضنفر بن ناصر الدولة ، قتله دغفل بن المفرّج الطائي ، وبعث برأسه إلى مصر ، وكان بعد أنكساره في موقعة قصر الجصّ قد لجأ إلى نصيبين ، ثم أصعد إلى ميا فارقين ، ثم إلى بدليس ، ثم جاء إلى قلعة كواشي (أردمشت) ثم أصعد إلى خرتبرت ، فاشتبك في معركة مع صاحبها دغفل بن المفرّج الطائي ، وضرب على رأسه فسقط ، وقتل (ابن الأثير ٨/ ٦٩٩ و٧٠٠) .

وفي السنة ٣٧١ قتل الامير أبو القاسم علي بن الحسن بن علي ، أمير صقلية ، في معركة بينه وبين بردويل ملك الفرنج ، وقتل معه جماعة من أعيان الناس وشجعانهم ، أصابته ضربة على أمّ رأسه فقتل ، فعاود أصحابه المعركة مصمّمين على الظفر ، فظفروا ، وقتل من الفرنج نحو أربعة الآف قتيل ، وأسر من بطارقتهم كثير ، وغنموا من أموالهم كثيراً ، (ابن الأثير ٩/١٣و١٤) .

أقول : ذكر صاحب الأعلام ٥/ ٨٠ إنّ الوقعة حصلت في السنة ٣٧٢ وإنّ المعركة كانت مع الامبراطور أوطون الألماني .

وفي السنة ٣٧٣ غزا الحاجب المنصور ابن أبي عامر بالأندلس ، مدينة ليون ، ففتحها بعد معارك ضارية ، وقتل فيها من الإفرنج ما لا يحصى ، وكان السبي ثلاثين ألفاً (ابن الأثير ٩/ ٣٣) .

وفي السنة ٣٧٥ قبض صمصام الدولة ببغداد ، على أبي بكر بن شاهويه ، نائب القرامطة ببغداد ، وكان يتحكّم تحكّم الوزراء ، فقصد اسحاق وجعفر البحريان ، وهما من الستّة القرامطة الذين يلقّبون بالسادة الكوفة ،

فملكاها ، وذكرا إنّ القبض على نائبهم هو السبب في قصدهم العراق ، ثم وصل أبو قيس الحسن بن المنذر ، وهو من أكابر القرامطة إلى الجامعين ، فسيرّ إليه صمصام الدولة جيشاً ، فقاتلوه ، وهزموه ، وأسر أبو قيس وجماعة من قوّاده فقتلوا ، فسيّر القرامطة جيشاً آخر في عدد كثير وعدّة ، فلاقاهم عسكر صمصام الدولة في الجامعين أيضاً ، فأجلت الواقعة عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمهم ، فزال ناموسهم من ذلك الحين (ابن الأثير ٩/٤٢ و٤٣) .

وفي السنة ٣٨٠ هاجم باد الكردي ، الموصل ، ونشبت معركة بينه وبين الحمدانيين حكّام الوصل ، فقتل عبد الله حاجب باد ، وكان يلّقب عروس الخيل ، ففجع به ، ثم سقط باد عن فرسه ، فانكسرت ترقوته ، وقتل ، وقطعت يده ورجله وحملت إلى بغداد ، وصلب بدنه على باب دار الإمارة بالموصل ، فثار العامّة ، وقالوا : هذا رجل غاز ، فلا تحلّ المثلة به ، فحطّ ، وكفّن ، وصلّي عليه ، ودفن ، وظهر من محبّة العامّة له بعد هلاكه ، شيء طريف (ابن الأثير ٩/٧٠ و٧١ذيل تجارب الامم ١٧٦ ـ ١٧٨) .

وفي السنة ٣٨٠ استولى أبو الذواد محمد بن المسيّب ، أمير بني عقيل على الموصل ، وقتل أبا طاهر بن ناصر الدولة الحمداني ، وقتل أولاده ، وعدّة من قوّاده بعد قتال جرى بينهما (المختصر لابي الفداء ٢/١٢٧) .

أقول : الذي في تاريخ ابن الأثير ٩/٧٢ : إنّ أبا الذواد قصد أبا طاهر لما وصل إلى نصيبين ، فأسره وعلياً ابنه والمزعفر أمير بني نمير ، وقتلهم صبراً .

وفي السنة ٣٨١ نشبت معركة عنيفة بين الجند الفاطمي ، والروم ، على نهر العاصي ، فانتصر الروم ، فأقدم أحد الأكراد وآسمه احمد بن الضحّاك على الدوقس زعيم الروم ، وتقدّم منه، وهو يحسبه مستأمناً أو

مستجيراً ، فلما دنا منه ، حمل عليه ، وضربه بخشت في يده ، فأصاب منه مقتلاً ، فأعاد الجند الفاطمي الكرّة ، وانتصروا (ذيل تجارب الامم ٢٢٨) .

أقول : أورد ابن الاثير ١٢١/٩ ذكر هذه المعركة في اخبار السنة ٣٨٦ ، وأورد صاحب خطط الشام ٢٣٧/١ خبر معركة قال إنّها حصلت في السنة ٣٨٢ بين الجند الفاطمي وجيش الروم ، لا أدري أهي المعركة عينها ، أم غيرها قال : وفي السنة ٣٨٢ سيّر العزيز الفاطمي ، من مصر ، جيشاً يقوده منجوتكين ، لطرد الحمدانية من الشام ، فكتب أبو الفضائل الحمداني ، إلى ملك الروم ، يستعين به على دفع الفاطميّين ، فأنجده ، فسار منجوتكين وواجه الروم منفردين ، وأوقع بهم ، وجمع من رؤوس قتلاهم عشرة آلاف رأس .

وفي السنة ٣٨٢ قتل بأستراباذ السلطان طغاتيمور ، صاحب ما زندران واستراباذ ، في معركة حصلت بينه وبين السربداريين (معجم انساب الاسرالحاكمة ٣٨٢) .

وفي السنة ٣٨٨ حصر الدوقس قائد الروم مدينة أنطاكية ، فاستعان صاحبها بجيش بن الصمصامة ، أمير دمشق ، فأنجده ، ونشبت معركة استظهر فيها الدوقس أوّلاً ، ثم عادت الهزيمة على جيشه ، فقتل منهم زهاء ستّة آلاف ، وفي رواية عشرة آلاف ، وقتل الدوقس ، وأسر أبناؤه ، وجماعة من قوّاده ، وحملوا إلى مصر ، فأقاموا بها عشر سنين ، حتى أطلقوا في الفداء (خطط الشام ٢٤٠/١ و٢٤١) .

وفي السنة ٣٨٩ حصر زيري بن عطيّة ، الملقّب بالقرطاس ، تاهرت بالمغرب ، فسيّر إليه باديس ، صاحب إفريقية ، جيشاً ، فانكسر جيش باديس ، وتحرّك عليه فلفل بن سعيد بن خزرون الزناتي ، عامل طبنة ، وجمع جمعاً كبيراً من البربر وزناته ، فالتقوا بوادي أغلان ، وكان بينهم حروب

عـظيمة لم يسمع بمثلها ، ثم انتصـر باديس ، وآنهـزم البربـر وزنـاتـه هـزيمـة قبيحـة ، وإنهزم فلفـل ، وقتل من زويلة تسعـة آلاف قتيل سـوى من قتـل من البربر (ابن الاثير ١٥٢/٩و١٥٣).

وفي السنة ٣٩٠ سار يمين الـدولة محمـود بن سبكتكين إلى سجستان ، وحصـر صـاحبهـا خلف بن أحمـد ، وسبب ذلـك إنّ يمين الـدولـة اشتغـل بـالحروب ، فسيّـر خلف بن أحمد ولـده طاهـراً إلى قهستان فملكهـا ، وملك بوشنج ، وكانت هي وهراة لبغراجق عمّ يمين الدولة ، فاستـأذنه عمّـه في طرد طـاهر من ولايتـه ، فأذن لـه ، فسار إليـه في جيش ، فانهـزم طـاهـر ، وألـحّ بغراجق في طلبه ، فعطف عليه طاهر ، وقتله ، ونزل إليه فـأخذ رأسـه ، فلما سمع يمين الدولـة بقتل عمّـه ، عظم لـديه ، وكبـر عليه ، وجمـع عساكـره ، وقصـد خلف بن أحمد ، فتحصّن منـه بحصن أصبهبذ ، وهـو حصن ينـاطـح النجوم ، فحصره وضيّق عليه ، فذلّ وخضع ، وبذل أموالاً جليلة، لينفّس عن خناقه ، فأجابه يمين الدولة ، ثم تقاعس خلف عن تنفيذ ما تعهّد به ، فقصـده يمين الدولة في السنة ٣٩٣ وهو في حصن الطاق ، وهو حصن له سبعة أسـوار محكمـة ، يحيط بها خنـدق عميق عريض ، لا يعبـر عليه إلاّ من طـريق على جسر يرفـع عند الخـوف ، فنازلـه ، وضايقـه ، وطمّ الخندق في يـوم واحد ، وعبر إلى السور الأول ، فتقدّم أعظم الفيول إلى باب السور فاقتلعه بنابيه وألقاه على الأرض ، ولم تـزل الفيلة تدفعـه عن سور سـور ، فـأرسـل خلف يـطلب الأمان ، ونزل مستسلماً ، فخيّره في الموضع الذي يريد أن يقيم فيه ، فـاختار الجوزجان ، فسيّره إليها ، وأقام بها نحو أربع سنين ، ثم ظهر إنّه يراسل ايلك الخان ، ويغريـه بقصد يمين الـدولة ومحـاربته ، فنقله إلى جـردين ، واحتاط عليـه (أي انّـه اعتقله) إلى أن أدركـه أجله في السنـة ٣٩٩ (ابن الأثيـر ١٥٩/٩ - ١٧٣) .

أقـول : للاطـلاع على حقيقة خلف بن احمـد هذا ، راجـع مـا أثبتنـاه

عنـه ، في هذا الكتـاب ، في البـاب الحـادي عشـر « القتـل » الفصـل الأوّل « القتـل بالسيف » القسم الثـالث « القتل غـدراً » إذ إنّـه غـدر في السنـة ٣٨١ بولده عمرو ، فأمر به فقتل بيـن يديه ، ثم غدر في السنة ٣٩١ بولـده طاهـر ، فخدعه ، وأوهمه بأنّه يريد أن يوصي إليه ، حتى حضر إليه ، فاعتقله ، وذبحه بيده ، الأمر الذي لا يعقل حصـوله من حيـوان الغاب ، ورحم الله الـرصافي حيث قال :

دع الأنـاسـيّ وآنسبني لغيـرهـم ... إن شئت للشـاء أو إن شئت للبقـر
فـإنّ في البشـر الـزاهي بخلقتـه ... من قـد أنفتُ بـه أنّي مـن البـشـر

وفي السنـة ٣٩٠ بعث الحاكم الفـاطمي جيشاً بقيـادة يـأنس الصقلي ، فاحتلّ طرابلس ، فسيّر إليه باديس ، صاحب إفريقيـة ، جيشاً ، فلقيهم يـأنس خارج طرابلس ، فقتل يأنس في المعركة (ابن الأثير ١٥٤/٩) .

وفي السنـة ٣٩٠ خرج اسمـاعيل بن نـوح السامـاني من محبسـه الـذي حبسه فيه ايلك الخان لما ملك بخارى مع جمـاعة من أهله ، وكيفيـة خروجـه إنّه كانت تأتيه جارية تخدمه ، فلبس ما كان عليهـا وخرج ، وحسبـه الموكّلون الجـارية ، فلمـا خرج استخفى ، ثم سـار من بخـارى إلى خـوارزم ، وتلقّب بالمنتصر ، وجمع بقايا القوّاد والجنود السامانيين . فكثف جمعه ، وسيّر قائـداً من أصحابه في عسكر إلى بخارى ، فبيّت من بها من أصحاب ايلك الخان ، فهزمهم وقتل منهم ، وتبع المنهزمين إلى حـدود سمرقنـد ، فعاون المنهـزمين جيش في سمرقند ، فهزم المنتصر الجيشين معاً ، وعاد المنتصر إلى بخارى ، فآستبشر أهلها بعودة السامانية، ثم إنّ ايلك قصد بخارى ، فتركهـا المنتصر ، وآستـولى على أبيورد ونيسابور ، ثم سـار عنهـا ألى أسفـرايين ، ثم لجـأ إلى قابوس بن وشمكير ، فأكرمه ، وأعانه بجيش ، فقصد الريّ ، ثم تركها وقصـد الـدامغان ، ثم عـاد إلى نيسابـور ، فسيّر إليـه يمين الدولـة محمود الغـزنـوي

جيشاً ، فانهزم المنتصر ، وسار نحو أبيورد ، وقصد جرجان ، فصدّه قابوس ، فاستولى على سرخس ، وقصده منصور بن سبكتكين ، فحاربه ، فانهزم المنتصر ، واستعان بالأتراك الغزّية ، وسار بهم في السنة ٣٩٣ ألى سمرقند ، فهزموا ايلك الخان وأسروا جماعة من قوّاده ، ثم قصد بخارى وحصرها ، ولم يوفّق ثم عاود الكرة ، فانتصر على حامية بخارى ، فقصده ايلك الخان ، واشتبك معه في ضواحي سمرقند ، في معركة ضارية ، فانهزم ايلك الخان ، وذلك في السنة ٣٩٤ ، وعاد إلى بلده فجمع وحشد ، وكرّ على المنتصر ، وحاربه ، فانهزم المنتصر ، وقصد الجوزجان ، فأخذ أموالها ، وقصد مرو ، فصدّه يمين الدولة ، فقصد بسطام ، فصدّه قابوس ، وضجر أكثر أصحابه ، ففارقوه ، وعلم ايلك الخان بمكانه ، فأرسل الخيل في طلبه ، فنزل بحلّة ، فأمهلوه حتى أظلم الليل ونام ، فوثبوا عليه وقتلوه ، وكان ذلك خاتمة أمره (ابن الاثير ٩/١٥٦ ـ ١٥٩) .

وفي السنة ٣٩١ تحرك ماكسن بن زيري ، عمّ أبي باديس صاحب إفريقية ، إلى أشير ، وحارب بها ابن أخيه حمّاد بن بلكّين ، وكانت بينهما حرب شديدة ، قتل فيها ماكسن ، وأولاده محسن وباديس وحباسة (ابن الأثير ٩/١٥٤ و١٥٥) .

وفي السنة ٣٩٩ ملك صالح بن مرداس الرحبة ، وكان بالرحبة رجل من أهلها يعرف بابن محكان ، فملك البلد ، واحتاج إلى من يعينه ، فكاتب صالح بن مرداس ، وأحضره ، وزوّجه آبنته ، وقصد ابن محكان وصالح عانة ، فوضع صالح على ابن محكان من قتله غفلة ، وملك صالح الرحبة ، وكان هذا بدء أمره ، ثم إنّه اشترك في غزو حلب ، فأسره صاحبها ابن لؤلؤ وحبسه ثم تخلّص من الحبس وفرّ إلى أهله ، ثم جمع ألفي فارس وقصد حلب ، وأسر ابن لؤلؤ ، وقيّده بالقيد الذي سبق أن قيّده به لما حبسه ، ثم صالح ابن لؤلؤ ، ورحل صالح عن حلب ، ثم اختلف ابن لؤلؤ وغلامه فتح

الذي كان يحفظ القلعة ، فامتنع فتح في القلعة ، وجاهر ابن لؤلؤ بالعداء ، وأبعده إلى أنطاكية ، فقصد صالح حلب ،وحصرها ، واستولى عليها وعلى القلعة، وذلك في السنة ٤١٤، وملك صالح من بعلبك إلى عانة، وأقام بحلب ستّ سنين ، وفي السنة ٤٢٠ جهّز الظاهر صاحب مصر جيشاً لقتال صالح ، فآقتتلوا بالأردن ، فقتل صالح وولده الأصغر ، وأنفذ رأساهما إلى مصر ، ونجا نصر بن صالح ، فعاد إلى حلب ، وملكها ، وتلقّب شبل الدولة ، وقصدت الروم حلب ، فحاربهم الحلبيّون ، وانتصروا عليهم ، وظلّ شبل الدولة مالكاً حلب إلى السنة ٤٢٩ فقصده جيش من مصر ، ووقعت معركة قتل فيها نصر ، وملك الدزبري ، القائد المصري ، حلب ، ومات الدزريري بعد شهر واحد ،.فقصد ثمال بن صالح بن مرداس حلب ، وملكها تسليماً من أهلها ، وبقي فيها إلى السنة ٤٤٠ فسيّر إليه المصريون جيشاً ، ففلّه الحلبيّون ، ثم بعثوا في السنة ٤٤١ جيشاً آخر كان مصيره مصير سابقه ، ثم أصلح ثمال أمره مع المصريين ، ونزل لهم عن حلب ، وسار إلى مصر ، فآستولى محمود بن شبل الدولة نصر على حلب ، فأرسل إليه المصريون جيشاً عليه ثمال بن صالح في السنة ٤٥٢ فرحل محمود عن حلب ، وعاد ثمال إلى حكمها ، في السنة ٤٥٣ ، وتوفيّ بها في السنة ٤٥٤ وأوصى بحلب لأخيه عطية بن صالح ، فملكها ، فقصده محمود بن شبل الدولة ، فأخرجه منها ، وتملّكها ، وآستمر يحكمها إلى أن توفيّ بها في السنة ٤٦٨ ، فخلفه ولده نصر ، وكان مدمناً الخمر ، فرماه أحد جنوده بسهم فقتله ، فخلفه أخوه سابق ، فحكم إلى السنة ٤٧٢ حيث سلبت منه حلب (ابن الأثير ٩/ ٢١٠ و٢٢٧ ـ ٢٣٤) .

وفي السنة ٤٠٢ قتل حباسة بن ماكسن الصنهاجي، وكان شهماً ، بهمة من البهم ، في موقعة خارج قرطبة ، بين البربر والموالي العامريّين ، ولما قتل اخذوا رأسه ، وعجلوا به إلى قصر السلطان ، وأسلموا جسده للعامّة ، فجرّوه

في الطرقات والاسواق ، وقطعوا بعض أعضائه ، ثم أوقدوا له ناراً وآحرقوه (الاحاطة ٤٩٤و ٤٩٥) .

أقول : ذكر ابن الأثير ٩/ ١٥٤ و١٥٥ ان حباسة بن ماكسن قتل في السنة ٣٩١ مع أخويه وأبيه ، وقد اثبتنا ذلك في أخبار السنة ٣٩١ .

وفي السنة ٤٠٥ قصد علي بن مزيد الأسدي كلاّ من مضرونبهان وحسّان وطراد أولاد دبيس ، لأنّ نبهان كان قد قتل أبا الغنائم أخا علي بن مزيد ، فلما آقترب منهم خرجت زوجته ، وهي ابنة دبيس ، وقصدت أخاها مضر بن دبيس ليلاً ، وقالت له : قد أتاكم ابن مزيد بما لا قبل لكم به ، وهو يقنع منكم بإبعاد نبهان قاتل أخيه ، فأبعدوه وينتهي الأمر ، فأجاب أخوها مضر إلى ذلك ، وآمتنع أخوه حسّان ، فلما سمع ابن مزيد بما فعلت زوجته ، أنكره ، وأراد طلاقها ، فقالت له : خفت أن أكون في هذه الحرب بين فقد أخ حميم أو زوج كريم ، ففعلتُ ما فعلتُ رجاء الصلاح ، فزال غيظه ، واشتدّ القتال بين الفريقين ، فظفر ابن مزيد بهم ، وقتل حسّان ونبهان ابني دبيس (ابن الأثير ٩/ ٢٤٩ و٢٥٠) .

وفي السنة ٤٠٦ فارق إبراهيم وحمّاد ، ابن أخيهما باديس ، صاحب إفريقية ، وجمعا ثلاثين ألف مقاتل ، وعاثا ، فسفكا الدماء ، وقتلا الأطفال ، وسبيا النساء ، وأحرقا الزروع والمساكن ، ودخل حمّاد باجة بعد أن أمنّهم ، ثم غدر بهم ، فقتل ونهب وأحرق ، وآستولى على الأموال ، وهرب إلى باديس جماعة من جند إبراهيم ، فأخذ ابراهيم أبناءهم ، فذبحهم على صدور أمّهاتهم ، قيل إنّه ذبح منهم ستّين طفلاً ، فلما فرغ من قتل الأطفال قتل الأمّهات ، والتقى جيش باديس بجيش حمّاد ، واقتتلوا أشدّ قتال ، فانهزم حمّاد وعسكره ، ووصل حمّاد إلى مدينة دكمة ، فتجنّى على أهلها ، ووضع فيهم السيف ، فخرج إليه فقيه منها ، فقال له : يا حمّاد ، إذا لقيتَ الجيوش انهزمتَ ، وإذا قاومتك الجموع فررت ، وإنّما قدرتك وسلطانك على أسير لا

قدرة له عليك ، فقتله حمّاد وحدث أن توفيّ باديس ، فاضطرب حال أصحابه ، فانتصر عليهم حمّاد ، ثم تولّى المعزّ بن باديس ، وقاتل حمّاداً ، فانهزم حمّاد وأصحابه ، وجرح حمّاد ، ثم إنّ المعزّ عفا عن إبراهيم وحمّاد عمي أبيه ، وأكرمهما ، واصطلحوا (ابن الأثير ٩/٢٥٦ - ٢٥٩) .

وفي السنة ٤١٠ غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين الهند ، وعبر نهر الكنج ، وانتصر على ملك اسمه تروجنبال ، ثم انتصر على ملك اسمه بيدا ، كان عدّة عسكره ستّة وخمسين ألف فارس ، ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل ، وسبعمائة وستّة وأربعين فيلًا (ابن الاثير ٩/٣٠٨ - ٣١٠) .

وفي السنة ٤١٥ خرج بإفريقية جمع كثير من زناتة ، فقطعوا الطريق وأفسدوا ، وكثر جمعهم ، فسيّر إليهم المعزّ بن باديس جيشاً جريدة ، وأمرهم أن يسبقوا أخبارهم ، فأدركوهم وهم آمنون من الطلب ، فوضعوا فيهم السيف ، فقتل منهم خلق كثير ، وعلّق خمسمائة رأس في أعناق الخيول ، وسيّرت إلى المعز (ابن الأثير ٩/ ٣٤٠) .

وفي السنة ٤١٦ فتح يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، المدينة التي فيها الصنم ، المسمى سومنات، أعظم أصنام الهند ، واشتبك مع الهنود في معارك ضارية ، كانت فيها عدّة قتلى الهنود تزيد على خمسين ألف قتيل (ابن الأثير ٩/٣٤٢ - ٣٤٦) .

وفي السنة ٤١٧ قتل أمير صقلية أحمد بن يوسف الكلبي ، المعروف بالأكحل ، ولقبه أسد الدولة ، وكان ولده جعفر قد اضطهد بعض رعاياه ، فلجأوا إلى ابن باديس صاحب القيروان ، فوجّه إلى صقلية جيشاً استولى على قصر الإمارة ، وقتل الأكحل (الأعلام ١/ ٢٥٨) .

وفي السنة ٤١٩ سار أنوشتكين الدزبري ، على عساكر مصر إلى الشام ، وحارب صالح بن مرداس وابن الجراح الطائي ، فهزمهما ، وقتل

صالح بن مرداس وابنه الأصغر ، وملك جميع الشام (ابن الاثير ٣٦٩/٩ والاعلام ٢٨٢/٣) .

وفي السنة ٤٢١ غزا مسعود بن محمود الغزنوي ، مدينة نرسي بالهند ، ومعه مائة ألف مقاتل بين فارس وراجل ، وعاد ظافراً (ابن الاثير ٣١٥/٩، ٣٩٦) .

وفي السنة ٤٢١ غزا فضلون الكردي ، الخزر ، فقتل منهم وسبي ، وغنم شيئاً كثيراً ، فلما عاد إلى بلده في أذربيجان ، أبطأ في سيره ، وأقلّ الاستظهار في أمره ، فاتّبعوه مجدّين ، وكبسوه ، وقتلوا من أصحابه والمطوّعة الذي معه أكثر من عشرة آلاف قتيل ، وآستردّوا الغنائم التي أخذت منهم ، وغنموا أموال العساكر الإسلامية ، وعادوا (ابن الاثير ٤٠٩/٩) .

وفي السنة ٤٢٢ كان صاحب التيز قد مات، فاختلف ولداه أبو العساكر وعيسى، واستبد عيسى بالولاية ، فسار أبو العساكر إلى مسعود بن محمود الغزنوي ، واستنجد به ، فأنجده بجيش ، فلما وصلوا إلى عيسى دعوه إلى طاعة مسعود ، والموافقة مع أخيه أبي العساكر فأبى ، وجمع جيشاً من ثمانية عشر ألفاً ، حاربهم ، فانهزم عيسى ، ثم عاد وحمل في نفر من أصحابه ، وتوسّط المعركة ، فقتل (ابن الاثير ٤١٢/٩) .

وفي السنة ٤٢٧ حصر يحي بن علي بن حمّود ، مدينة إشبيلية ، فخرج عليه كمين من جند إشبيلية ، فقتل (ابن الاثير ٢٧٩/٩) .

وفي السنة ٤٢٧ نشبت معركة ، خارج أسوار قرمونة ، بالأندلس ، بين صاحبها المعتلي يحي بن علي بن حمّود الحسني ، وبين جيش القاضي ابن عبّاد ، صاحب إشبيلية ، فصرع يحي ، وقتل ، وحزّ رأسه ، وأرسل إلى ابن عباد في إشبيلية ، وكان آل عبّاد يحفظون رؤوس العظماء من قتلى أعدائهم ، فلما ذهبت دولتهم ، أخرجت تلك الرؤوس ، فوجد بينها رأس يحي بن حمّود لم يتغيّر ، فأخذه بعض أحفاده ودفنه (الاعلام ١٩٦/٩) .

وفي السنة ٤٢٩ قتل على أبواب غرناطة ، زهير العامري ، صاحب المرية ، قتله إباديس بن حبّوس ، صاحب غرناطة ، في المعركة (الاعلام ١٩٦/٩) .

وفي السنة ٤٢٩ فتح طغرلبك السلجوقي ، مدينة نيسابور ، وبلغ ذلك السلطان مسعود ، فسيّر إليهم حاجبه سباشي ، في ثلاثين ألف مقاتل ، فالتحموا في معركة بظاهر سرخس ، فانهزم سباشي ، وقتل من جنده مقتلة عظيمة ، وملك طغرل نيسابور وسرخس ، وسائر بلاد خراسان ما عدا بلخ (ابن الاثير ٤٥٧/٩ ـ٤٥٩) .

وفي السنة ٤٢٩ حصر الجند الفاطمي بقيادة الدزبري ، مدينة حلب، وقتلوا صاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، وملكوا حلب(ابن الأثير ٤٦٠/٩) .

وفي السنة ٤٣١ سيّر القاضي أبو القاسم بن عبّاد ، صاحب إشبيلية ،ولده اسماعيل في عسكر ، ليتغلّب على بعض البلاد ، فأخذ قرمونة ، ثم اشبونة ، وأستجه ، فلاقاه جند من صنهاجة ، ومن جند بني حمّود ، فانهزم أصحاب اسماعيل ، وأسلموه ، فقتل ، وحمل رأسه إلى إدريس بن علي (ابن الأثير ٢٨٠/٩) .

وفي السنة ٤٣٤ سيّر طغرلبك طائفة من أصحابه إلى كرمان لاحتلالها ، فبلغ الخبر صاحبها أبا كاليجار ، فسيّر ولده مهذّب الدولة في عساكر لحمايتها ، فاشتبك الجيشان في قتالٍ ضارٍ ، إلى حدّ أنّ بعض الغزّ رمى فرس أحد أصحاب أبي كاليجار بسهم ، فوقع في الفرس ، وطعنه صاحب الفرس ، برمح فأصاب فرس الغزّي ، وحمل الغزّي على صاحب الفرس فضربه ضربة قطعت يده ، وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه

الحال ، فضربه بسيفه فقطعه نصفين ، وسقطا إلى الأرض قتيلين ، والفرسان قتيلين (ابن الأثير ٩/ ٥١٠ و٥١١) .

وفي السنة ٤٤٥ قتل المعتضد بن عبّاد اللخمي ، صاحب إشبيلية ، عيسى بن محمد ، من بني مزين ، صاحب شلب ، في معركة نشبت بينهما (الاعلام ٥/ ٢٩٢) .

وفي السنة ٤٤٧ قتل أبو زكريا يحيى بن عمر اللمتوني ، مؤسس دولة المرابطين ، سقط في معركة بينه وبين جيش جدالة ، وخلفه أخوه أبو بكر (الاعلام ٩/ ٢٠١) .

وفي السنة ٤٥١ قتل القائد التركي أرسلان البساسيري ، وكان من أكبر قوّاد الدولة العباسيّة في عهد القائم ، فأفسد بينه وبين الخليفة ، المدعو رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، فبارح بغداد ، ثم دخلها فاتحاً باسم المستنصر الفاطمي صاحب مصر ، واعتقل الخليفة القائم ، ثم نفاه عن بغداد ، وأحسن ألى الناس ، وأجرى الجرايات على المتفقّهة ، ولم يتعصّب لمذهبه ، على خلاف رئيس الرؤساء الذي كان شديد التعصّب على الشيعة ، حتى إنّه قتل بعضهم من آجل التشيّع ، وأفرد البساسيري لوالدة الخليفة القايم داراً ، وأعطاها جاريتين تخدمانها ، وأجرى لها جراية ، وكانت قد قاربت التسعين ، ولما عاد السلطان طغرل بك إلى بغداد ، جرّد جيوشاً لمقاتلة البساسيري فقاتلوه ، وضرب فرسه بنشابة ، فسقط عن الفرس ، ووقع في وجهه ضربة ، فصرع ، وقتل ، وحمل رأسه إلى السلطان ، فأمر بحمله إلى دار الخلافة ، فنظّف ، وغسل ، وجعل على قناة ، وطيف به ، وعلّق قبالة باب النوبي (ابن الاثير ٩/ ٦٤٠ ـ ٦٤٩) .

وفي السنة ٤٥٥ قَتَلَ المعتضد بن عبّاداللخمي ، صاحب إشبيلية ، عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد ، من بني مزين ، حفيد الذي قتله في

السنة ٤٤٥ في معركة نشبت بينهما ، وفتح مدينة شلب ، واستولى عليها ، وانقرضت دولة بني مزين (الاعلام ٥/٢٩٣) .

وفي السنة ٤٥٥ خالف حمو بن مليك ، صاحب مدينة صفاقس بإفريقية ، على الأمير تميم بن المعزّ بن باديس ، وجمع جمعاً ، وسار إلى المهديّة ، فالتقى الفريقان بسلقطة ، وكانت بينهما حرب شديدة ، فآنهزم حمو ومن معه ، وأخذتهم السيوف فقتل أكثر أصحابه (ابن الأثير ١٠/٢٩) .

وفي السنة ٤٥٧ كانت حرب طاحنة بين الناصر بن علناس بن حمّاد ومن معه من صنهاجة وزناتة ومن العرب ، وبين تميم بن المعزّ ، صاحب إفريقية ، أراد الناصر أن يستولي على ملك تميم ، فالتقى العسكران بمدينة سبتة ، فظفربهم تميم ، وكان القتلى من صنهاجة وزناتة أربعة وعشرين ألفاً ، وحملت الألوية والطبول والخيم التي كانت في معسكر الناصر إلى تميم ، فردّها ، وقال : يقبح بي أن آخذ سلب آبن عمي (ابن الأثير ١٠/٤٦) .

وفي السنة ٤٧٨ بدأ دخول الإفرنج إلى بلاد الإسلام ، فملكوا طليطلة في الأندلس ، وصقلية في البحر المتوسّط ، وتطرّقوا إلى أطراف إفريقية ، وفي السنة ٤٩٠ قصدوا بلاد الشام عن طريق القسطنطينية ، ففتحوا أنطاكية ، بخيانة أحد حفظة الأبراج ، فهرب صاحبها باغي سيان هائماً على وجهه ، فلما طلع عليه النهار ، عاد إليه عقله ، وكان كالولهان ، فقال : أين أنا ؟ فقالوا له : على أربعة فراسخ من انطاكية ، فندم كيف خلص سالماً ولم يقاتل ، وجعل يتلهّف ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين ، ولشدّة ما لحقه سقط عن فرسه مغشياً عليه ، وأراد أصحابه أن يركبوه ، فلم تكن فيه مسكة ، فتركوه وساروا ، فلما استولى الفرنج على أنطاكية ، جمع لهم قوام الدولة كرابوقا ، عساكر عظيمة ، وسار إلى انطاكية ، وكان مع الفرنج راهب مطاع فيهم ، وكان قد دفن سرّاً حربة في مكان بالقسيان ، وعفّى أثرها ، ثم قال لهم : إنّ المسيح عليه السلام ، كانت له حربة مدفونة بالقسيان ، فإن

وجدتموها ، فالظفر من نصيبكم وأمرهم بالصيام ثلاثة أيّام ، وفي اليوم الرابع نهض معهم ، وبعد البحث عن الحربة ، أخرجها ، فأيقن الفرنج بالظفر ، واشتبكوا مع المسلمين في موقعة فظفروا ، وانهزم المسلمون ، وآحتلّ الفرنج معرّة النعمان ، ثم ملكوا بيت المقدس (ابن الاثير ٢٧٢/١٠ - ٢٧٨ و٢٨٦) .

وفي السنة ٤٧٨ قتل شرف الدولة مسلم بن قريش ، صاحب الموصل وحلب ، وسبب ذلك إنّ سليمان بن قتلمش ، لما فتح أنطاكية ، وأخذها من الروم ، كتب إليه مسلم يطلب منه الجزية التي كان الروم يؤدّونها إليه سنوياً ، فأجابه : إنّ الفردوس صاحب أنطاكية ، كان كافراً ويؤدّي إليك الجزية ، أمّا أنا فمسلم ، والمسلم لا يدفع جزية ، فقصده شرف الدولة ، وحاربه ، فانتصر سليمان ، وقتل شرف الدولة في المعركة (ابن الأثير ١٣٩/١٠ و١٤٠) .

وفي السنة ٤٧٩ وقعت معركة الزلّاقة بالاندلس ، وكان الأذفونش في خمسين ألفاً ، وكان ملوك الطوائف قد استعانوا بأمير المسلمين المرابطي ، واشتبك الجيشان في معركة ضارية ، فنجا الأذفونش في نفريسير ، واصطلم جمع عسكره (ابن الأثير ١٥٤/١٠) .

وفي السنة ٤٨٤ في وقعة إشبيلية ، التي أسر المرابطون فيها المعتمد بن عبّاد ، قتل ولده يزيد وهو يحارب بين يديه (الوافي بالوفيات ١٨٣/٣) .

وفي السنة ٤٨٧ اشتبك السلطان بركياروق ، مع عمّه تاج الدولة تتش في حرب طاحنة ، فآنكسر بركياروق ، وقصد إصبهان ، وكان فيها أخوه السلطان محمود ، فأدخله البلد ، وآحتاط عليه (أي آعتقله) ، وأراد أمراء محمود أن يسملوا عيني بركياروق ، فصادف أنّ محموداً حمّ وجدّر ، فمنعهم الطبيب أمين الدولة ابن التلميذ من سمل بركياروق ، وقال لهم : لا أحسب

أنّ محمـوداً يسلم من مرضـه ، فلا تعجلوا على بـركياروق ، فتـركوه ، ومـات محمود ، فسلطنوا بركياروق بدلاً منه (ابن الأثير ١٠/٢٣٤) .

وفي السنـة ٤٨٨ قتل الأميـر تتش عمّ السلطان بركيـاروق ، في معـركـة طاحنة ، وقعت بالريّ بينه وبين بركياروق ، فآنهزم عسكرتتش ، أمّـا هو فثبت وقتل (ابن الأثير ١٠/٢٤٥) .

وفي السنة ٤٩٣ قتل الأميـر سعد الـدولة كـوهرائين ، في المعـركة التي نشبت بين السلطان بركياروق ، وأخيه السلطان محمد ، كبا بسعد الدولة فرسه فجاء خراساني فقتله ،وأخذ رأسه ، وكان أوّل أمر سعد الدولة ، أنّه كان خادماً لامرأة من أهل خوزستان ، ثم خدم أبا كاليجار بن سلطان الـدولة ، ثم انتقـل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان ، ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمي ، فأقطعـه السلطان واسط ، وجعله شحنة بغـداد ، ورأى في عهد ملكشـاه ما لـم يره خادم قبله . (ابن الأثير ١٠/٢٩٥ و٢٩٦) .

وفي السنــة ٤٩٣ لاقى كمشتكين بن الـدانشمنـد ، صـاحب ملطيـة وسيـواس ، بيمند الفـرنجي ، وهـو من مقـدّمي الفـرنـج ، وكـان في خمسـة آلاف ، فـانهزم بجنـده ، ووقع أسيـراً ، فقدم لخـلاصه جيش من الفـرنج في ثلثمائة ألف ، فواقعهم اسماعيل ، أخو كمشتكين ، فأبادهم ، ولـم يفلت منهم إلّا ثلاثة آلاف مجروحين ، ثم سار اسمـاعيل إلى أنـطاكية ، فلقيـه عسكر من الإفرنج ، فكسرهم (ابن الأثير ١٠/٣٠٠) .

وفي السنـة ٤٩٥ قصد القـائد سنقـرجه المـوصـل ، وقصـدهـا مـوسى التركماني ، فالتقيا ، وسارا سوية ، ثم جرى بينهمـا كلام ، فجـذب سنقرجـه سيفه ، وضرب به موسى صفحـاً على رأسه ، فجـرحه ، فـألقى موسى نفسـه على الأرض ثم جذب سنقرجـه ، فألقـاه إلى الأرض ، وجرّد سكينـاً وذبحه ، ودخل إلى الموصـل ، فقصده شمس الـدولة جكـرمش ، صاحب جـزيرة ابن

عمر ، فاستعان موسى بالأمير سقمان ، صاحب ديار بكر ، ومنحه لقاء المساعدة ، حصن كيفا وعشرة آلاف دينار ، فقدم سقمان ، ورحل جكرمش ، فلما خرج موسى لاستقبال سقمان ، وثب عليه عدّة غلمان من اصحاب سنقرجه ، فقتلوه ، رماه أحدهم بنشّابة قتلته ، فاستولى الامير سقمان على الموصل ، وأخذ الغلمان الذين قتلوا موسى ، فقتلهم (ابن الاثير ١٠/٣٤١ - ٣٤٣) .

وفي السنة ٥٠١ قتل ملك العرب ، سيف الدولة ، صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأسدي ، باني الحلّة السيفيّة ، وكان عظيم الشأن ، عالي القدر ، مرتفع الجاه ، وكان يجير كلّ من استجار به ، صغيراً كان أو كبيراً ، وكان ممن استجار به أبو دلف سرخاب بن كيخسرو ، صاحب ساوة وآبة ، فبعث السلطان محمد السلجوقي يطالبه بتسليمه ، فأبى ، وقال : إنّه استجار بي ، والحميّة العربية تلزمني بحمايته ، فتوجّه إليه السلطان بجيشه ، واشتبكا في معركة ضارية فقتل صدقة ، وقتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس منهم جماعة من أهل بيته ، وكان صدقة أديباً ، يملك من الكتب المنسوبة شيئاً كثيراً ، وكان جواداً ، حليماً ، صدوقاً ، كثير البرّ والاحسان ، ما برح ملجأً لكلّ ملهوف ، يلقى من يقصده بالبرّ والاحسان ، ويبسط قاصديه ، ويزورهم ، وكان عادلاً ، والرعايا معه في أمن ودعة ، وكان عفيفاً لم يتزوّج على آمرأته ، ولا تسرّى عليها ، ولم يصادر أحداً من نوابه ، ولا أخذهم بإساءة قديمة ، ولم يسمع برعيّة أحبّت أميرها ، حبّ رعيّته له ، وكان متواضعاً ، محتملاً ، يحفظ الشعر ، ويبادر إلى النادرة ، رحمه الله فقد كان من محاسن الدنيا (ابن الاثير ١٠/٤٤٠ - ٤٤٩) .

وفي السنة ٥٠٣ قُتِلَ المستعين أحمد بن هود ، صاحب سرقسطة ، في معركة نشبت بننه وبين الإفرنج بظاهر سرقسطة (الاعلام ١/٢٥٩) .

وفي السنة ٥٠٥ توفيّ الأمير سكمان القطبي ، صاحب تبريز وبعض

فارس ، في بالس ، فحمله أصحابه في تابوت ، وساروا عائدين به إلى بلادهم ، فقصدهم ايلغازي صاحب ماردين ليأخذهم ، فجعلوا تابوت أميرهم في القلب ، وقاتلوا بين يديه ، فهزموا ايلغازي ، وغنموا ما معه ، وساروا إلى بلادهم (ابن الأثير ١٠/٤٨٦) .

أقول : حصل ما يشبه هذا ، في معركة حصلت بين أصحاب قسيم الدولة آقسنقر ، وبين سقمان بن أرتق ، وكان آقسنقر قد قتل ، ومعهم ولده عماد الدين زنكي ، وكان ما يزال صبيّاً ، ولما حمي الوطيس ، وأوشك أصحاب سقمان على الظفر ، طرح أصحاب آقسنقر ، عماد الدين ، ابن صاحبهم ، بين أرجل الخيل ، وصاحوا : قاتلوا عن ابن صاحبكم ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، وتمّ لهم الظفر ، وآنهزم سقمان ، وأسر ابن أخيه (ابن الاثير ١٠/ ٣٩٠ و٣٩١) .

وحصل ما يشبه هذا ، في السنة ٦٦ لما بعث المختار الثقفي ،جيشاً من العراق ، لقتال جيش الأمويين بالشام ، فلما وصل الجيش العراقي إلى منطقة الموصل ، بقيادة يزيد بن أنس ، في ثلاثة آلاف ، لاقاه جيش الأمويّين في ستّة آلاف ، وكان يزيد ، القائد العراقي ، مريضاً ، قد أشفى على التلف ، فخرج على حمار ، يمشي معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله ، بفخذيه ، وعضديه ، وجنبيه ، فشجّع أصحابه ، واستثار هممهم ، ثم أمر فوضع له سرير في ساحة المعركة ، بين جنده ، وانطرح عليه ، وقال لأصحابه : إن شئتم فقاتلوا عن أميركم ، وإن شئتم ففرّوا عنه ، فاستقتل العراقيّون ، وظفروا ، وشتّتوا جند الشام (الطبري ٦/٣٨ ـ ٤٢) .

وفي السنة ٥١٣ وقعت معركة عنيفة بين الفرنج وبين إيلغازي صاحب حلب ، فانتصر ايلغازي ، ولم يفلت من الفرنج غير نفر يسير ، وقتل الجميع وأسروا ، وكان من جملة الأسرى نيف وسبعون فارساً من مقدّميهم ، حملوا إلى حلب ، فبذلوا في إطلاقهم ثلثمائة ألف دينار ، فلم يقبل منهم، وقتل سيرجال صاحب أنطاكية ، وحمل رأسه (ابن الاثير ١٠/٥٥٥) .

وفي السنة ٥١٣ وقعت معركة بين السلطان سنجر ، وبين ابن أخيه السلطان محمود بن محمد ، فانكسر محمود ، وأسر أتابكه غزّ أوغلي ، وكان يكاتب سنجر ، ويعده بأن يحمل إليه ابن أخيه ، فعاتبه على ذلك ، فاعتذر ، فلم يقبل عذره ، وقتله ، وكان غزّ أوغلي ظالماً ، بالغ في ظلم أهل همذان ، فعجّل الله عقوبته (ابن الاثير ٥٥٢/١٠) .

وفي السنة ٥١٨ حصر الأمير بلك بن بهرام ، صاحب حلب ، مدينة منبج ، فبينما هو يقاتل ، أصابه سهم ، فقتله (ابن الاثير ٦١٩/١٠) .

وفي السنة ٥٣٦ حصلت معركة ضارية بين السلطان سنجر ، والخطا ، وهم الترك الكفّار ، وكان سبب ذلك إنّ خوارزم شاه أتسزّ بن محمد ، كان يحقد على السلطان سنجر ، فبعث إلى الخطا وهم بما وراء النهر ، يطعمهم في البلاد ، ويروّج عليهم أمرها ، وتزوّج إليهم ، وحثّهم على قصد مملكة السلطان سنجر ، فساروا في ثلثمائة ألف فارس ، وسار إليهم سنجر في عسكره ، فانجلت المعركة عن هزيمة عساكر سنجر ، وقتل منهم مائة ألف قتيل ، منهم أحد عشر ألف صاحب عمامة ، وأربعة آلاف إمرأة ، وأسرت زوجه السلطان سنجر (ابن الاثير ٨١/١١) .

وفي السنة ٥٤٠ نشبت معركةبين جيش عبد المؤمن بن علي ، أمير الموحّدين بالمغرب ، وبين المخضّب بن عسكر المريني ، بفحص مسون ، فقتل المخضّب ، وحمل رأسه إلى عبد المؤمن (الاعلام ٧٣/٨) .

وفي السنة ٥٤٢ قتل محمد بن هود السلاوي ، المعروف بالماسي . وكان من أنصار عبد المؤمن ، رأس الموحّدين ، وشهد معه فتح مراكش ، ثم خالف عليه ، وتلقّب بالهادي ، وانتشرت دعوته في المغرب ، فجهّز له عبد المؤمن جيشاً بقيادة أبي حفص الهنتاتي ، فنشبت حرب ضارية إنتهت بمقتل الماسي في وادي ماسة . (الاعلام ٣٥٧/٧) .

وفي السنة ٥٤٣ حصر ملك الألمان وبقيّة الفرنج ، مدينة دمشق ، فخرج الناس لقتالهم ، وكان فيمن خرج للقتال الفقيه حجّة الدين يوسف بن ديناس الفندلاوي المغربي ، وكان شيخاً كبيراً ، فقيهاً ، عالماً ، فلما رآه معين الدين أنر ، القائد ، قصده ، وسلّم عليه وقال له : يا شيخ ، أنت معذور لكبر سنك ، ونحن نقوم بالذبّ عن المسلمين ، وسأله أن يعود فلم يفعل ، وقال له : قد بعتُ ، واشترى منّي ، فوالله ، لا أقلته ولا آستقلته ، يعني بذلك الآية : إنّ الله آشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة ، وتقدّم ، فقاتل حتى قتل عند النيرب ، على نحو نصف فرسخ من دمشق (ابن الاثير ١١/١٢٩ و١٣٠) .

وفي السنة ٥٤٨ حصر الفرنج مدينة عسقلان ، فصبر أهلها ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، داخل السور وخارجه ، وردّوا الفرنج إلى خيامهم مقهورين ، فأيس الفرنج منها وعزموا على الرحيل ، ثم إنّ أهل البلد اختلفوا فيما بينهم ، لما عادوا من القتال، إذ آدّعت كلّ طائفة إنّها كانت أعظم أثراً في قتال الإفرنج ، وعظم الخصام بينهم واحتربوا ، وقتل بينهم قتلى ، فزحف الفرنج ، واستولوا على البلد (ابن الاثير ١١/١٨٩) .

وفي السنة ٥٥١ حصر السلطان محمد بن محمود السلجوقي بغداد ، وقاتل عسكر الخليفة ، وأمر الخليفة فنودي : كلّ من جرح فله خمسة دنانير ، فجرح أحد العامّة جرحاً خفيفاً ، وحضر يطلب الدنانير ، فقال له الوزير : هذا الجرح ليس بشيء ، فعاود القتال ، وضرب ، فانشقّ بطنه ، وخرج شيء من شحمه ، فحمل إلى الوزير ، وقال : يا مولانا الوزير ، أيرضيك هذا الجرح ؟ فضحك الوزير ، وأعطاه عشرة دنانير ، ورتّب له من يعالج جراحته إلى أن برىء (ابن الاثير ١١/٢١٣ و٢١٤) .

وفي السنة ٥٥٣ قتل فاتك بن محمد بن فاتك بن جيّاش ، صاحب زبيد ، قتله الإمام أحمد بن سليمان بزبيد (الاعلام ٥/٣٢٢) .

وفي السنة ٥٥٦ حصر المؤيّد أي أبه ، مدينة شارستان ، وكان معه جلال الدين الموفّقي ، الفقيه الشافعي ، فبينما هو راكب أصابه حجر ، من منجنيق ، فقتله ، وتعدّى الحجر منه إلى شيخ من شيوخ بيهق ، فقتله أيضاً . (ابن الاثير ١١/٢٧٧ و٢٧٨) .

وفي السنة ٥٥٧ قتل أمير مكة القاسم بن هاشم بن فليته ، في معركة نشبت بينه وبين عمّه عيسى بن فليته . (الاعلام ٦/٢٢) .

وفي السنة ٥٥٨ قتل السلطان سيف الدين محمد بن الحسين الغوري ، في معركة نشبت بينه وبين الغزّ . (ابن الاثير ١١/٢٩٣ و٢٩٤) .

وفي السنة ٥٥٩ طمع الأمير ايتكين ، صاحب هراة ، في بلاد الغور ، لما قتل ملكهم سيف الدين ، فتوغّل في بلادهم ، ونشبت بينه وبينهم معركة ، فقتل في إحدى تلك المعارك . (ابن الاثير ١١/٣١٢) .

وفي السنة ٥٦٠ حبس الخليفة المستنجد ، الأمير توبة العقيلي ، وكان آخر العهد به ، (يعني إنّه قتله) ، وكان الأمير توبة قد قرب من المستنجد قرباً عظيماً ، وأحبّه محبّة كثيرة ، ثم دسّ الوزير إلى الخليفة ما غيّره ، فصنع به ما صنع (ابن الاثير ١١/ ٣٢٠) .

وفي السنة ٥٦١ خرج ابن سنكا ، على الخليفة ، وعاث في واسط ، فحاربه خطلبرس ، مقطع واسط ، فانكسر خطلبرس وقتل في المعركة . (ابن الاثير ١١/٣٢٢ و٣٢٣) .

أقول : كان ابن سنكا ، قد صاهر منكوبرس مقطع البصرة ، ولما قتل المستنجد منكوبرس في السنة ٥٥٩ قصد ابن سنكا البصرة ونهب قراها ، فكلّف الخليفة كمشتكين صاحب البصرة بأن يحارب ابن سنكا ، فقال : أنا

عامل ، ولستُ صاحب جيش ، يعني إنّه ضامن ولا يقدر على إقامة عسكر ، فطمع ابن سنكا ، وأصعد إلى واسط ، ونهب سوادها ، فحاربه خطلبرس ، فانهزم عسكره ، فقتله ابن سنكا ، ثم أمر بعلم خطلبرس فنصب ، فظّن أصحابه إنّه مازال موجوداً ،فأقبلوا يعودون إلى حيث العلم ، وكلّ من عاد قتله ابن سنكا ، أو أسره (ابن الأثير ١١/٣٢٣) .

وفي السنة ٥٦٩ حصلت معركة بين جيش الخليفة ، وبين ابن سنكا ، ابن أخي الامير شملة صاحب خوزستان ، فظفر جيش الخليفة ، وأسر ابن سنكا ، وقتل ، وحمل رأسه إلى بغداد ، فعلّق بباب النوبي (ابن الاثير ١١/٤٠٩) .

وفي لسنة ٥٧٠ قتل عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري ، صاحب زبيد ، وليها بعد موت أخيه مهدي سنة ٥٥٩ ، وملك الجبال والتهائم ، وكان يقتل المنهزم من عسكره ، ولم يكن لأحد من جنده فرس ولا سلاح ، بل الخيل في إصطبلاته ، والسلاح في خزائنه ، فإذا عنّ له أمر أخرج من الخيل والسلاح ما يحتاج عسكره إليه ، قتله صاحب اليمن (الاعلام ٤/٣٢٠) .

وفي السنة ٥٧٣ غزا السلطان صلاح الدين الأيّوبي ساحل الشام الذي بيد الإفرنج ، فغنم العسكر شيئاً كثيراً ، وتفرّق أفراده في الأعمال مغيرين في طلب الغنائم ، فانتهز الإفرنج الفرصة ، وواقعوا صلاح الدين ، وهو في قلّة من عسكره ، فصبر في المعركة ، وصبر أصحابه القلائل ، فقتل أحمد بن تقي الدين ، وهو ابن أخي صلاح الدين ، وأسر الفقيه عيسى الهكاري ، وأخوه ظهير الدين ، وظلّ عيسى في الأسر إلى أن افتداه السلطان صلاح الدين بستّين ألف دينار (ابن الأثير ١١/٤٤٣) .

وفي السنة ٥٧٤ قصد الإفرنج دمشق ، فسيّر إليهم صلاح الدين جيشاً اشتبك معهم في معركة ضارية ، فقتل من مقدّمي الإفرنج جماعة ، منهم

هنفري وكان يضرب به المثل في الشجاعة والرأي في الحرب ، وقتل غيره من أضرابه ابن الاثير (١١/٤٥٣) .

وفي السنة ٥٧٥ اشتبك السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، والإفرنج ، في معركة قرب بانياس ، فظفر بهم ، وقتل منهم مقتلة كبيرة ، ونجاملكهم فريداً ، وأسر منهم كثير ، منهم ابن بيرزان ، صاحب الرملة ونابلس ، وهو أعظم الإفرنج محلاً بعد الملك ، وأسر صاحب جبيل ، وصاحب طبريّة ، ومقدّم الداوية ، ومقدّم الاسبتاريّة ، وصاحب جنين ، وغيرهم من مشاهير فرسانهم ، وفدى ابن بيرزان نفسه بمائة وخمسين ألف دينار صورية ، وإطلاق ألف أسير من المسلمين (ابن الأثير ١١/٤٥٥ و٤٥٦) .

وفي السنة ٥٧٨ عمل البرنس أرناط صاحب الكرك ، أسطولاً جمع قطعه وحملها إلى بحر أيلة ، وشحنها بالمقاتلة وسيرّها في البحر ، فرقة إلى حصن أيلة ، والفرقة الثانية يريد بها الوصول إلى الحجاز واحتلال مكّة والمدينة ، والنزول منها إلى اليمن ، فعمّر العادل بمصر أسطولاً مقدّمه حسام الدين لؤلؤ ، وكان شجاعاً مظفّراً ، فبدأ بالفرقة الأولى فأبادها ، ثم أتّبع الثانية ، فأدركها بساحل الجوزاء ، فأوقع بهم ، فلجأوا إلى البرّ فحصرهم ، وظفر بهم ، وقتل أكثرهم ، وأخذ الباقين أسرى ، وحمل بعضهم إلى منى لينحروا بها ، عقوبة لهم على محاولة إخافة حرم الله ورسوله ، وأخذ الباقين الى مصر ، فقتلوا بها (ابن الاثير ١١/٤٩٠ ، ٤٩١) .

وفي السنة ٤٧٩ قتل على أبواب حلب ، أبو سعيد بوري بن أيّوب ؛ أخو السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، أصابته في ركبته نشّابة ، وكان فارساً شجاعاً ، كريماً حليماً ، جامعاً لخصال الخير ، ومحاسن الأخلاق ، ولما أصيب قال له أخوه : هذه حلب قد أخذناها ، وهي لك ، فقال : ذلك لو كان وأنا حيّ ، ووالله لقد أخذتها غالية حيث تفقد مثلي ، فبكى صلاح الدين ، وأبكى الحاضرين (ابن الاثير ١١/٤٩٦ ـ ٤٩٨) .

وفي السنة ٥٧٩ قتل في معركة مع الروم ، أبو ابراهيم إسحاق بن محمد المسوفي المعروف بابن غانية (وهي جدّته لأبيه) ، وكان صاحب ميورقة (الاعلام ١/٢٨٨) .

وفي السنة ٥٧٩ نشبت معركة بين موسى بن أبي المعالي ، من أئمة الأباظية بعمان ، وبين ملك عمان محمد بن مالك اليحمدي، فقتل الإمام موسى في المعركة (الاعلام ٨/٣٨٢).

وفي السنة ٥٨٣ وقعت معركة حطين ، وهي من المعارك الفاصلة في التاريخ ، انتصر فيها السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، على جيوش الإفرنج مجتمعة ، وقتل من جيوش الإفرنج عدداً عظيماً ، وأسر جميع قوّاد الإفرنج ، إبتداء من ملكهم وأخيه ، والبرنس ارناط صاحب الكرك ، وصاحب جبيل ، وابن هنفري ، ومقدّم الداوية ، وجماعة من الاسبتاريّة ، فكان من يرى القتلى لا يظنّ أنّهم أسروا أحداً ، ومن يرى الأسرى لا يظنّ أنّهم قتلوا أحداً ، وما أصيب الإفرنج ، منذ قدموا ساحل الشام في السنة ٤٩١ بمثل هذه الكارثة (ابن الأثير ١١/٥٣٤ـ ٥٣٧).

وفي السنة ٥٨٣ فتح السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، بيت المقدس ، بعد معارك ضارية ، قتل فيها كثير ، وممن قتل من المسلمين الأمير عز الدين عيسى بن مالك ، من أكابر الأمراء ، وكان يقاتل بنفسه في كلّ يوم ، ثم طلب المحصورون الأمان من السلطان ، فأمّنهم على أن يؤدّي كلّ رجل عشرة دنانير وكلّ امرأة خمسة دنانير ، والطفل دينارين ، ومن لم يؤدّ يصبح مملوكاً ، فأدّى الأكثر ، وخرج البطرك الأكبر ومعه من أموال البيع ، الصخرة ، والأقصى ، والقمامة ، وغيرها ، ما لا يعلمه إلّا الله تعالى ، وكان له من المال مثل ذلك ، فلم يعرض له صلاح الدين ، فقيل له ليأخذ ما معه يقوّي به المسلمين ، فقال : لا أغدر ، ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير ، المبلغ المتّفق

عليه ، وسيّر مع الإفرنج من يحميهم إلى مدينة صور (ابن الأثير ١١/٥٤٦-٥٥٣).

وفي السنة ٥٨٥ اشتبك جيش السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، مع الإفرنج ، في معركة ضارية حول عكّا ، قتل في احداها من رجال صلاح الدين الأمير مجلّي بن مروان ، وظهير الدين ، أخو الفقيه عيسى الهكاري ، وكان والي بيت المقدس ، وقد جمع بين الشجاعة والعلم والدين ، والحاجب خليل الهكاري ، وقصد الإفرنج بعد قتل هؤلاء خيمة صلاح الدين ، فقتلوا من مرّوا به ، كما قتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم الشيخ جمال الدين أبو علي الحسين بن عبدالله بن رواحة الحموي ، من أحفاد عبدالله بن رواحة صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، الذي قتل يوم مؤته ، ثم كرّ السلطان صلاح الدين ومعه جماعة من جنده على الإفرنج ، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذ الباقين أسرى ، وكان عدد القتلى عشرة الآف من الإفرنج ، وكان من جملة الأسرى ثلاث نسوة إفرنجيّات كنّ يقاتلن على الخيل ، فلما أسرن ، وألقي عنهنّ السلاح ، عرف أنّهنّ نساء (ابن الأثير ١٢/ ٣٦- ٣٩).

وفي السنة ٥٨٦ حصر الإفرنج عكّا حصراً شديداً ، وصنعوا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جداً ، طول كلّ برج في السماء ستون ذراعاً ، وعملوا كلّ برج فيها خمس طبقات ، كلّ طبقة مملوءة من المقاتلة ، وقد جمعوا أخشابها من الجزائر ، فإنّ مثل هذه الأبراج العظيمة ، لا يصلح لها من الخشب الاّ القليل النادر ، وغشّوها بالجلود ، والخلّ والطين ، والأدوية التي تمنع النار من إحراقها ، وأصلحوا لها الطرق ، وقدّموها نحو مدينة عكّا من ثلاث جهات ، فأشرفوا بها على السور ، وقاتلوا من على السور فكشفوهم ، وشرعوا في طمّ الخندق ، وأشرفت عكّا على أن يملكها الإفرنج عنوة وقهراً ، وأرسل أهلها إلى صلاح الدين انساناً سبح في البحر ، وأعلمه بما هم فيه من الضيق ، فركب هو وعساكره ، وقاتل الإفرنج المحيطين بعكّا ، قتالاً عظيماً ، ليشغلهم

عن مكاثرة أهل البلد ، فافترق الإفرنـج فرقتين ، فـرقة تقـاتل صـلاح الدين ، وفرقة تقاتل أهل عـكّا ، وأيس المحصورون في عكّا من الـظفر ، وأيقنـوا بأنّ الإفرنج سوف يستولون على البلد ، وعمدوا إلى رمي الأبراج ، بقواريـر النفط فلم يؤثّر ذلك فيها ، فتقدّم رجل دمشقي إلى الأمير قـراقوش ، حـاكم عكّا ، وطلب منـه أن يأمـر المنجنيقي بأن يـرمي الأبراج بـالمواد التي سـوف يصنعها ويقدّمها له . فقال له قرقـوش: قد بالغ أهل الصناعة في الرمي بالنفط وغيـره فلم يفلحـوا، فقـال لـه أصحـابـه : لعـلّ الله قـد أذن بـالفـرج على يـد هـذا الدمشقي، فأجابه قرقـوش إلى طلبـه، وأمر المنجنيقي بـأمتثال أمـره ، فرمى عدّة قدور نفـطاً وأدوية ليس فيهـا نار، فكـان الإفرنـج إذا رأوا القدر لا يحـرق شيئـاً ، صاحـوا ، ورقصوا ، فلمـا علم الدمشقي أنّ الأدويـة التي ألقـاهـا قـد لصقت بالبرج ، ألقى قدراً مملوءة وفيها نار ، فاشتعل البرج ، واضـطرمت فيه النـار ، وأعجلت من في طبقـاتـه الخمس عن النـزول والهـرب ، فاحـتـرقـوا بأجمعهم ، وكذلـك صنع بـالبرج الثـاني والبرج الثـالث ، وحمل الـرجل الى السلطان صـلاح الدين ، فبـذل له الأمـوال الجزيلة ، والإقـطاع الكثيـر ، فلم يقبل منه الحبّة الفرد ، وقال : إنّما عملت هذا لله تعالى ، ولا أريد الجزاء إلاّ منه (ابن الأثير ١٢/٤٥-٤٧).

وفي السنة ٥٩٠ اشتبك السلطان شهاب الدين الغوري ، ملك الغـور ، وملك بنارس الهندي ، في حرب عظيمة ، وكان مـع الهندي سبعمـائة فيـل ، ومن العسكر ما يقارب ألف ألف ، على ما قيـل ، وفي جملة عسكره ، أمـراء من مسلمي الهنود ، فظفر شهاب الدين وجيشه ، وكثر القتل في الهنود ، حتى امتـلأت الأرض وجـافت ، وأخـذ منهم تسعين فيـلاً ، وبـاقي الفيلة ، قتـل بعضهـا ، وانهزم بعضهـا، وقتل ملك الهنـد في جملة القتلى ، ودخل شهـاب الـدين بنارس ، وحمـل من خزائنهـا على ألف وأربعمـائـة جمـل (ابن الأثيـر ١٢/١٠٥و١٠٦).

وفي السنة ٥٩٠ اشتبك خوارزم شاه علاء الدين تكش ، والسلطان طغرل بن ألب أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملك شاه السلجوقي في معركة عنيفة ، وكان طغرل شجاعاً ، فحمل بنفسه في وسط عسكر خوارزم شاه ، فأحاطوا به ، وألقوه عن فرسه ، وقتلوه ، وحمل رأسه إلى خوارزم شاه ، فسيّره الى بغداد ، حيث نصب بباب النوبي عدّة أيّام (ابن الأثير ١٢/١٠٧ و ١٠٨).

وفي السنة ٥٩١ كتب الفونس ملك الفرنج بطليطلة ، الى أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحّدي ، يستفزّه ، ويدعوه للمنازلة ، فتحرّك ، وحشد جيشاً لجباً ، واشتبك معه عند قلعة رباح في معركة ضارية ، فظفر أبو يوسف ، وقتل من الإفرنج مائة ألف وستّة وأربعين ألفاً ، وأسر ثلاثة عشر ألفاً ، وقتل من المسلمين نحو عشرين ألفاً (ابن الأثير ١٢/١١٣-١١٥).

وفي السنة ٥٩٤ عبر الخطا إلى ناحية خراسان ، أغراهم بذلك خوارزم شاه تكش ، وسبب ذلك : إنَّ خوارزم شاه تعرّض لأملاك الخليفة، فكتب الخليفة إلى غياث الدين الغوري ، يشكو من خوارزم شاه ، فكتب غياث الدين إلى خوارزم شاه يهدّده ، فكتب خوارزم شاه إلى ملك الخطا يغريه بغياث الدين ، ويقول لهم : إن لم تنفذوا إليه العساكر فإنّه سوف يأخذ بلادي ، وعندئذٍ لا يصدّه عن بلادكم شيء ، فعبر الخطا نهر جيحون إلى ناحية خراسان ، وعاثوا في البلاد وأفسدوا ، فانتدب لهم غياث الدين الغوري ثلاثة أمراء ساروا بعساكرهم الى الخطا ، فبيّتوهم ، وكسروهم ، وأكثروا فيهم القتل ، فمن صبر قتل ، ومن ألقى نفسه في الماء غرق ، ووصل الخبر إلى ملك الخطا ، فعظم عليه ، وأرسل الى خوارزم شاه يقول : أنت قتلت من رجالي اثني عشر ألفاً ، وأريد عن كلّ قتيل عشرة آلاف دينار ، فردّ عليه خوارزم شاه ردّاً جافياً ، فجهّز ملك الخطا جيشاً وسيّره إلى خوارزم شاه ،

فاشتبك مع الخطا في معركة ، وظفر بهم ، وحصر بخاري ، وفتحها عنوة (ابن الأثير ١٢/١٣٥ـ ١٣٨) .

وفي السنة ٥٩٩ قتل عبدالله بن غانية ، صاحب جزائر الباليار ، في جزيرة ميورقة ، اشتبك مع أسطول الموحّدين في معركة انتهت بانكساره وقتله (الاعلام ٤/١٩٨) .

وفي السنة ٦٠٠ قتل كوكجة ، المتغلّب على الري وهمدان وبلاد الجبل ، قتله أحد صنائعه واسمه ايدمش ، وكان كوكجة قد قدّمه ، ووثق به ، وأحسن اليه ، فخرج عليه وحاربه ، فقتل كوكجة في المعركة (ابن الأثير ١٢/١٩٥) .

وفي السنة ٦٠٠ قصد السلطان شهاب الدين الغوري ، خوارزم شاه ، فأرسل خوارزم شاه إلى الخطا يستنجد بهم ، وهم أصحاب ما وراء النهر ، فاستعدّ الخطا ، وقصدوا بلاد الغور ، واشتبكوا في معركة عظيمة مع شهاب الدين الغوري ، فانهزم جيشه هزيمة قبيحة (ابن الأثير ١٢/١٨٦ـ ١٨٩) .

وفي السنة ٦٠٦ قتل الأمير دمشق خجا بن سالم التركماني ، دام القتال بينه وبين نعير بن حيار بن مهنّا أمير العرب ، فقتله نعير في المعركة (الضوء اللامع ٣/٢١٩) .

وفي السنة ٦١٢ قتل الأمير تاج الدين ألدز ، وكان قد حصر لهاوور بالهند ، وقاتل صاحبها فقتله ، واستولى عليها ، ثم قصد دهله (دهلي) وكان ملكها شمس الدين ألترمش ، واحتربوا ، فانهزم ألدز ، وانفلّ عسكره ، وقتل (ابن الأثير ١٢/٣١١ و ٣١٢) .

وفي السنة ٦١٤ قتل الأمير عبد الحقّ بن محيو المريني ، مؤسّس الدولة

المرينية بالمغرب ، بعد أن كسر الموحّدين ، واستأصلهم ، فخرج عليه بعض رجاله ، واستعانوا ببني رياح ، ونشبت معركة كان الظفر فيها لعبد الحقّ ، ولكنّه قتل في المعركة (الأعلام ٤ / ٥٤) .

وفي السنة ٦١٤ قتل الأمير بدر الدين أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الهكاري ، بالطور ، في معركة مع الصليبيين (الأعلام ٧ / ٢٢٧) .

وفي السنة ٦١٦ هاجم التتار بلاد الإسلام ، وسبب ذلك إنَّ جنكيزخان ملك التتار ، بعث إلى خوارزم شاه علاء الدين ، يطلب منه المسالمة والهدنة ، فأجابه إلى ذلك ، فسرّ جنكيزخان بالجواب وبعث تجاراً من بلاده إلى بلاد خوارزم شاه ومعهم شيء كثير من الفضّة والقندز وغيرهما ، فلما وصلوا إلى مدينة اسمها : أوترار ، وهي آخر ولاية خوارزم شاه ، وكان عليها خال خوارزم شاه ، شره إلى أموالهم ، فأخذها ، وكتب إلى خوارزم شاه بأنّهم جواسيس في زيّ تجّار ، فأمره بقتلهم ، وإنفاذ ما معهم من الأموال ، ففعل ، ولما وصل إليه المال فرّقه على تجار بخاري وسمرقند ، وأخذ ثمنه منهم ، فلما بلغ جنكيز خان ذلك ، كتب إلى خوارزم شاه يقول : إن كان ما فعله خالك من تلقاء نفسه ، فسلّمه الينا ، وإن كان بأمرك فإن الغدر قبيح ، فقتل خوارزم شاه الرسول ، وأمر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه ، وأعادهم إلى جنكيزخان، ثم تجهّز مبادراً ، وقصد التتار ، ووصل الى بيوتهم ، فوجد فيها النساء والصبيان والأثقال فأوقع بهم ، وغنم الجميع ، وسبى النساء والذرّية ، ولما بلغ التتار ما فعل خوارزم شاه بأبياتهم ، جدّوا السير فأدركوه ، وتصافوا للحرب ، فاستمرّت المعركة ثلاثة أيّام بلياليها ، فقتل من عسكر خوارزم شاه عشرون ألفاً ، ومن التتار ما لا يحصى عدده ، وكان عسكر التتار ، عسكر آبن جنكيزخان ، وفي الليلة الرابعة انسحب العسكران ، وعاد التتار إلى ملكهم يخبرونه بما حصل، وعاد خوارزم شاه إلى بخارى ، فحصّنها ، ووضع فيها عشرين ألف فارس ، والى سمرقند ، فوضع فيها خمسين ألف فارس ، وعاد فنزل قريباً من بلخ ، وبعد خمسة أشهر أحاط

التتـار ببخـارى ، وبعـد معـركــة عنيفـة دامت ثـلاثـة أيّــام انسحب الجيش الخوارزمي ، وطلب أهل بخارى الأمان ، فـأمنّهم جنكيزخـان، واستسلمت له البلد ، فحصـر القلعـة ، وقتـل من فيهـا عن آخـرهم ، ثم أمـر أهـل بخـارى بـالخروج عن البلد ، فخـرجوا ، واجتمعـوا في مكان ، فـاحتاط بهم التتـار ، وتقاسموهم ، فمنهم من حـارب وقتل ، ومنهم من استسلم وأسـر ، ثم عذّبـوا النـاس جميعـاً في طلب المـال ، فمـات منهم كثيـر ، وأخـذوا البــاقي معهم يقصـدون سمرقنـد ، وهم مشاة على اقبـح صورة ، ومن أعيـا أو عجز قتلوه ، وحصروا سمرقند ، فخرج اليهم السمرقنديون ، فنصبوا لهم كميناً ، قتلوا فيه سبعين ألفاً منهم ، وطلب الجند الخوارزميون الأمـان ، فأمّنهم، فخـرجوا إلى التتار بأموالهم وأهليهم ، فأخـذوا منهم أسلحتهم ، ثم عطفـوا عليهم فقتلوهم جميعاً ، وأخذوا الأموال والنساء ، ثم فعلوا مـع أهل سمـرقند مثلمـا فعلوا مع أهل بخارى ، من التعذيب والقتل والإستـرقاق ، وأحـرقوا الجـامع ، ثم سيّـر جنكيزخان عشـرين ألف فارس ، وأمـرهـم أن يطلبـوا خوارزم شـاه ، ولو تعلّق بالسماء ، فقصدوه ، فرحل هارباً منهم في نفر من خاصّته ، وقصد نيسابـور ، فلم يستقـرّ حتى وصل التتــار إليها ، فـرحل إلى مـا زندران ، فتبعـوه ، وكلّما رحل عن منزلة نزلوها من بعده ، فوصل الى مرسى من بحر طبرستـان ، ونزل في البحر ، فلما نزل هو وأصحـابه في السفن ، وصـل التتار ورأوه في السفن فأيسوا من اللحاق به ، فلحق بجزيرة في البحـر ، ومرض بـالإسهال ، وطلب الـدواء فـأعـوزه ، ومـات ، وعـاد التتـار فملكـوا مـا زنـــدران ، وقتلوا أهلهـا وسبوهم ، ثم أحرقوها ، وصنعوا مثل ذلك بالريّ ، وزنجان ، وقزوين ، وكان القتلى من أهـل قزوين أربعين ألفـاً ، ثم اجتاحـوا بـلاد الكـرج ، ومـراغـة ، وهمذان ، وأردويل ، وبيلقان، وبلاد الكـرج ، ودربند شـروان ، والقفجاق ، والروس ، وبلاد فـرغانـة ، وترمـذ ، وخراسـان مرو ، ونيسـابور ، ثم هـراة ، وخوارزم ، وغزنة ، وبلاد الغور (ابن الأثير ١٢ /٣٥٨ـ ٣٩٧ وشذرات الذهب ٥/ ٦١).

أقول : ذكر صاحب شذرات الذهب ٧٣/٥ إنَّ عسكر خوارزم شاه ، كانوا أوباشاً ، ليس لهم ديوان ، ولا إقطاع ، بل يعيشون من النهب والغارات ، وهم بين تركيّ كافر، أو مسلم جاهل ، لم يعرفوا تعبئة العساكر في المصفّ ، ولم يدمنوا إلّا على المهاجمة وليس لهم زرديات، ولا عدد جيّدة ، وكان خوارزم شاه يقتل بعض القبيلة ويستخدم باقيها جنداً له ، ولم يكن فيه شيء من المداراة ، ولا التوءدة، لا لجنده ولا لعدوّه ، وتحرّش بالتتار ، وهم يغضبون على من يرضيهم فكيف بمن يغضبهم ويؤذيهم .

وفي السنة ٦١٤ قتل في المعركة ، الأمير بدر الدين أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الهكاري ، من أكابر امراء الملك المعظم ، كانت له المواقف المشهورة في قتال الفرنج ، وكان يتمنّى الشهادة دائماً ، ويقول : ما أحسن وقع سيوف الكفار على أنفي ووجهي ، قتل في معركة القدس (الوافي بالوفيات ٣٥١/٤).

وفي السنة ٦١٧ توفّي الأمير اقباش بن عبدالله ، مملوك الخليفة الناصر العباسي ، وكان قد حجّ بالركب العراقي ، ومعه تقليد لحسن بن قتادة ، بعد وفاة أبيه ، فجاءه راجح ، أخو حسن ، وقال له : أنا أكبر ولد قتادة فولّني ، فلم يجبه، وجرت بينهما حروب ، فقتل أقباش ، ونصب رأسه على رمح بالمسعى ، ولم يخرج الموكب لتلقّي الركب العراقي ، حزناً على أقباش (الوافي بالوفيات ٣٠٣/٩) .

وفي السنة ٦٢٢ خلع شروان شاه ، صاحب مدينة شروان، من الملك ، ثار عليه ولده ، ، وطرده من البلاد ، وملك بعده ، وسبب ذلك : إنَّ شروان شاه كان سيّء السيرة ، كثير الفساد والظلم ، يتعرّض للنساء والولدان والأموال والأملاك ، فاتّفق الرعية مع الإبن ، وأخرجوا أباه من البلاد ، وملك الإبن ، وأحسن السيرة ، فأحبّه العساكر والرعيّة ، وأرسل الولد إلى أبيه ،

يقول له: إنّي أردت أن أتركك في بعض القلاع ، وأجري لك الجرايات الكثيرة ، ولكلّ من تحبّ أن يكون عندك ، وقد حملني على ذلك سوء سيرتك ، وظلمك لأهل البلاد ، وكراهيتهم لك ولدولتك ، فلما رأى الأب ذلك ، استنصر بالكرج ، وقرّر معهم أن يرسلوا معه عسكراً يعيدونه إلى ملكه ، على أن يعطيهم نصف البلاد ، فسيّروا معه عسكراً، فجمع الولد العسكر ، وأخبرهم بالحال ، وسار إلى الكرج جريدة في ألف ، فلاقاهم وهم في ثلاثة آلاف ، وصبر أهل شروان ، فانهزم الكرج ، وقتل كثير منهم ، وأسر كثير ، ومن سلم منهم عاد بأسوأ حال ، وكان شروان شاه المخلوع معهم ، فطردوه من بلادهم ، واستقرّ الابن في الملك ، وأحسن إلى الجند والرعيّة (ابن الأثير ١٢ / ٤٣٠) .

وفي السنة ٦٢٢ حارب خوارزم شاه جلال الدين ، الكرج ، فقتل منهم في المعركة ما يزيد على عشرين ألفاً ، وأسر كثيراً من أعيانهم (ابن الأثير ١٢ / ٤٣٥) .

وفي السنة ٦٢٣ عاد خوارزم شاه جلال الدين الى محاربة الكرج ، وقتل منهم جمعاً عظيماً ، وافتتح مدينة تفليس (ابن الأثير ١٢ / ٤٥٠ و ٤٥١) .

وفي السنة ٦٢٧ ظهر الأمير شمس الدين سونج ، وهو تركماني من قبيلة قشيالو ، وكان قد جمع جمعاً ، وقطع الطريق بين إربل وهمذان ، ثم كثر جمعه ، وقصد قلعة منيعة من أعمال إربل ، اسمها سارو ، فقتل بها أميراً كبيراً من أمراء مظفّر الدين صاحب إربل ، وتحصّن فيها ، وحاول مظفّر الدين استعادتها فعجز ، وكان عسكر جلال الدين خوارزم شاه يحصرون قلعة رويندز ، وهي من أحصن القلاع وأمنعها، وطال الحصار على من فيها فأذعنوا بتسليمها إلى خوارزم شاه ، فأرسل خوارزم شاه بعض ثقاته لتسلّمها ، وأرسل معه الخلع والمال للذين بها ، فلما وصل القاصد إلى القلعة ، اعطى البعض ولم يعط البعض الآخر ، فغضب من لم يعط وأرسلوا إلى شمس الدين

سونج ، وأسلموا القلعة إليه ، وهذا من عجائب القدر ، فإنَّ هذه القلعة تضرب الأمثال بحصانتها ، وتقاصرت عنها قدرة اكابر الملوك ، سهّل الله لهذا الرجل أمر تسلّمها بأهون سبيل ، فلما ملكها سونج طمع في غيرها ، وقصد مراغة فحصرها ، فجاءه سهم غرب فقتله ، وخلفه أخوه، ونزل هذا الأخ من القلعة ، وقصد أعمال تبريز ، ونهب وسلب ، وعاد إلى القلعة ، مع ما نهب ، فصادفته طائفة من التتر فحاربته ، فقتل في المعركة ، واستولى التتر على ما نهب ، وربّ ساعٍ لقاعد ، فاستولى على القلعة ابن أخ له ، وقد تمّ كلّ ذلك خلال سنتين اثنتين (ابن الأثير ١٢/٤٩٣ و٤٩٤) .

وفي السنة ٦٢٨ خرج التتار من بلاد ما وراء النهر ، قاصدين أذربيجان ، بتحريض مقدّم الإسماعيليّة ، فحصروا مراغة ، فاستسلمت بالأمان ، ودخلها التتر ، فقتلوا من فيها ، ثم تبعوا خوارزم شاه جلال الدين فكبسوه بظاهر مدينة آمد ، وتفرّق من معه من العسكر ، ودخل التتار بلاد ديار بكر والجزيرة ، ففتحوا آمد ، وقتلوا فيها ما لا يقلّ عن خمسة عشر ألف قتيل ، وقصدوا مدينة سعرد ، وبذلوا لأهلها الأمان ، فلما استسلموا ، وضعوا فيهم السيف وقتلوهم ، ثم فتحوا طنزة ، وقتلوا أهلها ، ومرّت طائفة منهم بالمؤنسة ، قرية على مرحلة من نصيبين ، بينها وبين الموصل ، فاحتمى أهلها بخان ، فقتلوا كلّ من فيه ، ومضت طائفة إلى نصيبين الروم من أعمال آمد ، فنهبوها ، وقتلوا من فيها ، وأحرقوا بدليس ، ثم حصروا مدينة باكري من أعمال خلاط ، وملكوها ، وقتلوا كلّ من بها ، وكذلك صنعوا بأرجيش ، مدينة كبيرة من أعمال خلاط ، وأجتاحوا بلاد إربل ودقوقا ، وذكر إن التتار الذين عملوا هذه الأعمال ، هم طليعة التتار الذين بعث بهم ملكهم ليعلموه هل في البلاد من يردّهم أم لا ؟ فلما عادوا ، أخبروا ملكهم بخلوّ البلاد من مانع أو مدافع ، فعزموا على قصد البلاد جميعها (ابن الأثير ١٢/٤٩٩ ـ ٥٠٦) .

وفي السنة ٦٣٣ قتل أبو عزّة زيدان بن زيان العبد الوادي ، رابع أمراء تلمسان من بني عبد الواد ، وليها سنة ٦٣١، وثار عليه بنو مظهر فحاربهم ، وقتل خارج تلمسان . (الاعلام ٣/١٠٣).

وفي السنة ٦٤٦ قتل المعتضد أبو الحسن علي بن إدريس الموحّدي ، من خلفاء الموحّدين بمراكش ، على مقربة من تلمسان ، في معركة نشبت بينه وبين يغمراسن بن زيان ، من بني عبد الواد . (الاعلام ٥/٦٨).

وفي السنة ٣٥٣ نشبت معركة بين الأمير مجير الدين الكردي، صاحب نابلس ، وبين التاتار ، فقتل مجير الدين في المعركة (الوافي بالوفيات ٥/٣٣٩).

وفي السنة ٦٥٦ قتل الإمام أحمد بن الحسين القاسمي العلوي ، إمام اليمن ، وكان شجاعاً داهية حازماً ، لقّب بالمهدي لدين الله ، واستولى على معظم البلاد العليا في اليمن ، وقتله جيش الملك المظفّر في موضع يسمّى (شواية) (الاعلام ١/١١٤).

وفي السنة ٦٥٦ حصر هولاكو التتاري بغداد ، وأحاط بها جيشه ، وعبر قسم من جيشه إلى الجانب الغربي من بغداد فحصره ، فحاربهم عسكر الخليفة المستعصم ، بقيادة مجاهد الدين أيبك الدوادار ، وكانت الموقعة شمالي المزرفة ، وكانت الكرة أوّلاً لعسكر الخليفة ، ثم كرّ عليهم التتار ، فانهزم جيش الخليفة ، وكان التتار قد اغرقوا الطريق ، فامتنع على المنهزمين العودة إلى بغداد ، وقتل قادة جيش الخليفة ، وقتل من أفراده اثني عشر ألفاً سوى من غرق ، ومن قضى نحبه في الوحل (موسوعة العتبات المقدسة، قسم الكاظمين ج ٢ ص ٣٦٠).

وفي السنة ٦٥٨ حصلت معركة عظيمة في عين جالوت، بين جيش الملك المظفر قطز ، سلطان مصر والشام ، وبين جيش التتار ، فانكسر جيش التتار ، وقتل في المعركة مقدّمهم كتبغا نوين ، وكان عظيماً عند التتار ،

يعتمدون على رأيه وشجاعته ، وكان بطلاً، مقداماً ، خبيراً ؛ بالحروب ، وهو الذي فتح معظم بلاد العجم والعراق. (النجوم الزاهرة ٧/٧٩ و ٩١).

أقـول : أورد صاحب ، اعـلام النبلاء قصّـة هـذه المعـركـة ، بتفصيـل أوفى ، قال : :

في السنة ٦٥٨ بعث كتبغا ، نائب هولاكـو ، إلى الملك المظفـر قطز ، صاحب مصر والشام ، يطالبه بإعلان خضوعه للسلطان هـولاكو ، فضـرب قطز أعناق الرسل ، وتأهّب للسير إلى الشام لحرب التتار ، واشتبـك العسكران في عين جالوت ، فانكسر التتار ، واشتبكا ثانياً في بيسـان ، فانكسـر التتار كسـرة شنيعـة ، وقتل مقـدّمهم كتبغا ، وأسـر ابنه ، وأسـر كذلـك الملك السعيد ابن العزيز، ابن العادل الأيّوبي ، وكان مع التتار ، فأحضر بين يدي الملك قطز ، فأمر به فضربت عنقه (اعلام النبـلاء ٢/٢٩١ـ ٢٩٢) وبعد انتهـاء المعركـة ، أحضر ابن كتبغا أسيراً بين يدي الملك قطز ، فقال له : أبوك فـرّ ، فقال لـه : إنَّ أبي لا يفرّ ، إبحثوا عنه بين القتلى ، فبحثوا عنه ، فوجدوه بينهم ، فلما رأى الـولد رأس أبيـه بكى ، وقال للسلطان قـطز : نم طيّباً ، مـا بقي عدّو تخـاف منه ، هذا هو كان سعادة التتار (اعلام النبلاء ٢/٢٩٤).

وفي السنة ٦٦٦ حصر الظاهر بيبرس مدينة أنطاكية ، وملكها بـالسيف ، فقتل أهلها ، وأحرق كنائسها ، وأحصي من قتل بأنطاكيـة فكانـوا نيفاً وأربعين ألفاً ، وكان ممن قتـل من حماتهـا ما بين ستّـة عشر ألف إلى سبعـة عشر ألف صليبي ، وأخذ مائة ألف أسير (خطط الشام ٢/١٢٠).

وفي السنـة ٦٦٦ قتـل في إحـدى المعـارك ، على مقـربـة من صعـدة باليمن ، علم الدين حمزة بن الحسن بن حمزة ، من أشراف اليمن وأمرائهـا. (الاعلام ٢/٣٠٩).

وفي السنـة ٦٧٨ قتـل السلطان سـالم بن إدريس الحبـوضي ، صـاحب

ظفار، في معركة نشبت بينه وبين المظفّر الرسولي ، وكان قتله في محلة عوقد بظفار (الاعلام ٣/١١٣ و١١٤) .

وفي السنة ٦٨٠ جهّز السلطان أبا قابن هولاكو ، جيشاً عظيماً لاحتلال الشام ، وقدّم عليه أخاه منكوتمر بن هولاكو ، فالتقى بجيش مصر والشام على حمص ، وكان جيش التتار يعدّ مائة ألف ، وجيش المنصور قلاوون ، سلطان مصر والشام ، يعدّ النصف أو أكثر بقليل ، واشتبك الجيشان في معركة ضارية ، استقتل الطرفان فيها ، واستظهر التتار أوّل النهار ، فلما رأى الأمراء تذامروا فيما بينهم ، ورأوا ثبات السلطان فحملوا حملات صادقة ، وتقدّم الأمير الكبير الحاج عز الدين أزدمر الجمدار ، فقصد الأمير منكوتمر ، قائد جيش التتار ، وتقدّم اليه وقد قلب رمحه ، ليوهمه إنّه يريد أن يستسلم ، حتى إذا وصل إليه ، طعنه فجرحه ، فقتلوه ، ومات منكوتمر بعد ذلك ، وانكسر التتار ، وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً ، ودخل السلطان دمشق ، وبين يديه أسارى التتار ، بأيديهم الرماح ، عليها شعفة رؤوس القتلى منهم (أعلام النبلاء ٢/٣٣٢-٣٣٥) .

أقول : الشعفة : الخصلة من شعر الرأس .

وفي السنة ٦٨١ اتّفق أحد الأمراء الحفصيّين ، واسمه الفضل بن أبي زكريا يحيى الواثق الحفصي ، مع الأمير مرغم بن صابر ، أمير طرابلس الغرب ، فجمعا العربان ، وقصدا تونس ، وكان قد استولى عليها أبو اسحاق ، فانحاز إلى بجاية عند ولده أبي فارس ، فواقعاه في معركة على باب بجاية ، فقتل أبو فارس ، وأخوه ، ووالده أبو اسحاق ، وعلّقت رؤوسهم على باب المنارة ، احد أبواب تونس (سيرة الملك المنصور ٤٥) .

أقول : أورد صاحب معجم انساب الأسر الحاكمة ١١٥ الخبر مبتوراً ، إذ اكتفى بأن ذكر أنّ الواثق أبا زكريا يحيى تسلّم حكم تونس في السنة ٦٧٥

وأنّ أبا اسحاق إبراهيم خلعه في السنة ٦٧٨ واستقر في موضعه، وأنّ أبا اسحاق « أعدم » في السنة ٦٨١، فاقتضىٰ الإشارة إلى ذلك .

وفي السنة ٦٨٣ ظهر في سواد الحلّة رجل يعرف بأبي صالح، أدّعى أنّه نائب صاحب الزمان، وتبعه خلق، فقصد بلاد واسط، ثم قصد الحلّة، فخرج اليه جند من بغداد، وبعد معركة بين الجند البغدادي وجماعة أبي صالح، قتل أكثر جماعة أبي صالح، وقتل هو معهم، وحمل رأسه إلى بغداد (الحوادث الجامعة ٤٣٩- ٤٤١).

وفي السنة ٧٠٠ عاد التتار الى الشام، فحاربهم السلطان الملك الناصر، في السنة ٧٠٢ واشتبك معهم في معركة ضارية بمرج راهط، وكان عدد كل جيش ما يقارب المائتي ألف مقاتل، فقتل من الطرفين جماعات عظيمة، وأسر من عسكر غازان نحو الثلث، وجيء بالأسرى الى القاهرة، وسار منهم مقدار ألف وستمائة وقد علّق في عنق كلّ واحد منهم، رأس أحد القتلى من التتار، كما حمل أمامهم ألف رأس على ألف رمح، وكانت طبولهم أمامهم، مخرقة (النجوم الزاهرة ١٦٧/٨ واعلام النبلاء ٣٥٤/٢).

أقول : أورد صاحب خطط الشام ١٤٢/٢ و١٤٣ خبر معركة وقعت بين الجيش التتاري والجيش المملوكي، ولا أدري أهي هذه المعركة أم غيرها، قال : في السنة ٧٠٢ قصد خطلو شاه، نائب غازان، في خمسين ألفاً من التتار بلاد الشام، وتوغّلت طائفة منهم، يبلغ عددها عشرة الآف فارس، فحاربهم اسندمر الكرجي، نائب السلطنة، ما بين تدمر والرصافة، وكان اسندمر في ألف وخمسمائة فارس، فانكسر التتار وقتلوا عن آخرهم .

وفي السنة ٧٠٧ قتل خطلوشاه المغلي، وكان مقدّم عسكر السلطان غازان، وقد فعل في دمشق الأفاعيل . وكان مقدّمهم في وقعة شقحب لمّا

انكسر الجيش المغلي ، ثم جهزه غازان إلى كيلان ، ففتكوا به وقتلوه (الدرر الكامنة ٢/١٧٤).

وفي السنة ٧٠٩ وقعت في حوران فتنة بين اليمنية والقيسية ، واقتتلوا ، فقتل ألف نفس (خطط الشام ٢/١٤٦).

وفي السنة ٧١٧ ظهر بجبلة ، جبليّ ادّعى أنّه المهدي ، وجمع جمعاً ، ثم تنوّعت إدّعاءاته ، ادّعى مرّة أنّه النبي المصطفى صلوات الله عليه ، وادّعى مرّة أنّه الإمام علي ، وادّعى مرّة أنّه الإمام المنتظر محمد بن الحسن ، وعاث أصحابه بالساحل ، وكانوا يرفعون أصواتهم قائلين : لا إلّه إلاّ علي ، ولا حجاب الاّ محمد ، ولا باب إلاّ سلمان ، فسار عليهم عسكر من طرابلس ، فقتل رئيسهم ، وجماعته معه ، وتفرّقوا (شذرات الذهب ٦/٤٣) .

وفي السنة ٧١٩ حصر الدون بيدره (بطره) الوصي على الملك الصبي الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة ، غرناطة، فانكسر جيش بطره ، وقتل مع جماعة من رجاله وفرسانه، وأخذت جثّة الملك القتيل ، فجعلت في تابوت خشب ، ونصب في جوار سور الحمراء ، وفي السنة ٧٦٩ (بعد خمسين سنة) تفقّد الوزير ابن الخطيب المكان ، فوجد على التابوت أكواماً من الحجارة . لأنَّ الصبيان كانوا ، يرجمونه، فأزاح الحجارة ، وكشف عن الرمّة ، فألفى بعظم القَطَن (العصعص) العريض منها ، سناناً مرهباً ثبت في العظم (الاحاطة ٣٩٦ـ ٣٩٨).

وفي السنة ٧٢٤ توفّي الأمير محمد بن عيسى ، أمير آل فضل ، وكان أثيراً عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون، لأنّه وقف موقفاً شديداً مع العسكر التتاري الذي جهزه خربندا سلطان التتار مع الشريف حميضة ، ليستولي على مكّة ويطرد الجيش المصري عنها ، فهاجم الأمير محمد الجيش التتاري ، وقتل منهم كثيراً ، وأرسل إلى الناصر منهم أربعمائة أسير ، فأعجب الناصر ذلك ، وبالغ في الإحسان اليه (الدرر الكامنة ٤/٢٤٩).

وفي السنة ٧٣٠ كان الأمير الدمر ، أحد أمراء القاهرة ، هو وولده خليل من ضمن الحاج ، فثارت بمنى فتنة في يوم عيد النحر ، فقتل الدمر وولده خليل (الدرر الكامنة ١ / ٤٣٤ و٤٣٥) .

وفي السنة ٧٣٧ اشتبك موسى خان بن بايدوخان التتاري ، مع أوربا كاون خان في معركة قرب مراغة ، انجلت عن قتل أوربا كاون خان وتسلطن موسى خان ، فغضب قسم من الأمراء ، وراجعوا الأمير الشيخ حسن بزرك (الكبير) الجلائري وهو ابن الأمير حسين بن آق بوغا ، فجيّش الشيخ حسن جيشاً ، وحارب موسى خان ، فانكسر عسكر الشيخ حسن ، وبات موسى خان آمناً مطمئناً وترك الإحتياط ، فكرّ عليه قسم من جماعة الشيخ حسن . وكان موسى خان وأصحابه على غير تأهّب ، فقتل موسى خان ، وأسر علي باشا رئيس الاويرات ، وأحضر أمام الشيخ حسن ، فأراد أن يستبقيه، فلم يوافقه الأمراء ، وأصرّوا على قتله ، فقتله (الغياثي ٦٩- ٧٣).

وفي السنة ٧٣٧ قتل في معركة ضارية ، على باب قصره بتلمسان ، السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى ، آخر ملك من ملوك بني عبد الواد ، كان الظفر فيها لصاحب مراكش السلطان أبي الحسن المريني ، وثبت أبو تاشفين ، بخاصّة رجاله ، بعد أن تفرّق عنهم الجند والأنصار ، فقتلوا جميعاً على باب القصر . (شذرات الذهب ٦/ ١١٥ والاعلام ٤/ ١١٥).

وفي السنة ٧٤١ كانت وقعة طريف ببلاد الأندلس ، وكان سلطان فاس أبو الحسن المريني جاز البحر في ستّين ألفاً ، وجاء إليه أهل الأندلس وسلطانهم ابن الأحمر بامداد ، فانكسر المسلمون ، وقتل منهم عدد عظيم ، وأسر ابن السلطان وحريمه ، واستولى الافرنج على مدينة طريف (شذرات الذهب ٦/ ١٢٧ و ١٢٨).

وفي السنة ٧٤١ قتل أبو عبدالله محمد بن يحيى المالكي الأندلسي ، وكان يلي الخطابة والقضاء بغرناطة ، قتل في معركة بظاهر طريف مع الأسبان (الاعلام ٨/ ٩) .

وفي السنة ٧٤١ قتل في موقعة طريف أبو عبدالله محمد بن علي الأنصاري الغرناطي وله بضع وسبعون سنة ، وكان عريض النعمة ، حسن الخلق ولما نشبت المعركة ، استاك ، وتكحّل، وخرج بنفسه على العدّو، فقتل (الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٦) .

وفي السنة ٧٦٥ هاجم الإفرنج مدينة طرابلس الشام، وكانوا ثلاثة ملوك ، صاحب قبرس ، وصاحب رودوس ، وصاحب الاسبتار ، جاؤوا في مائتي مركب حربي ، فانكسر عسكر طرابلس ، ودخل الإفرنج المدينة ، ونهبوا أسواقها ، وقتلوا بها نحواً من ألفي إنسان ، ثم اجتمع عليهم أهل البلاد ، وحاربوهم ، وقتلوا منهم جماعة كثيرة ، فرحلوا (خطط الشام ٢/ ١٥٥) .

وفي السنة ٧٧٠ قتل في المعركة بتلّ السلطان خارج حلب ، الأمير قشتمر المنصوري ، وكانت اليه نيابة حلب ، فإنّه خرج من حلب مع عسكر ليستأصل شافة أعراب بلغه أنّهم يقومون بقطع الطريق ، فوجد اعراباً نزولاً في مضاربهم ، فهاجمهم العسكر ، واستاقوا كثيراً من مواشيهم ، ونهبوا أبياتهم ، فحاربهم العرب ، وهاجموا أفراد العسكر وهم مشغولون بالنهب ، فكسروهم فاستعادوا المنهوبات، وقتل الأمير قشتمر في المعركة (الدرر الكامنة ٣/ ٣٣-٣٣٤) .

وفي السنة ٧٧٦ قتل في المعركة ، ملك الحبشة المسلم ، محمد حقّ الدين بن أحمد حرب أرعد ، وكان جدّه عمر ، تأمّر على بلدة وفات ، وأكثر أهلها مسلمون ، ولاّه عليها الحطي ملك الحبشة النصراني ، وخلف عمر ولده صبر

الـدين علي في السنة ٧٠٠ فقـويت شوكتـه ، وخـرج على الحـطي ، ثم عـاد فأطاعه ، فأقـام الحطي بـدلاً منه ولده أحمـد ، ومات أحمـد فخلفه أخـوه أبو بكر ، وخلّف أحمد أولاداً منهم محمد حقّ الدين الذي اشتغل بالعلم ، وتقدّم فيـه ، ثم حنق على عمّه أبي بكـر ، فخرج عليـه ، وحاربـه ، فقتـل العمّ في المعـركة ، وتسلطن حقّ الـدين ، ، واستمرّ على محـاربة الحـطي ، حتى أنّـه حاربه في تسع سنين في عشرين موقعة . كـان الظفـر له فيهـا جميعها ، فلمـا كانت الموقعة الأخيرة ، قتل في المعركة (الدرر الكامنة ٣/٤٣٢-٤٣٣) .

وفي السنـة ٧٩٢ قتـل الأميـر سيف الـدين طـرنـطاي، نـائب السلطنـة بـدمشق ، في المعركـة التي اشتبك فيهـا جيش السلطان برقـوق بجيش الأمير منطاش ، وكان سيف الدين بجانب برقوق (اعلام النبلاء ٥/١٠٨) .

وفي السنـة ٧٩٣ قتل احمـد بـن زيـد الشـاوري ، الفقيـه الشـافعي ، باليمن ، وكان شديداً على الزيدية ، فهاجمه الناصر صاحب صنعاء في عسكر كثيف ، فقتله ، وقتل واحداً من أولاده ، وجماعة من أهله وأصحابه (الاعلام ١/١٢٣).

وفي السنة ٧٩٤ قصد تيمورلنك شيراز ، فاستعـدَّ صاحبهـا منصور شـاه لمحاربته ، واشتبك معه في معركة كانت عاقبتها ظفر تيمـور وقتل منصـور شاه في المعركة (شذرات الذهب ٦/٣٣٢).

وفي السنة ٨٠٠ قتل القـاضي برهـان الدين أحمـد بن الأثير ، صـاحب سيـواس ، كان شجـاعاً حـارب عساكـر مصر في السنـة ٧٨٩ وفي السنة ٧٩٩ حارب التتار وهزمهم، ثم نشبت معركة بينه وبين قـرايلك بن طورغلي ، فقتـل برهان الدين في المعركة (الدرر الكامنة ١/٣٦٦).

وفي السنة ٨٠٢ وصل تيمورلنك إلى قريب من حلب ، وكتب إلى نائب حلب ، يطلب منه أن يخابر سلطان مصر ، لكي يطلق اطلمش ، أحـد أقارب

تيمورلنك ، وهو محبوس في مصر ، فما كان من نائب حلب إلاَّ أن قتل رسل تيمورلنك ، فلما بلغ تيمورلنك ما صنعه نائب حلب برسله ، أحاط بمدينة حلب ، وخرج عسكر حلب لصدّه ، فكسر ، واقتحم عليهم المدينة ، وأسرفوا في قتل الرجال والنساء ، حتى صارت الأرجل لا تطأ إلاَّ على جيف القتلى ، وقيل إنَّه بنى من رؤوس القتلى عشر مآذن ، دور كلّ مئذنة نحواً من عشرين ذراعاً ، وارتفاعها مثل ذلك ، وجعل الوجوه فيها بارزة ، وبلغ عدد القتلى نحواً من عشرين ألف إنسان ، عدا من هلك تحت أرجل الخيول ، ومن هلك بالجوع والعطش (خطط الشام ٢/١٧٣ ـ ١٧٥) .

وفي السنة ٨٠٣ قتل الأمير دريب بن احمد ، أمير حلي ، مدينة بين مكّة واليمن ، على ساحل البحر ، في معركة بينه وبين العرب بني كنانة ، واستقرّ في موضعه أخوه موسى (الضوء اللامع ٣/٢١٧) .

وفي السنة ٨٠٤ كان الأمير جنتمر بن عبدالله التركماني ، يتولّى كشف الصعيد ، فقتله عرب ابن عمر ، وقتلوا من حاشيته مقدار مائتي نفس ، ونهبوا جميع ما كان معهم (الضوء اللامع ٣/٧٩) .

وفي السنة ٨٠٨ قتل أمير التركمان فارس بن صاحب الباز ، صاحب انطاكية ، وما والاها ، قتله جكم الظاهري ، أما جكم فقد قتله قرايلوك في السنة ٨٠٩ (الضوء اللامع ٥/١٦٣ و٣/٧٦) .

وفي السنة ٨٠٥ قتل سعد الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن علي بن صبر الدين ، وكان قد استقرّ ملكاً على الحبشة ، بعد أخيه حقّ الدين ، فسار سيرته في جهاد الكفر ، وكانت عنده سياسة ، وكثرت عساكره ، وتعدّدت غاراته ، واتسعت مملكته ، وفي هذه السنة ، جمع الحطي صاحب الحبشة ، جمعاً عظيماً ، وجهّز عليه أميراً يقال له : باروا ، فالتقى الجمعان ، فاستشهد من المسلمين جمع كثير منهم أربعمائة شيخ من الصلحاء ، أصحاب

العكاكيز ، وتحت يد كلّ واحد منهم عدّة فقراء ، واستحرّ القتل في المسلمين ، حتى هلك أكثرهم ، وانهزم من بقي ، ولجأ سعد الدين إلى جزيرة زيلع ، في وسط البحر ، فحصروه فيها ، إلى أن وصلوا إليه ، فأصيب في جبهته بعد وقوعه في الماء ثلاثة أيّام ، فطعنوه ، فمات ، وكانت مدّة ملكه ثلاثين سنة ، وفرّ أولاد سعد الدين ، وهم صبر الدين علي ، وتسعة من أخوته إلى البرّ الآخر ، فدخلوا مدينة زبيد ، فأكرمهم الناصر أحمد بن الأشرف وأنزلهم ، وأعطاهم خيولاً ، ومالاً ، فتوجّهوا إلى حيث لحقت بهم عساكرهم ، واستمرّ صبر الدين على سيرة أبيه (شذرات الذهب ٧/٤٧ و٤٨) .

أقول: جاء في الضوء اللامع ٧/١٦ ان وفاة سعد الدين كانت في السنة ٨١٥ وقد اثبتنا ذلك في موضعه .

وفي السنة ٨٠٧ توفّي تيمورلنك ، المعروف في التواريخ باسم تيمور كوركان ، وكان أوّل أمره ، إنّه كان من أتباع طقتمش خان آخر الملوك من ذرّية جنكيزخان ، فلما مات طقتمش ، قرّر في السلطنة ولده محمود ، وكان صغيراً ، فتزوّج تيمور بأمّ محمود ، واستقر أتابكاً له ، ثم جرّد عسكراً إلى بخارى فاستولى عليها ، ثم نازل خوارزم ففتحها ، ثم حاز ما وراء النهر ، وفتح سمرقند ، ثم خراسان ، ثم هراة ، ثم طبرستان ، وجرجان بعد حروب طويلة في السنة ٧٨٤ فلجأ صاحبها إلى أحمد بن أويس صاحب العراق ، ثم ملك تبريز وأذربيجان ، ثم ملك إصبهان ، ثم استولى على فارس ، ثم قصد بغداد ، ففتحها وفرّ ملكها أحمد بن أويس إلى الشام ، واتّصلت مملكة تيمورلنك بالجزيرة وديار بكر ، ثم قصد سراي في السنة ٧٩٧ ثم عاد فقصد بغداد إذ علم بعودة صاحبها أحمد بن أويس اليها ، فملكها ثانياً ففرّ منها أحمد بن أويس ، ثم قصد سيواس فملكها ، ثم قصد حلب ففتحها وفعل فيها الأفاعيل ، ثم تحوّل إلى دمشق وحصر المدينة ، ثم فتحها بالأمان ، وغدر

بهم ، فقام جنده بنهب البلد ، وبالسلب والقتل والإحراق ، ثم قصد الرها وماردين ، ثم كرّ على بغداد ، وحصرهـا ، وفتحها عنـوة ، ووضع السيف في أهلها ، وألزم من معه ، أن يأتي كـلّ واحد منهم بـرأسين من رؤوس أهلها ، وبنى من الرؤوس مائة وعشرين مـأذنة ، وفي السنـة ٨٠٤ قصد بـلاد الروم ، واستـولى عليها ، وأسـر صاحبهـا بايـزيد ومـات معـه في الاعتقـال ، ودخـل الهند ، وغلب على مملكة المسلمين بها ، ومات في السنـة ٨٠٧ وقد خـرج من سمرقند يريد بلاد الصين والخطا فمات وهو نازل بضواحي أتـرار ، فأعيـد جسده إلى سمرقند ، حيث دفن هناك (شذرات الذهب ٧/٦٢ - ٦٧) .

وفي السنة ٨٠٨ قتل الأمير علان الظاهري ، نائب السلطنة بـطرابلس ، وكان شجاعاً ، قتل في المعركة (الضوء اللامع ٥/ ١٥٠).

وفي السنـة ٨٠٨ قتل الأميـر محمد بن حيـار ، المعروف بنعيـر أميـر آل فضـل بـالشـام ، نشبت معـركـة بينـه وبين الأميـر جكم، فقتـل في المعـركـة (الاعلام ٦/ ٣٤٤).

وفي السنة ٨١٠ قتل الأمير إينال باي بن قجماس، بغزّة (الضوء الـلامع ٢/ ٣٢٦).

وفي السنـة ٨١٠ قتـل الأميـر جـركس سيف الـدين القـاسمي ، بنـاحي بعلبك ، وكان شهماً شجاعاً (الضوء اللامع ٣/ ٦٧).

وفي السنة ٨١٥ قتل ملك المسلمين الحبشة ، سعد الدين أبو البـركات محمـد بن أحمـد ، في معـركـة من معـاركـه مـع الحـطي ، ملك الحبشـة النصارى ، وكان سعد الدين محبوساً في عهد أخيه سلفه حقّ الدين محمـد ، فلما توفّي ، ملك سعد الدين بعـده في السنة ٧٧٦ وسلك مسلكـه في محاربـة الحطي ، وامتدّ سلطانـه اربعين سنة ، حتى قتـل في السنة ٨١٥ وتـرك أولاداً عشرة لجأوا إلى الناصر أحمـد بن الأشرف ، ملك اليمن ، فـأعانهم، وعـادوا

إلى بلادهم، وتسلطن منهم السلطان صبر الـدين ، وانتظم بـه شمل المملكـة (الضوء اللامع ٧/١٦) أقول : ذكر صاحب شـذرات الذهب ٧/٤٧ـ ٤٨ إنّ وفاة سعد الدين كانت في السنة ٨٠٥.

وفي السنة ٨١٥ قتل الأمير الطنبغا سقـل ، قتل في وقعة اللجـون ، هو ومقبل الرومي (الضوء اللامع ٢ / ٣٢٠).

وفي السنـة ٨١٦ قتل الأميـر العجل بن نعير بن حيار ، أميـر آل فضـل بالشام والعـراق . وسنّه نحـو ثلاثين سنـة ، قتل في معـاركه مـع المماليـك ، وحمل رأسه فعلّق على باب قلعة حلب (الضوء اللامع ٥/١٤٦).

وفي السنـة ٨٢١ قتـل الأمير سـودون الأسنـدمـري ، نـائب السلطنة بطرابلس ، في وقعة التركمان على صافيتا (الضوء اللامع ٣/٢٧٦).

وفي السنة ٨٢٤ قتل الأمير ألطنبغا عبد الـواحد ، المعـروف بالصغيـر ، وكان قتله في معركة مع التركمان (الضوء اللامع ٢ / ٣٢٠).

وفي السنـة ٨٣٠ قتل في المعـركـة ، الأميـر قشتمـر المؤيّـدي ، نـائب السلطنة بحلب ، في وقعة كانت بين التركمـان وعسكر حلب (الضـوء اللامـع ٦/٢٢٢).

وفي السنة ٨٣٥ قتل ملك الحبشـة المسلمين ، جمال الـدين محمد بن سعد الدين أبي البركات الجبرتي ، وكان قد خلف أخاه منصوراً في السلطنة ، في السنـة ٨٢٨ وحارب الحـطي ملك الحبشة النصـارى ، وأطـاعـه خلق من أعوانه ، ودامت مملكته سبع سنين ، وقتل في احدى المعـارك في السنة ٨٣٥ وملك بعده أخوه بدلاي بن سعد الـدين ، فاقتفـى أثـره في غزواتـه وشدّتـه ، وقبض بـدلاي (واسمه احمـد) على قاتـل أخيه محمـد ، فـاقتصّ منـه وقتله (الضوء اللامع ٧/١٥٣).

وفي السنة ٨٣٦ استولى الأمير أسبان على بغداد ، وطرد منها أخاه شاه محمد بن قرا يوسف ، ففرّ شاه محمد إلى الجانب الغربي من بغداد ، والتجأ إلى مشهد الامام موسى الكاظم ، ومعه ولده شاه بوداق ورجل حمّال ، فأعطوهم حماراً ركبه شاه محمد ، وقصدوا الدجيل ، ومات الحمار في الطريق ، فحمله الحمّال على ظهره ، ولما وصلوا إلى حديثة الموصل ، جهزّه حاكمها واسمه حارث بما يحتاج إليه فاستولى على الموصل ، وإربل ، وأعطى الموصل الحارث ، وإربل مرزا علي ، وكركوك وطاووق لعلي أتابك ، وجعل الحمّال محمود أميراً ، وأعطاه كمر شمشير مذهباً ، ثم عاد بجند إلى بغداد ، فلاقاه جند في الطريق ، فصادمهم ، فقتل شاه محمد ، في السنة ٨٢٧ وكان له من الأولاد شاه علي ، وشاه رخ ، وشاه بوداق ، وشاه ولي ، وشاه ملك ، وقرامان ، وقمر الدين (تاريخ الغياثي ٢٥٢ و ٢٥٣) .

وفي السنة ٨٣٧ قتل الأمير أقبغا الجمالي ، في معركة مع العربان بدمنهور، وكان كريهاً مبغضاً أهوج ، وذهب دمه هدراً (الضوء اللامع ٢/٣١٧) .

وفي السنة ٨٣٧ قتل الشريف رميثة بن محمد بن عجلان ، أمير مكّة ، خرج في طائفة من عسكره ليوقع ببني إبراهيم ، فقتل في المعركة (الضوء اللامع ٣/ ٢٣٠) .

وفي السنة ٨٣٨ قتل زهير بن سليمان بن زيان بن منصور الحسيني ، وكان فاتكاً ، يسير في بلاد نجد والعراق والحجاز في ثلثمائة فارس ، فيأخذ القفول ، قتل في معركة حصلت بينه وبين أمير المدينة (حوليات دمشقية ١٣٣ ـ ١٣٤ والضوء اللامع ٣/ ٢٣٩) .

وفي السنة ٨٤٥ قتل الأمير أركاس النوروزي ، بالصعيد الأعلى ، في معركة مع الزنج (الضوء اللامع ٢/ ٢٦٩) .

وفي السنة ٨٤٧ قتل شهاب الدين احمد بن سعد الدين المعروف باسم بدلاي ، ملك المسلمين بالحبشة ، وكان هو وأخوه صبر الدين عظيمي النكاية في كفّار الحبشة، قتل شهاب الدين في المعركة (الضوء اللامع ٣/٤).

وفي السنة ٨٤٨ قتل في المعركة ، الأمير طوخ المؤيّدي ، وكانت له نيابة السلطنة بغزّة ، وسقط قتيلاً في وقعة كانت بينه وبين أبي طبر من عرب جرم الخارج عن الطاعة (الضوء اللامع ٤/١٠).

وفي السنة ٨٥٧ قتل الأمير سونج بغا ، في معركة جرت مع تغري بردي القلاوي ، وقد أناف على الستّين (الضوء اللامع ٣/٢٨٧) .

وفي السنة ٨٥٧ قتل في المعركة ، الأمير قشتمر الناصري ، نائب السلطنة بالبحيرة بمصر ، في وقعة كانت بين العسكر المصري وعرب لبيد (الضوء اللامع ٦/٢٢٢).

وفي السنة ٨٦٧ قتل الأمير جانبك الظاهري ، شاد جدّة، قتله الأجلاب ، أي المماليك الأجلاب وكان مدبّر المملكة بمصر ، وصاحب حلّها وعقدها (الضوء اللامع ٣/٥٨).

وفي السنة ٨٦٨ كان الأمير برد بك الأشرفي ، عائداً من مكّة ، مع أفراد عائلته ، وخرج عليه جماعة من العربان ، فقتلوه وهم لا يعرفونه ، وسلبوا السقّائين (الضوء اللامع ٣/٥).

وفي السنة ٨٧٠ قتل في المعركة على باب صنعاء باليمن ، عامر بن طاهر اليماني وكان قد ملكها وغيرها من حصون اليمن ، على اثر وفاة إمام صنعاء الناصر بن محمد ، وأراد عامر أن يخرج ابن الإمام الناصر من صنعاء ، وأن يسكنه في تعز ، فكتب الابن إلى شارب بن عيسى يستنجد به ، فبادر شارب الى صنعاء ، وكسر بابها القبلي ، وأخذ الولد ، وأراد أن يعود الى مكانه ، وبلغ ذلك عامراً فجاء يستنقذ صنعاء ، واشتبك وشارب في معركة

أدّت الى قتل عامر ، وملك شارب صنعاء (الضوء اللامع ٣/٢٩٢- ٤/ ١٦) .

وفي السنة ٨٧٢ قتل الأمير قطلباي الأشرفي ، في الوقعة « السوّارية » أي المعارك التي دارت بين الجيش المصري ، وجماعة الأمير سوّار من آل دلغادر (الضوء اللامع ٦/٢٢٣) .

أقول : أعاد صاحب الضوء اللامع هذا الخبر في الصفحة ٢٢٧ من المجلد السادس ولكنّه سماه « كرتباي » بدلاً من « قلطباي » .

وفي السنة ٨٧٥ قتل في المعركة أبو الحسن علي بن سفيان الحسني ، باليمن ، فدفن بلا غسل لأنّه قتل شهيداً (الضوء اللامع ٥/٢٢٥) .

وفي السنة ٨٨٠ لجأ إلى حلب ، الأمير محمد أغرلو بن حسن الطويل صاحب العراق ، وكان قد شقّ عصا الطاعة على أبيه ، واستعان بسلطان مصر لمحاربة أبيه ، فجهّز نائب حلب ، بأمر السلطان عسكراً مع أغرلو ، واشتبك مع جيش حسن الطويل ، فانكسر عسكر حلب ، وقتل عدد من أمرائه وجنده ، وجرح الأمير محمد أغرلو جرحاً بليغاً . ثم قدمت القاهرة زوجة السلطان حسن الطويل ، وهي أم الأمير محمد اغرلو ، تطلب من السلطان أن يتوسط للصلح بين السلطان حسن الطويل وابنها ولده محمد أغرلو (إعلام النبلاء ٣/٧٨- ٧٩) .

وفي السنة ٨٨٢ قتل الأمير برد بك المحمّدي ، في المعركة مع الأمير سوّار (الضوء اللامع ٣/٧) .

أقول: في هذا القول نظر ، فإنَّ الأمير سوّار انتهى امره في السنة ٨٧٧ باستسلامه وإعدامه في القاهرة ، أما برد بك ، فقد ذكر صاحب اعلام النبلاء ٣/٨٤ أنه كان نائب طرابلس وقريب السلطان، وأنه قتل في السنة ٨٨٥ في المعركة التي دارت بين الجيش المصري وبين سيف امير آل فضل .

وفي السنة ٨٨٥ خرج الأمير سيف ، أمير .ل فضل ، عن طاعة السلطان، فحاربه نائب السلطان بحماة ، الأمير أزدمر بن ازبك ، فانكسر جيش السلطان ، وقتل الأمير ازدمر ، وقتل معه جمع من أمراء حماة ، فجهّز السلطان جيشاً ، وجعل قيادته للأمير يشبك الدوادار ، فلما وصل الأمير يشبك الى حلب ، كان جيشه في عشرة آلاف . ومعه من الأمراء نواب السلطنة بحلب والشام وطرابلس وحماة، والعسكر الحلبي والشامي والمصري ، وبلغه ان الأمير سيف انحاز عن طريقه الى الرها ، فقصد الرها ، وحصرها وفيها الأمير بابندار نائب السلطان يعقوب بن الشيخ حسن الطويل ، صاحب العراق واشتبك الطرفان في معركة ضارية، فانكسر جيش سلطان مصر ، واسر قائده الأمير يشبك ، كما أسر معه نائب الشام ، ونائب حلب ، ونائب حماة ، وحاجب الحجّاب ، وقتل من امراء الشام وحلب ومن العساكر ما لا يحصى ، وكانت حوافر الخيل لا تطأ الا على جثث القتلى ، وبقي الأمير يشبك ثلاثة أيّام في الأسر ، وفي اليوم الرابع بعث اليه الأمير بابندار عبداً أسود ، قطع رأسه ليلاً ، قيل إنّه حزّ رأسه بالسيف عدّة مرات ، فلم ينقطع عنقه ، فقطعه بسكين صغير ، وعذّبه غاية العذاب ، فلما أصبح الصباح ، وجدوا جثّته بغير رأس ، وهي مرميّة على قارعة الطريق، مكشوفة العورة ، فستره بعض الغلمان بحشيش ، وأرسل الأمير بابندار برأس يشبك إلى السلطان يعقوب بن حسن الطويل ، فطيف به بمدينة ماردين وفي بلاد العجم ، والرأس على رمح ، وقد ألبسوا الرأس تحفيفة الأمير يشبك ، وطافوا بالنواب الذين أسروهم وهم في قيود وزناجير ، أما الأمراء الباقون فساقوهم مشاة ، أما الأمير سيف أمير آل فضل ، سبب كلّ ما حدث ، فقد قتل في السنة ٨٨٧، قتله ابن عمّه غسّان من آل فضل (اعلام النبلاء ٣/٨٢ـ ٨٧).

وفي السنة ٨٨٩ قتل الأمير الماس الأشرفي قايتباي ، نائب صفد ، وكان قد خرج لدفع دولات ، فقتل في المعركة (الضوء اللامع ٢/٣٢١).

وفي السنة ٨٩١ اشتبك جيش ابن عثمان ، مع جيش سلطان مصر ، في أرض حلب ، فانكسر جيش ابن عثمان ، وقتل من عسكره نحواً من أربعين ألفاً (خطط الشام ٢/٢٠٦).

وفي السنة ٩١٦ قتل في المعركة مع عساكر الشاه واسماعيل الصفوي ، السلطان أبو الفتح محمد الشيباني بن شاه بوداق صاحب ما وراء النهر (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٠٣).

وفي السنة ٩١٧ قتل الصدر خادم علي ، وزير السلطان بايزيد الثاني بن محمد العثماني ، وكان قتله في المعركة، وهو يحارب شاه قلي (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤١).

وفي السنة ٩٢٠ حصر السلطان سليم مدينة مرعش ، وقتل صاحبها علاء الدولة بن سليمان من آل دلغادر (ذي القدر) وقتل معه غالب أولاده ، وقطع رؤوسهم وبعث بها إلى السلطان قانصوه الغوري ، ملك مصر والشام ، وسبب ذلك : إنَّ السلطان سليم لما توجّه ليحارب الشاه اسماعيل الصفوي ، شاه العجم ، مرّ بمدينة مرعش فأمر علاء الدولة صاحبها ، رعاياه أن لا يبايعوا عسكر السلطان سليم شيئاً من المأكل والعلف ، فمات كثير من الناس والدواب ، فاْغتمّ السلطان سليم ، وكتب الى السلطان الغوري يشكو من تابعه علاء الدولة ، وما صنعه معه ، فأجابه الغوري بأنّه لا سلطة له على علاء الدولة لأنّه قد عصى عليه ، وكتب إلى علاء الدولة سرّاً يشكره على ما فعل ، ولما انتهى السلطان سليم من حربه مع شاه العجم ، عاد إلى علاء الدولة، فحصر بلده ، وقتله، وقتل معه أولاده ، ونصب في موضعه على بك بن شاه سوار ، وهو ابن أخي علاء الدولة (اعلام النبلاء ٦/١١٦-١١٧).

أقول : ذكر صاحب معجم أنساب الأسر الحاكمة (ص ٢٣٦) : أنّ علاء الدولة اسمه بوز قورد ، وأنّ مقتله كان في السنة ٩٢١ .

وفي السنة ٩٢٢ التقى السلطان سليم العثماني (ملك الروم) ، بالسلطان الغوري سلطان مصر والشام ، في معركة فاصلة ، بمرج دابق ، شمالي حلب ، فانتصر السلطان سليم انتصاراً ساحقاً ، وفقد الغوري تحت سنابك الخيل (شذرات الذهب ٨/١١٤).

وفي السنة ٩٢٣ قتل في المعركة مع الجراكسة ، سلطان اليمن السلطان الملك الظافر صلاح الدين عامر ، وأخوه الأمير عبد الملك ، وهما ولدا الملك المنصور تاج الدين عبد الوهاب بن داود ، من ملوك بني طاهر سلاطين اليمن (معجم انساب الأسر الحاكمة ١٨٥).

وفي السنة ٩٢٧ قتل جان بردي الغزالي الجركسي ، نائب السلطنة بدمشق ، وكان كافل دمشق في عهد السلطان الغوري ، ثم اتصل سراً بالسلطان سليم ، فلما اشتبك الغوري وسليم في معركة مرج دابق ، خامر جان بردي ، وترك المعركة ، وانسلّ الى مصر ، فلما دخل السلطان سليم مصراً ، وقتل طومان باي ، آخر سلاطين المماليك ، نصب جان بردي نائباً بدمشق ، ولما مات السلطان سليم ، ادّعى جان بردي السلطنة لنفسه بالشام ، وتلقّب بالملك الأشرف ، وقبض على كافل حمص وقتله ، واستولى على حماة ، فبعث إليه السلطان سليمان جيشاً ، فاقتتلوا بين دوما والقصير، فقتل جان بردي، وانفلّ عسكره (شذرات الذهب ٨/١٥١ و ١٥٢).

وفي السنة ٩٣٠ قتل عزّ الدين بن احمد بن دريب القطبي ، الأمير اليماني ، كان تابعاً لأخيه المهدي بن أحمد ، ثم اعتقله ، واستولى على زبيد ، وجازان ، ونشبت بينه وبين إسكندر القرماني ، معركة بقرب زبيد ، فقتل عز الدين (الاعلام ٥/٢١-٢٢).

وفي السنة ٩٥٤ قتل سلطان اليمن الملك الظافر صلاح الدين عامر بن داود بن طاهر من سلاطين بني طاهر باليمن قتل في معركة مع العثمانيّين (معجم أنساب الأسر الحاكمة ١٨٥).

وفي السنة ٩٩٨ قتل أحمد باشا ، أمير الأمراء بتونس ، في معركة مع الخارجي يحيى الذي كان يدّعي أنه مهدي الزمان (خلاصة الأثر ٣/ ١٤٠) .

وفي السنة ١٠١٢ قتل عيسى بن مفيد بن عبد الكريم الخواجي ، صاحب مدينة ضمد في اليمن ، وقتل معه ابن أخيه حسين بن دريب ، في فتنة انتجت معركة بينهما وبين صاحب صبيا (الاعلام ٥/ ٢٩٥- ٢٩٦) .

وفي السنة ١٠٢٢ قتل أبو العباس أحمد بن عبدالله السجلماسي المعروف بابن محلّى ، ثائر متصوّف ادّعى أنّه المهدي ، وثار على السلطان زيدان السعدي صاحب مراكش ، واستولى على سجلماسة ، ثم استولى على مراكش ، وأعلن ملكيته فهاجمه متصوّف آخر اسمه يحيى بن عبدالله ، ونشبت بينهما معركة بظاهر مراكش ، فأصيب بن محلّى برصاصة قتلته ، وعلّق رأسه على سور مراكش ، اثنتى عشرة سنة (الاعلام ١/ ١٥٥) .

وفي السنة ١٠٤١ قُتل الشريف محمد بن عبدالله بن الحسن بن أبي نميّ شريف مكّة ، في معركة نشبت بينه وبين الشريف نامي بن عبد المطلب (الاعلام ٧/ ١١٨) .

وفي السنة ١٠٤٣ خرج الوزير احمد باشا ، المعروف بأحمد باشا الأرنؤدي ، لمحاربة الأمير فخر الدين بن معن ، وكان قد خرج على الدولة العثمانيّة ، فالتقى بجمع من أتباع فخر الدين يقودهم ولده الأمير علي ، فقتل علي في المعركة ، وقتل معه جماعة من أتباعه ، فأرسل أحمد باشا رؤوسهم إلى دمشق على رؤوس الرماح (خلاصة الأثر ١/ ٣٥٥- ٣٨٧) .

وفي السنة ١٠٤٦ جهّز السلطان مراد ، الوزير أحمد باشا الأرنؤدي ، لمحاربة العجم في قلعة روان ، فاشتبك في معركة كان الظفر فيها لخصمه ، فقتل في المعركة وقتل غالب من كان معه من عسكره ، وأرسل رأسه إلى دمشق ، فدفن في تكيته (خلاصة الأثر ١/ ٣٨٨) .

وفي السنة ١٠٧٥ قتل محمد بن محمد بن علي الحسني ، مؤسس دولة الأشراف العلويّين القائمة إلى اليوم في المغرب الأقصى ، في معركة نشبت قرب وجده ، بينه وبين أخويه اسماعيل والرشيد ، فأصابت محمد رصاصة في نحره فقتلته . (الاعلام ٧/٢٩٣).

وفي السنة ١٠٨١ قتل الأمير موسى بن محمد المعروف بابن تركمان حسن ، في معركة مع الأمير ابن رشيد ، وكانت جماعة من أتباع ابن رشيد قد نهبت الحاجّ ، فغضب الأمير موسى وكان أمير الحاجّ ، وحقدها على ابن رشيد ، وكان صديقه وصفيه ، وتجهز في السنة التالية بجيش ، وقصده، وحاربه ، فقتل الأمير موسى في المعركة ، فعظم قتله على الأمير ابن رشيد ، وحزن عليه (خلاصة الأثر ٤/٤٣٤).

وفي السنة ١١٠٩ قتل بمعركة زنته ، الصدر الأعظم الماس محمد باشا ، الوزير الأول للسلطان مصطفى الثاني ، وكان قد ولي الوزارة منذ السنة ١٠٠٦ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤٤).

ولما مات السلطان أورنك زيب عالمكير ، سلطان الهند ، في السنة ١١٩٤ (١٧٠٧م)، تنازع على السلطنة اثنان من أولاده، الولد الأكبر شاه عالم ، الأوسط أعظم شاه ، ونشبت بين الطرفين معركة قتل فيها أعظم شاه ، وتسلطن شاه عالم باسم (شاه عالم بهادرشاه قطب الدين). (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٧١).

وفي السنة ١١٢٠ (١٧٠٨ م) خرج الأمير كام بخش ، أمير بيجابور ، على أخيه السلطان شاه عالم بهادرشاه ، سلطان الهند ، ونشبت بينهما معركة ، سقط فيها كام بخش ، وولده جريحين ، وانفلّ عسكرهما ، فعني بهما شاه عالم ، وبعث اليها أطبّاء أوربيين لتضميد جراحهما ، ولكنّ كام بخش ، رفض أن يعالج ، وامتنع عن تناول الطعام ، فتوجّه أخوه السلطان

لزيارتـه ، وواساه وخلع عليـه عباءة كـان يلبسها ، وأخـذ يسقيه المـرق بيده ، وأظهر نحوه ونحو ولده كلّ عطف ، واعتـذر إليه ممـا حصل ، وقـال : إنّي لم أكن أودّ أن يقـع لكمـا مـا حصـل من مكـروه . فـردّ عليـه كـام بخش : وأنـا كذلك ، لم أرد أن يستسلم فرد من عائلة تيمـور دون قتال لئـلا يتهم بالجبن ، ومات كام بخش وولده بعد ساعات . (الإسـلام والدول الإسـلامية في الهنـد ١٧١-١٧٢ .

وفي السنة ١١٢٥ قتل في المعركة الصدر الأعظم الـداماد علي بـاشا ، الـوزير الأوّل للسلطان أحمـد الثالث العثمـاني ، فلقّب بالشهيـد داماد علي ، وكان مقتله في معركة بيترواردين بضـواحي فينا بـالنمسا ، وقبـره هناك (معجم انساب الاسر الحاكمة ٢٤٥) .

وفي السنة ١١٤٠ قتل الإمام محمد بن ناصر الغافري ، من أئمة عمان في صحار ، في معركة نشبت بينه وبين أحد العصاة ، فأصابته رصاصـة ، فقضت عليه (الاعلام ٧/٣٤٤) .

وفي السنـة ١١٥٠ قتل لـطفي الصيداوي ، كتخـدا عثمان بـاشـا والي البصرة ، في معركة حصلت بين جند الحكـومة التـركية وجيش العجم (سلك الدرر ٤/١٥) .

وفي السنة ١١٥٥ قتل سلطان بن مرشد بن عديّ اليعربي ، عاشر الأئمة اليعـربية الأبـاظية في عمـان ، بـويـع لـه بعـد خلع سيف في السنـة ١١٥٤ ، فاستعان عليه سيف بجنود من إيران ، فنشبت بينهما حـروب أصيب بها سلطان بجراحات ، وقتل (الاعلام ٣/١٦٦- ٢٢٠) .

وفي السنة ١١٨٩ حصل اختلاف بين الأمير على بيـك ، حاكم مصـر ، وبين الأمير أبي الذهب ، أحد اتباعه ، فانحاز أبو الذهب إلى جهة الصعيـد ، فجهّز له عسكراً ، ووقعت معركة كانت نتيجتها ان قتل على بيك ، واستقلّ ابو الذهب برياسة مصر (سلك الدرر ١/٥٧) .

وفي السنة ١١٨٩ توجّه حاكم حمص الأمير عبد الرحيم بن العظم ، ومعه السيد عبد الرزاق المعراوي الأديب حاكم قلعة تلبيسة ، لمحاربة عرب الحياري المعروفين ، بالموالي ، فانتصر الأعراب « وشلحوهم بأجمعهم » وظلّ السيد عبد الرزاق وحاكم حمص عاريين، فجاء أحد الأعراب وطعن السيد عبد الرزاق في عنقه برمح فقتله (سلك الدرر ١٥/٣).

وفي السنة ١١٩٥ زحف أحمد باشا الجزار على جبل عامل بلبنان ، فتلقّاه الأمير ناصيف النصّار بأتباعه ، ولم ينتظر ناصيف اجتماع الناس ، بل قابله بمن حضر ، فقتل الأمير ناصيف ، وتفرّق قومه ، وعاث الجزّار في جبل عامل ، قتلا ، ونهباً ، وإحراقاً ، ومن أفجع ما صنعه إنّه أحرق مكتبات جبل عامل ، وكانت حصيلة قرون .

وفي السنة ١٢٠٦ قتل المولى يزيد بن محمد بن عبدالله سلطان مراكش ، خرج عليه اخوه هشام بن محمد ، وتحصّن بمراكش ، فكرّ يزيد وحصر مراكش ، ودخلها عنوة ، واستباحها وقتل وسمل ، ثم استجاش هشام جيشاً آخر ، وقصد أخاه يزيد بمراكش ، فاشتبكا في معركة كانت عاقبتها إنهزام هشام ، ولكنّ يزيد قتل في المعركة (أعيان القرن الثالث عشر ١٩٥).

وفي السنة ١٢١٢ قتل مطلق الجربا ، اشهر فرسان شمّر في عصره ، في معركة نشبت مع آل سعود ، في الأبيّض بقرب السماوة (الاعلام ١٥٨/٨).

وفي السنة ١٢١٦ قتل في معركة بالبحرين ، الفقيه إلامامي الباحث حسين بن محمد البحراني (الاعلام ٢٨٢/٢).

وفي السنة ١٢١٩ قتل سلطان بن أحمد البوسعيدي ، صاحب مسقط وعمان ، في مناوشة جرت بينه وبين رجال من القواسم من أهل رأس الخيمة، وهو في سفينة صغيرة كان قد أبحر بها من مسقط يريد بندر عباس (الاعلام ١٦٤/٣).

وفي السنة ١٢١٩ وصلت طائفة من العرب ، إلى الجيزة من القاهرة ، فوصل الخبر إلى الكاشف الذي بها ، وهو رملي عثمان كاشف ، فخرج اليهم يردّهم ، فانهزموا أمامه ، فطمع فيهم وتبعهم ، فخرج عليه كمين ، واحتاطوا به وقتلوه ، وقطعوا رأسه ، ورؤس ستّة أنفار معه ، وذهبوا برؤوسهم على مزاريق (الجبرتي ٣/٤٥- ٤٦).

وفي السنة ١٢٢٠ وقعت بالأزبكية ـ بالقاهرة ـ معركة بين العسكر قتل فيها واحد من أعيانهم ، واثنان آخران ، ورجل سائس ، وبغل وفرس وحمار (الجبرتي ٣/٩١).

وفي السنة ١٢٢٢ قدم الإسكندرية جيش من الإنكليز ، لمعاونة الألفي رأس المماليك ، وكان الألفي قد توفّي قبل وصولهم ، فاستولوا على الإسكندرية ، وتقدّمت فئة منهم إلى رشيد ، فلما توسّطوا البلدة ، ضرب عليهم الأهالي والعسكر من كل ناحية، فألقوا أسلحتهم ، وطلبوا الأمان، فلم يلتفتوا إلى ذلك ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا منهم جملة كثيرة ، وأسروا الباقين ، ولما رأى الكاشف الأسرى ، قتل بعضهم ، وأخذ الباقين أسرى ، وحملوا الأسرى والرؤوس الى القاهرة ، ودخلوا بهم من باب النصر ، وشقّوا بهم في وسط المدينة ، وفيهم فسيال (ضابط) كبير وآخر كبير في السنّ ، وهما راكبان على حمارين ، والبقية مشاة ، ومعهم رؤوس القتلى على نبابيت (الجبرتي ٣/١٨٢ و١٨٣).

وفي السنة ١٢٢٢ قتل من المماليك بالديار المصرية الأمير سليمان بك المرادي ، وكان ظالماً غشوماً ، قتل في وقعة اسيوط، أخذت جلّة المدفع دماغه ، وقطعت ذراعه ، وعرف قتله بخاتمه الذي كان في اصبعه في الذراع المقطوع ، وكان يلقّب « ريّحه » بالياء المشدّدة، كان إذا أراد قتل إنسان ، يقول لأحد أعوانه : خذه وريّحه، من الراحة ، ويأخذه ويقتله (الجبرتي ٣/٢٣٥).

وفي السنة ١٢٢٥ برز الأمر من السلطان العثماني بإعادة بناء كنيسة القيامة ببيت المقدس ، وكانت قد أحترقت في السنة ١٢٢٤ ، وعيّن السلطان لذلك أغا قابجي ، فقام جماعة من الينكجرية بمنع البناء ، وشنّعوا على الأغا القائم بالبناء ، فكتب الأغا إلى الوالي يوسف باشا، فأرسل الوالي طائفة من عسكره دهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة ، وحاصروهم في دير ، وقتلوهم عن آخرهم ، وهم نيف وثلاثون رجلاً (الجبرتي ٣/٢٩١).

وفي السنة ١٢٣٣ قتل الأمير منصور بن ناصر الحسني ، أمير صبيا ، باليمن، وكان قد استعان بالأتراك ، لقتال عمّه الشريف حمود ، ولما نشبت المعركة ، فرّ الأتراك ، وقتل منصور (الاعلام ٨/٢٤٦).

وفي السنة ١٢٤١ تحرك الانكشارية على السلطان محمود العثماني ، لما شعروا بأنّه ينوي الحدّ من سلطانهم ، وتجمهروا في ساحة « ات ميدان » واستعدّوا للحرب فأعلن السلطان الجهاد ضدّهم ، واستعان بالرعيّة وبالعسكر الجديد ، وجرت معركة ضارية ، كانت عاقبتها إبادة اكثر الانكشارية، ومن لم يقتل أخذ أسيراً ، وصدر الأمر إلى جميع الأقطار التابعة للدولة بإبادة الإنكشارية، فأبيدوا (اعيان القرن الثالث عشر ١٠٧).

وفي السنة ١٢٤٢ (١٨٢٦ م) تحرّك السيد محمد التيجني ، في ضواحي وهران ، وجمع حوله العرب ، وأراد أن ينزع الملك من يد الترك ، ويعيده إلى أيدي العرب ، فجرّد إليه باي وهران جيشاً ، واشتبك مع التيجني واتباعه ، في معركة عارمة ، وكان أتباع التيجني قد عقلوا أنفسهم، كما تعقل الإبل ، كي لا تحدّثهم أنفسهم بالفرار ، وانجلتّ المعركة عن قتل التيجني ، وجميع أتباعه ، لم يسلم منهم أحد ، وفرّقت رؤوسهم على البلدان ، وبعثوا برأس التيجني وسيفه الى الجزائر ، فأمر الأمير حسين باشا ، بأن يركز الرأس على عمود ، ويركز العمود قبالة الباب الجديد (مذكرات الزهار ١٥٩-١٦٠).

وفي السنة ١٢٤٧ قتل عقيل بن محمد بن ثامر السعدون ، أمير المنتفق ، ولّاه الإمارة الوزير داود باشا ، والي بغداد ، بعد عزل حمود الثامر المنتفقي وعمد عقيل إلى الحيلة حتى اعتقل حمود ، فثار أولاده ، وهاجموا عقيلاً وهزموا جموعه، وقتلوه (الأعلام ٥/٤١).

وفي السنة ١٢٥٥ جنّد السلطان العثماني ، جيشاً يزيد على سبعين ألف مقاتل ، بقيادة حافظ باشا ، لمحاربة إبراهيم باشا بن محمد علي الكبير ، وطرده من بلاد الشام ، واشتبك الجيشان في معركة دامت ثماني ساعات، فانكسر الجيش العثماني ، وقتل منه ستّة آلاف ، وأسر اثني عشر ألفاً ، وقتل من العسكر المصري اربعة آلاف (خطط الشام ٣/٦٣).

وفي السنة ١٢٦٠ عيّنت الدولة العثمانية . رجلاً اسمه علي بك لجباية الأموال الأميرية من جبل النصيرية ، فلما بلغ ناحية البهلولية ، طلب بعض مقدمي الكلبية ، فحضر اثنان منهم ، هما اسماعيل عثمان وحبيب مخلوف ، فقبض عليهما ، وأرسلهما إلى اللاذقية مقيّدين ، وأخذ في تعذيبهما ، ولما انتهى الخبر إلى الجبل ، عمد نحو خمسمائة رجل إلى اللاذقية وهاجموا دار الحكومة ، وأخرجوا السجينين بعد أن كسروا السجن ، فصدر الأمر بتجهيز العساكر لتأديب النصيرية ، فلما تقدم اليهم العسكر ، أرسل النصيرية بعض نسائهم إلى القائد علي بك ، يحملن أعلاماً بيضاء ويطلبن العفو ، فأبى علي بك إلّا إنزال العقوبة ، وكان عدد جيشه نحواً من عشرين ألفاً ، فلما أيس النصيرية ، هاجموا الجيش ، فانكسر ، وقتل علي بك ، وقتل معه من عسكره ما يقرب من الفي رجل ، وغنم النصيرية جميع الذخائر (خطط الشام ٣/٧٧-٧٨).

وفي السنة ١٢٦١ قتل الإمام محمد بن يحيى ، إمام صنعاء اليمن ، وكان قد استولى على الحكم في السنة ١٢٥٧ ، وخضع للعثمانيين ، ثم

عزل ، وقتل ، واستولى العثمانيون على صنعاء (معجم انساب الاسر الحاكمة ١٨٩) .

وفي السنة ١٢٦٥ كانت حصيلة الحروب الأهلية والفتن التي حدثت في دير القمر وزحلة وغيرها ، أن انتهت بقتل ثلاثة آلاف من النصارى ، وقتل أربعمائة من الدروز (خطط الشام ٣/ ٧٩) .

وفي السنة ١٢٨٥ ، غاب الأمير محمد بن خليفة ، أمير البحرين ، عن البحرين ، فاستولى أخوه علي على الإمارة ، ولما عاد محمد ، نشبت بينهما معركة انتهت بمقتل علي في السنة ١٢٨٦ . (الاعلام ٥/ ٩٦) .

وفي السنة ١٢٨٧ قُتل عزان بن قيس البو سعيدي ، من أئمة عمان ، بويع ، بالإمامة في مسقط سنة ١٢٨٥ ، ثم خرج عليه تركي بن سعيد بن سلطان ، وفي معركة بينهما أصابت عزان رصاصة ، فقتلته . (الاعلام ٥/ ٢١) .

وفي السنة ١٣١٢ بدأت المذابح بين الأرمن والمسلمين في لواء مرعش ، وقام الأرمن في بلدة زيتون بذبح عائلات الموظّفين والضبّاط ، ومثّلوا بهنّ ، فهاج المسلمون ، فذبحوا في عينتاب نحو سبعمائة أرمني ، وعمّت المذابح بيره جك ، وأورفه ، حيث قدّر عدد القتلى من الأرمن بألفي نسمة ، واستمرّت المذابح حتى تدخلت دول فرنسا وانكلترا وايطاليا فخمدت الفتنة في أواخر السنة ١٣١٣ (اعلام النبلاء ٣/ ٤٨٤ـ ٤٨٦) .

وفي السنة ١٣١٤ قتل الفقيه الأباضي صالح بن علي الحارثي ، بعمان ، في إحدى الوقائع بينه وبين سلطان عمان . (الاعلام ٣/ ٢٧٨) .

وفي السنة ١٣١٧ قتل عبدالله بن محمد التقي التعايشي ، خليفة الإمام المهدي محمد أحمد السوداني ، وكان من كبار أنصاره ، وأوصى له بخلافته ، فبايعه الدراويش سنة ١٣٠٢ ، وعمّ نفوذه السودان كلّه ، ثم

وجّهت إنكلترا عليه جيشاً بقيادة كجنر، ونشبت معارك ضارية بين كجنر وبين الدراويش، إنتهت بقتل التعايشي في أطراف أمّ درمان (الاعلام ٤/٢٧٦و ٢٧٧).

وفي السنة ١٣٢٤ (١٩٠٦) قتل الأمير عبد العزيز متعب، أمير آل الرشيد اصحاب حائل، قتل في روضة المهنا، من ملحقات القصيم، في غارة فاجأه بها خصمه الأمير عبد العزيز ابن سعود (الاعلام ٤ / ١٥٠).

وفي السنة ١٣٣٢ قتل الشهيد محمد بن عبدالله البوسيفي، من زعماء المغرب، سقط شهيداً في معركة المحروقة من أعمال فزان، خاض غمارها ضدّ الجيش الإيطالي الذي احتلّ طرابلس الغرب (الاعلام ٧/١٢٣).

وفي السنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) قتل رمضان السويحلي، من زعماء الجهاد في طرابلس الغرب، سقط في معركة أرفلة التي نشبت مع الغزاة الطليان (الاعلام ٣/٦٠).

وفي السنة ١٣٤٢ (١٩٢٤). قتل بطرابلس الغرب المجاهد محمد سعدون السويحلي، في معركة من معاركه مع الإيطاليين المحتلّين (الاعلام ٧/٨).

وفي السنة ١٣٤٤ (١٩٢٥ م) استشهد القائد فؤاد سليم، في مجدل شمس، بسورية، في معركة نشبت بين الثوّار بقيادته، وبين الجند الفرنساوي، أصابته قذيفة مدفع، فقتلته. (الاعلام ٥/٣٦٨).

وفي السنة ١٣٤٤ قتل ابو الحسين أحمد بن مريود، من رجال النهضة القوميّة في سورية، قتل في معركة مع الإفرنسيّين في سورية (الاعلام ١/٢٤٩).

وفي السنة ١٣٥١ (١٩٣٢)، قتل حامد بن سالم بن رفادة احد الثائرين على السلطان عبد العزيز السعود، في معركة نشبت بسفوح جبل شار،

وانتهت في يوم واحد بقتله وقتل ٣٧٠ محارباً ممن كان معه ، وقتل معه ابنان له ، وخمسة من اخوته . (الإسلام ٢/١٦٥) .

وفي السنة ١٣٥٤ (١٩٣٥ م) قتل في المعركة، المجاهد الشيخ محمد عزّ الدين القسّام ، من أهالي جبلة ، من أعمال اللاذقية في سورية ، اشترك في ثورة سورية ضد الإفرنسيين ، ثم لجأ الى فلسطين وشارك في محاربة الانكليز ، وظهرت بطولته في معارك خاضها هناك ، ومات شهيداً في إحدى المعارك (الاعلام ٧/١٤٩) .

وفي السنة ١٣٦٧ (١٩٤٨ م) قتل المجاهد عبد القادر بن موسى كاظم الحسيني ، على أبواب القسطل ، في معركة بين العرب واليهود في فلسطين، ودفن في المسجد الأقصىٰ (الاعلام ٤/١٧٢) .

القســم الثالث

القتل غدراً

الغدر : الخيانة ونقض العهد .
والقتل غدراً : قتل الانسان بعد اعطائه الأمان .

وإعـطاء الأمان : إمَّـا أن يكون ، قـولاً باللفظ : كـأن يقـول لـه : أنت آمن ، أو ما في معناهـا ، وإمَّا أن يكـون عملاً ، بـالتصرّف تصـرّفاً يـدل على الأمان ، كأن يخلع على المؤمّن من ثيـابه ، أو أن يـطعمه من طعـامه ، أو أن يسقيه من شرابه ، أو أن يضمّه إلى جواره ، فإنَّ جميع هذه التصـرّفات ، ومـا يشبهها ، تقوم في الأمان مقام اللفظ .

والغـدر ، من أقبـح الأعمـال التي تبـرّأ منهـا العـرب ، في الجـاهليـة والإسلام ، واحتقروا فاعلها وعيّروه، وأهله، وعشيرته بها .

قال الشاعر الجاهلي ، يعيّر رجلاً اتّهم بغدرة :

وقـد يترك الغـدر الفتى وطعـامـه ... إذا هو أمسى حلبة من دم الفصد

يقـول : إنَّ العربيّ ، يـأنف من الغدر ، حتى لـو كان في أشـدّ حالات فـاقته وإمـلاقه ، بحيث لا يجـد ما يـأكل ، فيضـطر إلى سدّ رمقـه بأن يفصـد ناقة ، فيتبلّغ بجرعـة من دمها .

وقال النّبي صلوات الله عليه : من أمن رجلاً على نفسه ، فقتله، أعطي لواء غدر يوم القيامة .

وقال صلوات الله عليه : من آئتمنه رجلٌ على دمه فقتله ، فأنا منه بـريء ولو كان المقتول كافراً (أنساب الاشراف ٥/٢٣٣) .

وكـانت وصيّـة النبيّ صلوات الله عليـه ، لكـلّ سـريّـة يبعث بهـا إلى الحرب : لا تغلوا ، ولا تغدروا (العقد الفريد ١/١٢٨) .

وكذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده ، فإنَّ أوّل وصاياهم لقوّادهم : أن لا يغلوا ، ولا يخونوا . (الطبري ٣/٢٢٧) .

وقال الإمام علي : كلّ غادر فاجر ، وكلّ فاجر كافر (شرح نهج البلاغة ١٠/٢١١) .

وكان المغيرة بن شعبـة الثقفي ، صحب قومـاً في الجاهليـة ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال له النبي صلوات الله عليه : أمّا الإسلام فقد قبلنا ، وأمّا المال ، فإنّه مال غدر ، لا حاجة لنا فيه (الطبري ٢/٦٢٧) .

ولما قُتِلَ مالك بن نويرة ، في حرب الردّة، جاء أخوه متمّم، فأنشد أمام أبي بكر الصدّيق، أبياتاً، منها هذا البيت :

أدعـوتـه بـالله، ثـم غـدرتـه؟ لـو هُـوْ دعـاك بـذمّـةٍ لم يغـدر

فاستفظع أبو بكر ، أن توجّه إليه تهمة الغدر ، ولم يكتف بإنكارها ، بل أقسم بالله على ذلك ، فقال : والله ، ما دعوته ، ولا غـدرته (وفيـات الاعيان ٦/١٥) .

ومن أطرف ما يروى ، من قصص الوفاء بالعهد ، أنّ الحارث بن عباد ، أسر عديّ بن ربيعة ، وهو لا يعرفه ، فقال له : دلّني على عديّ .

فقال له : أتؤمنني إن دللتك عليه ؟

قال : نعم .

قال : أنا عديّ . فخلاّه (المحاسن والمساوىء ١/٨٢) .

وفي السنة ١٣ نشبت معركة بين الجيش الإسلامي الفاتح ، قائده أبو عبيد الثقفي ، وبين الفرس ، وانتصر المسلمون ، وأسر قائد الفرس جابان ، أسره مطر بن فضّة ، أحد أفراد الجند ، ومطر لا يعرفه ، فاتّفق معه ، أن يؤمّنه لقاء جعل ، فوافق ، وأدخله إلى أبي عبيد ، فأقرّ الاتفاق ، ولما اجتمع الناس ، عرفوه ، وقالوا : هذا ملكهم جابان ، وهو الذي لقينا بهذا الجمع ، فقال لهم أبو عبيد : قد أمّنه صاحبكم ، ولم يعرض له (الطبري ٣/٤٤٩و ٤٥٠).

وحاصر جيش المسلمين ، مدينة شهرياج ، في فارس ، شهراً جراراً حتى أوشكوا على اقتحامها ، فراطن أهلها عبداً من عبيد المسلمين ، فكتب لهم أماناً ، ورماه إليهم في سهم ، وراح الجيش الإسلامي ، من الغد ، للقتال ، فقالوا لهم : هذا أمانكم ، فكتب المسلمون بذلك الى الخليفة ، فكتب اليهم : إنَّ العبد المسلم ، من المسلمين ، ذمّته كذمّتهم ، فلينفذ أمانه ، فأنفذوه . (فتوح البلدان ٣٨٢).

وفي السنة ٩٣ حصر قتيبة بن مسلم الباهلي ، أمير خراسان ، مدينة سمرقند ، ثم صالح أهلها ، على أن يدخل سمرقند ، فيصلّي ، ويخطب ، ويتغدّى ، ويخرج ، فلما دخل ، أبى أن يخرج (الطبري ٦/٤٧٥) فاعتبر الناس عمل قتيبة هذا ، من أعمال الغدر (ابن الأثير ٤/٥٧٣ـ ٥٧٥)، فلما ولي الخلافة الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، قال أهل سمرقند لعاملهم : إنَّ قتيبة غدر بنا ، وظلمنا ، وأخذ بلادنا ، فائذن لنا ، ليفد منا وفد على أمير المؤمنين ، يشكون ظلامتنا ، فإن كان لنا حقّ اعطيناه ، فأذن لهم ، فوجّهوا وفداً إلى عمر ، فاستمع إلى ظلامتهم ، وكتب إلى عامله على خراسان ، يذكر له أنّ أهل سمرقند قد شكوا إليّ ظلماً أصابهم ، وتحاملاً من قتيبة عليهم حين أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي هذا ، أجلس لهم القاضي ، فلينظر في أمرهم ، ولما وصل الكتاب الى العامل أجلس لهم

القاضي ، ونظر في شكواهم ، فأصدر قراره بأن يخرج عرب سمرقند من المدينة ، وأن يكونوا في الموقع الذي كانوا فيه قبل أن يقوم قتيبة بعمليّة الغدر هذه ، ولهم من بعد ذلك أن ينابذوهم على سواء ، فإمّا صلح وإمّا حرب ، وعندئذٍ ، ولما ظهر حقّ السمرقنديين ، وحكم به القاضي لهم ، وافقوا على دخول العرب إلى مدينتهم برضاً منهم (الطبري ٦/٥٦٧-٥٦٨).

وجيء إلى معن بن زائدة الشيباني ، بثلثمائة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم، وأحضر السيّاف والنطع ، فتقدّم غلام منهم ، وقال : يا معن ، أتقتل أسراك وهم عطاش ؟ فقال : آسقوهم ماءً ، فشربوا، فقال الغلام : أيّها الأمير ، أتقتل أضيافك ؟، فقال : خلّوا عنهم ، فأطلقوا بأجمعهم (الفرج بعد الشدة، للقاضي التنوخي ، رقم القصة ٣٩٤).

وفي السنة ٣٦٨ فارق الأمير افتكين مدينة دمشق ، ليقاتل الفاطميين ، فانكسر ، وأسر ، وحمل إلى مصر ، وقدّم أهل دمشق ، فتى اسمه قسّام الحارثي ، وكان قسّام هذا في أوّل أمره ، يعتاش بنقل التراب على الحمير ، وتنقّلت به الأحوال ، فصار له ثروة وأتباع ، ولم يبق لنوّاب الفاطميين مع قسّام حكم ، فسار الأفضل، الوزير الفاطمي ، على رأس جيش إلى دمشق ، وحصرها، فخرج قسّام متنكراً يريد الأفضل ، فأخذه الحرس ، فقال : أنا رسول ، فأدخلوه إلى الأفضل، فقال له : أنا رسول قسّام ، وقد بعثني إليك ، لتحلف له ، ولتعوّضه عن دمشق بلداً يعيش منه ، وقد بعثني إليك سرّاً ، فحلف له الأفضل ، فلما توثّق منه ، قام ، وقبّل يد الأفضل ، وقال له : أنا قسّام ، فأعجب الأفضل بما فعله ، وزاد في إكرامه ، وردّه إلى البلد ، وقام بكلّ ما ضمنه له ، وبلغ العزيز الفاطمي خبره ، فأحسن صلته (خطط الشام ١/٢٣٣).

وقد سجّل التاريخ ، لملك العرب ، سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبس بن مزيد الأسدي ، باني الحلّة السيفية ، موقفاً من مواقف الكرامة

والشهامة ، ضحّى من أجله بحياته ودولته ، وكان ذلك في السنة ٥٠١ ، إذ استجار به أبو دلف سرخاب بن كخيسرو ، صاحب ساوه وآبه ، فبعث السلطان محمد السلجوقي ، يطالبه بتسليمه، فأبى ، وقال: أنّه استجار بي ، والحميّة العربيّة تلزمني بحمايته، فتوجّه إليه السلطان بجيشه واشتبكا في معركة ضارية ، كانت عاقبتها قتل صدقة ، الذي قال فيه ابن الجوزي في المنتظم ٩/١٥٩ إنّه كان كريماً ذا ذمام ، وإنّه كان تاريخ العرب والأماجد كرماً ووفاء ، وكانت داره ببغداد ملجأ للخائفين ، وقال عنه إنّه كان عفيفاً عن الفواحش ، لم يتزوّج على زوجته ، ولا تسرّى، ولم يشرب مسكراً ، ولا سمع غناء ولا قصد التسوّق في طعام ، ولا صادر أحداً من أصحابه ، وقال عنه ابن الأثير في الكامل ١٠/٤٤٠- ٤٤٩ إنّه كان عظيم الشأن، عالي القدر ، مرتفع الجاه ، وكان يجير كلّ من استجار به ، صغيراً كان أو كبيراً ، وإنّه كان من محاسن الدنيا ، أديباً عادلاً ، عفيفاً ، جواداً ، حليماً ، صدوقاً ، متواضعاً ، محتملاً ، كثير البرّ والإحسان ، ما برح ملجأ لكلّ ملهوف ، يلقى من يقصده بالبرّ والإحسان .

وفي أيّام السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، بطل الحروب الصليبيّة ، كان البرنس أرناط (أرنولد) ، صاحب الكرك ، من أشدّ الناس على الإسلام والمسلمين ، وكان من شيمته الغدر ، فنذر السلطان صلاح الدين ، أنّه إن ظفر به أن يقتله ، وظفر به في موقعة حطين ، في السنة ٥٨٣، فلما انتهت المعركة ، ونزل صلاح الدين في خيمته ، وأحضر ملك الإفرنج ، وكان من جملة الأسرى ، ومعه البرنس أرناط ، وقد اهلكهما العطش ، أمر صلاح الدين لملك الإفرنج ، بماءٍ مثلوج ، فشرب ، وأعطى الكأس للبرنس أرناط ، فقال صلاح الدين ، للملك : إنّ هذا ـ وأشار إلى البرنس ـ لم يشرب منّي ، وذلك لأنّ تقاليد العرب والمسلمين ، أنّه إذا سقاه ماءً ، أو أطعمه طعاماً ، فهو أمانٌ له من القتل ، ومن كلّ أذى ، (ابن الأثير ١١/٥٢٨- ٥٣٧) .

ولم تكن مواقف الشهامة والكرامة ، موقوفة على العرب والمسلمين ، وإن كان ممارسوها منهم أكثر عدداً ، فقد ذكر لنا ابن بطوطة ، والخير يذكر ، قصّة تدل على مدى تمسّك أحد الملوك الهندوسيّين ، بمعايير الشرف والمروءة والإلتزام بالعهد وحماية من التجأ إليه ، فذكر أنَّ أميراً مسلماً من أقارب السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥ـ ٧٥٢) فرّ منه ، والتجأ إلى ملك هندوسي ، واستجار به فأجاره ، فطلبه السلطان منه ، فأبى أن يسلمه ، فحاربه ، وانكسر الهندوسي ، وحرص بعد انكساره أن يوصل الأمير الذي التجأ اليه إلى مأمنه ، ثم أجّج ناراً لنسائه ونساء الحاشية ، ألقين بأنفسهن فيها ، ثم خرج ورجاله ، فخاضوا مع جيش السلطان معركة استقتلوا فيها . فقتلوا جميعاً (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٦ـ ٩٧).

ويروى أنّ الجراد نزل بزرع قوم ، فخرجوا لطرده ، ولقيهم أعرابيّ كانت خيمته في جوار الزرع ، فسألهم عمّا يريدون ، فقالوا : جئنا نريد جارك ، نطرده لئلا يضرّ بزرعنا .

فقال : ما دمتم قد سمّيتموه جاري ، فلا سبيل لكم إليه .

ونهض الى قوسة فأوترها ، وأقسم أن يرميهم إذا تعرّضوا له ، أو طردوه .

إنَّ تمسّك العربي بالوعد ، ووفاءه بالعهد ، أدّى به إلى استقباح كلّ موقف من مواقف الغدر ، فكان يسجّلها ، ويحصيها ، ويعيّر بها من ارتكبها ، ويخزي بها أهله وعشيرته ، ولا يجوز بوجه من الوجوه، أن يحتجّ من يتعصّب للغادر ، بأنّه من وراء غدره ، يسعى في إقامة عمود دولة ، أو تثبيت أسس مملكة ، فإنَّ دولة تقوم على الغدر ، دولة لا ثبات لها .

ويقضي الحقّ علينا ، أن نذكر في هذا البحث ، موقفاً من مواقف الغدر الشهيرة ، وقفه عمر بن سعد ، أمير الجيش الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام ، فقد كان في مجلس عبيدالله بن زياد ، أمير الكوفة ، لما قبض على

مسلم بن عقيل ، وأحضر الى عبيد الله بن زياد ، ولما أيقن مسلم أنّ مصيره القتل ، طلب من عبيدالله أن يمكّنه من أن يوصي لأحد من الحاضرين ، فقال له : أوص بما شئت فنظر مسلم إلى عمر بن سعد ، وهو من قريش ، فقال له : ليس في القوم من هو أقرب إليّ منك ، فادخل معي إلى طرف هذا البيت لأوصي إليك ، فتردّد وامتنع ، فقال له ابن زياد : لا تمتنع من حاجة ابن عمّك ، فنهض معه ، وجلسا بحيث يراهما ابن زياد ، فقال له مسلم إنّه يطلب منه أموراً ثلاثة ، الأمر الأول : أن يقضي ما عليه من دين ، والأمر الثاني : أن يستوهب جثته من ابن زياد لئلا يمثل بها ، والأمر الثالث : أن يبعث إلى الحسين من يردّه عن العراق ، فإنّه قد كتب إليه أنّ الناس معه ، فنهض عمر بن سعد ، وجاء إلى ابن زياد ، وافضى إليه بجميع ما أسرّه إليه مسلم فتقزز ابن زياد من هذا الموقف الدنيء الذي وقفه عمر بن سعد وقال له : قد أسأت في إفشائك ما أسرّه اليك ، إنّه لا يخونك الأمين ، وقد يؤتمن الخائن (الأخبار الطوال ٢٤١ والطبري ٣٧٦/٥ وابن الأثير ٣٤/٤) ثم بعث ابن زياد ، عمر بن سعد على رأس جيش قوامه أربعة آلاف رجل ، لقتال الحسين ، فكانت معركة غير متكافئة، حارب فيها أربعة آلاف من الجبناء جماعة لم يزد عددهم عن ثمانين ، وكان ذلك في السنة ٦٠، وعاش عمر الى السنة ٦٦ حيث قتله المختار الثقفي ، وقتل معه ولده ، في جملة من قتل من قتلة الحسين (الاعلام ٢٠٥/٥ـ ٢٠٦).

وكان عبد الملك بن مروان ، قد صالح عمرو بن سعيد بن العاص ، وكتب له أماناً ، وأشهد عليه شهوداً ، ثم غدر به فقتله ، فقال لرجل كان يستشيره ، ويصدر عن رأيه : ما رأيك في الذي كان منّي ؟

قال : أمر فات دركه .

قال : لتقولنّ .

قال : حزم ، لو فعلته وحييتَ .

قال : أو لستُ بحيّ ؟

قال : من أوقف نفسه موقفاً لا يوثق له بعهد ولا بعقد، فليس بحيّ ،

فقال عبد الملك : كلام لو سبق سماعه فعلي لأمسكت (العقد الفريد ١ / ٧٩).

وبلغ ما نال عبد الملك من قبح الأحدوثة ، من جراء غدره بعمرو بن سعيد ، أنّ عبد الملك لما أمّن زفر بن الحارث ، ومن معه ، على أنفسهم وأموالهم ، وأجاب زفر إلى ذلك ، أبى أن ينزل إلى عبد الملك ، خشية أن يغدر به كما غدر بعمرو بن سعيد ، فاضطّر عبد الملك أن يبعث إليه بقضيب النبّي صلوات الله عليه ، أماناً له (ابن الأثير ٤ / ٣٤٠).

وذكر صاحب مصارع العشاق ١ / ٣٠٨ موقفاً من مواقف الغدر للحجاج بن يوسف الثقفي ، قال : إنَّ الحجّاج طالب خصياً لأحد أقربائه ، أن يصدقه ، ووعده أن صدقه أن لا يضرب عنقه ، فصدقه ، فقال له : قد وعدتك إن صدقتني أن لا أضرب عنقك ، وأمر به فضرب وسطه ، أي إنّه قتل توسيطاً .

وفي السنة ١٤٥ لما بلغ أبا جعفر المنصور ، ظهور محمد بن عبدالله بن الحسن ، الملقّب بالنفس الزكيّة ، بالمدينة ، كتب إليه كتاباً جاء فيه : لك علّي عهد الله وميثاقه ، وذمّته ، وذمّة رسوله ، إن رجعتَ ، قبل أن أقدر عليك، أن أؤمنك ، وجميع ولدك ، وإخوتك ، وأهل بيتك ، على دمائكم وأموالكم ، فإن أردت أن تتوثّق لنفسك ، فوجّه إليّ من احببت ، يأخذ لك من الأمان ، والعهد، والميثاق، ما تثق به .

فكتب اليه محمد ، ردّاً ، كان من جملته : أيّ الأمانات تعطيني ، أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمّك عبدالله بن عليّ ، أم أمان أبي مسلم ؟ (الطبري

٥٦٦/٧- ٥٦٧) وصدق محمد ، فإنَّ هؤلاء الثلاثة الذين أثبت أسماءهم في ردّه ، كان المنصور قد أمّنهم ، ثم غدر بهم ، وقتلهم .

وأوّل من قتل من المسلمين غدراً ، ستّة نفر ، بعث بهم النبي صلوات الله عليه ، مع رهط من عضل والقارة ، قدموا عليه ، وطلبوا منه نفراً يفقّهونهم في الدين ، فبعث معهم ستّة نفر ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، فلما كانوا بالهدأة ، غدروا بهم ، وحصروهم ، فاستنزلوهم ، وأعطوهم العهد ، فنزلوا ، فغدروا بهم ، وقتلوا منهم أربعة ، وأسروا الآخرين ، وهما خبيب وابن الدثنة ، فباعوهما بمكّة ، وأخذ خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل ، ليقتلوه بالحارث ، وكان قد قتله يوم أحد ، وأدرك خبيب مصيره ، فطلب من بنات الحارث ، موسى يحلق به شعر بدنه استعداداً للموت، فدبّ صبي من أولادهم ، وجلس على فخذ خبيب ، والموسى في يده ، فصاحت المرأة فقال لها خبيب : اتخشين أن أقتله ؟ إنَّ الغدر ليس من شيمتنا، وأعاد الصبيّ إلى أمّه ، وأخرج خبيب إلى الحرم ، فقتل ، في السنة ٤ (ابن الأثير ١٦٧/٢- ١٦٨).

وفي السنة ٣٦ غدر عمرو بن العاص ، بمحمد بن أبي حذيفة ، وكان محمد من أصحاب علي ، فلما قتل عثمان ، أخرج محمد عاملَ عثمان ، عبدالله بن أبي سرح من مصر ، وضبطها لعلي ، فقصده عمرو بن العاص في جند معاوية ، وخدع محمداً ، بأن أوهمه بأنّ في نيّته مبايعة عليّ ، واتعد معه على الإجتماع بالعريش من أرض مصر ، فقدم عليه ، وكان عمرو قد جعل له كميناً ، فأخذه وثلاثين من أصحابه فقتلهم (ابن الأثير ٢٦٧/٣ والطبري ٥٤٦/٤).

وفي السنة ٥١ طلب زياد بن أبيه ، عامل العراق لمعاوية ، عمير بن قيس الكندي ، فتعهّد له حجر بن يزيد أن يحضره ، بشرط الأمان على ماله ودمه ، فقال : هو آمن ، فجاء به وهو جريح ، فأمر به فأوقر حديداً ، ثم أمر

الرجال ، فأخذوا يـرفعونـه ، حتى إذا بلغ السرر (جمـع سرّة) ألقـوه ، فوقـع على الأرض ، واستمـرّوا يرفعـونه ثم يلقـونه ، فعلوا ذلـك مراراً ، فقـام إليـه حجر ، وقال له : الم تؤمّنه على دمه ومالـه ؟، قال : بلى ، ولست أهـريق له دماً ، ولا آخذ منه مالاً (الطبري ٥/٢٦٣-٢٦٤).

وفي السنـة ٦١ قتـل ابـو بـلال مـرداس بن حـديـر التميمي وأصحـابـه بآسك ، غدراً قتله عبّاد بن علقمة بن عبّاد التميمي ، المعـروف بابن الأخضـر (الطبري ٥/٤٧١).

أقول : كـان أبـو بـلال مرداس عـابـداً مجتهـداً ، عظيـم القدر في الخوارج ، شهـد مـع عليّ صفين ، وخـرج عليـه لمـا رضي بـالـتحكم ، وشـهـد النهروان مع الخوارج ، وكان عبيد الله بن زياد قد حبسه ، فلمـا رأى السجّان عبادته واجتهاده ، أخذ يطلقه ليـلاً ، فينصرف إلى بيتـه ، فإذا طلع الفجـر عاد فـدخل السجن ، وكـان صديق لمـرداس يسـامـر ابن زيـاد ، فـذكـر ابن زيـاد الخـوارج ليلة ، فعزم على قتلهم إذا أصبـح ، فانـطلق صديق مـرداس ، إلى منزل مرداس ، فأخبرهم الخبر ، وقال لهم : أرسلوا إلى أبي بلال مرداس في السجن ، فليعهد ، فإنّـه مقتول ، فسمـع ذلك مـرداس ، وبلغ الخبر صـاحب السجن ، فبات بليلة سوء ، إشفاقاً من أن يعلم مرداس الخبر ، فـلا يرجـع ، فلما كان الوقت الذي يـرجع فيـه ، إذا به قـد طلع ، فقال لـه السجّان : هـل بلغك ما عزم عليه الأمير ؟ قال : نعم ، قال : ثم غدوت ؟ قـال : نعم ، ولم يكن جزاؤك مع إحسانك ، أن تعـاقب بسببي ، وأصبح عبيـدالله ، فبدأ بقتـل الخوارج ، ودعا بمرداس ، فلما حضر ، وثب السجّان ، وكان ظئراً لعبدالله ، وقال له : هبه لي ، وقصّ عليه قصّتـه ، فوهبـه له وأطلقـه (الطبـري ٥/٣١٣ وابن الأثير ٣/٥١٨و٥٢٠ و ٤/٩٤و ٩٥).

ثم أنّ مرداس خاف ابن زياد ، فخرج في السنة ٥٨ في أربعين رجلاً ، وأقـام بالأهـواز ، فكان إذا اجتـاز به مـال لبيت المال أخـذ منه عـطاءه وعـطاء

أصحابه ، وردّ الباقي ، فلما سمع ابن زياد خبرهم ، بعث اليهم جيشاً بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي في السنة ٦٠، تعداده الف رجل ، فلما وصلوا إلى أبي بلال ، ناشدهم الله ألاّ يقاتلوه ، فلم يفعلوا ، ورموا أحد أصحابه فقتلوه ، فشدّ أبو بلال وأصحابه ، على أسلم وجيشه ، شدّة رجل واحد ، فهزموهم ، حتى قدموا البصرة ، فلامه ابن زياد ، وقال : هزمك أربعون ، وأنت في الفين ؟ لا خير فيك ، فقال : لأن يلومني الأمير وأنا حيّ ، خير من أن يثني عليّ وأنا ميت ، وقال رجلٌ من الخوارج :

أألفا مؤمنٍ فيما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما ذكرتم ولكنّ الخوارج مؤمنونا

وفي السنة ٦١ بعث عبيد الله بن زياد ، إلى أبي بلال، جيشاً من ثلاثة آلاف ، عليهم عبّاد بن علقمة بن عبّاد التميمي ، المعروف بابن الأخضر ، فاشتبك مع أبي بلال في معركة حامية حتى دخل وقت العصر ، فقال أبو بلال : هذا يوم جمعة ، وهو يوم عظيم ، وهذا وقت العصر ، فدعونا حتى نصلّي ، فأجابهم عبّاد ، وتحاجزوا، فغدر بهم عبّاد ، وقطع الصلاة ، وشدّ هو وأصحابه ، على أبي بلال وأصحابه ، فاصطلموهم وهم ما بين قائم وراكع وساجد ، لم يتغيّر أحد منهم عن حاله ، فقتلوهم عن آخرهم .

فأقبل عبيدة بن هلال (من رؤساء الخوارج) ومعه ثلاثة نفر ، فرصدوا عبّاد بن الأخضر ، ولما أقبل يريد قصر الإمارة ، وهو مردف ابناً له غلاماً صغيراً، تصدّى له عبيدة وأصحابه ، وقالوا : يا عبدالله ، قف حتى نستفتيك ، فوقف، فقالوا : نحن أخوة أربعة وقد قتل أخونا ، فما ترى ؟ فقال لهم : استعدوا الأمير ، قالوا : قد استعديناه فلم يعدنا ، قال : فاقتلوه ، قتله الله ، فوثبوا عليه ، وحكّموا، وضربوه بالسيف ، فقتلوه ، ولاقى جزاء غدره (الطبري ٥/٤٧١).

وفي السنة ٦٣ لما استباح مسلم بن عقبة المريّ ، مدينة الرسول

صلوات الله عليه ، بأمر يزيد بن معاوية، أخذوا منه الأمان ليزيد بن عبدالله بن زمعة بن الأسود ، ولمحمد بن أبي الجهم بن حذيفة ، ولمعقل بن سنان الأشجعي ، فحضروا بالأمان ، بعد الواقعة بيوم ، فقال لهم : بايعوا ليزيد ، فقال القرشيّان : نبايع على كتاب الله وسنّة رسوله ، فضرب أعناقهما ، فقال له مروان بن الحكم : سبحان الله ، اتقتل رجلين من قريش أتيا بأمان ؟ فطعن بخاصرته بالقضيب ، وقال : وأنت ـ والله ـ لو قلت بمقالتهما لقتلتك ، ثم التفت الى معقل بن سنان فطلب معقل شراباً يشربه ، ليتحرّم به من مسلم ، فقال له مسلم : أيّ الشراب أحبّ إليك ؟ قال : العسل ، قال : أسقوه ، فشرب حتى ارتوى ، فقال له مسلم : أرويت ؟ قال : نعم ، قال : والله لا تشرب بعدها شربة إلّا في نار جهنم ، ثم أمر به فقتل (ابن الأثير ٤/١١٨-١١٩).

وفي السنة ٦٦ بعث المختار بن أبي عبيد الثقفي ، من الكوفة ، جنداً إلى المدينة ، بقيادة شرحبيل بن ورس ، معونة لابن الزبير في محاربته عبد الملك بن مروان ، وبعث ابن الزبير قائده عبّاس بن سهل في جند إلى المدينة لحفظها ، فخدع ابن سهل الجند العراقي ، وبعث اليهم بضيافة ، ثم غدر بهم ، فهجم عليهم وهم غارّون ، فقتل قائدهم ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورفع ابن سهل راية أمان لأصحاب بن ورس ، فدخل كثير منهم تحتها ، فغدر بهم ابن سهل ثانياً ، وقتلهم ، إلّا نحواً من مائتي رجل ، كره أناس ممن دفعوا إليهم قتلهم ، فخلوهم ، فمات أكثرهم في الطريق (الطبري ٦/٧١-٧٤).

وفي السنة ٦٧ حصر مصعب بن الزبير ، المختار بن أبي عبيدالثقفي ، في القصر بالكوفة ، مع الباقين من أصحابه وعددهم سبعة آلاف ، فحارب المختار حتى قتل ، أمّا أصحابه فإنَّ المصعب اعطاهم الأمان ، وكتب لهم كتاباً بأغلظ العهود ، وأشدّ المواثيق ، فخرجوا على أمانه ، فقدّمهم رجلاً

رجلاً ، فضرب أعناقهم ، فكانت إحدى الغدرات المشهورة في الإسلام (اليعقوبي ٢ / ٢٦٤) .

فقال عقبة الأسدي ، يخاطب مصعباً : (الطبري ٦/ ١١٦) .

قتلتم سبعة الآلاف صبراً   مع العهد الوثيق مكتّفينا
جعلتم ذمّة الحبطي جسراً   ذلولاً ظهره للواطئينا
وما كانوا غداة دعوا فغرّوا   بعهدهم بأوّل خائنينا

وذكر الطبري ٦/١١٣ : إنَّ مصعباً لقي عبدالله بن عمر ، فسلّم عليه ، وقال له: أنا ابن أخيك مصعب، فقال له ابن عمر : أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة ، في غداة واحدة ؟ عش ما استطعت ، فقال مصعب : إنّهم كانوا كفرة سحرة ، فقال ابن عمر : والله ، لو قتلت عدّتهم غنماً من تراث أبيك ، لكان ذلك سرفاً .

ولما فصل عبد الملك بن مروان عن دمشق ، متوجّهاً إلى الرحبة لمحاربة زفر ووصل إلى قنسرين ، بلغه أنّ عمرو بن سعيد بن العاص ، وثب بدمشق ، وتسمى بالخلافة ، وأخرج عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ، خليفة عبد الملك بدمشق ، وحوى الخزائن والأموال ، فانكفأ عبد الملك إلى دمشق ، فتحصّن عمرو بن سعيد ، ونصب له الحرب ، وجرت بينهما السفراء، حتى اصطلحا ، وتعاقدا، وكتبا بينهما كتاباً بالعهود والمواثيق ، والإيمان ، على أنّ لعمرو بن سعيد الخلافة بعد عبد الملك ، فأفسح عمرو لعبد الملك ، في دخول دمشق ، فدخلها، ثم دبّر على عمرو ، فقتله غدراً (اليعقوبي ٢ / ٢٧٠) .

وقد روى لنا صاحب كتاب الاخبار الطوال ، كيفية قتله ، فذكر أنّه أمر به ، فأخذ وأضجع ، وذبح ذبحاً ، ولفّ في بساط فتنادى أصحابه به بالباب ، فأمر فصرّت خمسمائة صرّة ، كلّ صرّة فيها ألفا درهم ، فألقيت إلى

أصحـاب عمرو ، وألقي معهـا برأس عمـرو ، فترك أصحـابـه الـرأس ملقى ، وأخذوا المال وتفرّقوا ، فلمـا أصبح عبـد الملك ، أخذ من أصحـاب عمرو ، ومـواليه خمسين رجـلاً ، فضرب أعنـاقهم ، وفرّ البـاقون فلحقـوا بعبد الله بن الزبير (الأخبار الطوال ٢٨٦) .

أقول : لما قتل عبد الملك بن مروان ، عمراً الاشدق ، بعث الى امرأة عمرو الكلبية وطلب منها أن تبعث إليه بكتاب الأمان الـذي كان كتبـه لعمرو ، فقـالت لرسـوله : ارجـع إليه فـأعلمه بـأنّي قـد لففت ذلـك الكتـاب معـه في أكفانه ، ليخاصمك به عند ربه (الطبري ٦/١٤٦ـ ١٤٧) .

وأمـر عبـد الملك ، بعـامـر بن الأسـود الكلبي ، أحـد قـوّاد عمـرو بن سعيد ، فأحضر أمامه ، فضرب رأسه بعصا خيزران كانت في يده ، وقال له : أتقـاتلني مـع عمـرو ، وتكـون معـه عليّ ؟ فقـال : نعم ، لأنَّ عمـراً أكـرمني وأهنتني ، وأدناني وأقصيتني ، وقرّبني وابعـدتني ، وأحسن اليّ وأسأتَ إليّ ، فكنت معه عليك ، فأمر عبد الملك به أن يقتل ، فقام إليـه أخوه عبـد العزيـز وقال : يا أمير المؤمنين ، خالي ، فـوهبه له (الطبري ٦/١٤٦) .

وفي معـركة الـزاويـة في السنـة ٨٢ بين الحجّـاج ، وعبـد الـرحمن بن الأشعث ، لجأ الحجّاج بعد أنتصاره إلى الغدر والخديعة ، فإنّـه أمر منـاديه ، أن ينادي : لا أمان لفلان بن فلان ، وسمّى رجالاً ، فقال العامّة : قد آمن من النـاس ، ما عـدا هؤلاء ، فحضروا عنـده ، فـأمـر بهم ، فقتلوا . (الـطبـري ٦/٣٨١ وابن الأثير ٤/٤٦٩) .

وفي السنة ٨٣ كان عمر بن أبي الصلت ، قد غلب على الريّ ، وانحاز إليه خلق كثير من أصحاب ابن الأشعث ، وأشاروا عليه فخلع الحجّاج وقتيبـة بن مسلم ، فحـاربه قتيبـة ، فـانفـلّ جيش عمـر ، ولحق بـطبـرستـان ، فـآواه الأصبهبـذ ، وأكرمـه ، فكتب الحجّاج إلى الأصبهبـذ ، أن يبعث إليـه بـرأس

عمر وأصحابه ، وتهدّده ، فدعا الاصبهبذ عمراً وأصحابه ، وقتل عمراً وأباه ، وبعث برأسهما إلى الحجاج (ابن الأثير ٤/٤٩٤-٤٩٥).

وفي السنة ٨٥ غدر يزيد بن هذيل بثابت بن قطبة ، فضربه بالسيف على رأسه ، وكان ثابت قد فرّ من أميّة بن عبدالله عامل خراسان ، إلى موسى بن عبدالله بن خازم ، ثم أوجس منه ، ففارقه واستجاش طرخون وأهل كس ونسف وبخاري ، فحصره موسى بن عبدالله بن خازم ، وبعث اليه يزيد بن هذيل ليغتاله ، فلما لجأ يزيد إلى ثابت ارتاب به ، وطالبه برهينة أن لا يغدر به ، فأعطاه ولديه ظهير وقدامة ، وتربّص يزيد بثابت حتى وجد فرصة فضربه بالسيف، فعضّ السيف برأسه ، ورمى يزيد بنفسه إلى النهر فنجا ، فأخذ ثابت ولدي يزيد فقتلهما ، وعاش ثابت سبعة أيّام ومات (الطبري ٦/٤٠٧-٤٠٨ وابن الأثير ٤/٥١٠).

وفي السنة ١٠٤ غزا سعيد الحرشي الصغد ، فحصرهم في خجندة ، وجرت على بابها معركة ضارية ، فانكسر الصغد ، وطلبوا الصلح ، فصالحهم على أن لا يحدثوا حدثاً ، فإن أحدثوا حلّت دماؤهم ، ثم بلغ الحرشي أنّ امرأة مسلمة قتلت ، فأحضر قاتلها فقتله ، فعمد الصغد إلى مائة وخمسين رجلاً من المسلمين كانوا عندهم أسرى فقتلوهم ، فانتقض الصلح ، وعاد الحرب ، فقتل من الصغد ثلاثة آلاف ، ثم توجّه الحرشي إلى حصن تحصّن به ديوشتي ، دهقان سمرقند ، فنزل ديوشتي على حكم الحرشي ، فأكرمه ، ثم وافى كتاب ابن هبيرة ، أمير العراقين وخراسان ، بإطلاقه ، فقتله الحرشي وصلبه ، ثم نزل على كش ، فصالحه ملكها سبكرى ، ونزل بالأمان، فغدر به وقتله وصلبه (ابن الأثير ٥/١٠٧-١٠٩).

وفي السنة ١٠٧ استعمل خالد القسري ، أمير العراقين وخراسان ، الجنيد بن عبد الرحمن على السند ، وكان ملك السند جيشبة بن داهر ، فتجنّى الجنيد عليه ، فجمع سفنه واستعدّ للحرب ، وكانت عاقبة المعركة ،

أن جنحت سفينة جيشبة بـه ، فأسـره الجنيد ، وقتله ، وهـرب أخوه صصّـه ، يريد العراق ، ليشكو غدر الجنيد ، فخدعه الجنيـد حتى جاء إليـه فقتله (ابن الأثير ٥/١٣٥).

وفي السنة ١١٩ غزا اسد القسري ، أمير خراسان ، بلاد الختل ، ونزل بدر طرخان الى أسد في الأمان ، ولم يحصل بينهما اتفاق ، فأمر أسـد بإعـادة طـرخان الى المـوضع الـذي نزل منـه ، لنزولـه في الأمـان ، وبعـد أن خـرج طرخان من عنده ، ندم على تركه ، فـأرسل خلفـه من يمنعه من الـوصول إلى قلعته ، وأعيد الى أسد ، فلما دخل عليه شتمه أسد ، فأدرك طرخـان أنّ أسداً قد نقض عهده ، فـرفع حصـاة من الأرض ، فرمى بهـا إلى السماء ، وقـال : هذا عهد الله ، وأخذ أخرى فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد محمد ، وأخذ يصنع كـذلك بعهـد أمير المؤمنين ، وعهـد المسلمين ، فأمـر أسد احـد الأولياء بأن يقطع عنقه ، فقطعها (الطبري ٧/١٣٥ـ ١٣٧).

أقـول : أورد ابن الأثير ٥/٢١٣ـ ٢١٤ القصـة بشكل آخـر ، قال : في السنة ١١٩ غزا أسد القسري الختل ، فوجّه مصعب بن عمير الخزاعي، فنزل بقرب بدر طرخان ، فطلب الأمان ليخرج الى أسد ، فأمّنه مصعب وسيّـره إلى أسد ،فسأله أسد أن يخرج من الختل كمـا دخل ، أي أن لا يخـرج معه شيئـاً من أمواله ، فقـال له بـدر طرخـان : أنت دخلت الى خراسـان على عشرة من الدواب ، ولو خرجت منها الآن ، لم تكفك خمسمائـة بعير لحمـل أثقالـك ، وغيـر ذلك ، إنّي دخلت الختـل شابـاً ، فآردد عليّ شبـابي ، وخذ مـا كسبت منها ، فأبى عليه أسد وردّه إلى مصعب ليمكنّه من العود إلى حصنـه ، ثم بدا لأسـد ، فأرسل رسولاً إلى مصعب يطلب إعادة بدر طرخان إليه ، فلمـا عاد ، أمر به فقطعت يده ، ثم أمر أحد أولياء أبي فديك الأزدي ، وكان بدر طرخـان قد قتله ، بأن يضرب عنق بدر طرخان فضرب عنقه ، وهرب أهل بدر طرخـان إلى الصين .

وفي السنة ١٢٨ قتَلَ حوثرة بن سهيل ، أمير مصر لمروان الحمار ، حفصاً بن الوليد الحضرمي ، قتله غدراً ، جاءه حفص مسلّماً ، فغدر به وقتله . (الاعلام ٢/٢٩٢).

وفي السنة ١٣٢ قُتِلَ حوثرة بن سهيل الباهلي ، أحد كبار القوّاد الأمويّين ، وكان قد دخل في أمان يزيد بن عمر بن هبيرة ، لما استسلم وفتح واسط للعبّاسين ، ولما غدر المنصور بيزيد بن عمر بن هبيرة ، وقتله ، قتل حوثرة معه (الاعلام ٢/٣٢٦).

وفي السنة ١٣٠ قتل أبو مسلم الخراساني ، علياً وعثمان ، ولدي جديع الكرماني ، وكان أبوهما جديع قد تزعّم اليمانية ، وحارب نصر بن سيّار عامل خراسان ، الذي كان قد تعصّب للمضرية ، ثم إنَّ نصراً قتل جديعاً ، فانحاز ولداه علي وعثمان، إلى أبي مسلم الخراساني ، وحاربوا نصراً ، فلما فر نصر من مرو ، واستولى عليها أبو مسلم ، أراد أن يفرّق بين الأخوين ، فولّى عثمان مدينة بلخ ، واتفق أبو مسلم ، مع أبي داود احد قوّاده ، على قتل الأخوين في يوم واحد ، فذهب أبو داود مع عثمان إلى مدينة بلخ ، وبقي علي مع أبي مسلم، وكان أبو مسلم قد طلب من علي أسماء خاصّته ليولّيهم الولايات ، فسمّاهم له ، وفي اليوم المتفّق عليه ، قبض أبو مسلم على علي بن جديع الكرماني ، وعلى جميع من سمّاه من خاصّته ، وقتلهم جميعاً ، أمّا عثمان ، فإنَّ أبا داود بعثه عاملاً على الختل ، فلما ترك بلخ مع خاصّته ، تبعهم أبو داود ، ووثب عليهم، وحبسهم جميعاً ، ثم ضرب أعناقهم صبراً (الطبري ٧/٣٨٦-٣٨٨).

وفي السنة ١٣٢ قام احد السفهاء ، وهو يحيى بن محمد العباسي اخو السفاح ، وكان قد ولّاه الموصل ، بمذبحة في الموصل ، قتل فيها ألوفاً من الناس ، فإنّه لما ولي الموصل ، سار إليها في اثني عشر ألف رجل ، ودعا من أهل الموصل في أحد الأيام ، إثني عشر رجلاً ، فقتلهم ، فنفر أهل

الموصل ، وحملوا السلاح ، فأعطاهم الأمان ، وأمر فنودي : من دخل الجامع فهو آمن ، فامتلأ الجامع ، فأقام يحيى جنوده على أبواب الجامع ، وأمرهم ، فقتلوا الناس قتلاً ذريعاً أسرفوا فيه ، فلما كان الليل ، سمع يحيى صراخ النساء اللاتي قتل رجالهنّ ، فأمر جنوده بقتل النساء والأطفال ، فقتلوا جماعة ، وكان في جيشه أربعة آلاف زنجي ، تعرّضوا للنساء ، وركب يحيى ، فاعترضته امرأة ، فقالت له ، ألست من بني هاشم ، أما تأنف للعربيات المسلمات ان ينكحهنّ الزنج ؟ فأثر كلامها فيه ، ولما كان الغد ، جمع الزنج للعطاء ، فلما اجتمعوا ، أمر بهم فقتلوا عن آخرهم ، وكان يحيى فدماً، ناقص العقل ، متخلّفاً في جميع أموره ، وأضاف إلى هذه المذبحة ، أنّه دخلت به بغلته إلى الجامع ، يوم الجمعة، وعليه سواده وشاشيته، وفي عنقه طبل ، وكانت عاقبته أن صرفه السفاح ، ولم يستعن به في مستقبل أيّامه (ابن الأثير ٥/٤٤٣- ٤٤٤ والهفوات النادرة ١٠٠- ١٠١).

وفي السنة ١٣٢ قام أبو جعفر المنصور ، بمذبحة غدر صلعاء قتل فيها يزيد بن عمر بن هبيرة وأصحابه ، وكان المنصور قد حصر بواسط ، يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقين للأمويين ، ثم جرت السفراء بينهما ، فجعل له أبو جعفر أماناً كتب به كتاباً ، ومكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه، وأنفذه إلى أبي جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلي أخيه أبي العباس السفّاح ، فأمره بإمضائه ، فأمضاه ، وخرج اليه ابن هبيرة بالأمان ، ثم غدر به أبو جعفر ، فإنّه بعث اليه ثلاثة من قوّاده، وأمرهم بقتله ، فدخلوا عليه في داره ، وكان يزيد جالساً وبني له صغير في حجره، ومعه ابنه داود ، وكاتبه عمرو بن أيّوب ، وحاجبه ، وعدّة من مواليه ، فلما قصدوه ، رأى نظرات الغدر منهم ، وقام حاجبه في وجوههم ، وقال لهم : وراءكم ، فضربه أحد القوّاد على حبل عاتقه ، فصرعه ، وقاتل داود بن يزيد ، حتى قتل ، وقتل موالي يزيد ، فنحى يزيد الصبيّ من حجره ، وقال : دونكم هذا الصبيّ ،

وخرّ ساجداً ، فقتل وهو ساجد ، وفي الوقت عينه بعث أبو جعفر فأحضر قوّاد يزيد ، وأمر بهم فكتّفوا ، ونزعت سيوفهم ، فقالوا : لقد أعطيتمونا عهدالله ، ثم خستم به ، إنّا لنرجو أن يدرككم الله ، وجعل أحدهم ابن نباتة يضرط في لحية نفسه (يعفط)، فقال له حوثرة : إنَّ هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقال : كأنّي كنت أنظر إلى هذا ، فقتلوا ، وأخذت خواتيمهم ، وأمّن أبو جعفر (المنصور) خالد بن سلمة ، من قوّاد ابن هبيرة ، فقتله ابو العباس (السفّاح) ولم يجز أمان أبي جعفر ، وهرب أبو علاقة ، وهشام بن هشيم ، فلحقهما حجر بن سعيد الطائي ، فقتلهما على الزاب ، وقال أبو عطاء السندي ، يرثي يزيد بن عمر بن هبيرة : (الطبري ٧/ ٤٥٠- ٤٥٧).

ألا إنَّ عيناً لم تجد يوم واسطٍ	عليك بجاري دمعها لجمود
عشيّة قام النائحات وشققت	جيوب بأيدي مأتم وخدود
فإن تمسِ مهجور الفناء فربّما	أقام به بعد الوفود وفود
وإنّك لم تبعد على متعهّد	بلى! كلّ من تحت التراب بعيد

وفي السنة ١٣٣ قتل القائد العباسي سليمان بن الأسود ، عبد الرحمن بن يزيد بن المهلّب غدراً ، وكان عبد الرحمن قد التحق بعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر لما أسّس مملكته بفارس ، ولما انفلّ جيش ابن معاوية ، ودالت دولته ، فرّ عبد الرحمن إلى عمان ، فكتب له القائد العباسي سليمان بن الأسود أماناً ، فنزل على أمانه، فغدر به ، وقتله (الطبري ٧/ ٣٧٢و ٣٧٣و ٤٦٠).

وفي السنة ١٣٥ قتل زياد بن صالح الحارثي ، من أمراء الدولة المروانية ، كان على الكوفة عند قيام العباسيّين في العراق وخراسان ، ولما اشتدّ أمرهم ، خرج برجاله إلى الشام ، فقصده أبو مسلم ، فتفرّق عن زياد أنصاره ، فلجأ إلى دهقان، فغدر به الدهقان ، وقتله وجاء برأسه إلى أبي مسلم . (الاعلام ٣/ ٩١- ٩٢).

وكان عبدالله بن علي ، عمّ المنصور ، غدّار ، معرقاً في الغدر ، فإنّه لما خرج على المنصور ، في السنة ١٣٧ حاصر حرّان ، وبها مقاتل بن حكيم العكّي ، خليفة المنصور على إمارة الجزيرة وأرمينية ، وأذربيجان ، ثم آمنه ، فنزل العكّي على أمانه ، وأقام معه يسيراً ، ثم بعث به إلى عثمان بن عبد الأعلى الأزدي ، عامله على الرقّة ، ومعه ابناه ، وكتب معه كتاباً ، فلما قدموا على عثمان ، قتل العكيّ وحبس ابنيه ، ولما بلغه هزيمة عبدالله بن علي ، أخرج الإبنين فضرب عنقيهما .

وتصرّف عبدالله ، التصرّف عينه ، مع حميد بن قحطبة ، فإنّه بعث به إلى زفر بن عاصم ، عامله على حلب ، وكتب معه كتاباً ، فلما كان حميد ببعض الطريق ، تفكّر في أمره ، وقال في نفسه : إنَّ ذهابي بكتاب لا أدري ما فيه غرر ، وفكّ الطومار ، وقرأ الكتاب ، فإذا فيه : إذا ورد عليك حميد بن قحطبة ، فاضرب عنقه ، فأخذ حميد ، طريق العراق .

وكما غدر عبدالله بابن أخيه فخرج عليه ، وبالعكيّ ، فقتله ، وقتل ولديه ، وبحميد بن قحطبة ، فأمر عامله بقتله ، فقد غدر كذلك بسبعة عشر ألفاً ، من جنده ، من الخراسانيين ، فإنّه ارتاب في أمرهم ، وخشي أن لا يناصحوه ، فأمر صاحب شرطته ، بقتلهم فقتلهم بأجمعهم (الطبري ٧/ ٤٧٠-٤٧٦) .

وكان عبدالله بن عليّ العبّاسي ، قد خرج على ابن أخيه المنصور ، فبعث اليه أبا مسلم ، وحاربه ، فانكسر عبدالله ، والتجأ إلى أخيه سليمان ، أمير البصرة ، ولما عزل المنصور سليمان عن البصرة في السنة ١٣٩ استتر عبدالله ، ومن معه من أصحابه ، خوفاً من المنصور ، فكتب المنصور إلى سليمان وعيسى ، عمّيه ، بالبصرة يسألهما إشخاص أخيهما عبدالله بن علي ، إليه ، وأعطاهما من الأمان لعبدالله ما رضياه ، ووثقا به ، وكانت نسخة الأمان ، قد وضعها ابن المقفّع ، وقد تضمّنت أغلظ العهود والمواثيق ، ألاّ

يناله بمكروه ، وأن لا يحتال عليـه في ذلك بحيلة ، وكـان في الأمان : فـإن أن فعلت ، أو دسست، فالـمـسلمـون بـراء من بيعتي ، وفي حــلّ من الإيمـان والعهود التي اخذتها عليهم فلما وقف أبو جعفر على هـذا ، قال : من كتبـه ؟ فقيل : ابن المقفع ، فكان هذا العهد سبباً لميتـة ابن المقفّع ، وقـدم سليمان من البصـرة ، فـأخـذ الأمـان ، وعـاد إلى البصـرة ، فشخص منهـا مـع أخيـه عيسى ،ومعهما عبدالله بن علي ، أخوهما ، وعـامة قـوّاده ، ومواليـه وخواص اصحـابه ، فلمـا قدمـوا على أبي جعفر ، دخـلا عليه ، فشـوغـلا حتى صرف عبدالله إلى مجلس أعدّه له ، فلما سألاه أن يأذن له في الدخـول عليه ، طلب منهما أن يحضراه إليه ، فلما خـرجا لم يـرياه ، ولمـا عادا إلى المنصـور منعا وأخـذت سيوف من حضـر من أصحابـه وحبسوا وقـد كـان القـائـد خفـاف بن منصور ، حذّرهم من ذلك ، فلما أخذت سيوفهم ، وحبسـوا ، أخذ خفـاف يضرط في لحية نفسـه (يعفط)، ويتفل في وجـوه اصحابـه ، ثم إنَّ المنصور امـر بقتل بعضهم في حضـرته ، وبعث البـاقين إلى عامله بخـراسان ، فقتلهم بها. (اليعقوبي٢/٣٦٨ـ ٣٦٩والطبري٧/٥٠١ـ ٥٠٢ وابن‌الأثير٥/٣٩٦ـ ٤٩٧).

وحـاول المنصور ، أن يغـدر بعيسى بن موسى ، الـذي كان وليّ عهـده فدحرجه إلى ولاية العهد بعد المهدي ، فيتخلّص منه ، ومن عمّـه عبدالله بن علي ، بحيلة واحدة ، فدعاه ، ودفع اليه عبدالله سراً ، وقال له : يا عيسى ، إنَّ هذا اراد ان يزيل النعمة عنيّ وعنك ، وأنت وليّ عهدي ، بعـد المهديّ ، والخلافة صائرة إليك ، فخذه فأضرب عنقه ، فأخذه عيسى ، ومضى المنصور لوجهه ، وكتب اليه من طريقه ثلاث مرات ، يسأله : ما فعـل في الأمر الـذي اوعز إليه فيه ؟ فكتب إليه : قـد انفذت مـا أمرتَ بـه ، فلم يشكّ أبـو جعفر ، في انـه قد قتـل عمّه عبـدالله ، وكان عيسى حين سـألـه قتله ، ودفعـه اليـه ، ستره ، ودعا كاتبه يونس بن فروة، فقال له : إنَّ هذا الرجل ، دفع إليّ عمّه ، وأمرني بقتله ، فقال له : أراد أن يقتله ويقتلك ، أمرك بقتله سـرّاً ، ثم يدّعيـه

عليك علانية ، فيقيدك به ، قال : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تستره في منزلك ، فلا تطلع على أمره أحداً ، فإذا طلبه منك علانية ، دفعته إليه علانية ، وقدم المنصور ، ودسّ إلى عمومته من يحرّكهم على مسألته هبة عبدالله لهم ، وأطمعهم أنّه سيفعل ، فجاءوا إليه ، وكلّموه ، ورقّقوه، فقال : نعم ، عليّ بعيسى بن موسى ، وقال له : يا عيسى ، إنّي أسلمت إليك عمّي وعمّك عبدالله ، وأمرتك أن يكون في منزلك، قال: نعم ، قال : فقد كلّمني عمومتك فيه ، فرأيت الصفح عنه ، فأحضره إلينا ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ألم تأمرني بقتله فقتلته، فقال له المنصور : كذبت ، ما أمرتك بقتله ، ثم قال لعمومته : ان هذا قد أقرّ بقتله أخاكم ، فشأنكم به ، فأخرجوه إلى الرحبة ، واجتمع الناس ، وقام أحدهم فشهر سيفه ، وتقدّم إلى عيسى ليضربه ، فقال له عيسى : أفاعل أنت ؟ قال : إي والله ، قال : لا تعجلوا وردّوني إلى أمير المؤمنين ، فردّوه إليه ، فقال له : إنّما أردتَ بسؤالي قتل عمّك ، أن تقتلني به ، هذا عمّك حيّ سويّ وأحضره إليه ، فسلم عيسى ، ثم إنّ المنصور قتل عمّه ، (الطبري ٨/٧- ٩).

وفي السنة ١٣٧ قتل المنصور أبا مسلم الخراساني ، وقد كانت له اليد الطولى في بناء الدولة للعباسيين ، وكان قد نفر من المنصور ، ومضى يريد خراسان ، فبعث إليه المنصور أبا حميد المرووذي ، رسولاً ، أمّنه ، وأكّد له إنّه إن قدم عليه فسوف يرفعه ويصنع به ما لم يصنعه أحد ، إن هو صلح وراجع ما يحبّ ، فعاد أبو مسلم مطمئناً إلى الوعد (الطبري ٧/ ٤٨٤).

فلما قدم على المنصور ، كان عيسى بن موسى يسايره ، فانشد عيسى :

سيأتيك ما أفنى القرون التي خلت ... وما حلّ في أكناف عادٍ وجرهم

فالتفت إليه أبو مسلم ، وقال له : هذا مع الأمان الذي أعطيت ؟

فحلف له عيسى ، إنّه تمثّل بهذا الشعر من دون تفكير (الهفوات النادرة ٩ و١٠).

وأعدّ أبو جعفر رجالاً من حرسه ، وأمرهم بالهجوم على أبي مسلم ، وقتله ، إذا سمعوا تصفيقه ، فلما دخل أبو مسلم ، وجلس ، قال له المنصور : أخبرني عن نصلين أصبتهما في متاع عبدالله بن علي ، فقال : هذا احدهما عليّ ، فقال : أرني إيّاه ، فأخذه منه أبو جعفر ، ووضعه تحت فراشه ، ثم بدأ فعاتبه ، حتى قال أبو مسلم : لا يقال هذا لي بعد بلائي وما كان منّي ، فقال له أبو جعفر : يا ابن الخبيثة ، والله ، لو كانت مكانك أمة لاجزت ناحيتها ، إنَّما عملت ما عملت بدولتنا ، ثم قال له : قتلني الله إن لم اقتلك ، وصفّق بيديه ، فخرج الرجال الذين كان اعدهم لقتله . فضربوه ، بالسيوف ، والمنصور يصيح بهم : إضربوا قطع الله أيديكم ، فصاح أبو مسلم ، لما ضربوه : يا أمير المؤمنين استبقني لعدوّك ، فقال له : وأيّ عدوٍ اعدى لي منك . (الطبري ٧/٤٩٢) .

وفي السنة ١٣٨ خلع جمهور بن مرّار العجلي ، بالريّ ، وملك اصبهان ، فتوجّه إليه محمد بن الأشعث ، في جيش عظيم ، ونشبت المعركة في الريّ ، وانهزم جمهور ، ولحق باذربيجان ، وهناك غدر به أصحابه ، فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى المنصور . (ابن الأثير ٤٥- ٤٨) .

وفي السنة ١٤٥ لما انتهت المعركة بين جيش المنصور ، ومحمد بن عبدالله بن الحسن بالمدينة ، قدم عبدالله بن الربيع ، على المدينة ، عاملاً عليها للمنصور ، فأخذ جنوده يعتدون على الناس في السوق ، وانتهبوا قسماً من المتاع ، وعدوا على رجل من الصيارفة يدعى عثمان بن زيد ، فغالبوه على كيسه ، فاستغاث حتى خلّصه منهم ، فاجتمع رؤساء المدينة ، وشكوا ذلك إلى الربيع ، فنهرهم الربيع وشتمهم ، ولم يغيّر شيئاً ، فطمع الجند فيهم ، وجاء رجل من الجند ، فاشترى من جزّار لحماً ، وأراد أن يأخذه بلا ثمن ، وشهر عليه السيف ، فخرج عليه الجزّار من تحت الوضم بشفرة فطعن

بها خاصرته ، فخرّ عن دابته، واعتوره الجزّارون فقتلوه ، فجمع ابن الربيع جنده ، حتى أتى السوق ، ومر بمساكين خمسة يسألون في طريق المسجد ، فحمل عليهم بمن معه ، فقتلوهم ، ثم مر بأصيبية على طنف دار ، فاستنزلهم ، وأختدعهم وآمنهم ، فلما نزلوا ضرب أعناقهم ، فتنادى السودان في المدينة ، وهجموا على الجنود ، فقتلوا كثيراً منهم بالعمد ، فأجلى ابن الربيع ومعه من بقي من عسكره هارباً ، ونزل ببطن نخلة من المدينة (الطبري ٧/ ٦٠٩- ٦١٢).

وفي السنة ١٦٠ فتك بشقنا، الخارج بالأندلس على عبد الرحمن الداخل . اثنان من أصحابه ، غدرا به فقتلاه ، وحملا رأسه الى عبد الرحمن (ابن الأثير ٦/ ٥٠).

وفي السنة ١٧٥ بعث هشام بن عبد الرحمن، صاحب الأندلس ، جيشاً بقيادة أبي عثمان عبيدالله بن عثمان ، لمقاتلة مطروح بن سليمان بن يقظان صاحب سرقسطة ، وحدث ان خرج مطروح يتصيّد ، مع اثنين من أصحابه ، وأرسل البازي على طائر ، فصاده ، فنزل مطروح ليذبحه ، فغدر به صاحباه ، واحتزا رأسه ، وقدما به على أبي عثمان ، فأرسل رأس مطروح إلى هشام ، وبادر هو إلى سرقسطة فدخلها (ابن الأثير ٦/ ١٢٣).

وفي السنة ١٩١ غدر عمروس ، حاكم طليطلة للحكم المرواني صاحب الأندلس ، بجماعة من أهل طليطلة ، إذ دعاهم إلى وليمة ، ثم قتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف ، وسبب ذلك إنَّ أهل طليطلة كانوا قد أكثروا من الخروج على الأمراء ، والثورة عليهم ، فلما أعيا الحكم امرهم ، استعمل عليهم عمروس بن يوسف ، المعروف بالمولّد ، وكتب إليهم : إنّي قد اخترت لكم فلاناً ، وهو منكم، لتطمئنّ قلوبكم ، فدخل عمروس طليطلة ، فأنس به أهلها ، وأحسن عشرتهم ، حتى وثقوا به ، ثم أعدّ لهم وليمة

عظيمة ، بمناسبة وصول عبد الرحمن بن الأمير الحكم ، إلى طليطلة ، فأتاه الناس أفواجاً ، وكان كلّما دخل فوج أخذوا إلى جماعة من الجند وقفوا على حفرة كبيرة في ذلك القصر ، فضربت رقابهم عليها ، فلما تعالى النهار ، أتى بعضهم فلم ير أحداً ، فقال : أين الناس ؟ فقيل : إنّهم يدخلون من هذا الباب ، ويخرجون من الباب الآخر ، فعلم الحال ، وصاح ، وأعلم الناس بهلاك اصحابهم (ابن الأثير ٦/ ١٩٩- ٢٠١) .

وفي السنة ١٩٦ خلف عبدالله من إبراهيم بن الأغلب ، والده ، في إمارة إفريقية فاستأمن اليه عمران بن مخلد ، وكان قد ثار بأبيه ابراهيم ، فأمّنه ، فجاء وأقام عنده ، وقيل لعبدالله : إنَّ هذا ثار بأبيك ، ولا نأمنه عليك ، فقتله (ابن الأثير ٦/ ١٥٧) .

وفي السنة ١٩٨ قُتِلَ محمد الأمين بن هارون الرشيد غدراً ، بعد أن خرج بالأمان ، وكان طاهر بن الحسين ، قائد جيش المأمون قد بذل الأمان للأمين إذا استسلم ، فأجاب الأمين الى الإستسلام على أن يخرج الى هرثمة ، فاشتدّ ذلك على طاهر ، وكمن له جماعة من أصحابه ، حتى إذا خرج إلى هرثمة وركب الحراقة برز له هؤلاء ، وشدّوا على حرّاقة هرثمة فنقبوها ، وتفرّق من كان فيها وشقّ الأمين عن ثيابه ، ورمى بنفسه إلى الماء ، فسحبوه من شعره ، وأخرجوه ، وحبس في حجرة من بيت بباب الشام ، عارياً إلّا من السراويل ، وهو يتساءل : هل يفون له بأمانهم ، أم يغدرون به ؟ ثم دخل عليه قوم من جند طاهر ، وقد سلّوا سيوفهم ، فعلم الأمين مرادهم ، ونهض يدفع عن نفسه بوسادة وجدها في الحجرة ، فبدره أحدهم ، فضربه بالسيف على مقدّم رأسه ، فضربه الأمين بالوسادة على وجهه، واتكأ ليأخذ منه السيف ، فصاح الرجل بالفارسية : قتلني، فهاجمه الباقون ونخسه أحدهم بالسيف في خاصرته ، وركبوه ، وذبحوه من قفاه ، وأخذوا رأسه ومضوا ، ثم جاءوا في السحر فأخذوا الجثّة ، ونصب رأس الأمين على البرج الذي كان

في البستـان الذي يلي بـاب الأنبار ، وخـرج من أهـل بغداد للنظر إليـه،ما لا يحصى ، وبعث طاهر برأس الأمين إلى خراسان ، فوضعه الفضل بن سهـل ، في ترس ، ودخل به إلى المأمون (العيون والحدائق ٣/٣٣٧ـ ٣٤٢).

وفي السنـة ٢١١ أمّن عامـر بن نافـع ، منصـوراً بن نصيـر الـطنبـذي ، بـإفريقيـة ، فلما نـزل على أمانـه ، سجنه وأخـاه ، ثم قتلهما معـاً (ابن الأثير ٦/٤٠٤ـ ٤٠٥).

أقول : تحرّك منصور هذا ، بإفريقيـة، على زيادة الله بن الأغلب ، في السنـة ٢٠٨ فسيّر إليه قائداً من قوّاده اسمـه محمد بن حمـزة في ٣٠٠ فارس، وأمره أن يأخذ منصوراً ، وأن يحمله اليه ، فلما وصل القائد إلى تونس ، كـان منصور في قصره خارج المدينـة ، فبعث إليه قـاضي تونس وأربعين شيخـاً من شيوخها ، يقبّحون له الخلاف ، فتظاهر منصور بالأذعان ، ثم تسلّل الى داخل البلد ، وقتل الجند الذين جاءوا مع محمد ، كما قتل عـامل تـونس اسماعيـل بن سفيـان بن سـالم بن عقـال ، فسيّـر اليـه زيـادة الله ، جيشـاً بقيـادة وزيـره غلبـون ، وهو الأغلب بن عبـدالله بن الأغلب ، فظفـر به منصـور ، ثم حصر زيادة الله في القيروان ، ثم ارتـد منكسراً ، وتفـرّق عنه قـوّاده ، واستولى كـلّ منهم على بلدة ، فحكم فيها ، ومنهم عامر بن نافع وعبد السلام بن المفرّج ، ثم إنَّ عامر اختلف مع منصور فحصره في قصره ، فـراسله منصور وطلب منـه الأمان على أن يركب سفينة تتّجه إلى المشرق ، فأمّنه ، غير أنّ منصوراً تسلّل إلى الأربس ، فـأدركه عـامر وحـاربه ، وحصـره ، فأرسـل منصـور إلى عبـد السلام بن المفرج ، أحد قوّاده الـذين انفصلوا عنه ، يـطلب منه أن يـأخذ لـه أماناً من عامر ، فأخذ له الأمان ، ولكنّ عامراً سيّر منصوراً مع خيل أمر قائـدها سـرّاً أن يأخـذه إلى جربـة ، ويسجنه بهـا ، ففعـل ذلـك ، وسجن معـه أخـاه حمدوناً ، ثم كتب عامر الى أخيه في جربـة أن يقتلهما ، فقتلهمـا (ابن الأثير ٦/٣٣٠ـ ٣٣٣ و٤٠٤ و ٤٠٥).

وفي السنة ٢٢٤ لما أراد سرخستان من أتباع المازيار بن قارن ، الثورة في آمل ، دعا جماعة من ابناء القوّاد ، وغيرهم من أهل آمل ، لهم جلد وشجاعة ، فجمع في داره منهم مائتين وستّين فتى ، وقال لهم إنّه يريد جمعهم للمناظرة ، فلما حضروا ، غدر بهم وكتّفهم ودفعهم إلى الأكرة ليلاً ، فصاروا بهم إلى قناة هناك ، فقتلوهم ، ورموا بهم في آبار تلك القناة (الطبري ٩/٨٦ـ ٨٧) .

وفي السنة ٢٥٢ تم الإتّفاق مع المعتزّ ، أن يخلع المستعين نفسه ، على أنّ له الأمان ، ولأهله وولده ، وما حوته أيديهم من أملاكهم ، على أن ينزل مكّة هو ومن شاء من أهله، وأن يقيم بواسط العراق الى وقت مسيره إلى مكّة ، فوافق المعتزّ على هذه الشروط ، وكتب بخطّه : إنّه متى نقض شيئاً منها ، فالله ورسوله منه براء ، والناس في حلّ من بيعته ، وأضاف إليها عهوداً يطول ذكرها ، فخلع المستعين نفسه ، وبايع المعتزّ ، وانحدر إلى واسط ، ولكنّ المعتزّ لم يلبث ان غدر بالمستعين ، فأمر بأن يحمل من واسط الى سامراء ، حتى إذا كان في طريقه وقد قرب من سامراء لاقاه القائد سعيد بن صالح الحاجب ، فقتله ، واحتزّ رأسه ، وحمله إلى المعتزّ بالله ، وترك جثّته ملقاة على الطريق ، حيث تولّى دفنها جماعة (مروج الذهب ٢/٤٤٦و ٤٤٧).

أقول : اختلف المؤرخون في كيفية مقتل المستعين ، وقد أشرنا إلى ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

قال شاهك الخادم : كنت عديلاً للمستعين ، لما اشخصه المعتزّ من واسط إلى سامراء ، ونحن في عمّارية ، فلما وصلنا إلى القاطول ، تلقّانا جيش كبير ، فقال : يا شاهك انظر من رئيس القوم ؟ فإن كان سعيد الحاجب فقد هلكت ، فلما عاينته قلت : هو والله سعيد ، فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ذهبت والله نفسي ، وجعل يبكي فلما قرب منه سعيد جعل يقنّعه

بالسوط ، ثم أضجعه وقعد على صدره ، واحتزّ رأسه ، وحمله (مروج الذهب ٢/٤٤٨)

وفي السنة ٢٥٦ بلغ أبا نصر محمد بن بغا ، أنّ المهتدي تكلّم فيه ، فتخوّفه ، وهرب ، فكتب إليه المهتدي أربعة كتب ، أعطاه فيها الأمان على نفسه ومن معه ، فوثق بكلامه ، وعاد ، فأخذه المهتدي وحبسه ، وبعد أن قتل المهتدي ، طلبوا أبا نصر ، وهم يحسبون أنّه ما زال محبوساً في دار المهتدي ، فدلّوا على موضعه ، فوجد مذبوحاً ، إذ أنّ المهتدي قتله ، ورمى به في بئر من آبار القناة ، فأخرج وقد أراح ، فاشتري له ثلثمائة مثقال مسك ، وستمائة مثقال كافور ، وصيّر عليه فلم تنقطع الرائحة (الطبري ٩/ ٤٦٠).

أقول : لما دفن محمد بن بغا ، كسرت الأتراك على قبره الف سيف ، وكذلك يفعلون بالسّيد منهم إذا مات .

وفي السنة ٢٥٩ قتل ابو عبد الرحمن العمري ، وكان قد ظهر في جنوبي مصر ، غضباً لله والمسلمين ، لأنّه رأى البجاة نهبوا وقتلوا المسلمين ، فتصدّى لهم وحاربهم ودخل بلادهم فنهبها ، حتى أدّوا له الجزية ، واشتدّت شوكته ، وكثر أتباعه ، وبلغ خبره ابن طولون ، فبعث إليه جيشاً ، فقال العمري لمقدّم الجيش : إنّي لم أخرج للفساد ، ولم يتأذّ بي مسلم ولا ذمّي ، وإنّما خرجت طلباً للجهاد ، فاكتب إلى الأمير أحمد ، وعرّفه حالي ، فلم يجبه ، وحاربه ، فانهزم جيش ابن طولون ، ولما عادوا إليه ، أخبروه بحال العمري ، فقال : إنّه نصر عليكم ببغيكم ، وتركه فلما كان بعد مدّة ، وثب على العمري ، غلامان له فقتلاه ، وحملا رأسه إلى ابن طولون ، فسألهما عن سبب قتلهما له ، فقالا : أردنا أن نتقرّب إليك بذلك ، فقتلهما ، وأمر برأس العمري ، فغسل ، وكفن، ودفن ، (ابن الأثير ٧/ ٢٦٤ـ ٢٦٥).

ومن حوادث الغدر الفظيعة ، ما صنعه علي بن أبان المهلبي ، أحد قوّاد

صاحب الزنج ، لما قصد البصرة ، وكان بها بغراج التركي ، فأقام يقاتل أهلها يومين ، ودخلها في اليوم الثالث ، وكان يوم جمعة ، وقت الصلاة ، فأقبل يقتل الناس ، ويحرق المنازل والأسواق ، فجاء إليه ابن عمّه إبراهيم بن محمد المهلّبي ، فاستأمنه لأهل البصرة ، فأمّنهم ، ونادى مناديه : من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم بن محمد المهلّبي فحضر اهل البصرة قاطبة ، حتى ملأوا الدار والأزقّة ، فلما رأى اجتماعهم ، أمر بأخذ السكك والطرق عليهم ، وغدر بهم ، وأمر الزنوج فوضعوا فيهم السيف ، فقتلهم جميعاً (شرح نهج البلاغة ١٤٦/٨).

وفي السنة ٢٧٦ تملك محمد بن عبد الرحمن التجيبيّ ، مدينة سرقسطة ، غدراً ، إذ كان مع أبيه في قلعة أيّوب ، واتفق مع أبيه على الغدر بصاحب سرقسطة ، والاستيلاء عليها ، فأظهر محمد إنّه على خلاف مع والده ، والتجأ إلى صاحب سرقسطة ، ثم انتهز فرصة ، فقتله غدراً ، واستولى على سرقسطة ، فلما استولى عليها ، جاءه أبوه ، يريد الدخول الى البلدة ، فأغلق الباب في وجهه ، واستقلّ بها حتى هلك في السنة ٣١٢ (الاعلام ٦٢/٧).

وفي السنة ٢٨٠ افتتح محمد بن أبي الساج مراغة ، بعد حصار شديد ، وحرب غليظة ، ثم أخذ صاحبها عبدالله بن الحسين ، بعد أن آمنه وأصحابه ، فقيّده ، وحبسه ، وقرّره بجميع أمواله ، ثم قتله بعد ذلك (الطبري ٣٣/١٠ـ وابن الأثير ٤٦٤/٧).

وفي السنة ٢٨٣ حارب رافع بن هرثمة ، عمرو بن الليث الصفّار ، فظفر عمرو ، وانفل جيش رافع ، فوجّه اليه أمير خوارزم نائباً يقوم بخدمته وما يحتاج إليه ، إلى أن يصل إلى خوارزم ، فوجده النائب في خفّ من أصحابه ، فغدر به ، وقتله ، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث ، فأنفذه عمرو

الى بغداد ، فنصب في الجانب الشرقي إلى الظهر ، وفي الجانب الغربي بقيّة النهار ، ثم ردّوه إلى دار السلطان (وفيات الأعيان ٦/ ٤٢٤ـ ٤٢٥) .

وفي السنة ٢٨٩ غدر القاسم بن عبيد الله ، وزير المكتفي ، بالقائد بدر المعتضدي ، فأحضر القاضي أبا خازم ، ودفع إليه كتاب أمان لبدر من المكتفي ، وأمره أن يمضي إلى بدر ، وأن يعطيه الأمان من أمير المؤمنين المكتفي ، على نفسه ، وماله ، وولده ، فقال له أبو حازم : أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين ، حتى أؤدّيه إليه .

فقال له الوزير : أنا لسان أمير المؤمنين ، وما أظنّك تتهمني في الحكاية عنه .

فقال القاضي : أفأقول لبدر ، إنّ الوزير قال لي ؟

قال : لا .

قال : فأكذب ؟

فقال له : انصرف، حتى أستأذن لك .

ثم دعا القاضي أبا عمر محمد بن يوسف ، وأمره بمثل ما أمر به أبا خازم ، فسارع إلى إجابته، واستقرّ الأمر على أن يدخل بدر بغداد ، سامعاً ، مطيعاً ، فلما قرب ، بعث القاسم بعض الخدم ، فأخذه من السفينة ، ومضى به الى جزيرة ، ودعا بسيف فقتله ، وعاد أبو عمر القاضي إلى داره كئيباً، حزيناً . (المنتظم ٦/ ٣٥ـ ٤٣) .

وفي السنة ٢٩٠ سار الحسين بن زكرويه ، رأس القرامطة ، إلى حماة ، ومعرّة النعمان ، فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ، ثم سار إلى بعلبك ، فقتل عامّة أهلها ، حتى لم يبق منهم أحد إلاّ اليسير ، ثم سار إلى سلمية ، فحاربه أهلها ، ومنعوه الدخول ، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ، ففتحوا له بابها ، فلما دخلها غدر بهم ، وبدأ بمن فيها من بني هاشم

فقتلهم ، ثم ثنى بـأهل سلمية ، فقتلهم جميعاً ، ثم قتـل البهـائم، ثم قتـل صبيان الكتاتيب ، وخرج منها وليس بها عين تطرف (الطبري ١٠/ ١٠٠).

وفي السنة **٢٩٣** قصد القرامطة بقيادة صاحب الشامة ، وهو أخ للحسين بن زكـرويه ، طبـريّة ، وحصـرها ، ثم دخلهـا عنوة ، فقتـل عامّـة من بها من الرجال والنساء ونهبها ، ثم قدم قائد آخر للقرامطة سمّوه نصراً (واسمـه الأوّل ابو غانم عبدالله بن سعيد) فسـار الى مدينتي بصـرى وأذرعات ، من كـورتي حـوران والبثنيّة ، فحـارب أهلها ، ثم آمنهم ، فلمـا استسلموا ، غـدر بهم ، فقتـل مقـاتلتهم ، وسبى ذراريهم ، واستصفى أمـوالهم ، ثم قصـدوا دمشق ، فتصـدّى لهم صالـح بن الفضل شحنـة دمشق ، فاغتـروه ببذل الأمـان له ، ثم قتلوه ، وفضّـوا عسكـره ، ولكنّهم لم يتمكنّـوا من دخـول الشـام ، فقصـدوا طبـريّة ، ثم الأردن ، فحـاربهم يوسف بن ابـراهيم عامـل الأردن ، فبذلـوا له الأمان ، ثم غدروا به ، فقتلوه ، ونهبوا مـدينة الأردن ، وسبـوا النساء ، وقتلوا طائفة من أهلها ، ثم أسروا إلى هيت ، فصبحوها، ونهبوا ربضها ، وقتلوا من قدروا عليه من أهلهـا ، وأحرقـوا منازلهـا ، ثم أنّ أحد بني كلب ، وثب على نصـر فقتله ، وحمل رأسـه إلى مدينـة السـلام منصـوبـاً على قنـاة (الـطبـري ١٠/١٢٣ـ ١٢٤ـ ١٢٩).

وفي السنة **٢٩٤** اعترض زكرويه القرمطي ، قافلة الحاجّ الخـراسانيـة ، بالعقبة من طريق مكّة ، فأوقع بها ، وقتلوا النساء والرجال ، وسبـوا من النساء من أرادوا، واحتووا على من كان وما كان في القافلة، ثم واجهوا القافلة الثانية فقتلوا من فيهـا عن آخـرهم ، إلاّ من استعبـدوه ، ثم لحقـوا من أفلت من السيف ، فأعطوهم الأمـان ، فعادوا ، فقتلوهم جميعـاً ، وسبوا من النسـاء من أرادوا ، وكان في القافلة الثانية أبو العشائر الحمداني ، فوضعوا القتلى بعضهم على بعض ، حتى صـاروا كـالتـلّ العـظيم ، ثم قـطعـوا يـدي أبي العشـائـر

ورجليـه ، ثم ضربـوا عنقه ، وكـان نسـاء القـرامـطة يـطفن مـع صبيـانهم في القتلى ، يعــرضـون عليهم المــاء ، فمن كلّمهم اجهـزوا عليــه (الـطبــري ١٠/ ١٣١- ١٣٢).

وفي السنـة ٣١٦ رغب اسفار بن شيـرويـه الـديلمي في الإستيـلاء على قلعة ألموت ، وهي قلعـة على جبل شـاهق في حدود الـديلم ، وكانت لسيـاه جـشم بن مالك الديلمي ، ومعناه الأسود العين ، لأنّه كانت على إحدى عينيـه شامة ، فراسله أسفار ، ومنّـاه ، فقدم عليـه ، فسألـه ان يجعل عيـاله (عيـال أسفار) في قلعة الموت ، وولّى سيـاه جشـم مدينة قزوين ، فأجابه الى ذلك ، فنقل عياله وأصحابه اليها ، ثم كان يرسل اليهم من يثق به من أصحابه ، فلما حصل فيها مائة رجـل ، استدعـاه من قزوين ، فلمـا حضر عنـده قبض عليه ، وقتله بعد أيّام (ابن الأثير ٨/ ١٩٠- ١٩١).

وكان أسفار لما اجتاز بسمنـان ، امتنع محمـد بن جعفر السمنـاني، من النزول اليه ، وتحصّن بحصنه في قرية رأس الكلب ، فحقدهـا عليه أسفـار ، فلمـا استولى على الـريّ ، بعث إليه جنـداً ، وعليهم إنسـان يقـال لـه : عبـد الملك الـديلمي ، فحصـروه ، فلم يمكنهم الـوصـول اليـه ، فتـوصّــل عبـد الملك ، بـإرشاد من أسفـار ، أن يلوّح لمحمد بن جعفـر بالصلح ، ثم أغـراه بأن يدعوه إلى حصنه ، فدعاه، فحضـر في جماعـة من أصحابـه تركهم تحت الحصن ، ودخل عبد الملك وحده ، فتحادثـا ساعـة ثم طلب عبد الملك منه الخلوة لحديث خاص فلما اختلى به ، وثب عليه فقتله ، وكان محمد منقرسـاً زمناً، ثم اخرج عبد الملك حبلاً من حـرير ، فتـدلّى به ، ونـزل ، وتخلّص ، وأحسّ أصحـاب محمد بمـا حصل ، فقتلوا كـل من كـان عنـدهم من الـديلم (ابن الأثير ٨/١٩١- ١٩٢).

أقول : كان أسفار بن شيرويه هذا ،يستمرىءالغدر ، ولما استولى على بلاد طبرستان ، والري وجرجان ، وقزوين، وزنجان، وأبهر، وقـم ، والكرج،

أخذ يحتال للقبض على العلويين، فأوعز إلى أحد اخصائه واسمه هارون بن بهرام ، أن يتزوّج ابنة أحد أعيان آمل ، وان يدعو إلى العرس أبا جعفر العلوي وغيره من رؤساء العلويّين ، ففعل ذلك ، وسار أسفار مجداً من سارية ، حتى وافى آمل في وقت الإحتفال ، وهجم على الحفل الموجود في دار هارون ، فقبض على أبي جعفر ، وعلى جميع العلويّين الذين معه ، وحملهم إلى بخاري ، فاعتقلوا بها (ابن الأثير ٨/ ١٩٠).

وفي السنة ٣٢٠ لما قتل المقتدر ، وبويع أخوه القاهر محمد بن المعتضد ، استحلفه القائد مونس المظفر ، لنفسه ، ولحاجبه يلبق ، ولولده القائد علي بن يلبق ، وأخذوا خطّه بذلك ، ثم غدر بهم فاعتقل الثلاثة ، وأمر بهم فذبحوا بحضرته (ابن الأثير ٨/٢٤٥- ٢٦٠ ، ٢٦١).

وفي السنة ٣٢٥ خالف أهل جرجنت في صقلية على أميرهم سالم بن راشد ، عامل القائم العلوي ، صاحب إفريقية ، وكان سيء السيرة في الناس ، فأخرجوا عامله عليهم ، فسار إليهم سالم ، وحاربهم فهزموه ، وعاد على رأس جيش آخر ، فهزموه أيضاً ، ثم ثار أهل المدينة في صقلية ، على عامل سالم ، فأخرجوه أيضاً ، وحاربهم سالم ، فهزمهم ، وحصرهم بالمدينة ، فراسلوا القائم بالمهدية، فاستعمل عليهم خليل بن اسحاق ، فارتابوا في تصرّفات خليل ، وحاربوه ، وفي السنة ٣٢٧ خالف على خليل جميع القلاع وأهل مازر ، وفي السنة ٣٢٨ عاود خليل حصر جرجنت ، ودامت محاصرته لها إلى السنة ٣٢٩ فانتقل كثير من أهلها إلى ديار الروم ، وطلب الباقون الأمان ، فأمّنهم ، ثم غدر بهم ، فحملهم إلى المدينة ، ثم جعلهم في مركب ، وأمر بنقبه وهو في لجّة البحر ، فغرقوا (ابن الأثير ٨/٣٣٧- ٣٣٩).

ومن الغدر القبيح ، ما صنعه ناصر الدولة ، الحسن بن عبدالله بن حمدان ، بابن رائق أمير الأمراء ، وكان ناصر الدولة ، في السنة ٣٣٠ نازلاً

بـالبرّ الشـرقي ، بأزاء المـوصل ، فعبـر إليه الأميـر أبو منصـور ، ابن الخليفة المتّقي ، ومعـه أبو بكـر بن رائق ، فلقيهم أجمل لقـاء ، ونثر على الأميـر أبي منصور ، الدنانير ، والدراهم ، فلما أرادوا الإنصراف من عنده ، ركب الأميـر أبو منصور ، ثم قدّم فرس ابن رائق ، ليـركب من داخل المضـرب ، فأمسـك ناصر الدولة كمّه ، وقال له : تقيم عندي اليوم لنتحدّث .

فقال له ابن رائق : أريد أن أرجع مع الأمير ، وليكن في يوم آخر .

فألحّ عليه ابن حمدان ، فجذب ابن رائق كمه من يده ، فتخرّق ، وكان رجله في الـركاب ، فشبّ بـه الفرس ، فـوقع ، وقـام يركب ، فصـاح نـاصـر الدولة بغلمانه : ويلكم ، لا يفوتكم .

فـوضعـوا عليـه السيـوف ، فقتلوه (ابن الأثيـر ٣٨٢/٨ وتجـارب الأمم ٢/٢٧ـ ٢٨) .

أقول : إنَّ اجتماع ناصر الدولة ، والأميـر أبو بكـر بن رائق ، كان بعـد تردد الرسـل بينهما ، إلى أن تـوثّق كلّ من الآخـر بالأيمـان والعهود والمـواثيق (تجارب الأمم ٢/٢٧) وإضافة إلى المواثيق والعهـود والأمان ، فـإنَّ ابن رائق كان ضيف ناصر الدولة ، وفي خبائه ، فكان تصرّف ناصـر الدولـة في قتله ، صفقة غادرة، يأنف منها العربيّ . .

وممـا يبعث على الأسف ، إنّ كثيراً من الـرؤسـاء ، في ذلـك الحين ، كـانوا يفكّـرون في الغدر ، أكثـر مما يفكّـرون في الـوفـاء ، ومن الأمثلة على ذلك ، إنَّ ناصـر الدولـة الحمداني ، كـان قد قـارعه جيش من الأتـراك ، في السنـة ٣٣٥ فـأصعـد إلى المـوصـل ، ثم إلى نصيبين ، والجيش في طلبـه ، فاستنجد بمعز الدولة ، فانجـده بجماعـة من قوّاده ، وانفـذ من بعدهم وزيـره الصيمري ، فاجتمعوا مع ناصر الدولة ، وواقعـوا الأتراك ، وكسـروهم ، وجاء ناصر الدولة ،فزار الصيمري في خيمته ، ولم يلبث إلاَّ قليلاً ، ثم خـرج ولم

يعد إليه ، وحكي عن ناصر الدولة ، إنّه قال : لما حصلت مع أبي جعفر الصيمري في خيمته ، ندمتُ ، وعلمت أنّي قد اخطأت وغررت ، فبادرت إلى الإنصراف ، وحكي عن الصيمري إنّه قال : لما خرج من عندي ناصر الدولة ، ندمت على تركي القبض عليه ، وعلمت أنّي قد ضيّعت الحزم ، وأخطأت، وفاتني الصواب (تجارب الأمم ٢/١٠٩ـ ١١٠).

وفي السنة ٣٣٣ حصر ابو يزيد الخارجي ، الثائر بافريقية ، مدينة القيروان ، واستنزل عاملها بالأمان ، ثم غدر به فقتله ، وقتل كثيراً من أهلها (ابن الأثير ٨/٤٢٥).

أقول : كان أبو يزيد هذا غداراً ، وكان قبيح الصورة ، قصيراً، أعرج ، وأعمال غدره عديدة، فإنّه دخل الأربس ، فأحرقها، واجتمع الناس في الجامع ، فقتلهم فيه ، ودخل باجة فأحرقها ، وقتل الأطفال، وسبى النساء ، وبلغ من حقد الناس عليه وعلى أصحابه ، إنّه انكسر في إحدى المواقع ، وقتل من جيشه أربعة آلاف ، وأسر خمسمائة ، حملوا إلى المهدية في السلاسل ، فهجم الناس عليهم وقتلوهم وكانت عاقبة أبي يزيد هذا ، أن قتل في السنة ٣٣٦ بعد أن عاث في إفريقية عيثاً شديداً .

ومن اسوأ الأمثال على الغدر والقتل ، ما صنعه مخلوق اسمه وهسوذان بن محمد بن مسافر ، فإنَّ أخاه السلار المزربان ، صاحب أذربيجان ، توفّي في السنة ٣٤٦ وأوصى أخاه وهسوذان بأولاده ، فطمع وهسوذان في التغلّب على أذربيجان ، وأن يطرد أبناء أخيه ، فلم يتمكّن ، فترك أردبيل الى الطرم ، وشرع في الإفساد بين أولاد أخيه ، وتفريق كلمتهم ، وإطماع أعدائهم فيهم ، فراسل ابراهيم بن المرزبان ، واستزاره ، فزاره ، فأكرمه عمّه، وأغراه بأخيه جستان ، ثم كاتب ناصر بن المرزبان ، واستغواه ، ففارق أخاه جستان ، ثم أفسد على جستان جنده ، فانحاز الكثير منهم إلى أخيه ناصر بن المرزبان ، فقوي بهم على أخيه جستان، واستولى على أردبيل ، ثم إنَّ ناصراً طالبه جنده

بالأموال ، فاستعان بعمّه وهسوذان ، فقعد عن نصرته ، فأحسّ ناصر بأنّ عمّه وهسوذان يلقي الفتنة بينهم ، فراسل أخاه جستان ، وتصالحا، واجتمعا ، وأرادا إصلاح عمّهما ، فكاتباه ، وأخذا عليه العهود ،وسارا اليه مع أمّهما ، فلما حصلوا عنده ، غدر بهم ، وقبض عليهم ، وحبسهم ، فسار إبراهيم بن المرزبان إليه يريد استخلاص أخويه من حبس عمّهما، فلما بلغ وهسوذان ذلك ، بادر فقتل ابني أخيه جستان وناصر ، وقتل معهما أمّهما أيضاً (ابن الأثير ٨/ ٥١٩ـ ٥٣٠ـ ٥٣١).

وفي السنة ٣٥١ نزل الروم بقيادة الدمستق ، على عين زربة ، فطلب أهلها الأمان ، فأمّنهم ، ثم غدر بهم ، فأمر بأن يجتمع أهل البلد بالمسجد الجامع ، ومن تأخّر قتل ، فخرج من أمكنه الخروج ، فقتل كلّ من بقي في منزله ، خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان ، ثم جمع السلاح من البلد ، ثم أمر جميع أهل البلد ، أن يبارحوه إلى حيث شاءوا ، ومن أمسى قتل ، فخرجوا ، فماتوا في الطرقات ، وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار ، ثم استولى الدمستق على ٥٤ حصناً للمسلمين ، وفي أحد هذه الحصون ، وكان فتح بالأمان ، لما خرج اهله ، تعرّض احد الأرمن ببعض حرم المسلمين ، فلحق المسلمين غيرة عظيمة، وجرّدوا سيوفهم ، فأمر الدمستق بقتل جميع المسلمين ، وكانوا أربعمائة رجل ، فقتلوا ، وقتل معهم جميع النساء والصبيان (ابن االأثير ١/ ٥٣٨ و ٥٣٩).

وفي السنة ٣٥١ قصد الدمستق مدينة حلب ، في جيش تعداده مائتا ألف من الروم ، فحاربه سيف الدولة ، فلم يطقه ، وهدم الروم من سور حلب ثلثه ، فقاتلهم اهل حلب عليها ، فقتل من الروم كثير ، ولما جنهم الليل عمّروها ، ثم إنّ رجال الشرطة بحلب ، قصدوا منازل الناس ، وخانات التجار لينهبوها ، فلحق الناس أموالهم ليمنعوها ، فخلا السور منهم ، فاقتحم الروم البلد ، وقتلوا من وجدوا ، ولم يرفعوا السيف إلاّ بعد أن ملّوا

وضجروا ، وكان في حلب ألف وأربعمائة أسير من الروم ، فتخلّصوا، وأخذوا السيوف ، وقتلوا المسلمين ، وسبى الروم من البلد بضعة عشر ألف صبيّ وصبيّة ، ثم تقدّم ابن أخت الملك ، وهو أحد قوّاد الجيش يريد الإستيلاء على القلعة ، فلما تقدّم الى باب القلعة ، أصابه حجر فسقط ، ورمي بخشت فقتل ، فلما رآه الدمستق قتيلاً ، أمر بمن معه من أسرى المسلمين، وكانوا ألفاً ومائتي رجل فقتلوا بأجمعهم (ابن الأثير ١ / ٥٤٠ـ ٥٤٢).

وفي السنة ٣٥٤ غدر نقيب ديلمي ، من أتباع معزّ الدولة البويهي ، اسمه كردك ، وقتل مستأمناً عمانياً ، بأن غرّقه واستولى على ما عنده ، وتفصيل ذلك إنَّ عمانياً يقال له النوكاني ، اتفق عليه أهل عمان ، فأمّروه عليهم ، فكتب اليه معز الدولة يتهدّده ، ويطالبه بتسليم البلد ، فأجاب ، وطلب اليه ان يبعث من يتسلّم البلد ، فثار به العمانيّون ، وعزلوه ، وخيّروه موضعاً ينفى إليه ، فاختار البصرة ، وجمع متاعه ، وأمواله ، وصكاك ضياعه وعقاره ، وكلّ ما يملك من قليل وكثير ، وحمله في مركب متجهاً إلى البصرة ، فلاقاه في طريقه نقيب ديلمي، اسمه كردك ، كان معزّ الدولة قد بعثه ليتسلّم عمان ، فلما تلاقيا ، طرح اليه ، وصعد ليتعرّف خبره ، فوجده في نفر يسير، فطمع فيه ، وبات معه في مركبه ، ودبّ اليه ليلاً ، فقيده ، وطرحه في البحر ، واستولى على المركب وما فيه ، لزيادة التفصيل راجع كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ١ ص ٣٤٨ رقم القصة ١٨٥ . .

وفي السنة ٣٦٩ سيّر عضد الدولة البويهي جيشاً إلى الأكراد الهكارية ، في أعمال الموصل ، فحصر قلاعهم ، وكانوا ينتظرون نزول الثلج ليرحل الجيش عنهم ، فتأخّر نزول الثلج ، فاضطروا إلى طلب الأمان ، فأجيبوا إلى ذلك ، وسلّموا قلاعهم ، ونزلوا مع العسكر إلى الموصل ، فلم يفارقوا قلاعهم غير يوم واحد ، ونزل الثلج ، ثم إنَّ مقدّم الجيش ، غدر بهم ،

وصلبهم على جانبي الطريق من معلثايا الى الموصل ، نحو خمسة فراسخ (ابن الأثير ٨/٧٠٩) .

وفي السنة ٣٧٩ لما أشفى السلطان شرف الدولة على الهلاك ، سأله أعيان اصحابه أن يملّك عليهم أحداً ، فقال : أنا في شغل عما تدعوني إليه ، فطلبوا منه أن ينيب عنه أخاه بهاء الدولة أبا نصر ، إلى أن يتعافى ، ليحفظ الناس ، ولئلا تثور فتنة ، ففعل وتوقّف بهاء الدولة عن القبول ، ثم أجاب ، فلما توفّى شرف الدولة ، جلس بهاء الدولة للعزاء ، وركب اليه الطائع ، فتلقّاه بهاء الدولة ، وقبّل الأرض بين يديه ، وانحدر الطائع إلى داره ، وخلع على بهاء الدولة خلع السلطنة ، وكان شرف الدولة لما اشتدّ مرضه ، جهّز ولده الأمير أبا علي ، وسيّره الى فارس مع والدته وجواريه ، وسيّر معه من الأموال والجواهر والسلاح اكثره ، واستقرّ أبو علي بأرجان ، فكتب إليه عمّه بهاء الدولة بأن يسير إليه ، فسار إليه ، فلقيه بواسط في السنة ٣٨٠ فأنزله ، وأكرمه، ثم قبض عليه ، وقتله (ابن الأثير ٩/٦٢-٦٣) .

وفي السنة ٣٨١ أنفذ خلف بن أحمد ، صاحب سجستان، إلى كرمان من دفع تمرتاش عنها ، فانصرف تمرتاش إلى فارس ، واستنجد بصمصام الدولة ، فأنجده بجيش على رأسه أبو جعفر النقيب ، واتّفق معه على أن يعتقل تمرتاش إذا خرج لاستقباله ، فاعتقله أبو جعفر ، وحمله إلى شيراز ، فحبسه العلاء ، وزير صمصام الدولة، ثم قتله . (ذيل تجارب الامم ١٨٨-١٩١) .

وفي السنة ٣٨١ أنفذ خلف بن احمد صاحب سجستان ، وكان رجلاً شريراً ، ولده عمرو إلى كرمان ، لاحتلالها ، فاحتلّها ، ودفع عاملها تمرتاش عنها ، واستنجد تمرتاش بصمصام الدولة ، فسيّر جيشاً لحرب خلف ، فانهزم عمرو بن خلف، وعاد عمرو إلى سجستان مفلولاً، ولما دخل إلى أبيه، أزرى به ، وعجّزه ، وقيّده ، وحبسه أيّاماً ، ثم قتله بين يديه ، وتولّى غسله والصلاة

عليه ، ودفنه في القلعة ، في السنة ٣٨٢ (ذيل تجارب الأمم ١٨٨- ١٩٢ وابن الأثير ٩/ ٨٢- ٨٣) .

وفي السنة ٣٨١ قتل بكجور القائد التركي ، وتدور حوله قصّة غدر مثلّث ، أوّلها غدر بكجور بأبي المعالي الحمداني ، وغدر من التجأ إليه بكجور به ، إذ أسلمه إلى أبي المعالي ، وغدر الحمداني بورثة بكجور بعد أن أمّنهم على أنفسهم وأموالهم ، وتفصيل ذلك : إنَّ بكجور كان في السنة ٣٧٢ يلي حمص لأبي المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني ، ثم اختلف معه ، فولي دمشق للعزيز الفاطمي ، واستقرّ فيها إلى السنة ٣٧٨ فعزله العزيز ، وبعث جيشاً لطرده من دمشق ، فاقتتل مع الجيش المصري ، فانهزم بكجور ، وأرسل يطلب الأمان ليسلم البلد اليهم ، فأجابوه الى ذلك ، فأخرج أمواله وتوجّه إلى الرقّة فاستولى عليها وعلى الرحبة وما يجاورها ، ثم راسل الملك بهاء الدولة البويهي بالإنضمام اليه ، وفي الوقت عينه راسل باد الكردي صاحبه ديار بكر والموصل بالمسير إليه ، وراسل سعد الدولة الحمداني بأن يعود إلى طاعته ويقطعه مدينة حمص ، وراسل العزيز الفاطمي صاحب مصر بأن يبعث إليه جنداً يستولي بهم على ملك سعد الدولة ، ثم قصد مدينة بالس ، فبلغ سعد الدولة ذلك ، فكتب إليه يبذل له أن يقطعه من الرقة إلى حمص ، على أن يعود للموادعة ، فلم يقبل ذلك ، فاستنجد سعد الدولة بالرومي صاحب انطاكية ، فانجده ، وكاتب العرب الذين مع بكجور ، فوعدوه أن ينهزموا عنه إذا نشبت المعركة ، ولما التقى الجيشان ، عطفوا على سواد بكجور فنهبوه ، واستأمنوا إلى سعد الدولة ، فلما رأى بكجور ذلك ، اختار من أصحابه أربعمائة رجل ، وقصد بهم موقف سعد الدولة ليلقي نفسه عليه ، فإمّا له وإمّا عليه ، وعرف لؤلؤ الكبير ، قائد سعد الدولة ذلك ، فوقف مكان سعد الدولة ، فحمل بكجور عليه يحسبه سيف الدولة ، وضربه على رأسه ، فسقط الى الأرض ، فظهر سعد الدولة وعاد إلى موقفه ، فمضى

بكجور منهزماً ، ومعه سبعة أنفس ، وكثر القتل والأسر في الباقين ، ولما طال الشوط على بكجور ، ألقى سلاحه وسار راجلاً ، وقصد احد الأعراب ، وضمن له حمل بعير ذهباً ليوصله إلى الرقّة ، فلم يصدّقه لاشتهاره بالبخل ، وتركه في بيته ، وتوجّه الى سعد الدولة فعرّفه أنّ بكجور عنده ، وطلب منه مائتي فدان ملكاً ، ومائة الف درهم ، ومائة جمل تحمل حنطة ، وخمسين قطعة ثياباً ، فأعطاه ذلك وزيادة ، وسيّر معه من تسلّم بكجور منه ، وأحضروه إلى سعد الدولة ، فأمر بقتله ، فقتل ، وسار سعد الدولة إلى الرقّة ، وبها أولاد بكجور وأموالهم ، فسلّموا إليه البلد بأمان وعهود أكّدوها عليه على الأنفس والأموال ، فلما خرج أولاد بكجور ، ورأى سعد الدولة ما معهم ، استعظمه واستكثره ، فحنث بعهده واستولى على الأموال ، وقبض على الأولاد ، فلم يلبث سعد الدولة أن فلج وبطل نصفه ، فلما جاء الطبيب قال له : اعطني يدك ، فأعطاه اليد اليسرى ، فقال له : اعطني اليمنى ، وكانت قد شلّت، فقال له : ما تركت لي اليمين يميناً، يعني حنثه بالعهد الذي أعطاه لأولاد بكجور (ابن الأثير ١٧/٩ ، ١٨ ، ٣٧، ٥٨ ، ٨٥ـ ٨٨) .

وفي السنة ٣٨٤ انفذ بهاء الدولة إلى الأهواز عسكراً عدّتهم سبعمائة رجل ، عليهم طغان التركي ، لاستعادتها من صمصام الدولة ، فلما بلغوا السوس ، رحل عنها أصحاب صمصام الدولة وكان أكثر عسكر طغان من الترك ، فتوجّه صمصام الدولة إلى الأهواز ، وأراد أن يكبس الأتراك ، فكمنوا له كميناً ، فانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم ، وكانوا ألوفاً كثيرة ، واستأمن لطغان أكثر من ألفي رجل من الديلم ، وضرب طغان للمستأمنة خياماً يقيمون فيها ، فلما نزلوا في الخيام ، تشاور الأتراك ، وقالوا : هؤلاء أكثر من عدّتنا ، ونخاف أن يثوروا بنا واستقرّ رأيهم على قتلهم ، فلم يشعر الديلم إلاّ وقد القيت عليهم الخيام ، ووقع الأتراك فيهم بالعمد ، حتى أتوا عليهم ، فقتلوهم كلّهم (ابن الأثير ١٠٣/٩ـ ١٠٤) .

وفي السنة ٣٨٥ أمر صمصام الدولة ، بقتل من بفارس من الجنود الأتراك ، فقتل منهم جماعة ، وهرب الباقون ، فانصرفوا الى كرمان ، ومنها إلى بلاد السند ، واستأذنوا من ملكها في دخول بلاده ، فأذن لهم ، وخرج الى تلقّيهم، ووافق أصحابه على الإيقاع بهم ، فلما رآهم ، جعل أصحابه صفّين ، فلما حصل الأتراك في وسطهم ، أطبقوا عليهم وقتلوهم ، فلم يفلت منهم إلاّ نفر جرحى ، وقعوا بين القتلى ، وفرّوا تحت الليل (ابن الأثير ٩/١١١).

وفي السنة ٣٨٦ عاد جيش ابن الصمصامة الكتّاني ، قائد الجيش الفاطمي ، إلى دمشق ، وكان رؤساء الأحداث قد تحكّموا فيها ، فلم ينزل بدمشق ، ونزل ببيت لهيا ، واستخصّ رؤساء الأحداث ، واستحجب جماعة منهم ، وجعل يبسط لهم الطعام في كلّ يوم ولمن يجيء معهم من أصحابهم، فكان كلّ واحد منهم يحضر في جمع من أصحابه وأشياعه ، وأمرهم إذا فرغوا من الطعام أن يدخلوا إلى حجرة يغسلون ايديهم فيها ،فغبر على ذلك برهة ، ثم أمر أصحابه . إذا دخل رؤساء الأحداث الحجرة ، أن يغلقوا بابها عليهم ، ويضعوا السيف في أصحابهم ، فلما كان الغد ، حضروا الطعام ، وقام الرؤساء إلى الحجزة ، فأغلقت الأبواب عليهم ، وقتل من أصحابهم نحواً من ثلاثة آلاف رجل ، ثم احضر أشراف دمشق ، وقتل الرؤساء بين أيديهم ، ثم سيّر الأشراف الى مصر (ابن الأثير ٩/١٢١-١٢٢).

وفي السنة ٣٩٠ غدر جوامرد أبو ذر عاني ، بأبي نصرشاه فيروز بن بختيار الديلمي ، فقتله غدراً ، وكان جوامرد من أخصاء أبي نصرشاه فيروز ، فبعث به يتخبّر له أخبار خصمه ابن عمّه بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة ، فقبض عليه الموفّق أبو علي بن اسماعيل ، وزير بهاء الدولة ، واتّفق معه على ان يطلقه ، فيظهر أنّه فرّ ، ويعود إلى أبي نصر فيجتهد في قتله ، وأطمعه بمواعيد ، فعاد جوامرد إلى أبي نصر ، ثم سيّر الموفّق إلى أبي نصر ثلثمائة

رجل في سلاح خفيف ، فكسبوا أبا نصر ، ففرّ منهم يصحبه جوامرد ، فلما انفردا عطف جوامرد على أبي نصر ، وضربه بلتّ في يده ، فسقط عن فرسه ، وقتل (تاريخ الصابي ٨/٣٥٤-٣٥٨).

وفي السنة **٣٩١** سار طاهر بن خلف إلى كرمان ، واستولى عليها ، وكان أبوه خلف صاحب سجستان ، سيء السيرة ، أمّا طاهر فكان حسن السيرة ، فخافه أبوه وحاول إفساد جنده فلم يطق ، فعمد إلى الحيلة على ولده ، وطلب منه أن يصالحه لكي يوصي إليه فلما تلاقيا ، احتضن خلف ولده وبكى ، وصاح في بكائه ، وكان قد وضع له كميناً ، وأمرهم إن بكى وصاح أن يخرجوا فيقبضوا على ولده ، فتم له ذلك ، وأسروا طاهراً ، فقتله أبوه بيده ، ذبحه ، ثم غسله بيده ، ودفنه ، ولم يكن له ولد غيره (تاريخ الصابي ٨/٣٧٦-٣٨٦ وابن الأثير ٩/١٦٧).

أقول : سبق أن أدرجتُ في أخبار السنة **٣٨١** أنّ خلف هذا قتل ولداً له اسمه عمرو، أمر به فقتل بين يديه ، وغسله ، وصلّى عليه ، ودفنه ، وهذا هو الثاني ذبحه بيده ، فحقّ عليه قول المتنبّي : أشخصاً لحت لي أم مخازيا ، وقد أثبت أصحاب التواريخ أخباره وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر أحمد المعروف بابن بانويه ، وهو ابن بنت عمرو بن الليث الصفّار ، وورد العراق في السنة ٣٥٤ في أيّام معزّ الدولة ، وخلع عليه بالحضرة (في أيّام المطيع **٣٣٤-٣٦٣**) الخلع السلطانية لولاية سجستان (تجارب الأمم ٢/٢٠٩)، وكان رديء الدخيلة في الباطن ، جيّد الناموس في الظاهر ، شديد الطمع في الأموال ، متوصّلاً إلى أخذها باللطف والإحتيال ، وكان يقول : ليس يجب أن يكون للرجال من الرعيّة أكثر من عشرة آلاف درهم ، لأنّها ذخيرة لذي الحاجة ، وبضاعة لذي التجارة .

وكان يتتبّع أمور أهل البلاد في مكاسبهم ، ومتاجرهم ، وبضائعهم ، وذخائرهم، فإذا عرف استظهار قوم منهم ، عمل ثبتاً بأسمائهم ، وخرج على

وجه التنزه والتصيّد ، ونصب رجلاً من أصحابه في النيابة عنه ، ووافقه على أخذهم ، ومطالبتهم بالفضل الذي يقدر أنّه في أيديهم ، فإذا علم أنّ المال معظمه قد صحّ من جهتهم ، رجع ، فيشكون إليه ما عوملوا به ، فيظهر لهم التوجّع ، ويتقدّم بالإفراج عمّن بقي منهم في الإعتقال ، ومسامحتهم بما تأخّر عليهم من المال ، ويحضر صاحبه الذي استنابه ، فيجلّله بالإنكار ، وربما ضربه بمشهدهم ليزول ما خامر قلوبهم من الإستشعار .

وكان يمشي إلى الجامع ، في كلّ جمعة ، بالطيلسان ، وربما خطب ، وصلّى بالناس ، وأملى الحديث ، وله إسناد عالٍ ، ورواية عن شيوخ العراقين ، ومحدّثي الحرمين .

وكان عضد الدولة ، عند حصوله بكرمان في السنة ٣٥٧ قرّر معه هدنة على أن لا يتعرّض كلّ واحد منهما ببلاد صاحبه ، وكتبا بينهما كتاباً بذلك شاع ذكره عند أمراء سامان ، وكبراء أهل خراسان ، وجرى الأمر على المسالمة مدّة أيّام عضد الدولة (تجارب الأمم ٢/٢٥٣)، فلما توفّي عضد الدولة ، تحدّثت نفس خلف بالغدر ، وجهّز جيشاً مع عمرو ابنه ، فملك عمرو جميع أعمال كرمان سوى بردشير ، وجبى الأموال ، فسار أبو جعفر نقيب نقباء الديلم إلى كرمان ، وعرف عمرو بن خلف حصوله بالشيرجان ، فعاد إلى بمّ ونرماشير ، وانجلت المعركة بينهما عن فرار أبي جعفر ، فنهض العباس بن أحمد الحاجب لقتال عمرو ، ووقعت الحرب بينهما على باب الشيرجان ، فانكسر عمرو ، وعاد إلى سجستان مفلولاً ، مع نفر من أصحابه ، فلما دخل عمرو إلى أبيه، قيّده، وأزرى به، وعجّزه في هزيمته، وحبسه أياماً، ثم قتله بين يديه ، وتولّى غسله ، والصلاة عليه ، ودفنه في القلعة (تجارب الأمم ٣/١٨٨- ١٩٢).

وفي السنة ٣٨١ قرّر صمصام الدولة، أن ينفذ قائده أستاذ هرمز ، إلى كرمان مع جيش ، فوجم أحمد بن خلف لما انتهى الخبر إليه ، فعمد إلى

إعمال الحيلة ، وكتب إلى استاذ هرمز كتاباً أقام فيه العذر لنفسه في نقض الهدنة العضدية ، بأنّ من شروطها أنّها كانت ماضية مدّة حياتهما ومنتقلة إلى أولادهما ، ما لم يختلفوا ، وكان اختلاف أولاد عضد الدولة ، سبباً لنقض الهدنة ، وأنّه متى استؤنف الصلح معه ، أجاب إليه ، وأنفذ الكتاب مع أحد الصوفية ، فاستقرّت الهدنة بين الطرفين ، وكتب بها كتاب ، ووثقت بالأيمان والعهود ، وأخذ فيها خطوط الشهود ، واتصلت المهاداة والملاطفة بين الجهتين ، وخلف في أثناء ذلك يجمع المال، ويثبت الرجال ، حتى إذا قويت شوكته، نقض عهده ، وأظهر كتاباً من المعتضد بالله ، ببلاد كرمان ، إقطاعاً لجدّه *عمرو بن الليث الصفّار* .

وكان بسجستان قاض يعرف بأبي يوسف البزّاز ، مقبول القول بين الرعيّة، يعظّمونه غاية الإعظام ، ويجرونه مجرى الإمام ، فاستدعاه خلف وأخرجه رسولاً إلى استاذ هرمز ، وضمّ إليه رجلاً من الصوفية، يعرف بالحلبي، كالمؤانس له ، وسلّم إلى المتصوّف سمّاً ، ووافقه على أن يقتل أبا يوسف ، في طعام يحمل إليه من دار استاذ هرمز ، وعقب حضوره على طبقه ، لينسب الناس قتله إليه ، ورتّب للصوفي جمّازات بين سجستان وبمّ ، وقال له : إذا قضيت الأرب ، فاْهرب .

فتوجّه أبو يوسف ، غافلاً عما يراد به ، ووصل إلى استاذ هرمز ، وهو ببمّ، فأكرمه ، وسمع منه ما أورده عليه ، ووعده بالجواب عنه ، ودخل الصوفيّ بينهما في السفارة ، وحصلت له بها قدم عند استاذ هرمز ، فأنس به ، فأشار عليه باستدعاء أبي يوسف إلى طعامه، ليشاهد فضل مروءته ، فيتحدّث به في بلده ، فقبل منه ، واستدعى أبا يوسف لذلك ، فاستعفاه ، وامتنع ، فصار الصوفي إلى أبي يوسف ، وقال له : إنّ في امتناعك عليه إيحاشاً له ، ولم يزل به حتى لبّى دعوته ، وحضر عنده في بعض ليالي شهر رمضان، واتّخذ الصوفي شيئاً كثيراً من القطائف ، فمنه ما عمله بالفانيذ

السجزي ، على عادة تلك البلاد ، ومنه ما عمله بالسكّر الطبرزد واللوز ، على رسم أهل بغداد ، وجعل السمّ في البغدادي ، فلما انصرف أبو يوسف من دار استاذ هرمز بعد إفطاره ، سأله الصوفي عن حاله ، وما شاهده من مروءته ،فما زال أبو يوسف يذكر شيئاً ، شيئاً ، حتى أفضى الحديث إلى ذكر القطائف ، فوصف أبو يوسف جودة ما أحضر منها على الطبق ، فقال الصوفي : ما أظنّ القاضي أكل مما يصلح عندنا في العراق ، وقد عملت منه شيئاً ليأكله ، ويعلم أنّ لبغداد الزيادة على كلّ بلد ، وقام ، وأحضر ما أودعه السمّ ، فاستدعى أبو يوسف جماعة من أصحابه ليأكلوا معه ، فقال له الصوفّي : هذا شيء نحبّ أن يتوفّر عليك ، وقد عملت لأصحابنا ما يصلح لهم ، وأحضر ما كان عمله على رسم تلك البلاد ، ودعا القوم إليه ، وأكل أبو يوسف من المسموم وأمعن فيه ، وخرج الصوفي من الدار ، وقصد باب البلد ، وركب جمّازة معدّة ، ودخل المفازة متوجهاً إلى سجستان ، ونام أبو يوسف ، فما مضت ساعة، حتى عمل السمّ فيه ، وطلب الصوفي فلم يلحق ، ولا عرف له خبر ، فأحسّ بالحيلة .

قال أبو بكر عمر بن يعقوب كاتب أستاذ هرمز : فجاءني رسوله في جنح الليل ، يستدعيني ، فجئته وهو لما به ، يتقلّب على فراشه ، ويحتسب الله على خلف ، فوصّاني بحفظ ما يخلفه ، ومعاونة أصحابه على حمله إلى بلده ، وتسليمه إلى ورثته ، وبقي ساعة، وقُضى نحبه .

وعرف استاذ هرمز بالخبر ، فقلق لأجله ، ثم رأى كتمان الأمر وأحسن إلى أصحاب أبي يوسف ، وأعادهم موفورين (تجارب الأمم ٣/١٩٣-١٩٥).

ووصل الصوفي إلى خلف ، وحدّثه الحديث ، فقرّر معه أن يقول في المحفل الذي يجتمع الناس فيه إنَّ استاذ هرمز غدر بأبي يوسف ، وسمّه ،

وأراد أن يفعل بي مثل ذلك ، فخرجت على وجهي هارباً منه ، وإنَّه نقض العهد ، وعزم على المسير إلى هذه البلاد .

ثم عقد مجلساً فيه القضاة ، والشهود ، ووجوه الخاصّة والعامّة ، وأحضر الصوفي ، حتى أورد ما توافقا عليه، فما استتم الصوفيّ كلامه ، حتى أجهش خلف بالبكاء والنحيب ، وقال : وا أسفاه على القاضي الشهيد ، ونادى : النفير لغزو كرمان ، وكتب محاضر بذلك ، أنفذها إلى أصحاب الأطراف ، وشنّع على استاذ هرمز ، بالغدر والنكث ، وندب ولده طاهر المعروف بشير بابك ، مع أربعة آلاف غلام ، وخمسة آلاف رجل من السجزية ، إلى كرمان ، فاستولى على نرماسير ، فاستعادها البويهيّون منه بجيش يقوده أستاذ هرمز (تجارب الأمم ١٩٣- ١٩٨)، وكان ذلك في السنة ٣٨١.

وفي السنة ٣٩٠ ورد إلى كرمان ، طاهر بن خلف المعروف بشير بابك منافراً لخلف أبيه فاستولى على معظم كرمان ، فتوجّه إليه أبو جعفر أستاذ هرمز ، فكرّ راجعاً منسحباً إلى سجستان ، فحارب أباه خلفاً ، وتغلّب عليه ، واحتلّ البلد ، وصعد أبوه إلى قلعة على خمسة فراسخ من البلد تعرف بقلعة الجبل وتحصّن بها .

وحاول خلف أن يفسد الرعيّة على ولده طاهر ، ولكنّ الرعيّة كانت رغبتها في ابنه ، لسوء معاملة الشيخ لهم ، وقبح سيرته فيهم ، فلما يئس منهم ، عمد إلى استعمال الحيلة ، وراسل ولده ، وقال له : إنّي قد أخذت من المقاطعة بأكثر حظّ ، وانتهيت فيها إلى أبعد حدّ ، وتأمّلت امري فلم أجد لي ولداً باقياً غيرك ، ولا خلقاً مأمولاً سواك ، ووجدتني قد كبرت ، وانقضى عمري ، إلاّ القليل ، وقد رأيت أن أسلم الأمر والبلد والقلعة ، وما لي فيها ، إليك ، وأزيل الوحشة العارضة بيني وبينك ، وأتوفّر على أمر الله تعالى ، في المدة الباقية لي معك ، واقتصر على البلغة من العيش في كنفك ، ومن

يدك ، فأني لست آمن ، أن يقضي الله تعالى عليّ قضاءه ، فيستولي على هذه القلعة، من فيها ، ويخرج مالي ، ونعمتي ، وما جمعه طول تدبيري، إلى غير ولدي ، ومن بقاؤه بقاء ذكري ، ولم يزل يراسله ، ويطمعه ، حتى استغرّه وخدعه، وتقرّر بينهما أن يركب ابنه إلى أسفل القلعة ، وينزل خلف ، ويجتمعا على قنطرة كانت كخندق من دونها ، ويشاهد كلّ واحد منها صاحبه ، ويوصي خلف اليه ، ويعرّفه ماله ومواضعه، وركب طاهر وحده ، وجاء إلى تحت القلعة ، ونزل خلف على مثل هذه الصورة ، والتقيا على القنطرة ، وقبّل طاهر يد أبيه ، وعانقه أبوه ، وضمّ رأسه إلى صدره ، وكان تحت القنطرة في حافات الخندق دغل كثير ، من بردي ، وحشيش ، يستتر المستتر به ، وقد أكمن له خلف مائة رجل في أيديهم سيوف ، فلما ضمّه خلف إلى صدره، بكى بكاءً أجهش فيه حتى علا صوته ، وكانت هذه علامته لأفراد الكمين، فخرج القوم، فأمسكوا طاهراً ، وأصعدوا به إلى القلعة ، فقتله خلف ، وغسله بيده ، ودفنه ، وتأدّى الخبر إلى أصحاب طاهر ، فاستسلموا لخلف، وسلّموا البلد إليه ، وعاد إلى موضعه منه .

وكان أعداء خلف يراقبونه لأجل طاهر ابنه ، وما ظهر من نجابته ، ورجلته ، وشجاعته ، ونجدته ، فلما هلك طمعوا فيه ، وجرّد إليه يمين الدولة ، محمود بن سبكتكين عسكراً ، في السنة ٣٩٣ واستولى على بلده وقلعته ، وأخذه إلى خراسان ، فجعله بالجوزجان ، فخلّي فيها كمعتقل ، ومطلقاً كمحبوس ، وأجرى عليه ما يحتاج لإقامته ، ونفقاته ، ثم بلغ السلطان عنه بعد أربع سنين (السنة ٣٩٧) إنّه يكاتب إيلك خان صاحب بخارى، فضيّق عليه ، وأخذه معه في حملته على الهند فمات في حبسه ببلاد الهند في السنة ٣٩٩، (تاريخ هلال الصابي ٨/ ٣٧٥-٣٨٦).

وفي السنة ٣٩٩ مات لؤلؤ غلام ابن حمدان ، وكان قد استولى على حلب ، عند وفاة مولاه أبي الفضائل بن سعد الدولة الحمداني ، فلما مات

لؤلؤ ، خلفه ولده منصور ، فحصره في حلب أبو الهيجاء بن سعد الدولة ، واستنجد منصور بالمغاربة جيش الفاطميّين ، وبجماعة من بني كلاب ، فأنجدوه ، فارتحل أبو الهيجاء عن حلب ، وجاء الكلابيون إلى منصور يطالبون بما شرطه لهم ، وكانوا في سبعمائة ، فيهم جميع أمراء بني كلاب ، وذوي الرئاسة والشجاعة ، فغدر منصور بهم ، وأمر بوضع السيف فيهم ، وحبس منهم جماعة (خطط الشام ١/ ٢٤٨) .

وفي السنة ٤٢٦ كتب خوارزم شاه هارون بن ألتون تاش إلى السلاجقة يستدعيهم للإتفاق معهم ، وتكون أيديهم واحدة ، فسار إليه طغرل بك وأخواه داود وبيغو ، وخيّموا بظاهر خوارزم ، ووثقوا به ، واطمأنّوا إليه ، فغدر بهم ، ووضع عليهم الأمير شاه ملك ، فكبسهم ومعه عسكر خوارزم شاه ، فأكثر فيهم القتل ، والنهب ، والسبي ، وارتكب من الغدر خطة شنيعة (ابن الأثير ٩/ ٤٧٧) .

وفي السنة ٤٢٦ وثب الحسن بن أبي البركات بن ثمال الخفاجي ، على عمّه علي بن ثمال ، أمير خفاجة ، فقتله ، وحلّ محلّه في الإمارة (ابن الأثير ٩/ ٤٤٤) .

وفي السنة ٤٣٧ قُتِلَ صاحب إربل عيسى بن موسى الهذباني ، غدر به ابنا أخيه ، وسارا إلى قلعة إربل فملكاها . وكان سلار بن موسى ، أخو المقتول ، عند قرواش صاحب الموصل ، فسار قرواش إلى اربل وملكها ، وسلّمها إلى سلار (ابن الأثير ٩/ ٥٣١) .

وفي السنة ٤٤٧ دخل السلطان طغرل بك السلجوقي بغداد ، ودخل عسكره للأمتيار، فاختلف بعضهم مع أحد العامّة ، فهاج العامّة ورجموهم، وخرج قسم منهم إلى العسكر السلطاني فحاربوهم ، فاتّهم السلطان طغرل بك ، الملك الرحيم البويهي بأنّه هو الذي أرّث هذه الفتنة ، وطلب

حضوره ، وقال : إن حضر برئت ساحته وإن تأخّر عن الحضور ، أيقنتُ أنّ ما جرى كان بوضع منه ، وأرسل للملك الرحيم وأصحابه أماناً ، فأمره الخليفة بقصده ، فلما دخل الملك الرحيم إلى خيمة السلطان ، أمر بالقبض عليه ، وعلى من معه ، فقبض عليهم ، وحبسوا ، ثم حمل الملك الرحيم إلى قلعة السيروان ، ثم نقل الى قلعة الريّ ، فمات بها في السنة ٤٥٠ (ابن الأثير ٩/٦٠٩ـ ٦١٣ و٦٥٠).

وفي السنة ٤٤٧ قتل الأمير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان صاحب الجزيرة، وسبب ذلك إنّه تنافر مع الأمير موسك بن المجلي ، زعيم الأكراد البختية ، وأراد الغدر به ، فراسله واستماله، وسعى في تزويجه بابنة أبي طاهر البشنوي ، فتزوّجها، واطمأنَّ موسك من سليمان ، فسار إليه ، فغدر به ، وقتله، فشقّ ذلك على أبي طاهر ، وأرسل الى سليمان يقول : حيث أردت قتله ، فلماذا جعلت ابنتي طريقاً لذلك ، وقلّدتني العار ؟ فخافه أبو حرب ، ووضع عليه من سقاه سمّاً ، فمات، وخلف أبا طاهر ، ولده عبيدالله ، فتظاهر أبو حرب بالمودّة له ، واتّفق على الإجتماع ، فلما نزل أبو حرب إليه ، قتله عبيدالله (ابن الاثير ٩/٦٠٦ و٦٠٧).

وفي السنة ٤٥٠ قتل المعتضد صاحب إشبيلية . عبدون بن خزرون الزناتي ، صاحب أركش وشذونة ، كان موالياً للمعتضد ، ثم انحرف عنه إلى باديس بن حبّوس صاحب غرناطة ، فدعاه المعتضد لزيارته ، فلما جاءه ، قبض عليه وسجنه ، ثم قتله (الاعلام ٤/٣٢٩).

وفي السنة ٤٥٨ قتل عماد الدولة ، أبو عبدالله محمد بن خزرون بن عبدون الزناتي ، صاحب شذونة ، وأركش ، في الأندلس ، وهو من ملوك الطوائف ، كان هو ، وأخوه عبدون ، يحكمان سويّة ، وتلقّى هو وأخوه دعوة من المعتضد بن عبّاد، صاحب اشبيلية ، لزيارته ، فذهب أخوه ، في السنة ٤٤٥ ، فغدر به ابن عبّاد ، وسجنه ، وقتله في السجن ، فقام محمد بأعباء

الإمارة ، وأراد في السنة ٤٥٨ أن ينتقل بأهله ، وبعض عشيرته ، إلى بلد آخر ، ففاجأه المعتضد ، فاستمات محمد ، وأمر أحد غلمانه بقتل زوجته ، وأمر آخر بقتل أخته ، فقتلتا ، ثم استقتل ، فتقدّم ، وقاتل حتى قتل (الاعلام ٣٤٦/٦) .

وفي السنة ٤٨٤ بدا لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي ، صاحب مراكش ، أن يستولي على الأندلس ، ويزيل حكم ملوك الطوائف عنها ، فسيّر إلى إشبيلية جيشاً حصر به المعتمد بن عبّاد اللخمي ، وأسره ، وكان له ولدان المعتدّ بالله والراضي بالله ، قد اعتصما بحصنين من أمنع حصون الأندلس ، فكتب إليهما أبوهما ، يخبرهما بأنّ دمه مرتهن باستسلامهما ، فاستسلما بعد أن اخذا العهود والمواثيق على سلامة البدن والمال ، ونزل الراضي من حصن رنده ، والمعتدّ من حصن مارتلة ، فغدر بهما المرابطون وقتلوهما (المعجب للمراكشي ٢٠٤ـ ٢٠٥) .

وفي السنة ٤٨٩ غدر الأمير قوام الدولة أبو سعيد كرابوقا ، بالأمير محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش ، فقتله ، وتفصيل ذلك إنَّ كرابوقا كانت إليه الرها وحرّان ، ولما استولى عليها السلطان ملكشاه ، أسره وحبسه بحلب ، فلما تسلطن بركياروق أمر بإطلاقه وإطلاق أخيه التون تاش ، فلما أطلقا ، جمعا عسكراً ، وتسلّما حران ، وكاتبهما محمد بن شرف الدولة وهو بنصيبين ، يستعين بهما على أخيه صاحب الموصل ، فسار كرابوقا إلى نصيبين ، فخرج إليه محمد ، فاستحلفه ، فحلف له ، ثم غدر به فقبض عليه وأراد دخول نصيبين ، فمنعه أهلها ، فقتل محمداً بأن غرّقه ، ثم قصد الموصل فحصرها ثم فتحها ، واستولى عليها ، واستطال التون تاش هناك على كرابوقا ، فقتله في اليوم الثالث . (ابن الأثير ٢٥٨/١٠ـ ٢٥٩) .

وفي السنة ٤٩٥ مات الأمير منظور بن عمارة الحسيني ، امير المدينة ، وكان قد غدر بالمعمار الذي انفذه مجد الملك البلاساني ، لعمارة القبّة التي

على قبر الإمام الحسن ، والعباس ، فلما قتل البلاساني هرب المعمار الى مكّة ، فأرسل اليه الأمير منظور أماناً ليقدم ، فلما قدم غدر به وقتله (ابن الأثير ١٠/ ٣٥٢).

وفي السنة ٤٩٨ قتل الأمير إياز ، قتله السلطان محمد السلجوقي غدراً ، وكان إياز من اتباع السلطان بركياروق ، أخي السلطان محمد ، وتوفّي بركياروق ،فأصر إياز على مقاتلة محمد ،وتحالف مع بقيّة الأمراء ببغداد، وخيّم بالزاهر، ولما وصل السلطان محمد بجيشه إلى بغداد ، تصالح مع السلطان محمد ، وحلف له محمد الإيمان التي التمسها لسلامته ، وجرى التحليف بمحضر من الكيا الهراسي مدرّس النظامية ، وبمحضر من الأمراء والقوّاد والفقهاء ، فلما كان من الغد ، حضر الأمير إياز عند السلطان محمد ، فأكرمه السلطان ، ثم إنَّ الأمير إياز عمل دعوة عظيمة للسلطان محمد ، وقدّم له هدايا عظيمة ، ولكنّ السلطان ظلّ على استشعاره منه ، وبعد أسبوع واحد من تلك الدعوة ، استدعى السلطان الأمير إياز ، وأعدّ له من خواصّه من يقتله ، فلما دخل إلى دار السلطان ، ضربه أحدهم فأبان رأسه ، ولفّ في مسح ، وألقي على الطريق ، فدفنه بعض المتطوّعة ، وكان قد جاوز الأربعين ، ولما قتل إياز ، استتر وزيره الصفي أبو المحاسن ، ثم أخذ وحمل الى دار الوزير سعد الملك ، وزير السلطان محمد ، فقتل وعمره ٣٦ سنة (ابن الأثير ١٠/ ٣٨٤- ٣٨٩).

وحدّثنا صاحب إعلام النبلاء ١/ ٣٩٥- ٣٩٨ عن غدرات متلاحقة ، قال : كان خلف بن ملاعب الكلابي متغلّباً على حمص وكان الضرر به عظيماً ، إذ كان رجاله يقطعون الطريق ، ويلجأ اليه اللّصوص ، فحاربه تتش بن ألب أرسلان ، وطرده عن حمص ، فنزح خلف إلى مصر ، وأغرى الفاطميّين بالإستيلاء على أفامية ، على أن يكون فيها من قبلهم ، وقال لهم : أنّي أرغب في قتال الإفرنج ، وأؤثر الجهاد ، فاستولوا على الحصن ،

وأسلموه اليه ، وأخذوا ولده رهينة ، فلما ملك الحصن ، خلع طاعتهم ، فأرسلوا اليه يتهدّدونه بقتل ولده ، فأعاد الجواب : أنّي لا أنزل عن مكاني ، وآبعثوا اليّ ببعض أعضاء ولدي حتى آكلها، فأيسوا منه ، وأقام ابن ملاعب بأفامية ، يخيف السبل ، ويقطع الطريق ، واجتمع عنده كثير من المفسدين ، فدخل على ابن ملاعب فقيه من الباطنية ، وداخله حتى وثق به ، وكاتب أصحابه بالشام ومصر ، من أجل الإستيلاء على أفامية ، وبلغ ابن ملاعب طرف من الخبر ، فأحضر الفقيه ، وسأله ، فقال له الفقيه : أيها الأمير ، قد علم كلّ أحد ، أنّي جئتك جائعاً خائفاً ، فأمنتني، وأغنيتني ، فصرتُ ذا مال وجاه ، فإن كان بعض من حسدني على منزلتي منك ، وما غمرتني به من نعمتك ، سعي بي اليك ، فأسألك ان تأخذ جميع ما معي ، وأخرج كما جئت ، وحلف له على الولاء والنصح ، فقبل عذره وأمنه ، وعاود القاضي مكاتبة أبي طاهر بن الصائغ واتفّق معه على أن يبعث اليه ثلثمائة رجل من أصحابه ، يحتالون للدخول إلى أفامية ، فدخلوا، وانتظروا إحدى الليالي حتى نام الحرس بالقلعة ، فاصعدوا بالحبال ، وقصدوا أولاد خلف بن ملاعب ، وبني عمّه، فقتلوهم بأجمعهم ، وقصد القاضي وجماعة من أصحابه الأمير خلف ، وكان مع امرأته ، فأحسّ بهم ، وقال : من أنت ؟ فقال له القاضي : أنا ملك الموت ، جئت لقبض روحك ، ثم قتله، وقتل أصحابه وأولاده ، وهرب واحد من أولاده واسمه مصبح ، فقصد طنكريد الإفرنجي ، صاحب انطاكية ، وأطمعه بالإستيلاء على أفامية ، فقصدوها ، وحصروها ، وتسلّمها بالأمان ، ثم غدر بابي الفتح فقتله بالعقوبة (أي بالعذاب) وغدر بأبي طاهر بن الصائغ ، إذا اعتقله ، ثم قتله وكان ذلك في السنة ٤٩٨، راجع ابن الأثير ١٠/٤٠٨- ٤١٠).

وفي السنة ٥٠٠ أقطع السلطان محمد السلجوقي ، الأمير جاولي سقاوو ، الموصل ، وكان من قبل مسيطراً على خوزستان وفارس ، وقد أساء

السيرة في أهلها ، وقطع أيديهم ، وجدع أنوفهم ، وسمل أعينهم ، فلما سار إلى الموصل، تصدّى له جكرمش صاحبها ، واقتتلا ، وفرّ أصحاب جكرمش ، وبقي هو لا يقدر على الفرار ، لأنّه كان مصاباً بالفالج ، يحمل في محفّة ، فأسره جاولي ، وسجنه في جبّ ، ووكلّ به حراساً يحرسونه ، لئلا يسرق، وتوفّى في حبسه ، وكان مع جكرمش رجل من أعيان أهل الموصل ، يقال له أبو طالب بن كسيرات ، ففرّ لما أسر جكرمش إلى إربل ، فكتب جاولي إلى صاحب أربل ، أن يبعث إليه بأبي طالب ، لقاء إطلاقه أولاد صاحب إربل من الأسر ، فغدر صاحب اربل بأبي طالب ، وبعث به إلى جاولي ، وكان قاضي الموصل أبو القاسم ابن ودعات ، عدوّاً لأبي طالب ، فكتب إلى جاولي : إن قتلت أبا طالب سلّمت إليك الموصل ، فقتله ، وبعث برأسه إليه فأظهر القاضي الشماتة به ، وأخذ كثيراً من أمواله وودائعه ، فثار به الجند الأتراك ، غضباً لأبي طالب ، وقتلوه ، وكان بينهما شهر واحد (ابن الأثير ١٠/ ٤٢٤-٤٢٥).

وفي السنة ٥٠٢ كان حصن عرقة ، من أعمال طرابلس ، بيد غلام للقاضي ابن عمّار ، صاحب طرابلس ، وهو من الحصون المنيعة ، فعصى على مولاه ، ثم ضاق به الحال ، فأرسل إلى أتابك طغتكين ، أن يرسل إليه من يتسلّم منه القلعة لئلا يستولي عليها الإفرنج ، فأرسل إليه طغتكين أحد أصحابه ، واسمه اسرائيل، في ثلثمائة رجل ، وتسلّم الحصن ، فلما نزل غلام ابن عمّار من الحصن ، رماه إسرائيل بسهم ، فقتله غدراً ، لكي لا يطلع طغتكين على ما خلّفه بالقلعة من الأموال (ابن الأثير ١٠/٤٨٦).

وفي السنة ٥١٨ تنكّر نور الدولة بلك ، صاحب حلب ، لحسّان بن كمشتكين ، صاحب منبج ، فأنفذ قطعة من عسكره ، وطلب منهم أن يمرّوا على منبج ، وأن يستعينوا بحسّان لكي يخرج معهم للإغارة على تلّ باشر ، فإن خرج ، قبضوا عليه ، ففعلوا ذلك ، وقبضوا على حسّان ، ودخلوا منبج ،

وعصى عليهم الحصن ، وكان فيه أخو حسّان ، فطالبوه بالإستسلام ، فأبى ، فعذّبوا حسّان أمامه ، وعرّوه وسحبوه على الشوك ، فأصر على الاباء فحبسوا حسّان في حصن بالوا (أعلام النبلاء ١/ ٤٥٢- ٤٥٣).

وفي السنة **٥٢٤** كتب الأتابك عماد الدين زنكي ، صاحب حلب، والموصل ، إلى تاج الملوك بوري بن طغتكين بالمساعدة على الجهاد ضدّ الكفار ، فأرسل اليه ولده بهاء الدين سونج صاحب حماة ، مع خمسمائة فارس وجماعة من الأمراء ، فأكرمهم عماد الدين ، ثم غدر بسونج فاعتقله وأصحابه ، وحملهم الى حلب ، فحبسهم ، ثم أخذهم معه إلى الموصل ، وكان الذي حسّن له الغدر خيرخان بن قراجا صاحب حمص إذ رغّبه في حبس سونج والإستيلاء على حماة ، وتسليمها اليه لقاء مال، فحصر عماد الدين حماة ، وتسلّمها ، وسلّمها إلى خيرخان ، ثم قبض على خيرخان وقت العشيّ من ذلك اليوم ، وعذّبه أنواع العذاب ، وكان يربطه على غرائر التبن ويعاقبه (يعذّبه) (أعلام النبلاء ١/ ٤٧٧).

وفي السنة **٥٣٢** حصر ملك القسطنطينية مدينة بزاعة ، وهي مدينة لطيفة على ستّة فراسخ من حلب ، وضيّق على من بها ، فملكها بالأمان ، ثم غدر بأهلها فقتل منهم وأسر وسبى ، وكان عدّة من جرح فيها من أهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس ، وتنصّر قاضيها وجماعة من أعيانها نحو أربعمائة نفس (ابن الأثير ١١/ ٥٦).

وفي السنة **٥٣٣** حصر عماد الدين زنكي ، بعلبك ، وفتحها ، وبقيت القلعة ، فنزل حماتها على أمان عماد الدين ، فلما ملكها غدر بهم ، وأمر بصلبهم فصلبوا ولم ينج منهم إلاّ القليل ، فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه (ابن الأثير ١١/ ٦٩).

وفي السنة **٥٣٩** قتل الملك ألب ارسلان، المعروف بالخفاجي ، ولد

السلطان محمود ، الأمير نصير الدين جقر ، نائب أتابك زنكي بالموصل وشرقي الفرات، وكان زنكي أتابكاً للملك ألب أرسلان ، ونصب نائبه الأمير نصير الدين ليدبّر أمور الملك ألب ارسلان بالموصل وشرقي الفرات ، فحسّن بعض المفسدين للملك ألب أرسلان أن يقتل الأمير نصير الدين ، ويستقلّ بإدارة المملكة ، فقتله غدراً ، فأخذوه إلى القلعة ، وحبسوه فيها ، مع من أعان على قتل نصير الدين (ابن الأثير ١١/١٠١).

وفي السنة ٥٤٧ سيّر السلطان ملكشاه السلجوقي ، القائد سلار كرد في عسكر الى الحلّة ، فسار إليه مسعود بلال ، شحنة بغداد ، وتظاهر بتأييده ، ثم قبض على سلاركرد وغرّقه (ابن الأثير ١١/ ١٦٢).

وفي السنة ٥٤٧ قبض القائد خاص بك بن بلنكري، على الملك ملكشاه بن محمد السلجوقي ، الذي خطب له بالسلطنة من بعد مسعود ، وأرسل الى أخيه الملك محمد بن محمود في السنة ٥٤٨ وهو بخوزستان ، يستدعيه ، وكان قصده أن يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة ، فسار إليه الملك محمد ، فأجلسه على تخت السلطنة ، وخطب له ، وبالغ في خدمته ، وفي ثاني يوم دخوله على الملك ، قتله محمد ، وقتل معه زنكي الجاندار ، وألقى برأسيهما إلى أصحابهما ، فتفرّقوا (ابن الأثير ١١/١٦٢).

وفي السنة ٥٦٠ قبض المستنجد بالله على الأمير توبة العقيلي ، وكان قد قرب منه قرباً عظيماً بحيث كان يخلو به ، وأحبّه المستنجد محبّة عظيمة ، فحسده الوزير ابن هبيرة ، ووضع كتباً من العجم مع قوم يظهر منها إنّه واطأ عساكر همذان على الخروج والعصيان ، وأمرهم أن يتعرّضوا ليؤخذوا ، ففعلوا ذلك ، وأخذوا ، وأحضروا عند الخليفة ، فأظهروا الكتب بعد الإمتناع الشديد ، فلما وقف الخليفة على الكتب ، خرج الى نهر الملك يتصيّد ، وكانت حلل توبة على الفرات ، فحضر عنده ، فأمر بالقبض عليه ، وأدخل

بغداد ليلاً ، ثم قتله ، ولم يمتّع الوزير بعده بالحياة أكثر من ثلاثة أشهر (ابن الأثير ١١/ ٣٢٠ والمنتظم ١٠/ ٢١٠).

ومن الغدرات المشهورة ، غدرة صاحب بيروت الإفرنجي ، بالأمراء التنوخيّين أولاد كرامة بن بجير ، وقد كان كرامة ثقيلاً على صاحب بيروت ، وحاول أخذه مراراً فلم يتمكّن ، فأخذ في الحيلة عليه ، وهادن أولاده ، وصاحبهم ، حتى أخذوا ينزلون إلى الساحل ، وألفوا الصيد معه بالطير وغيره ، وكان يكرمهم ، ويحبوهم ، وما زال يستدرجهم مرة بعد مرة ، ثم أخرج ابنه معه ، وهو شابّ ، وقال : قد عزمت على زواجه ، ثم دعا ملوك الساحل ، وأولاد كرامة الثلاثة ، فأتوه ، وتأخّر اصغر أولاد كرامة مع أمّه بالحصن في عدّة قليلة ، وامتلأ الساحل بالشواني ، والمدينة بالإفرنج ، وتلقّوهم بالشمع والأغاني ، فلما صاروا في القلعة ، وجلسوا مع الملوك ، غدر بهم ، وأمسكهم ، وأمسك غلمانهم ، وغرّقهم ،وهاجم حصنهم في نفس الليلة ، فخرج ابن كرامة الصبي ، وعمره سبع سنوات ومعه امه من الحصن ، وأدرك السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وتوجّه إليه بعد أن فتح بيروت في السنة ٥٨٣ ، وباس رجله في ركابه ، فمدّ صلاح الدين يده ولمس بها رأس الصبي ، وقال له : أخذنا بثأرك، طيّب قلبك ، أنت مكان أبيك، وأمر بأن تكتب له أملاك أبيه (خطط المقريزي ٢/ ١٧١).

وذكر صاحب الدرر الكامنة ٢/ ١٤٠ـ ١٤١ : إنَّ ناصر الدين التنوخي ، أمير الغرب ،وهي منطقة قرب بيروت ، توفّي في السنة ٧٥١ وكان جدّه بجير صاحب حصن الغرب قذى في عين صاحب بيروت أيام الفرنج، فلما توفّي ، ونشأ أولاده أحبوا الصيد ، فراسلهم الإفرنجي أمير بيروت ، وأكرمهم ، واستدرجهم ، ثم دعاهم ليحضروا عرس ولده ، فحضر الثلاثة وغرّقهم بأجمعهم في البحر ، وركب في عسكره إلى الحصن ففتحوه ، وخرجت الأمّ مع ولدها الصغير وعمره سبع سنين ، واسمه حجي ، فلما فتح السلطان

صلاح الدين بلاد صيدا وبيروت،أعاد إلى حجي أملاكه، وجحي هو والـد جدّ ناصر الدين المتوفى سنة ٧٥١.

وفي السنـة ٥٦٨ لما مـات خوارزم شـاه أرسلان ، خلفـه ولده الأصغـر سلطان شاه محمود ، ودبّرت والدتـه الملك ، فأنف الـولد الأكبـر علاء الـدين تكش ، واستعان بملك الخطا ، فأمدّه بجيش من الخـطا ، واقتتل الأخـوان ، وظفـر تكش ، واستـولى على المملكـة ، فلمـا ثبت قـدمـه بخـوارزم ، غـدر بالخطا ، وأمر رجال دولته بقتل من كـان عندهم منهم ، فقتلوهم بـأجمعهم ، ولم يسلم منهم أحد (ابن الأثير ١١/٣٧٨).

وفي السنة ٥٧٠ لما دخل الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود حلب ، قتـل ابن الخشّاب رأس الشيعـة بحلب ، وكان قتله غـدراً ، حيث أنّ القطب العجمي ، وابن أمين الدولة ، ضمنا للأمير عزّ الدين جرديك مالاً على أن يقتل ابن الخشّاب ، فـدخل جرديك على الملك الصـالح ، وأخـذ خاتمـه أمـانـاً لابن الخشّـاب ونـودي عليـه، فحضـر ، وركب الى القلعــة في جمـع عظيم ، فصعد اليها والشيعة تحت القلعة وقوف. فقتـل ابن الخشّاب ، وعلّق رأسه على أحد أبراج القلعة ، ورمي برأسه بعد ذلك إلى البلد (أعـلام النبلاء ٢/٩١).

وفي السنـة ٥٧٦ قصد السلطان صـلاح الدين الأيّـوبي ، بلد ابن ليـون الأرمني، حيث بلغه إنّه استمال قوماً من التركمـان ، وبذل لهم الأمـان ، على ان يرعوا مواشيهم في بلاده ، ثم غـدر بهم وسبى حريمهم ، وأخـذ أموالهم ، وأسر رجالهم ، وقتل منهم ، فنزل صلاح الدين على بـلاده ، فأرسـل اليه ابن ليـون يبذل إعـادة ما أخـذ من أموال ، وأطـلاق من أسر وسبى ،فـأجابـه صلاح الدين الى ذلك ، واستقرّ الحال (ابن الأثير ١١/٤٦٧).

وفي السنـــة ٥٧٩ بعث السلطان شمس الـدين غيــاث الـدين بن ســام

الغوري ، أخاه شهاب الدين على رأس جيش ، فحصر خسروشاه بن بهرام شاه الغرنوي ، في لهاوور ، وبذل لخسرو شاه الأمان على نفسه وأهله وماله ، وله من الإقطاع ما أراد ، وأن يزوّج ابنته بابن خسروشاه ، وحلف له على ذلك ، فخرج إليه على الأمان ، ثم غدروا به، فحمل خسروشاه وولده إلى السلطان ، فلما بلغا بلاد الغور ، لم يجتمع السلطان بهما، وأمر بهما فرفعا إلى بعض القلاع ، فكان آخر العهد بهما (أي أنّهما قتلا) (ابن الأثير ١١/ ١٦٤- ١٧٠).

وفي السنة ٥٨١ حشد عليّ بن اسحاق الملثّم ، وقصد بلاد افريقية ، فملكها إلاّ تونس والمهديّة ، وانضاف إلى الملثّم كثير من المفسدين ، وقصد جزيرة باشرا ، وهي بقرب تونس ، فطلب منه أهلها الأمان ، فأمّنهم ، ثم غدر بهم لما دخل العسكر ، فإنّهم نهبوا جميع ما فيها من الأموال والدواب والغلّات ، وسلبوا الناس حتى أخذوا ثيابهم ، وامتدّت الأيدي إلى النساء والصبيان ، وتركوهم هلكى ،فقصدهم الموحدي ، أبو يوسف صاحب المغرب ، ولقيهم قرب قابس ، فاصطلمهم حتى كاد أن يفنيهم (ابن الأثير ١١/ ٥٢٠- ٥٢١).

وفي السنة ٥٨٢ غدر البرنس أرناط صاحب الكرك ، بقافلة من قوافل المسلمين ، غزيرة الأموال ، كثيرة الرجال ، فأخذها عن آخرها ، وغنم ما فيها من أموال ، ودوابّ ، وسلاح، وأسر رجالها ، وأودعهم السجون ، فعل ذلك رغم وجود الهدنة ، والمحالفة بينه وبين السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فأضاف بعمله هذا غيظاً في قلب السلطان ، إضافة إلى ما كان قد صنعه من قبل ، إذ انشأ اسطولاً ، وأنزله في بحر أيله ، يريد أن يغزو الحجاز ، ويخرّب مكّة والمدينة ، فنذر السلطان صلاح الدين أن يقتله إذا ظفر به ، وفي السنة ٥٨٢ اشتبك السلطان صلاح الدين مع الإفرنج في معركة حطين المشهورة ، فلما انتصر جيشه، بكى من فرحه ، وسجد شكراً لله ، ثم جلس في خيمته ،

وأدخل عليه الأسرى وفيهم ملك الإفرنج والبرنس أرناط ، وكان العطش قد أهلكهم ، فأمر صلاح الدين للملك الإفرنجي بالماء ، فجيء له بماء مثلوج ، فشرب، ثم ناول فضله للبرنس أرناط، فشرب ، فقال السلطان صلاح الدين : إنَّ هذا الرجل لم يشرب الماء بإذني، ولن ينال أماني ، ثم كلّم البرنس ، وقرّعه بذنوبه ، وعدّ عليه غدراته، وقال : إنّي نذرت دفعتين أن أقتله ، الأولى لما أراد المسير إلى مكّة ، والمدينة لكي يخرّبهما ،والثانية : لما أخذ القفل غدراً ، ثم قتله (ابن الأثير ١١/٥٢٧- ٥٢٨و٤٩٠ و ٤٩١ و ٥٢٨ و ٥٣٦و ٥٣٧).

وفي السنة ٥٩٩ حصر جيش خوارزم شاه علاء الدين تكش ، مدينة مرو ، وفيها القائد الأمير محمد بن جربك ، فأرسل في طلب الأمان ، فأمّنوه ، وحلفوا له إنّه إن خرج إليهم على حكمهم ، فإنّهم لا يقتلونه ، فخرج اليهم ، فغدروا به وقتلوه (ابن الأثير ١٢/ ١٨١).

وفي السنة ٦٠٤ أمر خوارزم شاه ، خاله أمير ملك ، أن يقصد غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ، السلطان الغوري ، وأن يقبض على غياث الدين ، وعلى أخيه (أخي خوارزم شاه) علي شاه بن خوارزم شاه ، فسار أمير ملك الى غياث الدين محمود ، فأرسل غياث الدين يبذل الطاعة ، ويطلب الأمان ، فأعطاه الأمان ،فنزل إليه غياث الدين ، فقبض عليه أمير ملك ، وعلى علي شاه ، وأرسل الى خوارزم شاه يعرّفه الخبر ، فأمره بقتلهما ، فقتلا في يوم واحد (ابن الأثير ١٢/٢٦٦).

وفي السنة ٦٠٤ قتل الحسين بن خرميل صاحب هراة ، على بابها ، وذلك إنَّ عسكراً من عساكر خوارزم شاه كانوا مع الحسين بن خرميل في هراة ، فلما رأى اعتداءهم على الرعيّة ، قبض عليهم وحبسهم ، وبعث إلى خوارزم شاه رسولاً يعرّفه ما صنعوا ، ويعتذر عن حبسهم ، فحقد عليه خوارزم شاه ، وبعث إليه عزّ الدين جلدك في ألفي فارس ، وأمره أن يعتقل الحسين

بن خرميل ، فلما قدم عزّ الدين جلدك ، أراد الحسين أن يخرج لاستقباله ، فمنعه وزيره ، وقال له : لا تخرج الى لقائه ، ودعه يدخل اليك منفرداً ، فإنّني أخاف أن يغدر بك ، فقال له الحسين : ما أظنّه يتجاسر عليّ ، وخرج لتلقيه ، فلما تقابلا ، وأبصر كلّ واحد منهما الآخر ، ترجّلا ، فقبض أصحاب جلدك على الحسين بن خرميل ، فأغلقت المدينة أبوابها ، وامتنع الجيش الذي فيها من تسليم المدينة ، فقدّموا ابن خرميل الى السور ، وهدّدوا بقتله إن لم يسلّموا المدينة ، فأصرّوا على الإمتناع ،فقتل ابن خرميل (ابن الأثير ١٢/ ٢٦٠- ٢٦٢).

وفي السنة ٦٠٥ غزا خوارزم شاه الخطا ، فظفر بهم ، وعاد إلى خوارزم ومعه سلطان سمرقند ، وكان من أحسن الناس صورة ، فزوّجه خوارزم شاه بابنته ، وردّه إلى سمرقند ، وبعث معه شحنة من عسكره ، فأقام في سمرقند سنة ، فرأى من سوء سيرة الخوارزميّين، وقبح معاملتهم، ما ندم معه على مفارقة الخطا ، وأرسل الى ملك الخطا يطلب منه أن يحضر الى سمرقند ، ليسلّمها إليه ، وأمر بقتل من في سمرقند من الخوارزمية ، ممن سكنها قديماً وحديثاً ، وقتل أصحاب خوارزم شاه جميعهم ، فكان الرجل منهم يقطع الى قطعتين ، ويعلّق في الأسواق كما يعلّق القصّاب اللحم ، ومضى ليقتل زوجته إبنة خوارزم شاه ، فأغلقت الأبواب ، ووقفت بجواريها تمنعه، وأرسلت إليه تقول : أنا امرأة ، وقتل مثلي قبيح ، ولم يكن منّي ما يستوجب هذا منك ، فاتّق الله فيّ، فتركها ، ووصل الخبر إلى خوارزم شاه ، فقامت قيامته ، وأمر بقتل كلّ من بخوارزم من الغرباء ، فمنعته أمّه ، وقالت له : إن هذا البلد قد جاء إليه الناس من أقطار الأرض ، ولم يرض أحد منهم بما كان من هذا الرجل، فأمر بقتل أهل سمرقند ، فنهته أمّه ، فانتهى ، وقصد سمرقند في عسكر عظيم ، ولما نزل على سمرقند ، بعث إلى صاحبها يقول : إنَّك قد فعلت ما لم يفعله مسلم ، فأخرج من البلد ، وآمض حيث شئت ، فأجابه

قـائلاً : لا أخـرج، وافعل مـا بدا لـك ، فأمـر عساكـره فـزحفت على البلد ، وفتحها عنوة ، وقتل فيها مـائتي ألف إنسان ، فـأرسل إليـه سلطان سمرقنـد ، يطلب الأمان ، فقال: لا أمان له عندي ، وأسـر ، وأحضر أمام خوارزم شاه ، فقبّل الأرض ، وطلب العفو ، فأمر بقتله ، فقتل صبراً ، وقتل معه جمـاعة من أقاربه (ابن الأثير ١٢/٢٦٧ـ ٢٦٩).

وكـان جبق التركمـاني قد استـولى على حصن زيـاد من تـرجمـان ملك الـروم ، وكان بـالقرب من حصن زيـاد حصن آخر صـاحبه رومي فـرنجي كان يقطع الطريق ويكثر قتل المسلمين ، فهاداه جبق وصاحبه حتى وثق به ، فبعث إليه جبق ان يرسل اصحابـه ليستعين بهم في عمل ، فلمـا أرسلهم اليه أوثقهم وحملهم إلى الحصن ، وقال لأهل الحصن : والله لئن لم تسلمـوا إليّ فرنجي لأضربنّ اعناق هؤلاء جميعاً ، ففتحوا له الحصن وأسلموا اليه فرنجي فسلخـه (ابن الأثير ١٠/٤٢٧ و٤٢٨).

وفي السنة ٦١٢ قتل منكلي ، صاحب همذان وأصبهـان والريّ ، وكـان منكلي هـذا مملوكاً ، فخـرج على سيّده إيـدغمش صاحب همـذان وأصبهـان والريّ ، واستولى على مملكته وطرده عنها ، فقصـد إيـدغمش بغداد، والتجـأ إلى الخليفـة الناصـر ، الذي وعـده المعـونـة ، فخـاف منكلي من الخليفـة ، وبعث ولده محمداً إلى بغداد مع جماعة من العسكر ، فأنزل ، وأكرم ، وخلع عليهم وأعيـدوا إلى منكلي ، ثم إنَّ الخليفة خلع على ايـدغمش ، وسيّره إلى همـذان ، ووعده بـأن يعينه بجيش يعيـده إلى مملكتـه، وبلغ منكلي الخبـر ، فأرسل الى إيدغمش من قتله قبل أن يصل إليه جيش الخليفة ، فعظم خبـر قتله على الخليفة ، وأرسل الى منكلي ينكر عليه ما فعل ، فأجاب جواباً شـديداً ، إذ كـان قد تمكّن من البـلاد ، وقوي أمـره ، فكـاتب الخليفـة كـلّا من الأميـر أوزبك صاحب أذربيجان ، وجلال الـدين الإسماعيلي ، وبعث الخليفـة جنداً من بغداد وجنداً من إربل ، فاجتمعوا على محاربة منكلي ،وآشتبكوا مع جيشه في معركة ضارية، فانفلّ جيش منكلي ، وفـرّ منهزمـاً إلى مدينـة ساوة ، وبهـا

شحنة هو صديق له ، فأرسل اليه يسأذنه في دخول البلد ، فأذن له ، وخرج إليه فلقيه ، وقبّل الأرض بين يديه ، وأدخله البلد ، وأنزله في داره ، ثم غدر به ، فأخذ سلاحه، وأراد أن يقيّده ، ويرسله إلى اعدائه ، فسأله أن يقتله هو ، ولا يرسله ، فقتله وبعث برأسه إلى بغداد، وكان يوم دخول الرأس مشهوداً (ابن الأثير ١٢/٢٩٦ و٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٦ و ٣٠٧) .

وفي السنة ٦١٤ غدر الأمير أتابك سعد، صاحب فارس، بالأمير الخوارزمي الذي كان في بلده ، فقتله ، وخلاصة القصّة إنّه لما قتل منكلي ، صاحب همذان وأصبهان والريّ في السنة ٦١٢ ، سلّم الأمير أوزبك ، بلاد الجبل ، إلى اغلمش ، مملوك أخيه ، ثم إنَّ الباطنية قتلوا اغلمش ، فأصبحت بلاد الجبل خالية من حاكم ، فطمع فيها المجاورون ، وكان أوّلهم أتابك سعد ، صاحب فارس ، فإنّه قصد اصبهان ، واستولى عليها ، وقصد الريّ ، فاصطدم بجيش خوارزم شاه ، ووقع أتابك سعد أسيراً ، فأطلقه خوارزم شاه على أن يسلّم إليه قسماً من بلاده ، وبعث معه عسكراً بقيادة أمير خوارزمي ، فلما وصل أتابك سعد إلى فارس ، وجد ولده الأكبر قد تغلّب عليها ، ومنع أباه من دخولها ، وجمع العساكر، وخرج لمحاربته ، ولما تلاقى العسكران ، حمل الإبن على أبيه ، فلما رآه أبوه يقصده ، ظنّ إنّه لم يعرفه ، فقال له : أنا أبوك ، فقال له : أيّاك أردت، فاضطر الأب أن يدفع عن نفسه ، وخسر الإبن المعركة ، ووقع أسيراً في يد أبيه فحبسه ، ولما عاد خوارزم شاه إلى خراسان ، غدر أتابك سعد بالأمير الخوارزمي الذي كان عنده ، فقتله ، ورجع عن طاعة خوارزم شاه (ابن الأثير ١٢/٣٠٦ـ ٣٠٧ و ٣٠٧ـ ٣١٩ـ ٣٢٠) .

وفي السنة ٦١٦ هاجم التتار بلاد الإسلام ، وذكر إنَّ سبب ذلك ، أنّ جنكيزخان راسل خوارزم شاه علاء الدين تكش بن إيل أرسلان، وبعث إليه هدايا ، وكتب إليه : أنت عندي مثل أعزّ أولادي ، وأريد أن تنعقد المودّة بيننا ، وأن تتسّع التجارة ، فأجابه خوارزم شاه بالإيجاب ، وبعث جنكيزخان

جماعة من التجّار معهم شيء كثير من الفضّة ، إلى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارى ، ليشتروا له ثياباً للكسوة ، فوصلوا إلى مدينة اسمها : أوترار، وهي آخر ولاية خوارزم شاه ، فلما أبصر نائب خوارزم شاه هناك ، وهو خاله ، ما معهم من الأموال ، شرهت نفسه إليها، فقبض عليهم ، وأخذ أموالهم ، واتّهمهم بأنّهم جواسيس ، وكتب إلى خوارزم شاه ، فكتب إليه يأمره بقتلهم ، وإنفاذ ما معهم من الأموال ، ففعل، ولما وصل إليه المال، فرّقه على تجّار بخاري وسمرقند ، وأخذ ثمنه منهم ، فلما بلغ جنكيزخان الخبر ، كتب إلى خوارزم شاه يقول : إنّك اعطيت أمانك للتجّار ، فغدرت ، والغدر قبيح ، وهو من سلطان أقبح ، فإن زعمتَ أن الذي فعل ذلك خالك ، وإنّه تمّ بغير أمرك ، فسلّمه إلينا ، فقتل خوارزم شاه الرسول ، وأمر بحلق لحي الجماعة الذين كانوا معه، وأعادهم الى جنكيزخان ، « فيا لها من حركة أهدرت من دماء المسلمين ، وأجرت بكلّ نقطة سيلاً من الدم (تاريخ الخلفاء ٤٦٩ وابن الأثير ١٢/٣٦١- ٣٦٢). ولما أعاد خوارزم شاه رسل جنكيزخان ، تجهّز مبادراً ، وقصد التتار ، ووصل الى بيوتهم ، فوجد فيها النساء والصبيان والأثقال ، فأوقع بهم ، وغنم الجميع ، وسبى النساء والذرية، ولما بلغ التتار ما فعل خوارزم شاه بأبياتهم ، جدّوا السير فأدركوه ، وتصافوا للحرب ، واستمرّت المعركة ثلاثة أيّام بلياليها ، فقتل من المسلمين عشرون ألفاً ، ومن التتار ما لا يحصى عدده ، وكان عسكر التتار عسكر ابن جنكيزخان ، وفي الليلة الرابعة انسحب العسكران ، وعاد التتار إلى ملكهم يخبرونه بما حصل ، وعاد خوارزم شاه إلى بخارى فحصّنها ووضع فيها عشرين ألف فارس ، وإلى سمرقند ووضع فيها خمسين ألف فارس ، وعاد فنزل قريباً من بلخ ، وبعد خمسة أشهر أحاط التتار ببخارى ، وبعد معركة عنيفة طلب أهل بخارى الأمان ، فأمّنهم جنكيزخان ، فلما خرجوا بالأمان ، غدر بهم ، وأمرهم بالخروج عن البلد، فخرجوا ، واجتمعوا في مكان ، فأحاط بهم التتار ، وتقاسموهم ، فمنهم من قتل ، ومنهم من أسر وعذّب في طلب المال ،

فمات كثير منهم ، وساقوا الباقي إلى سمرقند ، وهم مشاة على أقبح صورة ، ومن أعيا أو عجز عن المشي قتلوه ، وكذلك صنعوا في سمرقند ، إذ طلب الجنود الخوارزميّون ، الأمان ، فأمّنوهم، فخرجوا إلى التتار بأموالهم وأهليهم ، فأخذوا منهم أسلحتهم ، ثم غدروا بهم ، وعطفوا عليهم ، فقتلوهم جميعاً ، وأخذوا الأموال والنساء ، وفعلوا مع أهل سمرقند مثلما فعلوا مع أهل بخارى من القتل والتعذيب والإسترقاق ، وأحرقوا الجامع ، ثم سيّر جنكيزخان عشرين ألف فارس ، وأمرهم أن يطلبوا خوارزم شاه ، ولو تعلّق بالسماء ، فقصدوه ، فرحل هارباً منهم في نفر من خاصّته ، وكلّما رحل عن منزلة نزلوها ، حتى نزل في بحر طبرستان ، واستقرّ بجزيرة في البحر، فمات فيها (ابن الأثير ١٢/٣٥٨- ٣٧٠) أما بشأن ما صنع التتار وما خرّبوا، فقد أجملنا ذلك في هذا الكتاب ، في الباب الحادي عشر : القتل، الفصل الأول : القتل بالسيف ، القسم الثاني : القتل في المعركة .

وفي السنة ٦١٦ سيّر جنكيزخان جيشاً من التتار، مع أحد اولاده إلى مدينة مرو ، وبها مائتا ألف من المسلمين ، فكانت بينهم وبين التتار حرب عظيمة شديدة ، صبر فيها المسلمون ، ثم انهزموا ، ودخلوا البلد ، وأغلقوا أبوابه ، فحصر التتار البلد حصاراً طويلاً ، ثم أمّنوا مقدّم البلد ، فخرج إليهم بالأمان ، فخلع عليه ابن جنكيزخان ، وأكرمه ، وعاهده الّا يتعرض لاحد من أهل مرو ، ففتح الناس الأبواب ، فلما تمكّنوا منهم ، استعرضوهم بالسيف ، وقتلوهم غدراً عن آخرهم فلم يبقوا منهم باقية ، ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا بها من الغدر والقتل ما فعلوا بمرو ، ثم قصدوا طوس فنهبوها ، وقتلوا أهلها (شرح نهج البلاغة ٨/٢٣٥- ٢٣٦) .

وفي السنة ٦١٩ هلك في جبّ بحرّان، الأمير عماد الدين احمد بن عليّ المشطوب ، وكان غداراً ، ففي السنة ٦١٥ وكان الإفرنج يحاصرون دمياط ، تصرّف تصرّفاً أدّى إلى تسليمها إلى الإفرنج ، إذ أنّه لما بلغه وفاة

العادل ، تآمر على أن يحول بين الكامل بن العادل ، وبين السلطنة ، وفارق موضعه في الموقعة لإتمام المؤامرة ، فاختلّ وضع العسكر ، وبلغ الكامل ما أراده ابن المشطوب ، ففارق موضعه وسار إلى قرية من قرى مصر اسمها اشموم طناح ، فزاد وضع العسكر اختلالاً ، فاحتلّ الإفرنج دمياط ، أما ابن المشطوب هذا فقصد الملك الأشرف موسى بن العادل ، وصار في جملته فولّاه رأس عين ، ثم غدر به وانحاز عنه إلى الأمير زنكي أحد خصوم الأشرف ، ولما خسر زنكي الموقعة ، انفصل عنه ابن المشطوب، ومرّ بنصيبين هارباً يريد إربل ، فحاربه شحنة نصيبين ، فانهزم من الشحنة ، وتفرّق جمعه ، ومضى منهزماً ، فاجتاز بطرف بلد سنجار ، فأرسل صاحب سنجار ، فروخ شاه إليه عسكراً ، فهزموه ، وأخذوه أسيراً ، وحملوه إلى سنجار ، وكان صاحب سنجار محالفاً للاشرف ، فأغراه ابن المشطوب ، وحسّن له مخالفة الأشرف ، فأجابه ، وأخذه معه ، وقصد اعمال الموصل ، فطردهم عنها بدر الدين لؤلؤ ، ثم اتّبعهم بجيشه ، فأسر ابن المشطوب، وسجنه بالموصل، ثم اخذه منه الأشرف ، فحبسه بجبّ في حرّان ، إلى أن هلك في السنة ٦١٩ ولقي عاقبة بغيه (ابن الأثير ١٢/٣٢٥، ٣٤٢، ٣٤٣، وأبو الفداء ٣/١٢١، ١٢٥).

أقول : راجع في هذا الكتاب ، في الباب الرابع ، الفصل الأوّل : الحبس ، القسم الأوّل ، السجون الإعتيادية ، البحث السابع : الحبس في القلاع والحصون ، ما لاقاه هذا الغادر ، في حبس الملك الأشرف بقلعة حرّان ، من التضييق الشديد ، والحديد الثقيل في رجليه ، والخشب في يديه ، وامتلاء رأسه ولحيته وبدنه بالقمل .

وفي السنة ٦٢٧ لجأ الأمير غياث الدين شير شاه بن خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش ، إلى كرمان ، فغدر به صاحبها براق حاجب ، وأمر بقتله، فقتل (معجم انساب الاسر الحاكمة ٣١٨).

وفي السنة ٦٢٨ قصد التتار أذربيجان ، فحصروا مراغة ، فاستسلم أهلها بالأمان ، ودخلها التتار ، فغدروا بأهلها ، وقتلوا فيها (ابن الأثير ١٢/٤٩٧).

وفي السنة عينها قصد التتار مدينة اسعرد ، وبذلوا الأمان لأهلها ، فلما استسلموا غدروا بهم ، ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم (ابن الأثير ١٢/٤٩٩).

وفي السنة ٦٥٨ حصر هولاكو قلعة حارم ، وطلب استسلام من فيها ، على أنّ لهم الأمان ، فلم يطمئن أهلها الى أمانه ، وطلبوا رجلاً مسلماً يحلف لهم بالطلاق والمصحف على أن لا يحصل لأحد منهم سوء ، واختاروا فخر الدين الوالي بقلعة حلب ، فأحضره وحلف لهم على ما أرادوا ، ففتحوا الأبواب واستسلموا ، وعندئذٍ غدر بهم هولاكو ، فأمر بقتل فخر الدين الوالي ، ثم قتل جميع من في القلعة من الرجال والنساء حتى الأطفال الذين في المهد (إعلام النبلاء ٢/٢٨٧).

ومن الغدرات المشهورة ، غدر التتار بالملك الصالح اسماعيل صاحب الموصل ، فإنّ أباه بدر الدين لؤلؤ كان على علاقة حسنة بالتتار ، فلما توفّي لؤلؤ في السنة ٦٥٧ خلفه ولده الملك الصالح اسماعيل ، فأعلن خصومته للتتار ، فحصره الأمير سنداغو التتاري في الموصل ، حتى فنيت ميرة أهلها ، وتعذّرت عليهم الأقوات ، حتى أكلوا الميتة ولحوم الكلاب ، فطلب الملك الصالح ، من الأمير سنداغو ، الأمان له ولأهل البلد ، وتردّدت الرسل بينهما ، فأجاب الأمير سنداغو إلى الأمان ، فلما خرج إليه ، قبض عليه ، وعلى ولده وأتباعه ، ودخل التتار البلد ، فقتلوا ، وسبوا ، ونهبوا ، وأسروا ، ثم أمر بقتل علاء الملك ابن الملك الصالح ، وعلّق رأسه على باب الجسر ، وسيّر الملك الصالح وأخاه الملك الكامل الى السلطان، فأمر بالملك الصالح

فسلخ وجهه وهو حيّ، ثم قتل ، وقتل أخوه وكان ما يزال طفلاً ، وقتل أصحابهم وأتباعهم (الحوادث الجامعة ٣٤٧) .

وروى القصة صاحب الوافي بالوفيات ٩/١٩٣ـ ١٩٥ ، قال : في السنة ٦٦٠ قتل الملك الصالح ركن الدين اسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل ، قتله التاتار غدراً بعد أن أمّنوه، وكان أبوه بدر الدين لؤلؤ ، قد هادنهم وهاداهم ، أما الملك الصالح فإنّه حاربهم ، واستنجد بسلطان مصر ، فأنجده بنجدة ما لبثت أن انكسرت في سنجار ، ثم إنَّ الملك الصالح أخرج الى التاتار ولده علاء الملك للمفاوضة في الصلح ، فأجابوه ، وخرج اليهم ، بالأمان ، فحملوه إلى الجوسق ، ودخل التاتار البلد ، ونادوا بالأمان ، فظهر الناس ، واطمأنوا ، وباعوا ، واشتروا ، ثم غدر بهم التاتار ، وأجالوا السيف فيهم تسعة أيّام ، ثم أخذوا علاء الملك ابن الملك الصالح ووسطّوه ، وعلّقوه بباب الجسر ، ثم قتلوا الملك الصالح وهم متوجّهون الى بيوت هولاكو .

وفي السنة ٦٨١ طلب الملك أرغون التتاري، الخواجا شمس الدين محمد الجويني الوزير ، فاستتر ، ثم أخذ له ملك اللور أماناً ، واحضره اليه ، فغدر به وقتله (وفات الوفيات ٢/٤٥٣) .

وفي السنة ٧٠٩ قتل الأمير آقوش الرومي جمال الدين المنصوري ، وكان قد انحاز إلى الأمير بيبرس الجاشنكير لما تسلطن ، فلما تحرّك الناصر محمد بن قلاوون ليعود إلى ملكه ، نيط بالأمير آقوش حفظ طريق السويس ، فغدر به سبعة من مماليكه ، فقتلوه غيلة وأخذوا ماله ، وتوجّهوا إلى الناصر (الدرر الكامنة ١/٤٢٦) .

وفي السنة ٧١٥ مات الكاتب أبو العباس احمد بن علي المليباني المراكشي ، صاحب الغدرة المشهورة وكان صاحب العلامة عند سلطان

المغرب ، وكانت فتكته الشنيعة ، أنّه كان يحقد على جماعة من أعيان مراكش ، ويتهمهم بأنّهم أغروا السلطان بعمّه حتى قتل ، فزوّر كتاباً سلطانياً يتضمّن امراً من سلطان مراكش بقتل هؤلاء الذين كان يحقد عليهم ، فلما اطمأنّ من وصول الكتاب ، وقتل هؤلاء ، فرّ إلى الأندلس (الاحاطة ٢٩٢- ٢٩٤).

وفي السنة ٧٢٥ قتل عمر بن بلبال العلهي، من اليمن ، كان على لحج وأبين للمؤيّد الرسولي ، ثم لابنه مجاهد ، وانتقض عليه سنة ٧٢٣ وخطب للظاهر بن المنصور ، واحتلّ عدن للظاهر ، وقصد تعز ، ثم عاد إلى عدن ، ودخلها صلحاً في جماعة معه ، فغدر به واليها ابن الصلحي ، وقتله ومن معه (الاعلام ٥/ ٢٠٠).

وعصى الأمير قيصر الرومي ، على سلطان الهند محمد بن تغلق (٧٢٥- ٧٥٠) وتحصّن بمدينة سيوستان ، فنهد إليه عماد الملك سرتيز مملوك السلطان، وحصر قيصر ، فطلب وأصحابه الأمان ، فأمنهم ، ولما نزلوا على أمانه ، غدر بهم ، وبسط عليهم أصناف العذاب ، وقتلهم (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٦ و ٧).

وفي السنة ٧٢٧ غضب السلطان أبو سعيد على الأمير دمشق خواجه ابن الأمير جوبان ، فطلبه، فهرب ، فظفروا به ، وقتله السلطان أبو سعيد ، وبلغ الأمير جوبان خبر قتل ولده ، فانحاز إلى خراسان، ولجأ إلى صاحب هراة ، الملك غياث الدين، فاستقبله بحفاوة واحترام ، ورحّب به ، ثم غدر به بعد ثلاثة أيّام ، فاعتقله ، وقتله، وقتل معه ولده الصغير جلو خان الذي كان معه لما لجأ إلى هراة (تاريخ الغياثي ٥٨- ٦١).

وروى الصفدي ، في الوافي بالوفيات ٣/ ١٧٤ قصّة من قصص الغدر القبيح ، قال : كنت يوماً عند الأمير عز الدين ايدمر الخطيري ، وحضر إنسان

هنـدي، قال : إنَّ السلطان محمـد بن تغلق (٧٢٥ـ ٧٥٢) فتـح تسعـة آلاف مدينة وقرية ، وأخـذ منها ذهبـاً كثيراً ، وإنّـه انتقل من دهلي إلى وسط البـلاد التي فتحهـا ، ليكون قـريباً من الأطـراف ، وإنّه جـرى في مجلسـه ذكـر مكّـة والمدينة ، فقال : أريد أن يتوجّه من عنـدنا ركب حـاجّ ، فقيل لـه : إنَّ ذلك في ملك النـاصر محمـدبن قلاوون، فقـال : نجهّز اليـه هديّـة ، ونـطلب منـه ذلـك ، وجهّز مـركباً قـد ملىء بتفاصيـل هنديّـة رفاع ، من خيـار ما يكـون ، وعشرة بزاة بيض ، وخدم ، وجواري ، وأربعـة عشر حقـاً ، قد ملئت مـاساً ، وأنـا ـ الهندي ـ كنت مـع المسفّـرين ، وإنّنـا لمـا وصلنـا إلى اليمن ، أحضـر صاحب اليمن المماليك الذين في خدمة الرسول ، وقـال لهم : أيش يعطيكم صاحب مصر ؟ اقتلوا أستاذكم ، وأنا أجعلكم أمراء عندي ، فلمـا قتلوه ، شنق الجميـع ، وأخذ المـركب بما فيهـا ، وحضر الهنـدي عند السلطان ، وحـدّثه بالقصة ، فكتب كتاباً إلى صاحب اليمن ، كان من جملته : وبعد أن كـان في عداد الملوك ، أصبح وهو من قطّاع الطريق .

أقول : صاحب هـذه (المكرمـة)، هو صـاحب اليمن السلطان الملك المجاهد سيف الدين علي بن داود من بني رسول ، خلف أباه في حكم اليمن في السنـة ٧٢١ ومات في السنـة ٧٦٤ فخلفه ولـده الملك الأفضـل ضـرغام الدين العباس بن علي .

وفي الـدرر الكـامنــة ٥/١٤٧ـ ١٤٨ إنَّ السلطان بـو سعيــد ، سلطان العراق لما توفّي في السنة ٧٣٦ توثّب خاله علي باشا على المملكة، وأحضـر رجلاً من أولاد هولاكـو ، اسمه مـوسى بن علي ، كان يتكسّب بـالنساخـة في سـواد العراق ، وسلطنـه ، وفي معركـة مع الشيـخ حسين، قتل علي بـاشـا ، وبقي موسى في جبال الأكراد أربعة أشهر ثم قصد بغداد ، وتبارز مع طوغان ، فقتله مـوسى ، ثم قصـد اذربيجـان وحـارب الشيـخ حسين ، فـانفـلّ جيش موسى ، وفرّ موسى فلجأ إلى كرديّ ، كان قد احسن أليه ، فأجاره ، ثم غـدر

بـه ، وحمله الى الشيخ حسن فقتله في السنـة ٧٣٧، ثم قتـل الكـردي الـذي غدر به (الدرر الكامنة ٥/١٤٧ـ ١٤٨) .

وفي السنـة ٧٤٩ انتقض الوزيـر ابو بكـر بن غازي ، على السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني ، صاحب فاس ، وبـايع احـد الأمراء من بني مرين ، ثم جرى سعي في المصالحة مـع السلطان، فاستسلم الـوزير ابـو بكر على الأمان ، ولكنّ السلطان أبا العباس ، غدر به ، فاعتقله ، وأمر بقتله، فقتل قعصاً بالرماح (ابن خلدون ٧/٣٤٤) .

وفي السنة ٧٥٤ قتل بالقاهرة توسيطاً الأمير قراجا بن دلغادر (ذي القدر) بن خليـل التركمـاني، نائب الأبلستين ، وكـان قد لجأ اليه ثـلاثة من الأمـراء المصـرّيين ، فغـدر بهم ، وأسلمهم الى سلطان مصـر ، ثم قصـده الجيش المصـري ، ففرّ الى ارتنـا صـاحب الـروم ، فغـدر بـه ، وأسلمـه الى الجيش المصري ، فحمل إلى القاهرة ، فقتل توسيطاً (الدرر الكامنة ٣/٣٢٩) .

وذكـر صـاحب الـدرر الكـامنــة ٤/١٠و ١١ إنَّ محمـد بن اسمــاعيـل النصري ، قتل في السنة ٧٦٣ قتله صاحب قشتـالة ، وكـان محمد هـذا دميم الخلق ، لئيم الخلق ، وكـان السلطان أبو الحجّـاج النصري قـد زوّجه ابنتـه، فلمـا مات أبـو الحجّاج وخلفـه ولده ، منـع محمد هـذا من دخول القلعـة في غرناطة لسوء سيـرته ، فـراسل أمّ زوجتـه ، وضمن لها أن يسلطن ولـدها أخـا زوجتـه ، فاعـانته بـالمال ، فقـام بمؤامرة في السنـة ٧٦١ وقتل نـائب السلطنة رضوان، وجماعة من شيوخ الدولة ، ونصب أخا زوجته سلطاناً ، ثم ثار به في نفس السنـة ، وقتله ، وتسلطن بـدلاً منـه ، ثم تـوجّــه السلطان إلى جهتـه ، فانهزم ، ولجأ إلى صاحب قشتالة الفـرنجي ، فغدر هـذا به ، وقتله وقتـل من معه ، وعددهم ثلثمائة رجل ، واستولى على ما معهم .

وفي السنة ٧٦٨ استقلّ ابو الفضل بن علي بن عثمـان المريني ، بحكم

فاس ، وكان وزيره عامر بن محمد ، قد حجر عليه ، واستبد به ، وأراد أبو الفضل مراراً ، أن يقتل الأمير عبد المؤمن بن أبي علي المريني ، المحبوس في مراكش، لأنّه كان المرشّح للسلطنة مزاحماً له ، فكان وزيره يحول بينه وبين ذلك ، وحدث أن صعد الوزير إلى معتصمه بالجبل ، فانفذ أبو الفضل ، من قتل الأمير عبد المؤمن ، وجاءه برأسه ، وبلغ الوزير خبر ذلك ، فانتقض على أبي الفضل ، وبايع سلطان مراكش عبد العزيز بن أبي الحسن المريني ، واغراه بأبي الفضل فجرّد عليه عسكراً ، ففرّ أبو الفضل ، والتجأ الى قبائل صناكة، فبذل لهم السلطان مالاً جزيلاً ، فأسلموه، فاعتقله السلطان في فسطاط بجواره ، ثم بعث إليه من خنقه ليلاً (ابن خلدون ٧/٣٢٤) .

وفي السنة ٧٨٥ وقعت بين قبلاي ، نائب الكرك ، وخاطر أمير العرب ، معركة عظيمة ، فانكسر قبلاي ، ثم احتال على خاطر ، إلى أن حضر عنده، فذبحه وذبح معه ولديه ، غدراً (خطط الشام ٢/١٥٧ و ١٥٨) .

وفي السنة ٧٨٦ استولى ابو فارس موسى بن أبي عنان فارس بن علي المريني ، على السلطنة بالمغرب ، واستلب الحكم من أبي العبّاس أحمد بن المستنصر ،واعتقل الوزير محمد بن عثمان،وزير أبي العباس ، وكان الوزير قد لجأ إلى أحمد بن عبو ، شيخ أحياء المنبات من عرب المعقل ، واستجار به ، فخادعه أحمد ، وبعث بخبره إلى السلطان ، فبعث السلطان من أحضره ، وأشهر واستصفي ، ثم قتل ذبحاً بمحبسه (ابن خلدون ٧/٣٥٢) .

وفي السنة ٧٨٩ وفد علي بن زكريا شيخ هسكورة ، على السلطان أبي العباس المريني ، وكان علي قد أعان أبا العباس على استعادة ملكه ، واشترك معه في حصار البلد الجديد ، واستدعاه السلطان فحضر ، ومعه قومه ، وعسكر المصامدة ، ولكنّ السلطان عزله عن الرئاسة ، وولّى مكانه أحد أصهار الوزير ، فغضب علي ، واحضر احد أمراء بني مرين ، وبايعه ، وأعلن الحرب على السلطان أبي العباس المريني ، فبعث إليه ابو العباس

جنداً ، وبعد معارك ، التجأ على بن زكريا ، إلى ابراهيم بن عمران الصناكي ، فآستذمّ به ، فقام الوزير بترغيب ابراهيم بأموال قدّمها اليه ، فأمكنه منه ، فأحضره معه ، إلى حيث اعتقل ، وقتل في محبسه (ابن خلدون ٣٦١/٧).

وكان أبو تاشفين بن السلطان أبي حمو ، قد ثار على أبيه ، واعتقله ، ثم فرّ السلطان من معتقله ، واشتبك مع ولده تاشفين في معارك عدّة ، كان آخرها أن استغاث الإبن بسلطان المغرب أبي العباس المريني ، فأغاثه بجيش أعانه في المعركة الفاصلة مع أبيه ، حيث قتل أبوه في المعركة ، وجيء إليه بأخيه أبي عمر ، فاعتقله ثم قتله ، وتولّى أبو تاشفين الحكم بتلمسان تحت حماية السلطان المريني ، وكان أبو زيان أخو أبي تاشفين ، يلي الجزائر لأبيه ، فلما سمع بمقتله حمي ، وهاجم أبا تاشفين في تلمسان ، ولكنّه انكسر والتجأ إلى صاحب المغرب ، ثم مات أبو تاشفين ، فنصب أبو العباس المريني ، أبا زيان أخاه في موضعه ، فتحرّك يوسف بن الزابية ، أخو أبي زيان ، وحشد لحرب أخيه ، واستعان بأحياء بني عامر ، فبعث أبو زيان إلى بني عامر ، وأجزل لهم العطاء ، فأسلموا يوسف إلى رسل أخيه أبي زيان ، فحملوه ، وقتلوه في الطريق (ابن خلدون ٣٦٤/٧).

وفي السنة ٧٩٥ كان مقتل الأمير منطاش ، وكان في آخر أمره قد لجأ إلى الأمير نعير ، فحماه في مضاربه ، فأغار عليه نائب حلب ، وهلك بين الفريقين خلق كثير ، ثم وفد عامر بن طاهر ، من آل مهنّا ، على السلطان ، فأكرمه ، وأحسن اليه ، وطلب منه أن يمكّنوه من منطاش ، فعاد الى ابن عمّه نعير ، وجمع آل مهنّا ، وذكروا ما هم فيه من الضنك وسوء العيش ، وعرضوا على نعير أن يجيبهم الى واحدة من اثنتين ، إمّا إمساك منطاش وتسليمه الى السلطان ، وإما أن يتركهم ويترك العشيرة ، ويفارقهم إلى حيث شاء من البلاد فلم يسعه خلافهم ، وأذن لهم في القبض على منطاش ، وندب للقبض

عليـه أربعة من عبيـده ، فقصـدوه وهـو راكب على هجين ، فنـزل عنـه وركب فرساً ، فأمسك أحدهم بلجام الفرس ، وقال له : كلّم الأمير ، فأحسّ بالشرّ ، وتكاثروا عليـه فأنـزلوه عن فـرسه ، وأمسكـوا به ، وأخـذوا سيفه ، فقـال لهم منطاش : دعوني أبـول . فقصد الى جنب الحـائط ، وكان في تكتـه خنجر ، فأخرجه وطعن به بـطن نفسه فشقّهـا ، وغشي عليه ، فحمله العبيـد إلى الأمير نعيـر ، فقيّـده ، وأرسله إلى نـائب حلب ، فتسلّمـه نـائب حلب ، وحبسـه بالقلعة ، وأخبر السلطان بذلـك ، فأمـر السلطان بإرسـال الأمير طـولو ليحضـر منـطاش، فلما وصل إلى حلب تسلّم منطاشاً ، وأخذ يعذّبه ، ويعصـره، حتى دخل في النزع ، فقطع رأسه ، ووضعها في علبة ، وخرج من حلب عائداً إلى مصر ، وطاف برأس منـطاش في كلّ مدينة دخلها ، حتى وصل إلى القاهـرة ، فشقّـوا برأس منـطاش في القاهـرة ، ثم طلعـوا بـالـرأس إلى القلعـة ، فـرسم السلطان بـأن يعلّق الرأس على بـاب زويلة ثلاثـة أيام ، فعلّق (أعـلام النبلاء ٢ / ٤٧٣ـ ٤٧٦) .

وذكر صاحب الدرر الكامنة ٥ / ١٣٤ـ ١٣٦ إنَّ الأمير منطاش قتل ، وإنَّه كـان نـائب السلطنـة بملطيـة ، في السنـة ٧٨٨ ، فجمـع جنـداً ، وعصى ، واستولى على المملكة ، واحضـر السلطان حاجي . فـأعاده سلطانـاً ، وسجن الـظاهـر بـرقـوق في الكـرك ، ثم خـامـر عليـه قسم من الأمـراء بـالقـاهـرة ، فحاربهم ، وهزمهـم ، ثم بلغه انّ الظاهر أفلت من سجن الكرك ، وجمع له ، فخـرج لمحاربتـه في جيش ، وانهزم منـطاش، وعاد الـظاهر الى السلطنـة ، وأرسل من حصر منطاشاً بدمشق ، فانهـزم ولجأ إلى نعيـر أمير العـرب ، وكان قد عصى على برقوق ، فحشدا وحاربا عسكر برقوق ، وظفرا به، وتوجّهـا إلى حلب فحصراها ، ولم يظفرا بها ، فانصرفا إلى اعزاز وعينتاب ، فنهبـاها ، ثم لحقت بهم عساكر بـرقوق ، ففـرّ منطاش إلى مـرعش ، ثم نازل دمشق ، فلم يظفر بشيء ، فقصد الأمير نعيراً ، وأقام عنده ، فراسـل الظاهـر الأمير نعيـر ، واسترضاه، وردّ عليـه إمرتـه ، فغدر نعيـر بمنطاش، وقبض عليـه، وسيّره الى

حلب ، فاعتقل بقلعتها ، إلى أن جاء الأمر افقتل ، وحمل رأسه إلى مصر في السنة ٧٩٥ وطيف برأسه في القاهرة، ثم علّق على باب زويلة .

وفي السنة ٧٩٦ حصر تيمور لنك تكريت ، وخرج اليه صاحبها بالأمان ، فغدر به، وهدم عليه داراً، فمات تحت الردم، وأثخن في قتل النساء والرجال والأطفال، وصنع من رؤوس القتلى مأذنتين وثلاث قباب (شذرات الذهب ٦/ ٣٤٤).

وذكر صاحب الدرر الكامنة ٢/ ٢٨٦ : إنَّ من أوائل من قصده تيمورلنك من ملوك عراق العجم ، شاه ولي صاحب مملكة مازندران ، ووقع بينهما مصافّ ثبت فيه شاه ولي ثباتاً عظيماً ، ثم غدر بشاه ولي ، أحد اكابر امرائه ، وهو محمد جوكان ، فقتله غدراً ، وتقرّب برأسه إلى اللنك .

وفي السنة ٨٠٨ قتل الأمير فارس بن صاحب الباز التركماني ، على أثر عمليّة غدر ، وكان فارس قد استولى على انطاكية وما حولها ، وعلى القصير ودير كوش ، وعلى بلاد أخرى غيرها ، وعظم أمره ، وانتصر في عدّة حروب على صاحب حلب ، إلاَّ أنه انكسر في آخر معركة ، وفرّ الى قلعة القصير ، وتحصّن فيها ، فحصره فيها نائب حلب الأمير جكم ، وطال الحصار ، فنزل الأمير فارس على أمان الأمير جكم ، فلما حصل في يده ، غدر به ، وأسلمه الى الأمير غازي بن أوزر ، وكان عدوّاً له ، فقتله ، وقتل معه ولده وأخاه وجماعة من أصحابه (اعلام النبلاء ٢/ ٥٠٩و ٥١٠ و ٥/ ١٥٤).

وفي السنة ٨٠٩ خرج الأمير جكم على الظاهر برقوق ، وأعلن نفسه سلطاناً ، فأطاعه نائب دمشق ، ثم توجّه جكم نحو البيرة ، فامتنع نائبها الأمير كزل عن طاعته ، ثم نزل إليه بالأمان ، فغدر به حكم ، وقتله (اعلام النبلاء ٥/ ١٥٥).

وفي السنة ٨٠٩ طلب ابن التركيّة ، من الأمير يشبك الأمان ، فأمّنه،

وحلف لـه، فلمـا قـدم عليـه ، غـدر بـه ، وقبض عليـه ، وسلّمـه للسلطان ، فوسطّه ، وعلّق رأسه على باب زويلة بالقاهرة (بدائع الزهور ١/٢/ ٧٧١).

وفي السنة ٨٢٤ قتل الأمير كردي ، أمير التركمان غدراً ، وكان قد قـدم الى حلب للسـلام على الأميـر طـطر ، الـذي تسلطن بعـدهـا بـاسم الملك الظاهر ، فلمـا صار الأميـر كردي بـالقلعة ، اعتقله الأميـر ططر وأمـر بشنقه ، غيـظاً منه لأنّـه سبق ان كسر جيش طـطر في معـركـة جـرت بينهمـا في السنـة ٨١٠ ، فشنق تحت قلعة حلب (اعلام النبلاء ١٨/٣ و ١٩).

وفي السنة ٨٢٥ عصى الأمير تغـري بردي نـائب حلب ، فحصره جيش السلطان في قلعـة بهنسا ، ثم نـزل على الأمان ، فحمـل الى حلب ، وحبس بقلعتها ، وظلّ محبوساً الى أن قتـل في السنة ٨٣٠ في حبسـه (اعلام النبـلاء ٢٠/٣ و ٢١).

وفي السنـة ٨٣٥ استنزل أصبهـان شاه بن قـرا يوسف ، شـاه حسين بن علاء الدولة بن أحمد بن أويس ، آخر ملوك العراق ، حاصره بالحلّة ، وأعطاه الأمان ، فلما نزل إليه غدر به وقتله خنقاً ، وكان تيمورلنك قد أسر شاه حسين وأخاه حسناً ، وحملهما إلى سمرقند ، وحبساً حينـاً ثم أطلقا ، فـاتّصل حسن بالناصر فرج ومات عنده ، وأما حسين فوصل إلى البصرة ، وكان صاحبها شاه محمـد بن شاه ولـد بن احمد بن أويس قـد حضره المـوت ، فعهـد إلى شـاه حسين بـالمملكـة ، فـاستـولى على البصـرة وعلى واسط وغيـرهـا ، ثم ملك الموصل وإربل وتكريت ، فحاربه أصبهان شاه بن قـرا يوسف ، وأخـذ البلاد منه ، إلى أن حصر حسين شاه بالحلّة ، واستنزله بـالأمان ، ثم غـدر به فقتله خنقاً (شذرات الذهب ٢١٣/٧).

أقول : ذكر الغياثي في تاريخـه ١٤٢ـ ١٤٤ قصّة مقتـل السلطان حسين

بن علاء الدولة ، فذكر إنَّ الأمراء ببغداد ، انكروا سيرة السلطان حسين الجلايري ، فكاتبوا الأمير أسبان (سماه صاحب الشذرات اصبهان)، فقصد الأمير أسبان بغداد وحصرها ، ودخلها فاتحاً ، واستسلم له السلطان حسين بأمان ، وأراد أسبان أن يقتله بحيلة ، فدسّ إليه من أغراه بالهرب من السجن ، فباشر ذلك ، فاتّخذها أسبان حجّة عليه ، وقتله خنقاً ، وأعاد الغياثي قصّة مقتل السلطان حسين في ص ٢٦٣ ، من كتابه فقال :

في السنة ٨٣٣ حاصر الأمير اسبان بجيشه ، السلطان حسين بالحلّة ، وعجز السلطان حسين عن المقاومة ، فصالح أسبان على أن يسلّم إليه الحلّة ، وتمّ الصلح في السنة ٨٣٥ وخرج السلطان حسين إلى أسبان ، فلما دخل اسبان الحلّة ، غدر بالسلطان حسين ، وأراد قتله بحجّة ، فأوصى القائمين على حراسته ، أن يغروه بالهرب ، ليتّخذ من هربه حجّة لقتله ، وتمّ ذلك حسب ما أراد ، فقتله، بأن أمر به فكتّف وطرح تحت حائط ، وألقوا عليه الحائط (تاريخ الغياثي ٢٦٣).

وفي السنة ٨٣٢ حصر جيش سلطان مصر الأشرف برسباي ، مدينة الرها ، وكانت في يد عثمان قرا يلوك ، وفيها ولده هابيل ، فطلب المحصورون الأمان ، فأمنهم نائب الشام ونائب حلب ، فلما نزل الأمير هابيل ومعه تسعة من أعيان دولته ، وفتحوا أبواب القلعة، غدر بهم الأمراء ، واعتقلوهم ، ونهبوا المدينة والقلعة ، وأحرقوهما ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء ، وفجروا بهنّ ، ثم احرقوهن ، وأخذوا الأمير هابيل إلى القاهرة حيث مات في السجن (حوليات دمشقية ١٤٥ـ ١٤٧).

وفي السنة ٨٥٨ احتال الاستادار ، بالقاهرة ، على فصل البدوي ، وكان يقطع الطريق ، فأعطاه الأمان ، فحضر فصل وابن عمّ له الى القاهرة ، بالأمان ، فلما حضرا ، طلع بهما إلى السلطان ، فأمر السلطان بضربهما

بالمقارع ، وتسميرهما، وسلخهما ، وحش جلدهما تبناً ، ففعل بهما ذلك كلّه (الضوء اللامع ٦/١٧١).

وفي السنة ٨٦٩ بعث جهانشاه ، الى ولده بيربوداق صاحب بغداد ، رسلًا ، بكلام أغضبه ، فخاشنهم ، ودسّ إليهم في طعامهم سمّاً ، وأعادهم ، فما وصلوا بعقوبة حتى ماتوا جميعاً ، فعلم جهانشاه بأنّه قد قتلهم ، فتوجّه بجيشه وحصر بغداد سنة وخمسة أشهر ، حتى فتح بغداد ، وأمّن ولده بيربوداق ، فلما حصل في قبضته بعث اليه من قتله، وكان قتله في السنة ٨٧٠ بعد أن حكم بغداد ثمانية عشر عاماً (تاريخ الغياثي ٣٢٠ـ ٣٢٥).

وتوجّه شاه يحيى بن شاه ولي ، صاحب يزد ، إلى جبال يزد ، فأستقبله بهلوان مهذّب صاحب أبرقوه ، وبعد تأكيد العهود والمواثيق معه ، دعاه الى أبرقوه، وأدخله المدينة ، وأنزله في القلعة ، في قصر كان أعدّه لنفسه ، فغدر شاه يحيى ببهلوان مهذّب، واستولى على القلعة والمدينة ، وقبض على بهلوان مهذّب، وأرسله الى قلعة ملوس، ثم أمر بقتله، فقتل (التاريخ الغياثي ١٥٧).

وفي السنة ٨٧٧ قتل غدراً، برغم الأمان ، الأمير سوار بن سليمان بن ناصر الدين التركماني ، من آل دلغادر (ذي القدر) صاحب البستان ، وقد أدخل القاهرة مشهراً على فرس ، وعليه خلعة تماسيح على أسود ، وعلى رأسه عمامة كبيرة ، وهو في زنجير كبير طويل ، وراكب الى جانبه شخص من الأمراء ، وهو مشكوك مع سوار في الزنجير ، وقدّام سوار إخوته ، وأقاربه ، وأعيان من قبض عليه من أمرائه، نحواً من عشرين إنساناً ، ثم صلبوا على أبواب زويلة ، وكان الأمير سوار قد خرج على السلطان في السنة ٨٧٢ فرسم السلطان لنائب حلب أن يخرج لحربه ، واجتمع العسكران الشامي والحلبي ، على حرب سوار ، وكانت عاقبة المعركة أن ظفر سوار ، وقتل كثيراً من الأمراء الحلبيّين والشاميّين ، ثم أمر السلطان، فوجّه في السنة ٨٧٣ عسكر ضخم لحرب سوار ، فكان الظفر لسوار ثانياً ، وانكسر عسكر

السلطان كسرة شنيعة ، وقتل منه كثير ، والذين عادوا إلى حلب ، عادوا بأسوأ حال من العري ، فعظم أمر سوار ، واستولى على عينتاب ، فأمر السلطان بتجهيز عسكر آخر لقتال سوار ، وهي التجهيزة الثالثة ، وكانت بقيادة الأمير يشبك الدوادار ، فحاربت شاه سوار ، حتى أذعن ، وطلب الأمان ، فأمّنه الأمير تمرز ، وقال له : ضمانك عليّ ، فما يصيبك شيء ، فنزل معه ، بالأمان ، ودخل على الأمير يشبك، قائد الحملة ، فأكرمه ، وخلع عليه ، ولما أراد الإنصراف ، قال له : امض الى نائب الشام الأمير برقوق وسلّم عليه ، فلما دخل على الأمير برقوق ، استقبله بفظاظة ، وسأله : من أنت ؟ فقال : أنا سوار ، فقال له : أنت الذي قتلت الأمراء والعسكر ، ثم امر برقوق ، بأن يحضروا له خلعة ، فأحضروها له، وعندما ألبسوه إياها ، وضعوا في عنقه زنجيراً (سلسلة)، فلما رأى أصحابه ذلك ثاروا ، وكان الأمير برقوق قد استعدّ لهم ، بأن أعدّ كميناً من أصحابه ، فبرزوا، وأفنوا أصحاب سوار قتلاً ، فلما رأى الأمير تمرز ذلك ، غضب ، وقال: إنَّ الرجل نزل بأمان ، وقد حلفتُ له إنّكم لا تشوّشون عليه ، فكيف يأمنكم الناس بعد الآن ؟ فأخرق برقوق بالأمير تمرز إخراقاً فاحشاً ، ولكمه ، فخرج من عند برقوق غضباناً ، وحمل سوار الى القاهرة، حيث لاقى مصيره .

وفي السنة ٩٢٨ اختلف حسن وحسين ولدا الأمير عسّاف في بيروت ، مع أخيهما قائد بيه على الحكم ، ثم تصالحا مع أخيهما ونزلا عليه ، فغدر بهما ، وقتلهما . (خطط الشام ٢/٢٣٧).

ولما ولي السلطان سليمان العثماني ، السلطنة في السنة ٩٢٧ قدّم مملوكه إبراهيم باشا ، ونصبه صدراً أعظم فغضب أحمد باشا ، مملوك السلطان سليم أبيه ، لأنّه كان مقدّماً على إبراهيم باشا في المرتبة ، فولّاه السلطان مصر ، منعاً للنزاع، وكتب إلى الأمراء بمصر ، أن يقتلوا أحمد باشا ، وأن يقطعوا رأسه ويرسلوه إلى الباب العالي ، فلما وصلت المراسيم

إلى الإسكندرية ، وكان واليها مملوكاً لأحمد باشا ، سقى الجاويش حامل المراسيم خمراً حتى اسكره ، واطّلع على المراسيم ، وأنذر أحمد باشا ، بما جاء فيها ، فعصى علىٰ السلطان ، وخطب لنفسه ، وضرب السكّة باسمه ، فاتفق عليه الأمراء ، وهو في الحمّام ، وحصروه ، وكان قد حلق نصف رأسه ، ففرّ من الحمّام ، والتجأ إلى شيخ العرب ، عبد الدايم بن بقر ، مستجيراً به ، فأحاط الأمراء بابن بقر ، وتهدّدوه ، فخفر ذمّته ، وجاءهم بأحمد باشا ، فأخذوه ، وقطعوا رأسه ، وذلك في السنة ٩٣٧ (البرق اليماني ٣٧ـ ٣٨) .

وفي السنة ٩٤٥ غدر سليمان باشا الخادم ،، موفد السلطان العثماني لدفع البرتغال عن الهند وبلاد المسلمين ، بعامر بن داود صاحب عدن ، وهو آخر ملوك بني طاهر ملوك اليمن ، فإنّه لما وصل إلى ثغر عدن ، فتح له السلطان عامر بن داود باب عدن ، وأمر بالزينة ، وإعداد الزاد والعلوفة لسليمان باشا وجيشه ، وتوّجه هو ووزيره للسلام عليه ، فلما دخلا عليه ، ألبسهما خلعاً ، ثم أمر بصلبهما على صاري الغراب (السفينة) الذي هو فيه ، وأمر العسكر، فنهبوا دار صاحب عدن ، فشاع خبر غدره بصاحب عدن في أطراف البلاد ، وسبقه خبر هذا الغدر إلى بنادر الهند ، فنفر منه الناس ، وامتنعوا عن مساعدته في دحر البرتغال (البرق اليماني ٨٠ و ٨١) .

ولما عاد سليمان باشا الخادم، خائباً من رحلته الى الهند ، قام بغدرة اخرى ، فإنّه أرسى بالمخا من أرض اليمن ، وبعث إلى حاكمها الناضورة احمد ، بمرسوم أمان ومعه خلعة فنزل الناضورة أحمد لابساً الخلعة ومعه ولده ، وقدّم اليه هدايا عظيمة ، فأمر سليمان باشا بقتله ، فقتل في الحال، وكان معه ألف من العبيد فخادعهم سليمان باشا ، وأمر فنودي فيهم بأنّ من أراد العلوفة السلطانية (الدخول في سلك الجند السلطاني) فليحضر، فاجتمعوا بأسرهم ، ودخل معهم من لم يكن منهم طمعاً في العلوفة ، فأدخلوا

حوشاً كبيراً له باب واحد ، وصار يخرجونهم اثنين اثنين ، فيقطع عنقاهما ، ولم يشعر بذلك أحد ممن كان في الحوش ، إلى أن قتل الجميع (البرق اليماني ٨٦).

وفي السنة ٩٤٩ قتل امير بعلبك ، الأمير علي بن موسى الحرفوشي ، غدراً ، وكان قد قدم إلى دمشق صحبة يانظ ابراهيم وجماعة من الينكجرية ، واجتمع بنائب السلطنة بدمشق محمد باشا بن سنان باشا ، فأكرمه ، وهرع الناس للسلام عليه ، ونزل في بيت يانظ ابراهيم ، ثم أنّ نائب السلطنة قبض على الأمير علي بعد عشرة أيام ، وكتب بذلك الى الصدر الأعظم الذي انهى للسلطان إنّه من العصاة ، فأمر بقتله ، فضربت عنقه داخل قلعة دمشق ، وأرسل رأسه إلى التخت السلطاني (الكواكب السائرة ٣/ ١٩٤).

وفي السنة ٩٦٨ حاصر محمود باشا ، والي اليمن ، حصن حب ، فتقدّم اليه الأمير اسكندر أحد أمرائه ، وقال له : إنّ النظاري صاحب حصن حب ، لم يظهر عليه عصيان ، فالأولى إبقاءه في حصنه ، إذ أنّه حصنٌ حصين يصعب الإستيلاء عليه ، فأمر محمود باشا ، بالأمير اسكندر ، فقتل بين يديه ، ثم أحضر أميراً آخر من امرائه اسمه ميرزابك ، وافق الأمير اسكندر في رأيه ، فأمر بقتله ، فقتل ، ثم أحضر صهراً للنظاري صاحب الحصن ، واسمه الخواجا علي الرياحي ، كانت بنته تحت النضاري ، فصلبه هو وولده بلا ذنب ، ثم أنّه لما عجز عن افتتاح حصن حب ، أرسل الى النظاري صاحب الحصن ، فعرض عليه الأمان، على أن يعطى سنجقاً ، ويسلّم حصن حب ، فوافق النظاري ، وحلف له محمود باشا ، على المصحف الشريف ، وأرسل اليه سنجقاً سلطانياً ، فنزل النظاري ومعه ولده عبد الرحمن، وكاتبه الفقيه إدريس ، وخازنداره ابن رصاص ومعه جميع خزائنه، وحوله نحو المائتين من عسكره ، فلما وصل إلى مخيّم الباشا ، قام إليه ، وأكرمه ،

ووضع له كرسياً ملبساً بالمخمل ، وألبسه خلعة عظيمة من السراسر ، وسقاه السكّر ، فلما نهض ليقوم أشار محمود باشا ، إلى أوزون علي جاوش ، بأن يقتل النظاري ، فطعنه بخنجره فقتله ، وقتل ولده وجميع من معه ، وكانت هذه الفعلة، خيانة قبيحة وغدراً فاحشاً ، صارت العربان من ورائها لا تأمن الأتراك ، ولا تصدّق إيمانها ، وعهودها، وصاروا يسمون الغدر « محمودياً » (البرق اليماني ١٣٠- ١٣٢).

وفي السنة ٩٧٤ حاصر اليمنيّون ، العسكر العثماني ، وقطعوا عنهم الماء ، فطلبوا الصلح ، على أن يخرجوا بثيابهم التي على أبدانهم ،ولأربعة منهم أن يأخذ كلّ واحد منهم بغلة ، ولما خرج العسكر حسب الإتفاق ، وعددهم مائتان واثنان وسبعون رجلاً ، هجم عليهم اليمنيّون، وهم يصيحون : مواثيق محموديّة ، يشيرون إلى ما صنعه محمود باشا من غدرات ، وقتلوا الجنود على بكرة أبيهم ، واستولوا على أموالهم (البرق اليماني ١٧٨- ١٧٩).

وفي السنة ٩٨٧ غدر قوم من أهل حصن شماط باليمن ، بالأمير كلابي بك العثماني ، محافظ قلعة شماط ، وكان هؤلاء قد طردوا من الحصن لما هدم ، فلما أعيد بناؤه لم يعادوا اليه ، فدعوا الأمير كلابي بك وأتباعه من الجند إلى وليمة أعدّوها له في براح خارج الحصن ، ومدّوا له سماطاً عظيماً ، ولما جلس ومعه أتباعه الى السماط ، كان قد رصدهم قوم منهم ، فأطلقوا عليهم الرصاص من بنادق قد أعدّوها لذلك ، وقتلوهم غدراً ، الّا قليلاً هربوا على وجوههم (البرق اليماني ٤١٤).

وبالنظر لتكرر حوادث الغدر ، من رجال الحكم ، في تلك الأيّام ، أصبح الناس لا يثقون بأقوال رجال الدولة ، ولا يأمنون لهم ، حتى إنّ فتياناً من الأمراء بلبنان ، كان أحمد باشا الجزّار قد قتل أباهم ، فاستتروا منه ، وأراد سليمان باشا ، خلف الجزار ، أن يتألّفهم ، وأن يعيدهم إلى الطاعة ،

وعلم أنّهم لا يركنون إليه ، ولا يثقون به ، فأوعز إلى أحد ضباطه بكـر اغا أن يتّصل بهم ، وأن يؤمّنهم، ولما كـاتبهم بكر اغـا ، لم يركنـوا إليه ، ولم يثقـوا به ، وكاتبـوا الأمير بشيـر الشهابي ، وعـرّفوه بـالقصّة ، وأخبـروه بأنّ بكـر أغا كاتبهم ، ووعدهم بالعفو عنهم ، ولكن « بمـا أنّه ضـابط عسكر ، فلم يـركنوا لمواعيده وأقواله ، إذ ربما كان تحريره لهـم ، هو حيلة عليهم لكي يصطادهم » (مجلة العرفان العدد ٥ م ٩٧ شهر أيار ١٩٧٩) .

وفي السنـة ٩٩٣ جـرى في جـون عكّـار نهب الخـزينـة السلطانيـة ، المحمّلة من مصـر إلى اصطنبـول ، فوجّهت الـدولـة ابـراهيم بـاشـا لمعـاقبـة المعتدين ، ولما وصل الى عين صوفر بلبنان ، حضـر إليه عقّـال بلاد الـدروز لمواجهته ، فغدر بهم، وقتل منهم نحواً من ستمائة رجل ، وكـان ابن معن من رؤسـاء الـدروز ، قـد أبى أن يجيب دعـوة ابـراهيم بـاشــا ، لأنّ والي دمشق مصطفى باشا ، كان قـد استدعى أبـاه ، وغدر بـه فقتله ، فأقسم أن لا يجيب دعوة احد من رجال الدولة العثمانية (خطط الشام ٢ / ٢٤٠) .

وفي السنـة ١٠٠٢ غدر مـراد باشـا ، نائب السلطنـة بالشـام ، بـالأميـر منصور بن الفريخ (مصغّر فرخ) أمير البقاع ، إذ طلب منه أن يولم له وليمة ، ثم اعتـذر عن حضـورهـا واحتـجّ بحجّـة ، ثم طلب منـه أن تكـون الـوليمـة بدمشق ، فأعدّ له الوليمة ، وحضر ومعه جمع من عسكره ، فـأمرهم بـالقبض على الأميـر منصـور ، فـاعتقلوه ، وحبسـه بقلعـة دمشق ، وعـرض أمـره على السلطان مراد ، فجاء الأمر بقتله ، فقتل (خلاصة الأثر ٤ / ٤٢٧) .

وفي السنة ١٠١٠ مات عبد الحليم اليازجي أحـد الخوارج على الـدولة العثمانية ، وقد ذكر عنه أنّه غـدر بحسين باشـا الذي كـان أمير الأمـراء بولايـة الحبشة ، ذلك أنّ حسين باشا كان قد خرج على الدولة كذلـك ، فاتّفقـا على المناصرة ، ولما واجههما محمد باشا بن سنان باشا بجيش لجب ، استـأمن عبد الحليم إلى محمد باشا على أنّ لـه الأمان ، إن أسلم اليـه حسين باشـا ،

وخدع عبد الحليم صاحبه حسين باشا ، فأسلمه الى محمد باشا الذي بعث به إلى باب السلطان، فطلب حسين باشا أن تجري محاكمته أمام القاضي ، فحوكم ، وحكم عليه بالقتل ، فقتل شنقاً (خلاصة الأثر ٢/٣٢٣).

وفي السنة ١٠١٤ عصى علي بك جانبولاد بحلب ، فسيّرت اليه الدولة جيشاً ، وانكسر علي بك في المعركة ، ودخل الجيش العثماني حلب ، وحصر قلعة حلب ، وفيها جماعة من أتباع علي بك جانبولاد ، فنزلوا على الأمان ، وعندما نزلوا ، قتلوا بأجمعهم ، بالرغم من الأمان (اعلام النبلاء ٢/٢٣٢).

وأورد الخبر صاحب خطط الشام ٢/٢٥٣ و٢٥٤، بصورة فيها بعض الأختلاف في التاريخ ، قال : في السنة ١٠١٦ اشتبك الجيش العثماني ، بقيادة مراد باشا ، مع جيش الأمير علي جانبولاد ، والي حلب ، العاصي على الدولة ، فانكسر الأمير علي ، وقتل من أصحابه ما يزيد على العشرين ألفاً ، ورحل عن حلب ، ودخل الجيش العثماني حلب ، وامتنعت عليه القلعة ، وكان الأمير علي جانبولاد قد نصب فيها اطلي طوماش باشا ، وأمره بحفظ القلعة ، حتى يعود بالنجدة من شاه العجم ، فاحتال مراد باشا ، على اطلي طوماش باشا ، وخدعه بأن وعده بأن ينصبه والياً على حلب ، فنزل على أمانه، فقبض عليه مراد باشا ، وقتله .

وأورد المحبي في خلاصة الأثر ٢/٢٢٢ سلسلة من حوادث الغدر تشمئزّ منها النفوس ، قال : في السنة ١٠١٨ قتل الأمير شديد بن أحمد ، أمير العرب ، وكان ظالماً ، جبّاراً ، عنيداً، وكان في خيمته يلعب الشطرنج ، ولم يكن معه من إخوته احد ، فانتهز مدلج بن ظاهر ، أحد أقاربه ، الفرصة ، وناداه وهو يلعب : يا شديد ، يا شديد ، فقال : نعم ، فما أتمّ قوله إلّا ومدلج قد طعنه بخنجر في بطنه فخرج من ظهره ، فقتله ، وكان الأمير أحمد (والد شديد) قد قتل الأمير ظاهر (والد مدلج) مع أنَّ ظاهراً كان

ضيفه في بيته ، وكان ظاهر ذا قوة وبطش ، وبلغ من قوته إنّه دخل عليه ولده قرموش وهو مريض ليقتله ، فضربه ظاهر بالسيف فقتله .

وذكر المحبي أنّه كان من تقاليد هؤلاء الأمراء، أنّ من استولى منهم على خيمة المال والسلاح ، أصبح حاكماً على العرب وأميراً لهم ، وهي خيمة من الشعر كبيرة جداً ، ولها نواطير وحرس بالنوبة في اليوم والليلة ، وكلّها صناديق بالأقفال الحديد المحكمة ، والصناديق مملوءة بالذهب والفضّة والجوهر والسلاح وغير ذلك من نفائس الأشياء .

وفي السنة ١٠٢٦ قتل غدراً الأمير حسين بن يوسف بن سيفا ، ولم يبلغ الثلاثين ، وكان قد ولي كفالة طرابلس الشام ، ثم كفالة الرها ، ثم تركها من غير عزل ، وقدم حلب ، وكافلها محمد باشا قره قاش ، فدخل عليه مسلّماً ، فأكرمه واحترمه ، ثم دعاه إلى وليمة ، فجاء مع جماعة قليلة من اتباعه ، فغدر به واعتقله ، وحبسه في القلعة ، وكتب إلى السلطان يخبره بأنّ الأمير حسين قد وقع في قبضته ، فردّ السلطان يأمره بقتله ، ولما حضر الجلّاد لقتله ، قال بقلب جريء، وجنان قوي : أنا من الباشاوات، ولا يليق أن يقتلني الجلّاد ، ثم أشار إلى رجل معظم من أتباع قره قاش، وطلب منه أن يقتله ، ثم كتب كتاباً إلى والده أوصاه فيه بما أراد ، وعزّاه عن نفسه ، ثم صلّى ركعتين ، واستغفر الله ، وأخرج محرمته فوضعها في عنقه ، وأمر ذلك الرجل بخنقه فخنقه ، وبكى عليه جميع الناس لشبابه وحسنه وشجاعته (خلاصة الأثر ٢ / ١٢٠ و ١٢١) .

وفي السنة ١٠٣٢ قتل مراد باشا ، كافل حلب ، وسبب قتله ، أنّ بكر الصوباشي كان قد خرج على السلطان ، وأعلن نفسه حاكماً ببغداد ، فوجّهت اليه الدولة أحمد باشا الحافظ ، والياً لبغداد وسرداراً ، فحاصر بغداد ، وكان من جملة قوّاده مراد باشا ، وكان أحمد باشا يرى الأناة ويكره العجلة ، بعكس مراد باشا ، فكان يقبّح أناة احمد باشا ويسبّه ، وجاء إلى أحمد باشا وطلب

منه أن يأذن له ليتوجّه لمحاربة عسكر شاه العجم ، وكانت قريبة من بغداد ، فقال له أحمد باشا : لا تفرّق عساكرنا وتضعضعهم ، فأبى مراد باشا ، وصمّم على قتال عساكر الشاه، وأخذ نحو أربعة آلاف جندي وكبس عساكر الشاه ، ثم عاد منكسراً ، فقال له أحمد باشا : الآن عرفتَ انّ قول الشيوخ أصوب من رأي الشبّان ، ألم أقل لك لا تركب ، حتى خالفتني وكسرت العساكر ، ثم قتله ، وكان مراد باشا غدّاراً ، غدر بالأمير حسين بن فياض الحياري أمير العرب ، وكان أبوه فيّاض أميراً ، فلما توفّي ، تصدّى للامارة ابن عمّه الأمير مدلج بن ظاهر، فأخذ الأمير حسين يطالب بالإمارة لنفسه خلفاً لوالده الأمير فياض ، وكلّم مراد باشا ، كافل حلب ، في أن يكاتب السلطنة لنصبه أميراً خلفاً لوالده ، بدلاً من الأمير مدلج ، وجاء الى حلب ، وقدّم هدايا لمراد باشا ، فوعده خيراً ، وكتب إلى مدلج يطلب منه خمسة وعشرين ألفاً ، ليقتل له الحسين ، فوعده الأمير مدلج بأن يرسل إليه المبلغ ، فغدر مراد باشا بالأمير الحسين ، واعتقله ، وحبسه في قلعة حلب ، حتى وصل اليه المبلغ من الأمير مدلج ، فعمد إلى الحسين فخنقه في سجنه ، فسلّط الله على مراد باشا أحمد باشا الحافظ ، فقتله (خلاصة الأثر ١ / ٣٨٤و ٣٨٥و٢ / ١٠١و١٠٢) .

وفي السنة ١٠٥٤ قام ابراهيم باشا والي حلب ، بعملية غدر ، أراد بها أن يقبض على الأمير عسّاف ، رئيس عربان الديار الحلبيّة ، وذلك بأن أرسل اليه رجلاً من خواصّه يدعوه إلى وليمة يقيمها له الوالي في حلب ، فاعتذر الأمير عسّاف عن الحضور الى حلب وأرسل الى الوالي هديّة تشتمل على خيول كريمة ، فأحضر الوالي رجلاً من أصحابه اسمه دالي قورد ، واستشاره ، فقال دالي : أنّ العربان لا تألف الحاضرة ، فإن أردت الأجتماع بالأمير عسّاف فهيّء له دعوة خارج حلب ، فكلّفه بأن يكون الوسيط في الإجتماع ، فذهب دالي قورد الى الأمير عسّاف ودعاه باسم الباشا الوالي ، إلى موضع يبعد خمس ساعات عن حلب ، ورتّب الباشا لوازم الضيافة ، ودعا كثيراً من أهالي

حلب ، وفي صباح يوم الوليمة جاء دالي قورد الى الباشا ، وقال له : إن كان فكرك أن تقتل أمير الصحراء ، فإنَّ ذلك محال ، أولاً لأنّي أعطيته عهوداً ومواثيق على سلامته ، فإن غدرت به لم يبق من جميع العربان من يحترم قولاً من أقوالنا ، ثانياً إنَّ الأمير عسّاف سوف لا يأتي وحده ، وإنّما مع الكثير من أتباعه ، فإن جرى عليه شيء هجم أصحابه ، ويكون النصر بجانبهم ، يضاف إلى ذلك إنَّ عساكرنا غير مدرّبة، وعساكره مدرّبة ، فوعده الباشا خيراً ، وطمأنه، ولما حضر الأمير عسّاف لموضع الوليمة ، حضر معه ستّة آلاف فارس من أصحابه بالعدّة التامّة من الرماح والسيوف والدروع ، ولما وصل إلى حضرة الباشا ترجّل عن فرسه وسعى خطوات نحو الباشا ، وترجّل الباشا كذلك ، فلما دخل الأمير عسّاف بين العساكر، أطلق عليه اثنان من العساكر النار مقابلين له ، وأطلق اثنان آخران النار من خلفه ، وكان الأمير عسّاف قد تحصّن من الرصاص بثلاثة دروع ، فنجا ، وأحضر له أصحابه فرساً فركبها ، وهاجم أصحابه الباشا ومن معه ، فقتل من الباشوات والأغوات عشرون رجلاً ، وهجم أصحابه على العسكر التركي ، وأعملوا السيوف وأفلت منهم من ركن الى الفرار ، وعادوا إلى حلب على اقبح صورة ، وعلى أثر ذلك عزل ابراهيم باشا عن حلب (اعلام النبلاء ٣/ ٢٥٤ـ ٢٥٨).

وفي السنة ١٠٦٩ قتل حسن باشا أبازه ، وثلاثون من كبار اصحابه، غدراً ، بمدينة حلب ، وخلاصة القصة إنّ حسن باشا خرج على الدولة في عهد السلطان محمد بن إبراهيم ، وكثر أنصاره ، وانتصر في عدّة حروب ، حتى أنّ السلطان أراد أن يخرج لقتاله بنفسه ، فمنعه وزراؤه ، فوجّه اليه السردار مرتضى باشا ، الذي جعل مقرّ إدارته حلب ، وضيّق على حسن باشا حتى طلب الأمان، فأمّنه مرتضى باشا ، فتوجّه إليه في حلب ، ومعه ثلاثون من كبار أعوانه ، فاستقبلهم مرتضى باشا استقبالاً حسناً ، وأكرمهم ، وعمل لهم ضيافة شائقة ، وأنزل في دار الحكومة كلاً من حسن باشا ، وأحمد باشا

الطيّار ، وكنعـان باشـا ، أما البـاقون فـوزّعوا على أعيـان مدينـة حلب ، وكان مرتضى باشا قد اتّفق مع هؤلاء الأعيان على أنّهم إذا سمعوا صوت المدفع من القلعة ، أن يقتل كلّ منهم من عنده من الأضياف ، وبعد العشاء صار مـرتضى باشا يباسط من بات عنده في دار الحكومة ، وأطعمهم الحلوى ، ثم آن موعد صلاة العشاء ، فقاموا للوضوء ، وشمّروا عن سواعدهم ، فهجم عليهم ثلاثون رجلًا ، وكان مرتضى باشا قد اعـدّهم لقتلهم ، وقتلوا الباشـوات الثلاثـة طعناً بالخناجر، وبعد أن فرغ من أمرهم ، أرسـل إلى القلعة من ضـرب المدفـع ، فقام كلّ واحـد من أصحاب مـرتضى باشـا إلى ضيفه فقتله ، فلم يفلت منهم أحد ، وقطعت رؤوسهم ، وملئت تبنـاً ، وأرسلت الى مقرّ السلطنـة ، وألقيت جثثهم في ساحة باب الفرج (اعلام النبلاء ٣/٢٦٨- ٢٧١).

ولمـا تسلطن أورنـك زيب عالمكير محي الـدين أعـظم شـاه (١٠٦٨- ١١١٩) في الهنـد ، سيّـر إلى لأهـور جيشـاً لمقـاتلة أخيـه دارا ، ونشبت بين الجيشين معـركة ، تفـرّق فيها جيش دارا ، وقصـد دارا مالـك جيوان ، الـذي خان قانون الضيافة ، وغدر بـدارا ، واعتقله وحفيداً لـه ، وكبّلهما بـالاغلال، وأركبهما على فيل ، وتوجّه بهمـا إلى مدينـة دهلي ، حيث أشهرا في شـوارع المـدينة ، فـأثار ذلـك سخط الجماهيـر ، وظهر عليهم الحـزن ، ولما مـرّ في المـوكب مالـك جيوان ، الـذي غدر بهمـا ، تألّبت عليـه الجمـوع، ورجمتـه بـالأحجار والقـاذورات ، حتى كاد أن يقتـل ، لولا أن تـداركه حـاكم المدينـة العسكري ، ورفع الدروع فوق رأسه حماية له مما كان يقذف به . (الاسـلام والدول الإسلامية في الهند ١١٣).

وخـرج الأمير اكبـر على والـده أورنـك زيب ، سلطان الهنـد (١٠٦٨- ١١١٩) وبعث إلى أبيـه برسـول ، ولمـا وصـل الـرسـول الى خيمـة الملك ، أمسك به أحد الحاشية ، فغضب الرسول، وصفع الذي أمسكه ، ثم تراجع ،

فعثّر في احد اطناب الخيمة ، وانطرح أرضاً ، فصاح السلطان ، يأمرهم بقتله، فقتلوه (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٥٠).

وفي السنة ١١٨٢ خدع محمد بك أبو الذهب ، تابع الأمير علي بك ، إثنين من الأمراء وهما الأمير حسين بك والأمير خليل بك السكران ، فقدما عليه بالأمان ، فلما دخلا عليه في مجلسه ، لم يجداه، وعندما استقرّ بهما الجلوس، دخل عليها جماعة من أتباع محمد بك وقتلوهما ، وحضر في أثرهما حسن بك شبكة ، ولم يعلم ما جرى لسيده ، فلما قرب من المكان وأحسّ قلبه بالشرّ ، أراد الرجوع ، فعاقه رجل سائس اسمه مرزوق ، وضربه بنبّوت فوقع على الأرض ، فلحقه بعض الجند واحتزّ رأسه (الجبرتي ٣٥٧/١).

وفي السنة ١١٨٢ أرسل الأمير علي بك بالقاهرة ، عبد الرحمن أغا مستحفظان الى رجل من الأجناد يسمّى اسماعيل اغا ، من القاسمية ، وأمره بقتله ، فلما وصل الأغا حذاء بيته وطلبه ، ونظر إلى الأغا واقفاً بأتباعه ، علم إنّه حضر ليقتله كما قتل غيره ، لأنّه سبق وقتل أناساً كثيرين على هذا النسق بأمر علي بك ، فامتنع من النزول ، وأغلق بابه ، ولم يكن عنده أحد سوى زوجته ، وهي جارية تركية ، وعمّر بندقيته وقرابينته ، وضرب عليهم ، فلم يتمكنّوا من الوصول إليه من الباب ، وصار زوجته تعمّر له ، وهو يضرب ، حتى قتل منهم جماعة، واستمر على ذلك يومين وهو يحارب وحده ، ولما فرغ منه البارود ، ونادوه بالأمان ، صدّق أمانهم ، ونزل من الدرج ، فامسكوا به ، وقتلوه (الجبرتي ٣٦٣/١).

وفي السنة ١١٨٨ مات مسعود بن ناصر ، أمير منبسّة أحد الغَدَرة ، وكان من رجال علي بن عثمان، أمير منبسة ، وهو من أتباع عمّه، فنصبه عليّ حاكماً على بمبا، ثم هاجم عليّ زنجبار ، ومسعود معه ، فاستوليا على الشطر الأكبر منها ، واتّفق مسعود مع خلف بن قضيب، على قتل عليّ ، فقتله

خلف ، وقتل به ، فعاد مسعود ، واستولى على منبسّة ، وتولّى إمارتها إلى أن مات . (الاعلام ٨/١١٧).

وفي السنة ١٢١٦ حضر حضر السيد احمد الزرو الخليلي ، التاجر بوكالة الصابون ، بالقاهرة ، في ديوان الباشا ، وادّعى على جماعة من التجّار ، وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال ، فأمر الباشا بسجنهم ، ولما انفضّ المجلس وشى بعضهم لدى الباشا بأنّ أحمد الزرو كان يحبّ الفرنسيس وعند خروجهم من مصر ، هرب الى الطور ، ثم عاد بأمان من الوزير ، فلما عاد السيد احمد إلى ديوان الباشا الوالي ، أمر بقتله ، فقبض العسكر عليه ، وقطعوا رأسه عند المشنقة التي كان الباشا قد نصبها حيث قنطرة المغربي على قارعة الطريق (الجبرتي ٢/٥١٥).

وفي السنة ١٢١٦ لما دخل الجيش العثماني مصر ، وأخرج الإفرنسيين ، عمل الوزير العثماني بالقاهرة ديواناً ، ولما حضر الأمراء المماليك ، قبض عليهم واعتقلهم ، وكذلك حصل في الإسكندرية ، فإن حسين باشا القبطان ، لاطفهم وجاملهم ، ثم دعاهم إلى حضور إحتفال في الغليون الكبير ، فلما حضروا ، احتجّ حسين باشا بحجّة ، وتركهم في الغليون ، فحضر إليهم أحد الأمراء العثمانيين ، وأخبرهم بأنّه ورد « خطّ شريف » يعني أمراً من السلطان باستدعائهم إلى حضرته ، وأمرهم بتسليم أسلحتهم ، فأبوا ، ونهض محمد بك المنفوخ ، وسلّ سيفه ، وضرب الأمير العثماني فقتله ، فنهض المماليك الأمراء وسلّوا سيوفهم ، واشتبكوا مع العثمانيين في معركة ، فقتل عدد منهم ، وقبض على الباقين ، وفرّ قسم منهم إلى الإنكليز ، فأعلن الانكليز حمايتهم للأمراء المماليك ، وحملوا السلاح ضد العثمانيين ، وأعلنوا الحرب على حسين باشا القبطان ، ثم اجتمع القائد الإنكليزي بالقبطان حسين باشا ، وأصرّ على تسلّم المماليك المعتقلين، فتسلّمهم ، وحمل إليه القتلى أيضاً ، فدفنهم الإنكليز في موكب رسمي

وكذلك صنع الإنكليز الذين كانوا بالجيزة ، فإنّهم طالبوا الوزير بأن يسلم اليهم الأمراء المماليك الذين اعتقلهم بالقاهرة ، فقام بتسليمهم اليهم (الجبرتي ٢/٥٠٢ـ ٥٠٦) .

وكان أحمد باشا الجزّار ، الذي هلك في السنة ١٢١٩ مغرقاً في ظلم الرعيّة ، وكان يأخذ الرجال قسراً إلى ورشة عكّا ، بالسخرة ، ويعاملهم بقسوة عظيمة ، فكان المئات منهم يقتلون قبل الوصول إلى عكّا ، إذ كان الموكّلون بهم يضربونهم بالسياط ، ويطلبون منهم الجري طول الطريق ، وكانوا من شدّة الضرب يستعجلون الجري في الطرق الضيّقة ، فكانوا يسقطون في البحر بالخمسين والستّين ، ولا يرحمهم أحد ، فإذا وصلوا إلى ورشة عكّا ، عوملوا بقسوة عظيمة ، وكان أكثرهم يموتون من سوء المعاملة ، وحدث في أحد الأيّام ، وكان قسم من هؤلاء ، يعملون في حفر الأساس ، وعددهم نحواً من مائتين وثلاثين نفراً ، وعمّقوا في الحفر ، فانقلعت الأرض ، ومال قسم منها عليهم ليدفنهم أحياءً ، فصاح عليهم رفاقهم ، والحراس المشرفون عليهم ، من أجل أن يبارحوا موضعهم ، وسمع الجزار الصيحة ، ولما عرف السبب ، انتهر الجمع ، وصرخ فيهم أن يسكتوا ، وقال لهم : إذا كان الله قد قتلهم ، مالكم ولهم ، ومنعهم أن يخرجوا أحداً منهم ، وسقط حائط الأساس عليهم ، وانطبق عليهم ، ودفنهم أحياء ، ولم ينج منهم أحد (العرفان العدد ٥ المجلد ٦٧ شهر أيار ١٩٧٩) .

وفي السنة ١٢٢٥ عزلت الدولة العثمانية ، الوزير سليمان باشا الصغير والي بغداد ، فعصى ، فسيّرت عليه جيشاً ، فالتجأ سليمان باشا ، إلى قبيلة الدفافعة ، وكان شيخها علي الشعيب ، فقام علي الشعيب بفعلة أورثته وعشيرة الدفافعة خزياً مؤبّداً ، إذ أنّه قتل سليمان باشا ، وقطع رأسه ، وأحضره إلى عبد الرحمن باشا الكردي (تاريخ العراق للعزاوي ٦/٢٠٠) .

وفي السنة ١٢٢٦ قام محمد علي باشا ، بالديار المصرية ، بعملية غدر

صلعاء ، إذ دعى إلى احتفال أقامه ، جماعة من الأمراء المماليك ، وكان قد بيّت مع جماعة من قوّاده ، أن يقتلوا المماليك ، وأعدّ جماعة من العسكر لذلك ، وجرى الأمر وفقاً لما رتّبه ، فإنّه لما سار الموكب ، بارح محمد علي باشا موضع الإحتفال ، ودخل إلى الحريم ، وقام العسكر بمحاصرة هؤلاء الأمراء ، وإطلاق النار عليهم ، فسقط أكثرهم ، وأسر الباقون ، فقطعوا رؤوس القتلى ، وأحضروا المشاعلي (الجلّاد) لرمي أعناق الباقين ، فباشر بقطع أعناقهم في الديوان واحداً بعد واحد ، من ضحوة النهار ، إلى أن مضت حصّة من الليل في المشاعل ، حتى آمتلأ الحوش من القتلى، وانبثّ العسكر خارج القلعة ، وهاجموا بيوت الأمراء المماليك ونهبوها نهباً ذريعاً ، وسلبوا النساء ، ونهبوا البيوت المجاورة لبيوت المماليك أيضاً (الجبرتي ٣/ ٣٢٠ـ ٣٢٣).

وفي السنة ١٢٢٧ قام العسكر العثمانيون في الديار المصرية ، بملاحقة الأمراء المماليك الذين كانوا في الصعيد ، فحضر جماعة من المماليك وأجنادهم إلى ناحية أسوان بأمان من الأتراك ، فغدروا بهم وقبضوا عليهم ، وقتلوهم عن آخرهم، وفعلوا ذلك بغيرهم كذلك (الجبرتي ٣/٣٤٦).

وفي السنة ١٢٣٠ حضر الى القاهرة شيخ طرهونة بالصعيد واسمه كريّم بالياء المشدّدة ، وكان عاصياً على محمد علي باشا ، ويأبى مقابلته ، فلم يزل به إبراهيم باشا يصالحه ويمنّيه، واعطاه الأمان ، حتى جاء اليه وقابله ، ولما حضر محمد علي باشا من الحجاز جاء على أمان ولده إبراهيم ، وقدّم معه هدية، وأربعين من الإبل ، فقبل هديّته ثم أمر برمي عنقه بالرميلة (الجبرتي ٣/ ٤٨٠).

وفي السنة ١٢٣٢ حاصر داود باشا ، بغداد ، بعد أن عيّنته الدولة العثمانية ، لولاية العراق ، وكان صهره ـ أخو زوجته ـ سعيد باشا ابن سليمان باشا ، في القلعة ، فأمر داود باشا ، فانتزع سعيد باشا ، من آحضان أمّه،

وقتل ، وكانت سنّه إذ ذاك خمساً وعشرين سنة، ثم قطع رأسه، وبعث به إلى اصطنبول ، فلام جميع الناس داود باشا ، على هذه الفعلة ، لأنَّ داود باشا ، عتيق سليمان باشا ، والد سعيد ، اعتقه ، وزوّجه ابنته ، ورفعه في المناصب (تاريخ العراق للعزاوي ٦/٢٤٢).

وفي السنة ١٢٧٤ قتل منصور بن عمر الكثيري ، من أمراء حضرموت ، دعاه الأمير عوض بن محمد بن عمر القعيطي إلى وليمة ، فلما دخل، فاجأه نفر من العبيد فقتلوه (الأعلام ٨/٢٤١).

وفي السنة ١٢٨٨ قتل محمد بن عانض أمير بلاد عسير ، وكان الجيش العثماني زحف على بلاده ، فخرج اليهم بأمان وشروط ، فنقضوا عهد الأمان ، واعتقلوه مع رجاله ، وقتلوهم بأجمعهم غدراً (الاعلام ٧/٤٨).

وفي السنة ١٣٢٧ اعتقل السلطان عبد الحفيظ ، صاحب المغرب الفقيه أبا عبدالله محمد بن عبد الكبير الكتّاني ، وجلده ، فمات في حبسه ، وكان سبب ذلك ، أنّه لمّا أراد أهل فاس بيعة السلطان عبد الحفيظ ، تولّى الكتّاني إملاء شروط البيعة ، ومن الشروط تقييد السلطان بالشورى ، فحقدها السلطان عليه ، فساءت حاله ، وضاقت معيشته، فخرج من فاس مع جميع أسرته من رجال ونساء وأطفال قاصداً بلاد البربر ، فأرسل السلطان في طلبه ، وأعاده بالأمان ، ثم غدر به فاعتقله ، وسجنه مصفّداً بالحديد، هو ومن كان معه ، حتى النساء والصبيان ، ثم جلد ، وسحب إلى فاس الجديدة ، فمات فيها (الاعلام ٧/٨٣).

القسم الرابع

القتل غيلة

الغول : المنيّة والداهية ، وفي الأمثال العربية : الغضب غول الحلم .
والاغتيال ، أو القتل غيلة : القتل على غرّة ، بمهاجمة الإنسان تسلّلًا ، أو خفيةً، وقتله .

والقتل غيلة ، قديم ، وأوّل جريمة اغتيال ارتكبت ، كانت في عهد آدم أبي البشر ، إذ قتل قابيل أخاه هابيل ، شدخ رأسه بصخرة ، وهو نائم، فقتله (الطبري ١/١٣٨).

وقد اثبتنا ، في هذا المؤلّف ، أهمّ حوادث الإغتيال ، إذ لا يتّسع لها هذا المؤلّف ، لو أردنا أن نلمّ بجميعها .

وفي السنة ٤٤ ق م، قتل يوليوس قيصر ، غيلة في مجلس الندوة الروماني بمدينة روما ، وكان بين المغتالين أحد أخصّ أصدقائه وهو بروتس، فلما طعن بالخناجر ، التفت فرأى بين القتلة بروتس، فقال كلمته التي ذهبت مثلًا : حتى أنت يا بروتس ، ولفّ وجهه بردائه ، وسقط مرتثاً ، وله كلمة مشهورة ، كتب بها إلى روما بعد أن انتصر انتصاراً مؤزراً ، وكانت رسالته تشتمل على ثلاث كلمات : جئت ، ورأيت ، وانتصرت (المنجد) .

واغتال الحارث بن ظالم المرّي ، خالد بن جعفر بن كلاب ، دخل عليه في خيمته بالحيرة ، وضربه بالسيف فقتله (ابن الأثير ١/ ٥٥٩و٥٦٠).

واغتيل حجر آكل المرار الكندي ، أبو امرىء القيس ، اغتاله علباء بن الحارث الكاهلي (ابن الأثير ١/٥١٤).

وقتل كليب بن وائل ، أخو مهلهل ، وخال امرىء القيس الكندي الشاعر ، قتله غيلة جساس بن مرّة ، فنشبت من أجل مقتله حرب البسوس ، ودامت أربعين سنة .

ولما قتل كليب ، رحلت زوجته جليلة ، وهي أخت جساس ، إلى بيت أبيها ، وارتجلت أبياتاً من الشعر ، لا مثيل لها في جودتها ، منها : (ابن الأثير ١/٥٢٥و ٥٢٩).

فعل جسّاس على ضنّي به	قاصم ظهري ومدن أجلي
يا قتيلاً قوّض الدهر به	سقف بيتّي جميعاً من علِ
هدم البيت الذي استحدثته	وسعى في هدم بيتي الأوّل
خصّني فقد كليبٍ بلظى	من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن	أنّما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدرك للثأر وفي	دركي ثأري ثكل المثكل
إنّني قاتلة مقتولة	فلعلّ الله ان يرتاح لي

وقتل عمرو بن كلثوم ، عمرو بن هند اللخمي ، صاحب الحيرة ، في قصّة مشهورة ، أريد بها أن تهان أمّه ، فغضب لها لما صاحت ، ونهض إلى سيف معلّق في السرادق، وضرب به عَمْراً فقتله (ابن الأثير ١/٥٤٨).

وأول ما عرف الإغتيال في الإسلام، لما اغتيل الخليفة الفاروق عمر ، اغتاله أبو لؤلؤة الفارسي ، غلام المغيرة بن شعبة ، واغتيل من بعده الزبير بن العوّام ، لما فارق المتحاربين في حرب الجمل ، ثم اغتيل الإمام علي بن أبي طالب ، اغتاله احد الخوارج ، ولم أورد بين هذه الاغتيالات ، مقتل الخليفة عثمان ، لأنَّ قتلته هاجموه علناً ، وفتكوا به ، فأثبتُّ مقتله في باب الفتك .

وفي القرنين السادس والسابع الهجري ، استعرت حوادث القتل غيلة ،

اسعرتها الفرقة الباطنية المسماة بالحشّاشين ، وقد أسّس هذه الفرقة الحسن بن الصباح الإسماعيلي (٤٢٨ـ ٥١٨) صاحب قلعة ألموت ، وهو يمانيّ من حمير ، ولد في فارس ، ودخل في دعوة الإسماعيلية النزاريّة، وكان قد تتلمذ لابن عطاش ، صاحب قلعة شاه دز، وكان ابن عطاش هذا احد أعيان الباطنية في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي ، وعمد الحشّاشون ، اصحاب الحسن بن الصباح الى استعمال سلاح الاغتيال ضد خصومهم وأوّل ما بدأوا باغتيال الوزير نظام الملك ، وزير السلطان ألب أرسلان، وولده ملكشاه من بعده ، ثم أصبحت الإغتيالات لهم ديدناً ، فقتلوا خليفتين المسترشد والراشد ، وقتلوا العشرات من الأمراء والوزراء والرؤساء والزعماء حتى اضطر جميع الكبراء أن يلبسوا الزرديّات تحت ثيابهم ، وبالإطلاع على ثبت حوادث الإغتيال ، المثبت في هذا البحث ، يتضح أنّها في جميع القرون التي سبقت ظهور الحشّاشين ، كانت قليلة العدد ، بالنسبة لعددها في القرنين السادس والسابع ، لما ظهرت فرقة الحشّاشين ، وباشرت بعملها في قتل الرؤساء ، وقد بلغ من شهرة الحشّاشين السيئة ، بارتكاب جرائم القتل ، أن أصبح اسم الحشّاشين في بعض اللغات الأوروبية (Assassin) يعني القتل والإغتيال وسفك الدم ، ولما تفاقم شرّهم أمر السلطان بركياروق باستئصال شأفتهم ، فبدأت الحملات ضدّهم ، وتجرّد لهم في أصبهان الفقيه الشافعي أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي ، حيث حشد لهم جماعات مسلّحة ، وأمر بحفر أخاديد أوقد فيها النيران ، وجعل العامّة يأتون بالباطنية أفواجاً وفرادى ، فيلقون في النار ، ونصبوا إنساناً على أخاديد النيران، سموه مالكاً باسم مالك خازن جهنم ، فقتلوا منهم خلقاً كثيرين ، كما تجرّد لهم في الأهواز الأمير جاولي سقاوو فقتل أعيانهم وصناديدهم ، وأحسّ جند كرمان ، بأنّ أميرهم تيران شاه باطنيّ ، فقتلوه ، وفي السنة ٥٠٠ حاصر السلطان محمد السلجوقي قلعة شاه دز ، ففتحها ، وأخذ صاحبها احمد بن عبد الملك بن عطاش ، وهو من كبار الباطنية ، وقتله ، وقتل معه ولده أيضاً ، وقتل اكثر من كان معه، وكان مقتل

ابن عطاش فاجعاً ، فإنّه أخذ أسيراً ، فترك أسبوعاً ، ثم أمر به فشهر في جميع البلد ، ثم سلخ جلده وهو حيّ فتجلّد حتى مات ، وحشي جلده تبناً ، وقتل ولده ، وحمل رأساهما إلى بغداد ، وألقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت ، وكانت مدّة حكم ابن عطاش في هذه القلعة، اثنتي عشرة سنة .

وفي السنة ٦٥٤ تهدّم آخر حصن للحشّاشين ، باستسلام شيخهم لجيوش هولاكو ، وقد قتل بعد استسلامه .

لزيادة التفصيل ، راجع دائرة المعارف الإسلامية ٧/٣٩٦و ٣٩٨، وابن الأثير ١٠/٣١٤و ٣١٥و ٣١٩ و٣٢٠ و ٣٢١ و ٤٣٤).

وفي السنة ٢٣ طعن أبو لؤلؤة ، غلام المغيرة بن شعبة ، الخليفة أبا حفص عمر الفاروق ، رضي الله عنه ، بخنجر له رأسان ، وطعن معه اثني عشر رجلاً ، مات منهم ستّة ، وألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً ، فلما اغتمّ فيه، قتل نفسه (تاريخ الخلفاء ١٣٤).

أقول : كان أبو لؤلؤة ، واسمه فيروز ، نهاونديا ً، أسرته الروم أيّام فارس ، وأسره المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سبي ، ولما قدم بسبي نهاوند إلى المدينة ، كان أبو لؤة هذا ، لا يلقى منهم صغيراً ، إلاّ مسح رأسه وبكى ، وقال : أكل عمر كبدي (الطبري ٤/١٣٦)، وقد فاض هذا الحقد في قلب أبي لؤلؤة ، حتى اعدّ لقتل الخليفة عمر ، خنجراً له رأسان ، نصابه في وسطه ، وتربّص به حتى إذا بدأ بصلاة الصبح ، طعنه بخنجره ستّ طعنات ، إحداهنّ تحت سرّته ، وهي التي قتلته (الطبري ٤/١٩١) ففجع به الإسلام والمسلمون ، وقيل في رثائه : (تاريخ الخلفاء ١٤٤).

عليك سلام من إمام وباركت ... يد الله في ذاك الاديم الممزّق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدّمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتّق

وقـد درج بعض المؤرخين على ذكـر سبب ارتكـاب فيـروز أبي لؤلؤة جريمته هذه بأنّه طلب من الخليفة ان يخفّف عنـه ضريبتـه التي كان عليهـا أن يؤدّيهـا لمولاه المغيـرة بن شعبة ، مـع أن الموضـوع اهم بكثيـر من مـوضـوع تخفيف الضريبة ، ولعل هذا المجرم إنما راجـع الخليفة في مـوضوع تخفيف الضـريبة ، لكي يتخـذ من مراجعتـه هذا سبباً للإقتـراب منـه من أجـل تنفيـذ جريمته .

وفي السنة ٣١ قتل ملك الفرس يزدجرد بن شهريار ، وكان قد فرّ والتجأ إلى بيت نقّـار رحى ، فطمـع النقّار فيمـا معه ، وفي ثيـابـه ، فقتله غيلة وهـو نائم . (ابن الأثير ٣/١١٩ـ ١٢٣) .

وفي السنـة ٣٦ في وقعة الجمـل، انصرف الـزبير من المعـركـة ، قبـل انتهـائها ، ومـرّ بعسكر الأحنف بن قيس ، وكـان معتـزلاً بـأصحـابـه ، فقـال الاحنف : جمع بين المسلمين ، حتى ضرب بعضهم بعضاً ، ثم لحق ببيته ، فلحق بـه عمرو بن جـرموز ، واغتـاله بـوادي السباع ، وأخـذ فرسـه وسلاحـه وخاتمه ، وعاد فاستأذن على الإمام عليّ ، قائلاً : استأذنوا لقاتل الزبير ، فقال الإمام علي : بشروا قاتل الزبير بالنار ، ثم أخذ سيف الزبير ، ينظر إليه ، وهو يقول : سيف طالما جلّى الكرب عن وجه رسول الله . (ابن الأثير ٣/٢٤٤) .

وفي السنة ٣٨ قتل غيلة أعين بن ضبيعة المجاشعي بـالبصرة ، وهـو من أصحـاب الإمام علي ، بعث بـه إلى البصـرة ليثبّط بني تميم عن عبـدالله بن الحضـرمي الـذي بعث بـه معـاويـة ليثيـر أهلهـا على عليّ ، فلمـا قـدم أعين البصـرة، وكلّم بني تميم، تصدّع عن ابن الحضرمي كثير ممن اجتمع عليه، فلما عاد أعين إلى رحله ، قتل غيلة (شرح نهج البلاغة ٤/٤٨) .

وفي السنة ٤٠ خرج الإمـام علي بن أبي طالب ، من داره بـالكوفـة أوّل الفجـر ينادي : الصلاة، فتصدّى لـه عبد الـرحمن بن ملجم ، وضربـه بالسيف

على رأسه ، وصاح : الحكم لله ، لا لـك يا علي ، وقبض علي ابن ملجم ، وأحضر أمام الإمـام علي ، فقال لـه : يا عـدوّ الله ألم أحسن إليك ؟، قـال : بلى ، قـال : فما حملك على هذا ؟ قـال : شحذت سيفي أربعين صبـاحـاً ، وسألتُ الله أن يقتل به شرّ خلقـه ، فقال الإمـام : لا أراك إلاّ مقتولاً بـه ، ولا أراك إلاّ شرّ خلقه ، ثم قال : النفس بالنفس ، إن هلكتُ فـاقتلوه كما قتلني ، وإن بقيتُ رأيت فيـه رأيي ، ألا لا يقتلنّ إلاّ قاتلي ، أنـظر يـا حسن ، إذا أنـا متّ من ضـربتي هذه ، فـاضربـه ضربـة بضربـة ، ولا تمثّلنّ بالـرجل ، فـإنّي سمعت رسـول الله صلوات الله عليه ، يقـول : إيّـاكم والمثلة ، ولـو بـالكلب العقور (الفخري ١٠٠) . .

أقول : لم ينس أبو الحسن ، وهو في حالته تلك ، أن يوصيهم بالعنايـة بقاتله ، لأنّه أسير عندهم ، فقال : أطيبوا طعامه ، وألينوا فراشه (كتاب اسماء المغتالين ١٦٢ والأمامة والسياسة ١ /١٣٨) .

وفي السنة ٤٠ قتل وردان بن مجالد ، وكـان قد شـارك ابن ملجم ، في ضـرب الإمام علي ، ومعهمـا ثالث اسمـه شبيب بن بجـرة ، أمّـا شبيب فقـد نجـا ، وأمّا عبـد الرحمن فقـد قبض عليه ، وأمّـا وردان ، فقد فـرّ عائـداً إلى منزله ، فلاقاه عبدالله بن نجبة فضـربه بـالسيف حتى قتله (الاعلام ٩ /١٢٩ و ١٣٠) .

وفي السنة ٤٠ قتل عمرو بن بكر التميمي الخـارجي ، خارجـة ابن أبي حبيبـة العامـري ، صاحب شـرطة عمـرو بن العـاص ، قتله وهـو يحسب أنّـه عمرو بن العاص ، فأعتقله الناس ، وساقوه إلى عمرو بن العاص ، ولما عرف أنّـه عمرو ، قـال : فمن قتلت ؟ قالـوا : خارجـة ، صاحب شـرطتـه ، فقـال لعمرو : أما والله يا فاسق مـا أردت غيرك ، فقـال له عمـرو : أردتني ، وأراد الله خارجة ، ثم قتله . (الأعلام ٥ /٢٤٠) .

وفي السنة ٦٠ قُتل المثلّم بن مسروح الباهلي ، أحد شرطة عبيدالله بن زياد ، وكان عبيد الله بن زياد ، أوعز بقتل ناسك اسمه خالد بن عبّاد السدوسي ، فقتله المثلّم ،فائتمر به أصحاب خالد ، ورأوه يبحث عن لقحة فاستدرجه أحدهم إلى منزله ، فقتله ، وعفّى خبره ، فقال أبو الأسود الدؤلي أبياتاً منها : (الاعلام ٦/١٥٨) .

وآليت لا أغدو وإلى ربّ لقحة أساومه حتى يعود المثلّم

وفي السنة ٩٧ قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، أمير الأندلس ، قتله بعض جنده غيلة ، وهو يصلّي الصبح ، واتّهم بقتله سليمان بن عبد الملك ، إذ قيل أنّه هو الذي دسّ إلى الجند أن يقتلوه (ابن الأثير ٥/٢٢) .

أقول : سبق أن ذكرت في موضع آخر من هذا الكتاب . أنّ الوليد بن عبد الملك كان قد عزم على اقصاء أخيه سليمان عن ولاية العهد ، واستخلاف ولده عبد العزيز ، وكان رهط من كبار عمّاله قد وافقوه على ذلك ، منهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقتيبة بن مسلم ، وموسى بن نصير ، ولكنّ أجل الوليد عاجله قبل إتمام ما عزم عليه ، فمات قبل ان يبلغ الخمسين ، وخلفه سليمان ، وكان ممتلئاً غيظاً من هؤلاء العمّال ، وكان الحجّاج قد هلك في أيّام الوليد ، وأحسّ قتيبة بما يضمره له سليمان ، فعزم على ان يتغذّى بسليمان ، قبل ان يتعشّى سليمان به ، فأعلن خلعه ، فخالفه جنده ، وقاتلوه ، وقتلوه ، وقتلوا معه رهطاً من إخوته وأهله ، أما موسى بن نصير ، فإنّه حاول ان يرضى الخليفة الجديد بأن أقبل الى الشام ، يحمل أثقالاً من الذخائر والأموال التي غنمها بالأندلس ، وحمل معها من السبي ، والأسرى، ونفيس الأمتعة ما لا يحصى ، ولكنّ سليمان لم ينس سابقة موسى في موافقته على اقصائه عن ولاية العهد ، فعزله عن الإمارة ، وحبسه ، وأغرمه حتى احتاج ان يسأل العرب في معونته (ابن الأثير ٤/٥٦٦) وكان موسى بن نصير لما قصد الشام ، استخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز ، وعلى سبتة وطنجة

ابنه عبد الملك ، وعلى إفريقية ابنه عبدالله ، والظاهر ان سليمان لما عزل موسى أوجس قلقاً من أولاده ، وكان قلقه من عبد العزيز أو فروأقوى ، لأنه كان ضابطاً، حازماً ، وخشي أن عزله ، أن يخرج عليه، فدسّ إلى اتباعه، فارتكبوا جريمة قتله ، وقتلوه وهو يصلّي الصبح في المحراب ، ومما يؤيد اسناد التهمة الى سليمان ، أنّ مرتكبي الجريمة بعثوا برأس الأمير القتيل عبد العزيز الى الخليفة ، وأنّ الخليفة سليمان لم يستح أن يعرض الرأس على الأب المفجوع الذي تجلّد للمصيبة وقال : هنيئاً له الشهادة، فقد قتلتموه ـ والله ـ صوّاماً ، قوّاماً ، وقد ذكر بعض المؤرخين اسباباً اخرى لقتله، منها إنّه كان قد تزوّج بامرأة لذريق (رودريك) ملك اسبانيا ، وكانت قد ألفت مع زوجها الأوّل الواناً من الأبّهة افتقدته في العيش مع زوجها الثاني ، فحاولت ان تستعيد تلك الأبّهة ، وقد غفلت عن الاختلاف بين الحالين ، فأغرته بأن يأمر من يدخل عليه بالركوع له، ثم أغرته بأن يتخذ له تاجاً ، فثقل ذلك على أتباعه من العرب ، والذي يظهر لي ان كل هذه لا يمكن أن تعتبر اسباباً لقتل الأمير في المحراب ، وأعزو القتل الى رغبة من الخليفة ، يؤيد ذلك حمل الرأس الى الشام ، وعرض سليمان رأس الابن على الاب الشيخ المفجوع ، وهذه من سليمان سقطة قبيحة، راجع ابن الأثير ٥/٢٢ .

وفي السنة ١٠٢ قتل أهل افريقية ، عاملهم يزيد بن أبي مسلم ، وكان يزيد هذا كاتباً للحجّاج بن يوسف الثقفي في العراق ، وهو أخو الحجّاج من الرضاعة ، فلما هلك الحجّاج، نصبه خلفاً له على العراق ، ولما ولي سليمان بن عبد الملك ، حبسه ، وبقي محبوساً طيلة عهد سليمان ، وعهد عمر بن عبد العزيز ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ، عمد إلى جميع إصلاحات عمر ، فأبطلها بأجمعها ، وإلى جميع من ولّاهم عمر ، فعزلهم ، وعمد الى من ولّاهم الحجّاج ، فأعادهم إلى الأعمال في الولايات ، ومنهم يزيد بن أبي مسلم ، فإنّه أخرجه من السجن، وولّاه إفريقية ، فعزم على أن يسير فيهم

بسيرة الحجّاج ، فتآمر عليه أهل إفريقية وقتلوه ، وولوا على أنفسهم الأمير الذي كان عليهم قبل يزيد ، وكان يزيد قد حبسه ، فاستخرجوه من الحبس ، وأمّروه ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنّنا لم نخلع يداً من طاعة ، ولكنّ يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضي به الله والمسلمون ، فقتلناه وأعدنا عاملك ، فكتب اليهم يزيد : إنّي لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم، وذهب دمه هدراً (الطبري ٦/٦١٧ وابن الأثير ٥/١٠١) .

أقول : كان يزيد بن أبي مسلم ، يكثر الذكر والتسبيح ، وكان يأمر بالقوم، فيكونون بين يديه يعذّبون ، وهو يقول : سبحان الله ، والحمد لله ، شدّ يا غلام موضع كذا وكذا ، لبعض مواضع العذاب ، وهو يقول : لا إله إلاّ الله ، والله أكبر ، شدّ يا غلام موضع كذا وكذا ، فكانت حالته تلك شرّ الحالات . (سيرة عمر بن عبد العزيز ٣٤) .

وفي السنة ١٢١ قدم بخارى خداه ، واسمه طوق شياده ، على نصر بن سيّار، بسمرقند، فقدم دهقانان كانا قد أسلما على يد نصر، يريدان الفتك ببخارى خداه ، وبواصل بن عمرو القيسي ، عامل نصر على بخارى ، وكان حاضراً المجلس ، فشدّ أحدهما على واصل ، فطعنه بسكّين في بطنه ، وضربه واصل بالسيف على رأسه ، فأطار قحف رأسه ، فقتله ، أما الثاني فهاجم بخارى خداه ، وطعنه، فشدّ عليه الجوزجان، وضربه بجرز كان معه فقتله ، ودعا نصر بن سيّار بوسادة لبخارى خداه ، وأحضر له طبيباً يعالجه ، فمات من ساعته ، ومات واصل كذلك ، فدفن واصل ، وأمّا بخارى خداه ، فكشفوا عنه لحمه وحملوا عظامه الى بخارى (الطبري ٧/١٧٦) .

وفي السنة ١٣٠ قتل غيلة أبو السري عبدالله بن عبيدالله ، المعروف بابن الدمينة ، والدمينة أمّه ، اغتاله مصعب بن عمر السلولي ، وهو عائد من الحج في تباله (الاعلام ٤/٢٣٦) .

وفي السنة ١٣٢ تغيّر السفاح على وزيره أبي سلمة الخلّال ، واتّهمه بالميل لأولاد عليّ ، فقتل غيلة عند خروجه من مجلس السفاح ليلاً ، وأشيع أنّ الخوارج قتلوه ، فقال سليمان بن المهاجر البجلي : (ابن الأثير ٥/٤٣٦).

إن الوزير وزير آل محمّدٍ أودى فمن يشناك كان وزيراً

واتّهم صاحب الفخري (ص ١٥٥- ١٥٦) السفّاح ، بأنّه هو الذي قتل وزيره أبا سلمة الخلّال ، وقال عنه أنّه كان سمحاً، كريماً، فصيحاً، مطعاماً، عالماً بالأخبار ، والأشعار ، والسير ، والجدل ، والتفسير ، وكان ذا مروءة ظاهرة ، اتّهمه السفّاح بأنّه حاول نقل السلطان من العباسيّين الى العلويّين ، وكان أبو مسلم قد استوزره له ، فكتب السفّاح إلى أبي مسلم ، يخبره بأنّه قد اتّهمه، فأرسل أبو مسلم قوماً من خراسان ، فقتلوه غيلة .

وفي السنة ١٣٧ كان أمير إفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، وهو عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، ودخل إليه أخواه ألياس وعبد الوارث لتوديعه فقتلاه ، وكانت إمارته على إفريقية عشر سنين وسبعة أشهر ، فانتصب لحرب ألياس ، كلّ من ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن ، وعمران بن حبيب ، أخي الياس ، ثم تصالحوا على أن تكون تونس لعمران ، وقفصة وما جاورها لحبيب ، وسائر إفريقية لألياس ، ثم غدر ألياس بأخيه عمران فقتله ، فسار حبيب الى تونس فملكها ، وحارب عمّه الياس ، وقتله في السنة ١٣٨ ، ففرّ منه أخوة الياس واستجاشوا أنصاراً ، وحاربوا حبيب وقتلوه في السنة ١٤٠ (ابن الأثير ٥/٣١١- ٣١٦).

وفي السنة ١٣٨ خلع القائد جمهور بن مرار العجلي ، طاعة المنصور ، واعتصم بأذربيجان ، فاغتاله بعض اصحابه ، وحمل رأسه إلى المنصور (الأعلام ٢/١٣٢).

وفي السنة ١٤٤ قتل ابو الخطاب عبد الأعلى بن السمح بن عبيد بن حرملة ، إمام نفوسة ، بعد أن حكم جبل نفوسة منذ السنة ١٤٠ (معجم انساب الاسر الحاكمة ١٠١).

وفي السنة ١٥١ قتل غيلة ، معن بن زائدة الشيباني ، وكان على سجستان ، أنكر بعض الخوارج سيرته ، فاندسّوا مع فعلة كانوا يبنون في منزله ، ثم دخلوا عليه وهو يحتجم ، ففتكوا به ، وشقّ بعضهم بطنه بخنجر ، فقتلهم يزيد بن مزيد ، ابن أخ معن ، ولم ينج منهم أحد . (ابن الأثير ٦٠٦/٥).

وفي السنة ١٦١ قتل غيلة بالأهواز ، أبو عمرو حمّاد عجرد ، الشاعر الراوية ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعبّاسية (الأعلام ٢/ ٣٠٢- ٣٠٣).

أقول : إنفرد صاحب الأعلام بخبر قتل حمّاد غيلة ، فإنّ ابن خلكان ذكر إنّه مات ، كما ذكر إنّ محمد بن سليمان ، عامل البصرة ، قتله على الزندقة (٢/ ٢١٣) أما الخطيب البغدادي ، فلم يذكر شيئاً عن وفاته (١٤٨/٨ و ١٤٩)، وهو أبو عمرو حمّاد بن عمر بن يونس الكوفي ، أحد الشعراء الرواة ، كان واحداً من ثلاثة ، اشتهروا بالمجون والخلاعة ، وهم : حمّاد عجرد ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وكانوا لا يطاقون خبثاً ومجانة ، وكانت تدور بينهم مهاترات ومهاجاة ومحاورات، من أجمل ما سمع ، ومما قيل في حمّاد، وهو من عيون الشعر ، أبيات في وصفه ، تكاد تشكّل صورة كاملة له ، قال :

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه ويقيم وقت صلاته حمّاد
هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنّه الحدّاد
وأبيضّ من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد

وفي السنة ١٦٢ قتل غيلة القائد عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن

الفهري ، المعروف بالصقلبي ، لقّب بذلك لطوله ورزقته وشقرته ، وكان قد عبر من إفريقية إلى الأندلس داعياً إلى طاعة الدولة العبّاسية ، فبذل عبد الرحمن الداخل ألف دينار لمن أتاه برأسه ، فاغتاله رجل من البربر ، وحمل رأسه إلى عبد الرحمن ، فأعطاه ألف دينار (ابن الأثير ٦/٥٤).

وفي السنة ١٦٧ اغتيل عقبة بن سلم بن نافع الهنائي ، بعيساباذ ، في دار عمر بن بزيع ، اغتاله رجل بطعنة خنجر ، فهلك (الطبري ٨/١٦٥).

أقول : كان عقبة بن سلم هذا ، من أرذال الناس ، وكان جاسوساً عند المنصور ، بعثه يتجسّس أخبار العلويّين في المدينة بالحجاز ، فقام بعمله على وجه أرضى المنصور ، فرفعه ذلك عنده ، ثم رافق المنصور إلى الحجاز في سفره الذي قبض فيه على أولاد الحسن، فكان أحد أدلّائه في القبض عليهم ، ثم استخدمه المنصور في إيذاء عيسى بن موسى ، ليضطره بذلك إلى خلع نفسه من ولاية العهد ، والتنازل عنها للمهدي ، فكان يحول بين عيسى وبين دخول الناس إليه ، وإذا ركب عيسى مشى خلفه ، وقال : أنت البقرة التي قال الله : فذبحوها وما كادوا يفعلون ، ونال جزاء تجسّسه وأعماله الرذيلة ، في خدمة أبي جعفر المنصور أن نصبه عاملاً على البصرة في السنة ١٥١ ثم بعثه إلى البحرين فقتل عاملها ، واستحوذ على ماله ومال غيره من الناس ، فاصطفاها لنفسه ، وبلغ المنصور ذلك ، فبعث اليه اسد بن المرزبان للتحقيق فيما اختلس ، فأعطى عقبة أسداً جزءاً مما اختلس ، فورّي عنه في تقريره ، وبلغ أبا جعفر أنّ أسداً أخذ مالاً من عقبة ، فبعث إلى البحرين القائد أبا سويد الخراساني ، وكان صديق أسد ، فلما رآه أسد مقبلاً على البريد فرح ، وكان ناحية من عسكر عقبة ، فتطاول له وقال : صديقي ، فوثب ليقوم لأبي سويد ، فقال له أبو سويد : بنشين بنشين ، ومعناها بالفارسية : إجلس ، فجلس، فقال له : أنت سامع مطيع ؟ قال : نعم ، قال : مدّ يدك ، فمدّ يده ، فضربها بسيفه فقطعها ، ثم مدّ رجله ، ثم مدّ يده ، ثم رجله ، حتى

قطع أربعته، ثم قال له : مدّ عنقك ، فمدّه فضرب عنقه ، وحمل رأسه الى المنصور ، وعزل عقبة ، حتى هلك غيلة في عهد المهدي في السنة ١٦٧ (الطبري ٥١٩/٧، ٥٢٠، ٥٢٣، ١٩/٨، ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٣٩، ٤٠، ١٣٥، ١٦٥).

وفي السنة ١٦٩ قتل غيلة حمزة بن مالك الخزاعي ، ثار بالجزيرة ، في أيّام الهادي العبّاسي ، فسيّر اليه عامل الجزيرة جيشاً ، فهزمه حمزة ، وقوي أمره ، فصحبه ، رجلان ، وثق بهما ، فقتلاه غيلة . (الاعلام ٣١٣/٢).

وفي السنة ١٨١ خالف بطليطلة عبيدة بن حميد ، على الحكم الأموي ، صاحب الأندلس ، فكتب الحكم الى عامل طلبيرة عمروس بن يوسف المعروف بالمولّد ، فاستمال عمروس قوماً من أهل طليطلة يعرفون ببني مخشي فوثبوا على عبيدة ، فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى عمروس ، فسيّره إلى الحكم ، وأنزل بني مخشي عنده ، وكان بينهم وبين البربر الذين بطلبيرة ذحول ، فتسوّر البربر عليهم ، فقتلوهم ، فسيّر عمروس رؤوسهم مع رأس عبيدة الى الحكم (ابن الأثير ١٥٨/٦).

وفي السنة ١٨٥ قتل أهل طبرستان، مهرويه الرازي ، وهو واليها ، فولّى الرشيد مكانه عبدالله بن سعيد الحرشي (ابن الأثير ١٦٨/٦).

وفي السنة ١٨٨ قتل غيلة راشد ، مولى إدريس العلوي ، جدّ الأدارسة بالمغرب ، وكان راشد قد رافق مولاه إدريس لما فرّ من الحجاز بعد وقعة فخّ سنة ١٦٩ ، فمرّا بمصر وإفريقية ، إلى المغرب الأقصى ، حيث استقر إدريس ، وعظم أمره ، ودسّ السمّ لإدريس ، فمات ، فتولّى راشد إدارة الأمور باسم الجنين من أولاد إدريس،ولما ولد ، قام راشد بأمره وأمر دولته ، حتى نشأ ، وتسلّم عرش أبيه ، فدسّ إبراهيم بن الأغلب ، صاحب القيروان ، من قتل راشد غيلة . (٣٣/٣).

وفي السنة ٢٠٠ قتل بالإسكندرية ، عمر بن عبد الملك ، من أولاد

معاوية بن حديج ، قتله أنصاره الأندلسيّون بالإسكندرية ، وكان يلي الإسكندرية ، فعزله المطلب بن عبدالله ، أمير مصر ، فعصى واتّفق مع الجروي العاصي ، ووقعت حروب ، فانكسر عمر ، ثم عاد ، وعادت الفتنة ، إلى أن قتل بالإسكندرية (الأعلام ٥/٢١٣).

وفي السنة ٢٠٢ كان الفضل بن سهل وزير المأمون ، في الحمّام ، بسرخس ، فدخل عليه قوم ، وقتلوه غيلة ، فاعتقلهم المأمون ، فقالوا له : أنت أمرتنا بقتله ، فأمر بهم فقطعت أعناقهم . (ابن الأثير ٦/٣٤٦-٣٤٧).

وفي السنة ٢٢٦ قتل أمير السند عمران بن موسى بن يحيى البرمكي ، حيث وقعت فتنة بين النزارية واليمانية ، فمال إلى اليمانية ، فسار إليه احد النزارية ، وقتله غيلة . (الاعلام ٥/٢٣٤).

وفي السنة ٢٤٧ تآمر المنتصر ، وبعض الأتراك على قتل المتوكل ، ودخلوا عليه ليلاً ، فابتدره احدهم فضربه على كتفه وأذنه ، فقدّه ، فاستقبله بيده ، فضربها ، فأبانها ، وشاركه باغر ، فتصدّى لهم الفتح بن خاقان فبعجوه بسيوفهم فصاح ، فقتلوهما معاً . (ابن الأثير ٧/٩٨-٩٩).

وفي السنة ٢٥٥ قتل غيلة ، خفاجة بن سفيان ، أمير صقلية ، اغتاله رجل من عسكره ليلاً ، وهو عائد من سرقوسة إلى بلرم ، وخلفه ولده محمد ، (الأعلام ٢/٣٥٥).

وفي السنة ٢٥٧ قتل غيلة محمد بن خفاجة ، أمير صقلية ، وكان قد استولى على مالطة ، فأضافها إلى ملكه ، وانتصر على أساطيل الروم ، فاغتاله ثلاثة من خدمه ، قتلوه في عاصمة حكمه مدينة بلرم بصقلية (الاعلام ٦/٣٤٧).

وكان أحمد بن عبدالله الخجستاني ، من أصحاب محمد بن طاهر ، ثم التحق بيعقوب الصفّار ، ثم استولى على نيسابور ، وخلع طاعة يعقوب ، ثم

استولى على جرجان ، وعاد إلى نيسابور ، فأقام بها ، وحار به عمرو بن الليث الصفّار، فانكسر عمرو، ثم سار احمد الى طخارستان، فتواطأ عليه غلامان من غلمانه وهما قتلغ ورامجور، فقتلاه في السنة ٢٦٢ (ابن الأثير ٧/٢٩٦-٣٠٣).

وقتل الأمير خمارويه ، صاحب مصر والشام ، بدمشق في السنة ٢٨٢ ، وكان يحرسه بمصر ، إذا نام ، سبع أزرق العينين ، اسمه زريق ، أنس بخمارويه ، وكان يتركه مطلقاً في الدار ، لا يؤذي أحداً ، وإذا نصبت مائدة خمارويه ، أقبل زريق معها ، ورربض بين يديه ، فكان يرمي إليه بيده ، بالدجاجة بعد الدجاجة ، وبالفضلة الصالحة من الجدي ، فإذا نام خمارويه ، جاء زريق ، وربض بين يدي سريره ، يراعيه ، ما دام نائماً ، وإذا نام خمارويه على الأرض استقرّ زريق قريباً منه ، لا يغفل عنه لحظة واحدة ، وكان قد ألف ذلك ، ودرب عليه ، فلا يقدر أحد ان يدنو من خمارويه ، ما دام نائماً ، لمكان زريق ، ولما قتل خمارويه بدمشق ، كان زريق في القاهرة . (خطط المقريزي ١/٣١٧).

وفي السنة ٢٨٩ اغتيل الأمير ابو العباس أحمد بن إبراهيم بتونس ، اغتاله خدم صقالبة ، وخلفه ولده زيادة الله أبو نصر (العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ١٩٥).

وفي السنة ٢٩٠ قتل من الأغالبة السلطان أبو العباس عبدالله (الثاني) بن محمد ، بعد حكم طال ٢٩ سنة (معجم انساب الاسر الحاكمة ١٠٦).

وفي السنة ٢٩٢ قتل غيلة ، يحيى بن القاسم بن إدريس ، الملقّب بالعدّام، من ملوك الأدارسة، بالمغرب ، قتله رجل يدعى الربيع بن سليمان، بفاس . (الاعلام ٩/٢٠٤).

وفي السنة ٢٩٣ قتل أبو غانم عبد الله بن سعيد القرمطي ، وكان قد احتلّ مدينة بصرى ، وقتل رجالها ، وفتح طبرية ، وقتل أهلها وسبى نساءها ،

وبطش بأهل هيت ، فبعث السلطان جيشاً لمحاربته ، فوثب عليه بعض من كان معه ، وقتلوه (الأعلام ٤/٢٢٢).

وفي السنة ٢٩٦ أراد رجال الدولة خلع المقتدر ، وقبل مباشرة خلعه ، بدا للوزير العباس بن الحسن ، والقائد فاتك المعتضدي ، فخالفهم ، فقام الحسين بن حمدان ، وبدر الأعجمي ، ووصيف ، فقتلوا العباس بن الحسن ، وفاتك المعتضدي ، في الطريق (ابن الأثير ٨/١٤).

وفي السنة ٣٠١ قتل الأمير أحمد بن اسماعيل الساماني ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، اغتاله جماعة من غلمانه ، فذبحوه على سريره وهربوا ، وكان له أسد يربطه كلّ ليلة ، على باب مبيته ، فلا يقربه أحد ، فاغفلوا إحضار الأسد تلك الليلة (ابن الأثير ٨/٧٧).

وفي السنة ٣٠٢ قتل أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي ، زعيم القرامطة ، اغتاله خادم له صقلبي في الحمّام ، وقتل معه أربعة نفر من رؤسائهم ، كان يدعو واحداً واحداً ، يقول له : السيّد يستدعيك ، فإن دخل قتله ، ثم فطنوا له ، فقتلوا الخادم . (ابن الأثير ٨/٨٣- ٨٤).

وفي السنة ٣٠٣ قتل بطعنة حربة ، الفتح بن موس بن ذي النون ، صاحب حصن أقليش بالأندلس غدر به رجل من أصحابه يعرف بالأقرع ، أصاب منه غرّة ، فقتله . (الأعلام ٥/٣٣٢).

وفي السنة ٣١١ قتل أبو زكريا يحيى الأرجاني ، حاكم جبل نفوسة (معجم انساب الاسر الحاكمة ١٠١).

وفي السنة ٣٢٢ ، لما بويع الراضي بالخلافة ، كان هارون بن غريب الخال ، خال المقتدر ، على معاون ماه الكوفة وما سبذان ، فترك عمله ، وتوجّه إلى بغداد ، إذ رأى نفسه أحقّ بالدولة ، لقرابته ، فعظم ذلك على القوّاد بالحضرة ، وراسله الراضي في البقاء في موضعه ، فلم يقنع ، واستمرّ

في طريقه ، فخرج إليه الجند العبّاسي ، ونشبت المعركة في النهروان ، فتقطّر بهارون فرسه ، وسقط في ساقية ، فلحقه يمن غلامه ، فضربه بالطبرزين ، حتى أثخنه ، ثم سلّ سيفه ليذبحه ، فقال له هارون : يا عبد السوء ، أنت تفعل هذا ، وتتولّى بيدك قتلي ، أي شيء أذنبت به إليك ؟ فقال له : نعم ، أنا أفعل بك هذا ، وحزّ رأسه . (تجارب الأمم ١/٣٠٦- ٣٠٩).

وفي السنة ٣٣٢ قتل أبو عبدالله البريدي ، أخاه أبا يوسف البريدي ، اتّهمه بأنه أراد القبض عليه ، والاستبداد بالأمر دونه ، فأقام غلمانه يرصدونه في طريق مسقّف بين داره والشطّ ، فلما أقبل إليه أبو يوسف ، وثب عليه الغلمان، فقتلوه ، وهو يصيح : يا أخي، يا أخي، قتلوني، وأخوه يسمعه، ويقول: إلى لعنة الله (ابن الأثير ٨/٤٠٩- ٤١٠).

ولما قتل مرداويجُ أسفارَ بن شيرويه ، ومَلَكَ قزوين ، والريّ ، وهمدان ، وكنكور ، والدينور ، وبروجرد ، وقم ، وقاشان ، وأصبهان ، وجرباذقان ، أساء السيرة ، وطغى، وعمل له سريراً من ذهب يجلس عليه ، والتفّ الديلم حوله ، وعظمت جيوشه ، واستولى على الأهواز ، وعمل تاجاً مرصّعاً على صفة تاج كسرى ، وعزم على قصد العراق ، وإعادة بناء المدائن وإيوان كسرى ، وفي السنة ٣٢٣ هاجمه غلمان له من الأتراك ، وهو في الحمام ، باتّفاق مع بعض قوّاده وقتلوه (ابن الأثير ٨/١٩٧، ٢٢٧، ٢٨٥، ٢٩٨- ٣٠٣).

أقول : كان مرداويج يفكر في إعادة إمبراطورية الفرس ، وكان قد كتب إلى عامله على الأهواز أن يعدّ له إيوان كسرى منزلاً إذا تقدّمه إلى الحضرة ، وأن يعمّره ويعيده كهيأته قبل الإسلام ، وكان قد صاغ لنفسه تاجاً عظيماً ، ورصّعه بالجوهر ، وصنع سريراً من الذهب ، جعل عليه منصّة عظيمة من أجل جلوسه ، وجعل دونه سرير فضّة وعليه فرش ، ودونه كراسي مذهبة ، وكان أتباعه يقفون بالبعد منه قياماً ، ما ينطقون إلاّ همساً ، وكان يريد أن

يلقّب بشاهنشاه ، وكان يقول : أنا أردّ دولة العجم ، وأبطل دولة العرب (تجارب الأمم ١/٣١٧ـ ٣١٨ وابن الأثير ٨/٣٠٢) .

وفي السنة ٣٧١ قام ابو الحسين العتبي ، وزير الأمير نوح بن منصور الساماني ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، بعزل أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور عن قيادة الجيوش السامانية ، فوضع ابن سيمجور جماعة من المماليك على قتل العتبي ، فقتلوه (ابن الأثير ٩/١١ـ ١٣) .

وفي السنة ٣٧٢ اغتال أبو الفرج بن عمران بن شاهين ، أخاه أبا محمد صاحب البطيحة ، فانتصب في موضعه ، وقد انتهز أبو الفرج أنّه صحب أخاه أبا محمد لزيارة أخت لهما اعتلّت ، فلما دخلا الى الحرم ، توقّف حرس ابي محمد عن الدخول ، فانتهز أبو الفرج الفرصة ، فضرب أبا محمد بالسيف فقتله (ذيل تجارب الأمم ٨٢ـ ٨٣)، وفي السنة ٣٧٣ تحرّك القوّاد على أبي الفرج فقتلوه ونصبوا مكانه أبا المعالي ابن أبي محمد بن عمران (ذيل تجارب الأمم ٨٨) .

وفي السنة ٣٧٥ قتل الحسن بن القاسم الإدريسي ، آخر أمراء الدولة الإدريسية في الريف المغربي ، ولي الحكم بعد أخيه أحمد سنة ٣٤٨ وحارب المروانيّين بالأندلس ، فانكسر جيشه ،وحمل إلى قرطبة ، ثم أطلق ، فقصد الفاطميّين بمصر ، واستعان بهم لاستعادة ملكه ، فأعانوه ، وحارب المروانيّين مجدّداً في السنة ٣٧٣ فانكسر ، وأسر ، وسيق ثانية إلى قرطبة ، فقتل غيلة وهو في الطريق (الاعلام ٢/٢٢٧ـ ٢٢٨) .

وفي السنة ٣٩١ قتل حسام الدولة أبو حسّان المقلّد بن المسيّب العقيلي صاحب الموصل ، غيلة ، ذبحه أحد غلمانه ، وسبب ذلك : أنّ غلمانه الأتراك سبق أن هربوا منه وأخذوا دوابّه . فتبعهم ، وظفر بهم ، وقتل ، وقطع أحد عشر غلاماً منهم ، وأعادهم إلى خدمته ، فراعى أحدهم الفرصة ، وذبحه وفرّ (تاريخ الصابي ٨/٣٨٩) .

وفي السنة ٤٠٥ قُتل بدر بن حسنويه ، غيلة ، قتله بعض أتباعه ، وكان أمير الجبل ، كثير الصدقة، كبير النفس ، عظيم الهمة (ابن الأثير ٩/٢٤٨).

أقول : أبو النجم بدر بن حسنويه بن الحسين الكردي ، ولّاه عضد الدولة البويهي على الجبل ، خلفاً لوالده حسنويه ، وكانت له الولاية على الجبل ، وهمذان ، والدينور ، وبروجرد ، ونهاوند ، وأسترباذ ، وما يجاورها ، وقامت هيبته بالشجاعة والسياسة والعدل وبذل الأموال في عمل الخير ، وكنّاه القادر أبا النجم ،ولقّبه ناصر الدولة ،وعقد له لواء وأنفذه اليه ، وكانت أعماله آمنة، فإذا وقع حمل في البرية ، تركه صاحبه ومضى فجاء بما يحمله عليه ، فلا يتعرّض له أحد ، ولما عاث قومه في البلاد عمل لهم دعوة ، وقدّم لهم أنواع الطبائخ ، ولم يقدّم خبزاً ، فجلسوا ينتظرون الخبز ، فقال لهم : ما بالكم لا تأكلون ؟ فقالوا : أين الخبز ؟ فقال لهم : إذا كنتم تعلمون أنّه لا بدّ لكم من الخبز، فلماذا أفسدتم الحرث ؟ لئن اعترض أحدكم بصاحب زرع ، فسأقابله بسفك دمه ، واجتاز يوماً برجل يحمل حملاً من الحطب على ظهره وهو يبكي ، فنزل اليه ، وسأله عن سبب بكائه ، فقال : إنّي ما أكلت منذ البارحة شيئاً ، وكان معي رغيفان أعددتهما لاتغدّى بهما ، وأبيع الحطب وأحمل ثمنه لقوت عيالي ، فاجتاز بي أحد الفرسان وأخذ الرغيفين منّي ، فأخذه معه وأوقفه على مضيق ووقف معه ، حتى اجتاز العسكر ، فمرّ صاحبه ، فأشار إليه ، وقال : هذا ، فأمره بدر أن ينزل عن فرسه ، وألزمه أن يحمل الحطب على ظهره الى البلد ، وأن يبيعه ويسلّم ثمنه إلى صاحب الحطب ، جزاء لما فعل ، فرام الرجل أن يفتدي نفسه بمال، حتى عرض أن يعوّض صاحب الحطب وزن حطبه دراهم ، فلم يقبل منه ، وفرض عليه أن يحمل الحطب على ظهره ، وأن يبيعه في البلد ، ففعل الرجل ذلك ، فقامت الهيبة في النفوس، ولم يجرأ أحد من أصحابه صغيراً أو كبيراً على شيء ، وكانت جراياته متصلة على

الفقهاء والأشراف والقضاة والشهود والأيتام والضعفاء ، وكان إذا قطع برّه عن أحد أصحابه لذنب اقترفه ، فإذا مات أعاد البرّ على أولاده ، وكان قد حصر حصن كوس حد ، حصن الحسن بن مسعود الكردي ، فجاء بدراً رجل كردي وقال له : قد عزموا على قتلك ، وكان بدر عظيم الإعتداد بنفسه ، فقال له : من هؤلاء الكلاب حتى يقدموا على ذلك، فعاوده ، وحذّره ، فغضب ، وقال له : لا أريد نصحك ، فاغتاله بعض اتباعه ، ونهبوا معسكره ، وتركوه وساروا ، وخلّفوه ملقى على الأرض ، فنزل الحسن بن مسعود من حصنه ، وأمر بتجهيزه وتكفينه ، وحمله إلى مشهد علي عليه السلام فدفن هناك ، وكانت مدّة إمارته اثنتين وثلاثين سنة (المنتظم ٧/٢٧١- ٢٧٢).

وفي السنة ٤٠٦ أطلق شمسُ الدولة ، طاهر بن هلال بن بدر بن حسنويه ، وكان معتقلاً عنده ، وأقام طاهر بالنهروان، وصاهر أبا الشوك ، فلما أمنه طاهر ، وثب عليه أبو الشوك ، فاغتاله ، لأنّه كان يطلبه بثأر أخيه سعدي . (ابن الأثير ٩/٢٦١).

أقول : لما قتل بدر بن حسنويه ، كان ولده هلال محبوساً عند الملك سلطان الدولة ، فلما استولى شمس الدولة بن فخر الدولة على بعض بلاد بدر ، أطلق سلطان الدولة هلالاً ، وجهّزه بجيش ليستعيد من شمس الدولة ما استولى عليه ، والتقى هلال بشمس الدولة ، فانهزم أصحاب هلال ، وأسروه ، وفي السنة ٤٠٦ أطلقه شمس الدولة ، فاجتمع له طوائف حارب بهم أبا الشوك الكردي فهزمه وقتل أخاه سعدي ، وأقام طاهر بالنهروان ، ثم صالحه أبو الشوك وزوّجه بأخته ، حتى إذا اطمأنّ له طاهر ، وثب عليه أبو الشوك فقتله (ابن الأثير ٩/٢٤٩- ٢٦٠).

وفي السنة ٤٠٧ تآمر قوّاد خوارزم شاه أبي العباس مأمون بن مأمون ، وقتلوه غيلة ، وكان قد صاهر محمود بن سبكتكين ، فلما بلغه الخبر ، قصد

خوارزم وحارب القوّاد ، وكسرهم ، وأسر قسماً منهم فصلبهم عند قبر خوارزم شاه. (ابن الأثير ٩/ ٢٦٤-٢٦٥).

وفي السنة ٤٠٨ قتل الناصر لدين الله علي بن حمّود الإدريسي الحسني ، أوّل ملوك الدولة الحمّودية بقرطبة ، قتله بقرطبة بعض الصقالبة دخلوا عليه الحمام وقتلوه (الاعلام ٥/ ٩٤).

وفي السنة ٤٠٨ قتل غيلة المرتضي ، عبد الرحمن بن محمد الأموي ، وكان قد تصدّى لطلب الخلافة ، وتبعه جماعة ، ثم دسّوا عليه من قتله (الأعلام ٤/ ١٠٢).

وفي السنة ٤٠٩ قتل غيلة بالقاهرة ، أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح الكتامي ، من أكابر وزراء الفاطميّين بمصر، قتله فارسان متنكّران بالقاهرة. (الأعلام ٥/ ٧٦).

وفي السنة ٤١١ قتل الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز بن المعزّ العلوي ، غيلة ، ولم يعرف قاتله ، وبصروا بالحمار الذي كان يركبه ، وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما ، ورأوا ثياب الحاكم ، وهي سبع قطع صوف ،مزرّرة بحالها لم تحلّ ، وفيها أثر السكاكين ، فأيقنوا بأنّه قد قتل (ابن الأثير ٩/ ٣١٤-٣١٥).

وفي السنة ٤١٢ قطعت خطبة سلطان الدولة البويهي من العراق، وخطب لمشرّف الدولة ، وطلب الديلم من مشرّف الدولة أن ينحدروا إلى بيوتهم بخوزستان، فأذن لهم، وأمر وزيره أبا غالب بالإنحدار معهم ، فلما وصلوا إلى الأهواز، قتلوه (ابن الأثير ٩/ ٣٢٣).

وفي السنة ٤١٣ قتل أمير الأمراء ، عزيز الدولة ، وتاج الملّة (هذه ألقابه) فاتك بن عبدالله الرومي ، أمير حلب للحاكم الفاطمي ، دخل عليه غلام له هندي ، وهو نائم في فراشه ، فقتله (الاعلام ٥/ ٣٢٢).

وفي السنة ٤٢٢ قتل غيلة ، الوزير أبو عليّ الحسن بن علي بن جعفر ، المعروف بابن ماكولا ، من نسل أبي دلف العجلي ، كان وزير جلال الدولة البويهي ، وحارب على رأس جيش ، فانكسر ، وحمل إلى أبي كاليجار ، فاطلقه ، فلم يلبث أن اغتاله غلام له اسمه عدنان ، بالأهواز (ابن الأثير ٩/٤٠١ والاعلام ٢/٢١٨).

وفي السنة ٤٢٥ قتل أمية بن عبد الرحمن الأموي ، بقرب قرطبة ، وكان أميّة هذا قد أحدث فتنة بقرطبة في السنة ٤٢٢ فأخرجه أهل قرطبة ، وجميع بني أميّة ، خشية الفتنة ، وفي السنة ٤٢٥ بلغهم أنّه قادم إلى قرطبة ، فخافوا فتنة ، فاخرجوا إليه من قتله بقرية راشد قرب قرطبة (الأعلام ١/٣٦٣).

وفي السنة ٤٢٦ قتل علي بن ثمال الخفاجي ، أمير بني خفاجة ، وكانت له حماية الكوفة ، قتله غيلة ، إبن أخيه الحسن بن أبي البركات بن ثمال (الأعمال ٥/٧٥).

وفي السنة ٤٣٠ قتل أبو الحكم منذر بن يحيى التجيبي ، الملقّب بالحاجب المنصور ذي الرياستين ، صاحب سرقسطة بالأندلس ، قتله أحد قوّاده ، دخل عليه وهو غافل قد أكبّ على كتاب يقرأه ، فطعنه بسكين ، فقتله (الأعلام ٨/٢٣١- ٢٣٢).

وفي السنة ٤٤٠ قتل الأمير آقسنقر ، بهمذان ، قتله الباطنية غيلة ، لأنّه كان شديداً عليهم (ابن الأثير ٩/٥٥٢).

ولما قتل طغرل الحاجب ، السلطان عبد الرشيد ، صاحب غزنة ، وتسلطن مكانه ، في السنة ٤٤٤ ، أنكر ذلك أحد الأمراء واسمه خرخيز ، وكتب إلى وجوه القوّاد يعيّرهم بسكوتهم عن ذلك ، فتآمر القوّاد على طغرل ، ودخلوا عليه ، فضربه أحدهم بسيفه ، وتبعه الباقون ، فقتلوه . (ابن الأثير ٩/٥٨٤).

وفي السنة ٤٥٧ قتل بقرطبة ، أبو مروان عبد الملك بن زيادة الطنبي ، قتلته جواريه ، لتقتيره عليهنّ (الأعلام ٤/٣٠٣).

وفي السنة ٤٥٧ قتل منصور بن عبد الملك ، صاحب باب الأبواب ، وكان قد حكم منذ السنة ٤٣٤ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٨٣).

وفي السنة ٤٦٨ قتل صاحب حلب أبو المظفر نصر بن محمود من بني مرداس (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٢٠٤).

ومن الفواجع التي تذكر في التاريخ ، ما أصاب المعتمد بن عباد اللخمي ، صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما (٤٣١- ٤٨٨)، وقد كان من أفراد الدهر شجاعة وجوداً وحزماً ، فقد قتل ولده أبو عمر الظافر ، في قرطبة وهو أميرها ، وفي السنة ٤٨٣ قتل المرابطون بقرطبة ولده الآخر المأمون أبا النصر عبّاد ، وكان أميراً بها كذلك ، وفي السنة ٤٨٤ استولى المرابطون على إشبيلية ، وأسروا المعتمد ، وأثقلوه بالحديد ، ونفوه إلى أغمات بمراكش ، حيث سجن هناك إلى أن مات في السنة ٤٨٨ ، وكان ولداه الراضي بالله أبو خالد يزيد بحصن رنده ، والمعتدّ بالله بحصن مارتلة ، والحصنان منيعان ، فكتب المعتمد اليهما بتسليم الحصنين للمرابطين ، فلما نزل الراضي عن الحصن ، قتل غيلة ، أما المعتدّ فإنّه لما نزل، اعتقل وصودر ، ومن بعد اعتقال المعتمد ، ثار أحد أولاده ، واسمه عبد الجبّار ، واعتصم بحصن أركش ، وهو معقل مجاور لإشبيلية، فقتل في إحدى المعارك . (المعجب للمراكشي ١٩٠- ٢٠٠- ٢٠٥- ابن الأثير ٩/٢٨٥-٢٨٨ والاعلام ٧/٥٠).

وفي السنة ٤٨٥ قتل الوزير نظام الملك الشهير ، أبو علي الحسن بن علي بن اسحق ، وزير السلطان ملكشاه ، ووزير أبيه ألب أرسلان من قبله ، صاحب المدارس النظامية ، في بغداد ، وفي غيرها من المدن في أنحاء ممالك الإسلام ، وكان ذلك بالقرب من نهاوند ، كان صائماً فأفطر ، وخرج في محفّته، فتصدّى له صبيّ ديلميّ في صورة مستميح ، فلما اقترب منه

ضربه بسكّين كانت معه ، فقضى عليه ، وأراد أن يهرب ، فأدركوه فقتلوه ، فقال فيه شبل الدولة مقاتل بن عطية : (ابن الأثير ١٠/ ٢٠٤ـ ٢٠٦).

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزّت ولم تعرف الأيّام قيمتها فردّها غيرة منه إلى الصدف

وفي السنة ٤٨٦ قتل السلطان بركياروق بن ملك شاه ، الأميرَ يلبرد ، أحد كبار أمرائه ، وأمراء أبيه ، وكان بركياروق ، قد زاد في إقطاعه ، إقطاع كوهرائين ، وشحنكية بغداد ، وكان قد وصل إلى دقوقا ، فأعيد منها ، لأنّه تكلّم على والدة السلطان بركياروق ، بكلام شنيع ، فلما وصل إليه ، أصبح مقتولاً (ابن الأثير ١٠/ ٢٢٦).

وفي السنة ٤٨٧ قتل جمال الدولة بن محمد بن عمّار قاضي الإسكندرية، من بني عمّار حكّام طرابلس الشام (معجم أنساب الأسر الحاكمة ١٦٠).

وفي السنة ٤٩٠ قتل عبد الرحمن السميرمي ، وزير أمّ السلطان بركياروق ، قتله باطني، غيلة ، وقتل الباطني بعده . (ابن الأثير ١٠/ ٢٧٠).

وفي السنة ٤٩٠ قتل ارغمش النظامي ، مملوك نظام الدولة ، بالريّ ، وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً ، بحيث إنّه تزوّج إبنة ياقوتي عمّ السلطان بركياروق ، قتله باطني ، وقتل قاتله . (ابن الأثير ١٠/ ٢٧١).

وفي السنة ٤٩٠ قتل برسق ، وهو من أكابر الأمراء ، وكان أوّل شحنة ببغداد ، قتله باطني . (ابن الأثير ١٠/ ٢٧١).

وفي السنة ٤٩٠ قتل صاحب خراسان أرسلان أرغون ، بن ألب أرسلان ، وهو أخو السلطان ملكشاه ، قتله أحد غلمانه ، لسوء معاملته لهم ، طعنه بسكين، فقتله . (ابن الأثير ١٠/ ٢٦٢).

وفي السنة ٤٩٢ خالف الأمير أنر ، على السلطان بركياروق ، وكان في احد الأيّام صائماً ، فلما أفطر ، هجم عليه ثلاثة نفر من الأتراك ، فصدم أحدهم المشعل ، فألقاه ، وصدم الآخر الشمعة فأطفأها ، وطعنه الثالث بالسكّين، فقتله ، وقتل معه جانداره . (ابن الأثير ١٠/٢٨٢).

وفي السنة ٤٩٥ اغتال شاب أشقر ، الأعز أبا المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستاني ، وزير السلطان بركياروق ، قيل أنه من غلمان أبي سعيد الحدّاد ، وكان الدهستاني قد قتله في العام الماضي (ابن الأثير ١٠/٣٣٥).

وفي السنة ٤٩٥ هاجم أحد الباطنية ، جناح الدولة ، وهو بالمسجد الجامع ، بحمص ، فقتله ، قيل إنَّ ربيبه الملك رضوان، وضع عليه من قتله غيلة (ابن الأثير ١٠/٣٤٥).

وفي السنة ٤٩٦ قتل أبو المظفر بن الخجندي ، بالريّ ، وكان يعظ الناس ، فلما نزل من كرسيّه ، قتله رجل علويّ ، فقتل العلوي . (ابن الأثير ١٠/ ٣٦٦).

وفي السنة ٤٩٨ ارتاب السلطان محمّد ، بالأمر إياز ، فوضع جماعة من القوّاد على قتله ، فلما اجتمعوا ، ضرب أحدهم رأسه فأبانه ، ولفّ إياز في مسح ، وألقي على الطريق عند دار المملكة ، واختفى وزيره الصفيّ ، ثم أخذ ، وحملَ إلى دار الوزير سعد الملك ، وقتل كذلك (ابن الأثير ١٠/٣٨٧- ٣٨٩).

وفي السنة ٤٩٨ فتك باطنيّ بأبي جعفر بن المشّاط ، من شيوخ الشافعية بالريّ ، لما نزل من كرسي الوعظ ، تصدّى له الباطني فقتله (ابن الأثير ١٠/٣٣٣).

وفي السنة ٤٩٩ قتل أحد الباطنية ، القاضي أبا العلاء صاعد بن محمد النيسابوري الحنفي ، بجامع أصبهان (ابن الأثير ١٠/٤١٥).

وفي السنة ٥٠٠ قتل أحد الباطنيّة ، فخر الملك علي بن نظام الملك الحسن ، وكان مقيماً عند السلطان سنجر ، وكان صائماً ، فلما كان وقت العصر ، خرج يريد الحرم ، فسمع صياح متظلّم شديد الحرقة ، يصيح : ذهب المسلمون ، لم يبق من يكشف مظلمة، فأحضره ، وقال له : ما حالك ؟ فدفع إليه رقعة ، وبينما كان يتأمّلها ، ضربه بسكين ، فقتله ، وقتل الباطني . (ابن الأثير ١٠/٤١٨- ٤١٩).

وفي السنة ٥٠٢ قتل قاضي أصبهان ، عبيدالله بن علي الخطيبي بهمذان ، وكان قد تجرّد في أمر الباطنية تجرّداً عظيماً ، وصار يلبس درعاً حذراً منهم ، ويحتاط ، ويحترز ، قصده إنسان عجمي يوم جمعة ، ودخل بين أصحابه، فقتله (ابن الأثير ١٠/ ٤٧١- ٤٧٢).

وفي السنة ٥٠٣ هاجم أحد الباطنية ، الوزير نظام الملك ، احمد بن نظام الملك الحسن ، وكان متوجّهاً إلى الجامع فوثب به الباطني ، وطعنه بسكين ، فجرحه في رقبته ، وأخذ الباطني ، وسقي الخمر ، حتى سكر ، وسئل عن أصحابه ، فأقرّ على جماعة بمسجد المأمونية ، فأخذوا ، وقتلوا (ابن الأثير ١/ ٤٧٨، ٤٧٨).

وفي السنة ٥٠٧ كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والإفرنج ، في اراضي طبرية ، كان فيها ملك دمشق الأتابك طغتكين ، وفي خدمته صاحب سنجار ، وصاحب ماردين ، وصاحب الموصل ، فهزموا الإفرنج هزيمة فاضحة، ولما رجعوا إلى دمشق ، خرج الأتابك طغتكين مع صاحب الموصل مودود بن ألتونتكين ، وصلّيا معاً ، وخرجا إلى صحن الجامع بعد الصلاة ، ويد مودود في يد طغتكين ، فوثب باطني على مودود وجرحه أربع جراحات ، وكان مودود صائماً ، فحمل إلى دار طغتكين واجتهدوا به ليفطر ، فأبى ،

وقال : لا لقيت الله إلّا صائماً ، فمات من يومه رحمه الله (ابن الأثير ١٠/ ٤٩٥ـ ٤٩٧ وعيون التواريخ ٢١) .

وفي السنة ٥١٠ حضر الأمير أحمديل بن إبراهيم بن وهسوذان الكردي ، صاحب مراغة ، وغيرها من أذربيجان ، دار السلطان محمد ، ببغداد ، فجاءه رجل متظلّم ، وبيده رقعة ، وهو يبكي ، ويسأله أن يوصلها إلى السلطان ، فأخذها من يده ، فضربه الرجل بسكّين ، فجذبه أحمديل وطرحه تحته ، فوثب رفيق للباطني وضرب أحمديل سكيناً أخرى ، فأخذتهما السيوف ، فوثب رفيق ثالث للباطني ، وضرب أحمديل سكيناً أخرى ، فقتل أحمديل . (ابن الأثير ١٠/٥١٦) .

وفي السنة ٥١١ كان ابن بديع رئيس حلب ، بقلعة دوسر ، فلما وافى ايلغازي ، نزل إليه ابن بديع ، فلما صار عند الزورق ، ليقطع الماء إلى العسكر ، وثب عليه اثنان من الباطنية ، فضرباه عدّة سكاكين ، ووقع ولداه عليهما فقتلاهما ، وقتل ابن بديع واحد ولديه ، وجرح الآخر ، وحمل الى القلعة ، فوثب باطني آخر عليه وقتله ، وحمل الباطني ليقتل ، فرمى بنفسه في الماء وانتحر غرقاً (اعلام النبلاء ١/٤٢٧) .

وفي السنة ٥١٥ اغتيل امير الجيوش ، الأفضل ابن بدر الجمالي ، الوزير بمصر ، هاجمه رجلان في سوق الصياقلة ، فضرباه بالسكاكين ، وجاء ثالث من ورائه ، فضربه بسكّين في خاصرته ، وقتل الثلاثة ، ومات الأفضل (ابن الأثير ١٠/٥٨٩) .

وفي السنة ٥١٦ قتل أبو طالب السميرمي ، وزير السلطان محمود السلجوقي ، وكان مجاهراً بالظلم والفسق ، وكان يقول : لقد سننتُ على أهل بغداد السنن الجائرة ، وقد فرشتُ حصيراً في جهنّم ، تصدّى له وهو في موكبه شخص فضربه بسكّين ، فوقعت في البغلة ، وفرّ ، فلحقه أصحاب

الوزير ، فبرز آخرون وطعنه أحدهم بسكّين في خاصرته، وجذبه عن البغلة إلى الأرض ، وأخذ يطعن في مقاتله والوزير يستعطفه ، ويقول له : أنا شيخ ، فلم يقلع عنه ، وبرك على صدره ، وجعل يطعنه وهو يكبّر بأعلى صوته ، وجعل أصحاب الوزير يضربونه بسيوفهم ، ويرشقونه بسهامهم ، وهو ماضٍ في ذبح الوزير ، ولم يسقط إلاّ بعد أن أتمّ ذبح الوزير كما تذبح الغنم . (المنتظم ٩/ ٢٤٠) .

وفي السنة ٥١٩ قتل القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان ، قتله الباطنية، وكان ذا مروءة وتقدّم في الدولة السلجوقية (ابن الأثير ١٠/ ٦٣٠) .

وفي السنة ٥٢٠ قتل الأمير آقسنقر البرسقي ، صاحب الموصل وحلب ، وكان من خيار الناس ، قتل في جامع الموصل ، دخل ليصلّي الجمعة ، وقصد المنبر ، فلما قرب منه ، وثب عليه ثمانية نفر في زيّ الزهّاد ، فاخترطوا خناجر وقصدوه ، وسبقوا الحفظة الذين حوله ، فضربوه حتى أثخنوه ، وجرحوا قوماً من حفظته ، وقتل الحفظة منهم قوماً ، وقبضوا قوماً ، وحمل البرسقي بآخر رمق إلى بيته ، فمات من يومه ، وقتل أصحابه من بقي في أيديهم من الباطنية ، ولم يفلت من قتلته سوى شاب واحد (اعلام النبلاء ١/ ٤٧٠) .

وفي السنة ٥٢١ قتل معين الملك ابو نصر أحمد بن الفضل ، وزير السلطان سنجر ، قتلته الباطنية (ابن الأثير ١٠/٦٤٧) .

وفي السنة ٥٢٣ وثب الإسماعيلية (الباطنية) على عبد اللطيف بن الخجندي ، رئيس الشافعية بأصبهان ، فقتلوه، وكان ذا رئاسة عظيمة ، وتحكّم كثير (ابن الأثير ١٠/ ٦٦٠) .

وفي السنة ٥٢٤ قُتل الخليفة الآمر الفاطمي ، المنصور بن احمد

(٤٩٠ـ ٥٢٤) غيلة ، اغتاله قوم من النـزاريّة، وهو قاصد الهودج ، حيث تقيم زوجته الأعرابية ، وكيفية زواجه بها ، إنّـه بلغه أنّ بـالصعيد من أرض مصـر ، فتاة عربيّة ، جميلة الصورة ، كاملة الأوصاف ، ظريفة شاعرة، فتزيّا بزيّ بداة الأعراب ، وانتهى إلى حيّها ، متنكّراً ، وبات عند أهلها ضيفـاً ، واحتال حتى أبصرها ، وعاد إلى القاهـرة ، فبعث وخطبهـا ، وتزوّجهـا ، فلما صـارت الى القـاهـرة ، صعب عليهـا مفـارقـة مـا اعتـادت عليـه ، فضـاقت بهـا قصـور الفـاطميّين ، وأحبت أن تسرّح طـرفهـا في الفضـاء ، ولا تقبض نفسهـا تحت حيطان المدينة ، فبنى لها في جزيرة الفسـطاط ، بناء غـريب الشكل ، سمـاه الهودج ، وأسكنها فيه ، فكان يـزورها ، وقتـل غيلة في إحدى زيـاراته لهـا . (خطط المقريزي ٢ / ١٨٢) .

وفي السنـة ٥٢٥ مـرض السلطان محمـود السلجـوقي ، وأشـرف على الموت ، فخاف وزيره أبو القاسم الأنسابـاذي ، من جماعة من أعيان الـدولة ، منهم الأميـر أنوشتكين ، المعـروف بشيركيـر وولده عمـر ، وهو أميـر حـاجب السلطان ، فقتلهمـا ، ووزر الانسـابـاذي بعـد ذلـك للسلطان طغـرل ، وكـان يصحب السلطان في مسيـره من أصبهـان إلى فـارس ، فـوثب بـالـوزيـر الإنسـابـاذي ، غلمـان الأميـر شيـركيـر ، في الـطريق ، فقتلوه (ابن الأثيـر ١٠ / ٦٧٠ـ ٦٨٧) .

وفي السنـة ٥٢٦ قتل أبـو الحسين محمد بن محمـد الفـرّاء ، وكـان لـه مـال ، ويعيش في البيت وحده ، فـدخل إليـه بعض من كان يخـدمـه ، وقتله وأخذوا ماله ، ثم وقعوا كلهم وقتلوا (التنظيم ١٠ / ٢٩) .

وفي السنة ٥٢٦ قتل الأميـر آقسنقر الأحمـديلي ، صاحب مـراغـة، قتله الباطنية . (ابن الأثير ١٠ /٦٨٦) .

وفي السنة ٥٢٦ قتل الأفضل أبو علي بن الأفضـل بدر الجمـالي ، وزير

الحافظ العلويّ بمصر ، قتل في ميدان لعب الكرة ، راجع في ابن الأثير ٦٧٢/١٠ و ٦٧٣ الألقاب التي تلقّب بها ، وكان يدعى له بها على المنابر ، قال ابن الأثير بعد أن أثبتها ، وإنما ذكرت ألقاب أبي عليّ تعجّباً منها ، ومن حماقة هذا الرجل .

وفي السنة **٥٢٨** مات ذبحاً في الفندق ، بمدينة مراكش ، أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان ، المؤرّخ، الإشبيلي ، صاحب قلائد العقبان، أوعز بقتله أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين . (الاعلام ٣٣٢/٥) .

وفي السنة **٥٢٩** وقعت معركة بين الخليفة المسترشد ، والسلطان مسعود، بباب مراغة ، فانكسر الخليفة ، وأنزله السلطان في خيمة ، فقصده أربعة وعشرون رجلاً من الباطنية ، وقتلوه ، ومثّلوا به ، فجدعوا أنفه ، وصلموا أذنيه ، وتركوه عرياناً ، وقتل معه نفر من أصحابه ، وقتل قاتلوه ، (ابن الأثير ٢٧/١١) .

وفي السنة **٥٢٩** كان الأمير دبيس بن صدقة في عسكر السلطان مسعود ، فأمر مسعود غلاماً أرمنياً ، فوقف على رأس دبيس ، وهو ينكت الأرض بإصبعه ، فضرب عنقه ، (ابن الأثير ٣٠/١١) .

وفي السنة **٥٢٩** ساءت سياسة شمس الملوك صاحب دمشق ، مع الناس ، ومع أهله ، ومع والدته ، فأمرت والدته غلمانها بقتله ، فقتلوه ، ونصب مكانه أخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري (ابن الأثير ١١/ ١٠- ٢١) .

وفي السنة **٥٣٢** وثب نفر من الخراسانية ، بإصبهان ، على الراشد العباسي ، فقتلوه ، وقتل قتلته . (ابن الأثير ٦٢/١١) .

وفي السنة **٥٣٢** عظم أمر ابن بكران العيّار ببغداد ، وكثر أتباعه ، وصار يركب ظاهراً في جمع من المفسدين ، حتى آل به الأمر أنّه أراد أن

يضرب سكّة باسمه في الأنبار ، فأمر الوالي ببغداد أبو الكرم ، ابن أخيه أبا القاسم ، حامي باب الأزج ، أن يحتال له فيقتله ، وكان ابن بكران قد اعتاد أن يجيء في بعض الليالي عند أبي القاسم ، ويشرب عنده، فلما جاء على عادته ، أخذ سلاحه ، ووثب به ، فقتله ، ثم أخذ بعد يسير ، رفيق له اسمه ابن البزّاز، فصلب، وقتل معه جماعة من الحرامية، فاستراح الناس. (ابن الأثير ١١/٦٣-٦٤).

وفي السنة ٥٣٣ قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغدكين ، صاحب دمشق ، على فراشه غيلة ، قتله ثلاثة من غلمانه ، هم خواصّه ، وأقرب الناس إليه في خلوته وجلوته ، وكانوا ينامون عنده ليلاً ، فقتلوه ، وفرّوا ، فنجا أحدهم ، وأخذ الآخران فصلبا . (ابن الأثير ١١/ ٦٨).

وفي السنة ٥٣٤ قتل المقرّب جوهر ، وهو من خدم السلطان سنجر ، حكم في دولته جميعها ، ومن جملة إقطاعه الريّ ، ومن جملة مماليكه عباس صاحب الريّ ، وكان سائر عسكر السلطان يخدمونه ، ويقفون ببابه ، قتله الباطنية ، وقف له جماعة منهم بزيّ النساء ، واستغثن به ، فوقف يسمع كلامهم ، فقتلوه . (ابن الأثير ١١/٧٦-٧٧).

وفي السنة ٥٣٨ قتل السلطان داود بن السلطان محمود السلجوقي ، غيلة ، قتله قوم وهو في دهليز سرادقه . وكان يوماً مطيراً ، شديد البرد ، فيه ثلج وريح ، وقد اشتغل كلّ أحد بنفسه ، فدخلوا بين غلمانه وجندار، ميّته ، بزيّهم ، وقتلوه ، ولم يعلم سبب ذلك ، ولا جهته ، لأنّهم قتلوا على الفور ، (عيون التواريخ ٣٧٧).

وفي السنة ٥٤١ قتل أمير حاجب عبد الرحمن طغايرك ، صاحب خلخال وبعض أذربيجان ، والحاكم في دولة السلطان مسعود ، تآمر عليه

جماعة من الأمراء ، برغبة من السلطان ، فقتل بظاهر جنزة ، ضربه الجاندار بمقرعة حديد كانت في يده على رأسه ، فسقط، فأجهز عليه خاص بك (ابن الأثير ١١/١١٦).

وفي السنة **٥٤١** قتل غيلة ، الشهيد أتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، صاحب الموصل والشام ، قتله جماعة من مماليكه ، وهو محاصر قلعة جعبر ، وهربوا الى قلعة جعبر ، وأدركه أصحابه ، وبه رمق ، ومات (ابن الأثير ١١/١١٠).

وفي السنة **٥٥١** قتل صاحب البطيحة ، مظفّر بن حمّاد بن أبي الخير ، قتله يعيش بن أبي الخير ، غيلة وهو في الحمّام ، وخلفه ولده (المنتظم ١٠/١٦٨ و ابن الأثير ١١/٢١٧).

وفي السنة **٥٥٣** كان بخراسان غلاء شديد ؛ وكان بنيسابور طبّاخ ، ذبح أنساناً علوياً ، وطبخه، وباعه في الطبيخ ، ثم ظهر عليه إنّه فعل ذلك ، فقتل (ابن الأثير ١١/٢٢٨).

وفي السنة **٥٥٦** قتل غيلة الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزّيك وزير العاضد العلوي صاحب مصر ، وكان قد استبدّ بالدولة ، فتآمر عليه بعض الأمراء واغتالوه وهو في دهليز قصر الخلافة ، فجرحوه جراحات مهلكة ، فبعث إلى العاضد يعاتبه على ذلك ، فأقسم العاضد إنّه لا يعلم ذلك ، ولم يرض به ، فطالبه أن يبعث إليه عمّته (عمّه العاضد) وقد اتّهمها بأنّها التي حرّضت على قتله ، فأرسل إليها من أخذها قسراً ، وبعث بها إليه ، فقتلها ، ومات من بعد ذلك ، وكان هذا الوزير أرمني الأصل ، وكان كريماً ، فيه أدب ، وله شعر جيّد ، ولاهل العلم عنده منزلة ، ويرسل إليهم العطاء الكثير (ابن الأثير ١١/٢٧٤ـ ٢٧٥).

وفي السنة **٥٥٦** قتل السلطان سليمان شاه بن السلطان محمد

السلجوقي ، من سلاجقة العراق ، وكان قد ولي السلطنة في السنة ٥٥٥ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٣٤) .

وفي السنة ٥٧١ هاجم الحشيشيّة السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، وهو محاصر قلعة اعزاز ، يريدون اغتياله ، فجرحوه ، وقتلوا أحد قوّاده منكلان ، وكان السلطان صلاح الدين متحرزاً من الحشيشية ، لأنّهم وثبوا عليه قبل ذلك ، وهو محاصر حلب ، وكان الذي حرّضهم على اغتيال السلطان جماعة من أهل حلب ، كلّموا سناناً صاحب الحشيشيّة ، فأرسل جماعة من أصحابه تزيّوا بزيّ الأجناد، واختلطوا بأجناد السلطان صلاح الدين ، واشتركوا معهم في حصر اعزاز، حتى وجدوا فرصة لاغتيال السلطان ، إذ كان في خيمة الأمير جاولي ، يراقب أعمال المنجنيق وآلات الرمي ، فوثب عليه أحد الحشيشيّة ، وطعنه بسكّين في رأسه ، وكان السلطان لاحترازه من الحشيشية ، لا ينزع الزرديّة عن بدنه ، ولا صفائح الحديد عن رأسه ، فأصابت سكّين الحشيشي صفيحة الحديد ، فطعنه الحشيشي ثانية في خده، فجرحه، وسال دمه ، ثم هاجمه وتلّه إلى الأرض ، وركبه لينحره ، فجرّد الأمير سيف الدين سيفه ، وقتل الحشيشي ، فجاء آخر يريد السلطان ، فاعترضه الأمير منكلان الكردي ، وضربه بالسيف ، وضربه الحشيشي ، فجرحه في جبهته ، فقتل الحشيشي ، ومات منكلان من الضربة ، وجاء آخر من الباطنيّة ، فلاقاه ، الأمير علي بن أبي الفوارس ، فهجم على الباطني ، ولصق به الباطني ليضربه ، فأخذه علي تحت إبطه ، وبقيت يد الباطني من ورائه لا يقدر على ضربه ، فصاح علي : اقتلوه واقتلوني معه، فجاء ناصر الدين محمد بن شيركوه ، وبعج بطن الباطني بسيفه ، وما زال يخضخضه فيه ، حتى سقط ميتاً ، وخرج آخر من الحشيشية منهزماً، فلقيه الأمير شهاب الدين محمود خال السلطان ، فنكل الباطني عن طريقه ، فاتّبعه أصحاب الأمير شهاب الدين وقتلوه (اعلام النبلاء ٢/١٠٨-١٠٩).

وفي السنة ٥٧٣ قتل الباطنية، بحلب ، أبا صالح بن العجمي ، وكان مقدماً عند نور الدين الشهيد ، وعند ولده الملك الصالح ، فوثب عليه الباطنية ، بالجامع فقتلوه . (ابن الأثير ١١/٤٤٥).

وفي السنة ٥٧٣ قتل غيلة ، عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبدالله ، وزير الخليفة ، وكان قد عزم على الحجّ ، فعبر دجلة ، وتقدّم الى اصحابه ان لا يمنعوا أحداً عنه ، فلما وصل باب قطفتا ، لقيه كهل ، وصاح : أنا مظلوم ، وتقدّم ليكلّم الوزير ، فضربه بسكّين في خاصرته ، فصاح الوزير : قتلني ، وسقط عن دابته ، فعاد الباطنيّ إلى الوزير ، وكرّر ضربه ، وأعانه رفيق له ، وأقبل حاجب الباب ابن المعوّج لينصر الوزير ، فضربه الباطني ، بالسكين ، وكان لهما رفيق ثالث ، صاح وبيده سكين ، ولكنّه لم يطعن أحداً ، فقتل الباطنيون الثلاثة ، ومات الوزير، وحاجب الباب. (ابن الأثير ١١/٤٤٦- ٤٤٧).

وفي السنة ٥٨٤ قتل الشيخ محمد بن قائد الزاهد من أهل أوانا ، وثب عليه باطنيّان ، فقتلاه، وقتلا خادمه عبد الحميد ، وهربا ، فلقيهما فلّاح في يده مرّ ، فقتلهما (الوافي بالوفيات ٤/٣٥٢).

وفي السنة ٥٨٧ قتل قزل أرسلان ، صاحب أران ، وأذربيجان ، وهمذان ، وأصفهان ، والريّ ، بأصفهان غيلة ، ولم يعرف من قتله ، (ابن الأثير ١٢/٧٦).

وفي السنة ٥٨٨ قتل المركيز الفرنجي ، صاحب صور، قتله باطنيان ، بعثهما إليه سنان ، زعيم الإسماعيلية بالشام ، فجاءا إليه في زيّ الرهبان ، وأقاما معه ستّة أشهر ، يظهران العبادة ،حتى وثق بهما ، ثم وثبا عليه ، فقتلاه ، وقتلا بعده (ابن الأثير ١٢/٧٨- ٧٩).

وفي السنة ٥٨٩ بلغ سيف الدين بكتمر ، صاحب خلاط ، خبر موت

السلطان صلاح الدين ، فأسرف في إظهار الشماتة بموته ، وعمل لنفسه تختاً (عرشاً) جلس عليه، ولقّب نفسه بالسلطان الأعظم ، وكان لقبه سيف الدين ، فغيّره إلى صلاح الدين ، وأبدل اسمه كذلك ، فسمّى نفسه ، عبد العزيز ، وتجهّز لاحتلال ميافارقين ، فوثب عليه زوج ابنته ، واسمه هزارديناري ، فقتله غيلة واستولى على مملكته (ابن الأثير ١٢/١٠٢-١٠٣).

وفي السنة ٥٩٥ حصر خوارزم شاه تكش ، قلعة الموت ، فقتل عليها صدر الدين محمد بن الوزّان ، رئيس الشافعية بالريّ ، ثم وثب الملاحدة على نظام الملك مسعود بن علي ، وزير خوارزم شاه، فقتلوه (ابن الأثير ١٢/١٥٣).

وفي السنة ٦٠٢ قتل السلطان شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام الغوري ، ملك غزنة وخراسان والهند ، بمنزل يقال له دميل ، وكان قد عاد ظافراً من معركته الفاصلة في الهند مع بني كوكر ، اغتاله نفر من الهنود الكفّار ، ووجدت فيه اثنتان وعشرون طعنة بالسكين ، وأخذ القتلة ، فقتلوا ، فاجتمع الوزير والأمراء والتزموا بكتمان الخبر ، ولزوم السكينة ، وأجلسوا شهاب الدين ، وخاطوا جروحه ، وساروا به في محفّة ، محفوفاً بالحشم والخدم والشمسة والقوّاد والعسكر ، على حاله في حياته ، وسيّرت معه الخزانة ، في ألفي حمل ومائتي حمل (ابن الأثير ١٢/ ٢١٢-٢١٤).

أقول : كان السلطان محمد بن سام الغوري ، شجاعاً ، عادلاً ، حسن السيرة ، وروي إنّه كان يوماً في مجلس وعظ فيه الإمام فخر الدين الرازي ، في دار السلطان ، وبعد أن وعظ الرازي ، التفت إلى السلطان ، وقال له: يا سلطان ، لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي ، وإنّ مردنا إلى الله ، فبكى السلطان حتى رحمه الناس (ابن الأثير ١٢/٢١٦).

وفي السنة٦٠٦ قتل غيلة شمس الملوك رستم بن أردشير ، سلطان مازندران (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٨٦).

وفق السنة ٦٠٩ قتل السلطان غياث الدين محمود بن محمد بن سام الغوري ، صاحب فيروزكوه وغزنة ، وكان قد حكم من السنة ٦٠٢ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤١٩).

وفي السنة ٦١١ تآمر جماعة من العسكر التابعين للأمير ألدز ، على الوزير مؤيّد الملك الشحري ، الذي كان وزيراً لشهاب الدين محمد بن سام ، السلطان الغوري ، ولتاج الدين الدز من بعده ، جاء إليه من المتآمرين أربعون نفراً ، وقالوا له : السلطان يقول لك تحضر جريدة في عشرة نفر لمهمّ تجدّد ، فسار معهم في عشرة مماليك، فلما وصلوا إلى ماء السند ، قتلوه ، وهربوا ، فظفر بهم خوارزم شاه ، فقتلهم (ابن الأثير ١٢/٣٠٤).

وفي السنة ٦١٣ قتل الأمير أغلمش ، أمير الري ، قتله الحشّاشون غيلة (معجم انساب الأسر الحاكمة ٧٣).

وقتل غيلة القائد يحيى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ، من رجال الأندلس ، قتله غلام له كان يخدمه ، واستولى على ما كان له من المال ، وأفلت به ، والقائد يحيى هو أخو الأديب الشاعر الأندلسي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد ، وكان عبد الرحمن قد حصلت بينه وبين بعض أقربائه منافرة ، فغادر الأندلس إلى المشرق ، وزاد البلاد المصرية ، والشامية، والعراقية، حتى وصل الى بلاد ما وراء النهر ، واستوطن بخارى ، فلما دخلها التتار في السنة ٦١٧ قتل فيمن قتل ، ولما بلغ خبر مقتله اهل بيته بالأندلس ، قال أخوه القائد يحيى : لا إلَه إلاّ الله، كان أخي أبو القاسم يسفّه رأيي في الجنديّة ، ويقول لي : لو اتّبعت طريق النجاة ، كما صنعت أنا ، لكان خيراً لك ، فهاهو ربّ قلم، وقد قتل شرّ قتلة ، وأنا ما زلت أغازي عبّاد الصليب وأخلص ، ثم قتل من بعد ذلك غيلة (نفح الطيب ٢/٣٧٣).

وفي السنة ٦٢٩ قتل غيلة خوارزم شاه جلال الدين ، فإنّه انهزم من

التاتار ، ومزّق جيشه ، فاستضاف فلّاحاً في عين دارا ، فرأى الفلّاح في لجام فرس خوارزم شاه جواهـر ، فلما طعم ونـام . ضربه بفـأس فقتله ، وأخذ مـا معـه ودفنه ، فبلغ ذلـك شهاب الـدين غـازي صـاحب ميـافـارقين ، فـأحضـر الفلّاح ، وقرّره ، فأقرّ ، وأحضر الفرس والسلاح (شذرات الـذهب ٥/ ١٣٠ـ ١٣١ .

وفي السنـة ٦٢٠ اتّهم الطبيب صـاعد بن تـوما ، بـأنّه أفشى مـا أصاب النـاصر العبّـاسي ، من أمراض ، وكـان عليه أن يكتمهـا ، فقـرّر رشيق خـادم النـاصر مـع رجلين من الجند ، يعـرفـان بـولـدي قمـر الـدولـة ، من الأجنـاد الواسطيّة ، أن يغتالاه ، فرصداه حتى خرج من دار الوزير في بعض الليالي ، يريد دار الخـلافة ، فـوثبا عليـه بسكّينيهما ، فقتـلاه ، وكان بين يـديه مشعـل وغـلام ، وقبض على القـاتلين، وفي بكـرة تلك الليلة ، أخـرجـا إلى محـلّ الجريمة ، وشقّ بطناهما ، وصلبا (تاريخ الحكماء ٢١٣ـ ٢١٤) .

وفي السنة ٦٣٨ قتل عثمـان بن عبد الحقّ المـريني ، قتله غيلة ، علج لـه كان ربّـاه صغيراً ، طعنـه بحربـة في منحره، في وادي ردات بـالمغـرب . (الاعلام ٤ /٣٦٨) .

وفي السنـة ٦٣٩ قتـل غيلة السلطان معـزّ الـدين بهــرام شـاه ، سلطان دهلي ، وكان قد حكم منذ السنة ٦٣٧ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٢٢) .

وفي السنـة ٧٤٠ قتـل غيلة السلطان شمس الـــدين محمـد بن محمــود شاه ، صاحب بلاد فارس (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٨٠) .

وفي السنـة ٧٤٣ قتل غيلة جـلال الدين مسعـود شاه بن محمـود شـاه ، صاحب فارس ، اغتاله ياغي باستي ، ابن عمّ بيرحسن (معجم انساب الأسـر الحاكمة ٣٨٠) .

وفي السنـة ٦٤٧ قتل السلطان المنصـور نور الـدين محمـد بن علي بن

رسول ، ملك اليمن ، اغتاله جماعة من مماليكه ، فقتلوه ، وكان قد استكثر من المماليك حتى بلغ عددهم ألف فارس . (العقود اللؤلؤية ١/٨٢).

وفي السنة ٦٤٩ قتل السلطان أسن (أوزون) دووا بن موتوكس بن جغتاي بن جنكيزخان ، سلطان ما وراء النهر (معجم انساب الاسر الحاكمة ٣٧٣).

وفي السنة ٦٥٢ علا شأن الفارس اقطاي ، وعسف وتجبّر ، فقالت شجرة الدر ، لزوجها المعزّ ، هذا نحس ، واتّفقا على قتله ، فأوعز المعزّ إلى عشرة من مماليكه ، فاغتالوه في القلعة (الوافي بالوفيات ٩/٣١٧ و٣١٨).

وذكر المقريزي ، في خططه (٢/٣٠١) كيفية اغتيال المظفّر قطز ، سلطان مصر ، سنة ٦٥٨ ، فذكر أنّ المتآمرين عليه من الأمراء كانوا بزعامة بيبرس الذي تسلطن بعده وتلقّب بالظاهر ، إذ كان يسايره، فطلب منه امرأة من سبي التتار ، فأنعم عليه بها ، فتقدّم ليقبّل يده ، وكانت إشارة بينه وبين أصحابه ، فلما رأوا بيبرس قد قبض على يده ، بادر الأمير بكتوت وضربه على عاتقه بالسيف ، واختطفه الأمير أنص من ظهر فرسه ، وألقاه على الأرض ، ورماه بها در المغربي بسهم ، فقتلوه . (خطط المقريزي ٢/٣٠١).

وفي السنة ٦٥٨ قتل غيلة أبو حفص عمر بن أبي بكر بن عبد الحقّ المريني ، من أمراء الدولة المرينيّة بالمغرب الأقصى ، وكان قد بويع بفاس ، على أثر وفاة أبيه في السنة ٦٥٦ وتغلّب عليه عمّه يعقوب ، فنزل له عمر عن الإمارة ، فأقطعه عمّه مدينة مكناسة ، فرحل إليها ، فاغتاله فيها بعض أقربائه . (الاعلام ٥/٢٠٠).

وفي السنة ٦٦٣ قتل غيلة بمكّة جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف الأندلسي ، أصله من غرناطة ، وساح في طلب الحديث ، واستقرّ مجاوراً بمكّة ، فقتل هناك (الاعلام ٨/٢٤).

وفي السنة ٦٩٣ قتل السلطان خليل بن قلاوون الصالحي ، الملقب بالملك الأشرف ، ملك مصر ، خلف أخاه في السلطنة سنة ٦٨٩ ، قتله غيلة بعض المماليك بمصر (الأعلام ٢/ ٣٦٩).

وفي السنة ٦٩٨ تآمر الأمراء على قتل السلطان لاجين ، ونائبه منكوتمر ، بالقاهرة ، وتقدّم الأمير كرجي ، بحجّة انّه يريد أن يصلح الشمعة ، فضرب السلطان بسيف كان قد أخفاه معه ، أطار به زنده ، وانقضّ عليه بقيّة المتآمرين ، بالسيوف ، والخناجر ، فقطّعوه بالسيوف قطعاً ، وهو يقول : الله، الله، ثم احضروا الأمير منكوتمر ، من دار النيابة بالقلعة ، وقتلوه بعد مضي نصف ساعة من قتل السلطان . (خطط المقريزي ٢/٢٦٩).

وفي السنة ٧٠٦ قتل غيلة السلطان يوسف بن يعقوب المريني ، وهو محاصر مدينة تلمسان ، وقد بنى مقابلها مدينة سمّاها تلمسان الجديدة، قتله عبد حبشي خصي ، وقتل العبد على أثره ، واتّهم أبو بكر أحد أقارب السلطان يوسف ، بأنّه المحرّض على قتله ، فقتل مع العبد ، وكانت مدّة حكم السلطان يوسف ٢١ سنة، وتسلطن على أثره حفيده عامر بن عبدالله الذي توفّي مسموماً بطنجة بعد سنة ونصف سنة (الدرر الكامنة ٥/٢٥٦).

وفي السنة ٧٠٨ قتل بغرناطة ، أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن الرندي ، المعروف بابن الحكيم ، والملقّب بذي الوزارتين . (الاعلام ٧/٦٥).

وفي السنة ٧٠٨ قتل بغرناطة محمد بن عمر التلمساني الشاعر (الاعلام ٧/٢٠٤).

وفي السنة ٧٢٠ قتل الشريف حميضة بن أبي نميّ الحسني ، أمير مكّة ، قتله مماليك ثلاثة ، فرّوا من الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ، فحجزهم حميضة عنده ، فخشوا أن يعيدهم إلى الناصر ، فقتلوه غيلة (الدرر الكامنة ٢/١٦٧ـ ١٦٩).

وفي السنة ٧٢٥ قتل أبو الوليد إسماعيل بن فرج من آل الأحمر، الملقّب الغالب بالله، صاحب غرناطة ومالقة وسبته، قتله غيلة ابن عمّ له إسمه محمد بن إسماعيل، طعنه بخنجر، فقتله (الأعلام ١/٣١٩).

وفي السنة ٧٣٢ قتل غيلة بحلب، نقيب الأشراف بدر الدين حسن بن محمد بن علي بن زهرة الحسني الحلبي (الدرر الكامنة ٢/١٢٣).

وفي السنة ٧٣٣ قتل غيلة السلطان محمد بن اسماعيل بن فرج، من بني نصر ابن الأحمر، ملك غرناطة، وهو سادس بني الأحمر، خلف أباه في الحكم سنة ٧٢٥ وهو ابن عشر سنين، ففتح مدينة قبره، واستعان بالسلطان أبي الحسن المريني، سلطان مراكش، فأمدّه بجيش أضافه إلى جيشه وفتح جبل الفتح (جبل طارق) وطرد الإفرنج منه، فلما انتهى منه، كمن له بعض جنده، فقتلوه غيلة، وهو ابن ١٧ سنة. رحمه الله (الأعلام ٦/٢٦١).

وفي السنة ٧٤٤ قتل الشيخ حسن كوجك (الصغير) بن تيمور طاش، اغتالته زوجته، وكان قد خلف أباه في حكم أذربيجان منذ السنة ٧٢٨ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٨٠).

وفي السنة ٧٥٥ قتل السلطان أبو الحجّاج يوسف بن إسماعيل الأنصاري النصري، سابع ملوك بني الأحمر بغرناطة، قتل غيلة في المسجد الأعظم بالحمراء، ساجداً في الركعة الأخيرة من صلاة عيد الفطر، هجم عليه شخص، وظعنه بخنجر وقبض عليه، فقتل، وأحرق. (نفح الطيب ٥/٨٠ـ ٨١ و الاعلام ٩/٢٨٨ـ ٢٨٩).

وفي السنة ٧٥٨ هجم مملوك تركي يقال له: آي قجا، على الأمير شيخو الناصري، وجرحه بالسيف في وجهه ويده، وقبض على المملوك، وسئل عن السبب، فقال: قدّمت له قصّة، فما قضى حاجتي، فطيف

بالمملوك (أشهر) وقتل ، وقطبت جراحات شيخو ، فأقام ثلاثة أيّام ، والناس تعوده ، من السلطان فما دونه ، ثم مات (شذرات الذهب ٦/١٨٤) .

وفي السنة ٧٥٨ قتل غيلة السلطان جمال الدين أبو اسحاق بن محمود شاه صاحب بلاد فارس (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٨٠) .

وفي السنة ٧٦٠ قتل غيلة في بيته الحاجب رضوان النصري ، القائد بغرناطة ، وهو في الخامسة والثمانين، وكان من كبار رجال الدولة بغرناطة، اعتقله الأمير محمد بن أمير المسلمين أبي الوليد نصر ، ثم عاد إلى غرناطة لما قتل الأمير محمد ، وفي السنة ٧٣٤ نصب وزيراً، ثم اعتقل في السنة ٧٤٠ وأطلق في السنة ٧٤١ وعرض عليه أن يعود للوزارة فأبى ، واكتفى بقيادة الجيش ، وقتل في بيته غيلة ، خلال مؤامرة دبّرت لخلع السلطان (الإحاطة ٥١٤ـ ٥٢١) .

وفي السنة ٧٦١ قتل غيلة ، إسماعيل بن يوسف من آل الأحمر ملوك غرناطة ، خرج على أخيه الغني بالله ، في السنة ٧٦٠ واستولى على عرشه ، ومكث في الحكم سنة واحدة ، وقتل (الأعلام ١/٣٢٨) .

وفي السنة ٧٧٥ قتل الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي ، غيلة ، في حدّ القحريّة باليمن ، وكان شجاعاً، عادلاً، محبوباً (الأعلام ٣/٩٠) .

وفي السنة ٧٧٦ قتل غيلة الأمير حسن بن أويس بن الشيخ حسن (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٧٨) .

وفي السنة ٧٧٦ قتل الأمير وجيه الدين اسماعيل بن زكريّا ، والي الموصل ، وليها في السنة ٧٧٥ (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٦١) .

وكان السلطان أبو حمو موسى بن عثمان (٧٦٠ـ ٧٩١) قد قسم مملكته بين أولاده ، فولّى المنتصر على مليانة وأعمالها ، وأنفذه إليها ، وأنفذ معه

شقيقه الأصغر عمر ، ليكون في كفالته ، وولّى الأوسط أبا زيان على المريّة وما إليها من بلاد حصين ، وولّى ابنه يوسف ابن الزابية على تدلس وما إليها ، ثم نقل ولده أبا زيان من المريّة الى ولاية وهران وأعمالها وكان الولد الأكبر أبو تاشفين عبد الرحمن يطلب وهران وأعمالها لنفسه، فألحّ على والده ، فوعده بها ، وتأخّر عن تلبية طلبه ، فاتّهم كاتب السلطان ، واسمه يحيى بن خلدون، بأنّه وراء هذا التأخير ، فجمع له في إحدى ليالي رمضان من السنة ٧٨٠ رهطاً من الأوغاد ، وطعنوه بالخناجر ، حتى سقط عن دابته ميتاً (ابن خلدون ٧/ ١٤٠).

وفي السنة ٧٨٩ قتل الأمير سودون المظفري بناء على خصومة كانت بينه وبين الأمير يلبغا الناصري نائب السلطنة بحلب ،فأرسل السلطان من مصر رسولاً لإصلاح ما بينهما ، فحضر الى حلب ، وضرب لاجتماعهما موعداً ، وحضر سودون متأخّراً ، وقد أعدّ له يلبغا كميناً لقتله ، فلما دخل سودون ، تقدّم اليه مملوك من مماليك يلبغا ، وجسّ كتف سودون، فرآه لابساً الزردية تحت ثيابه ، فقال له : يا أمير سودون الذي يريد الصلح يدخل وهو لابس آلة الحرب ، فلكمه سودون ، فصاح على رفاقه في الكمين ، فخرجوا ، وقتلوا الأمير سودون ، وقتلوا معه أربعة من مماليكه (اعلام النبلاء ٢/٤٦٤-٤٦٥).

وفي السنة ٧٩٣ قتل السلطان مراد بن أورخان ، ثالث ملوك بني عثمان ، اغتاله أحد ملوك الكفّار ، تقدّم منه ليقبّل يده ، وطعنه بخنجر فقتله . (شذرات الذهب ٦/٣٣٢).

وفي السنة ٧٩٧ قتل غيلة ببطن مرّ ، من نواحي مكّة ، الأمير نور الدين أبو الحسن علي بن عجلان بن رميثة الحسني، ولي مكّة سنة ٧٨٩ واغتاله جماعة من أقاربه من بني حسن. (الاعلام ٥/١٢٨).

وفي السنة ٨٠٠ قتل غيلة الأمير سولي بن قراجا الدلغادري أمير التركمان ، وكان قتله على فراشه تسلّل إليه شخص اسمه علي خان ، وطعنه بسكّين في خاصرته ، وهو نائم مع امرأته في بيت خركاه ، في أوّل الليل ، بالقرب من مرعش ، وذلك بممالأة من الملك الظاهر برقوق ، ولما قتل ، هرب مغتاله علي خان الى الملك الظاهر ، فأحسن اليه ، وأنعم عليه ، وأعطاه إمرة عشرة ، بأنطاكية ، وكان سولي ظالماً جائراً ، يقطع الطريق ، وينهب الأموال (أعلام النبلاء ٥/١١٩) .

وفي السنة ٨٠١ قتل غيلة ، الأمير عنقاء بن شطي ملك العرب وأمير آل مرا ، بتحريض من الملك الظاهر سلطان مصر ، بعث إليه فداويّة قتلوه (النجوم الزاهرة ١٢/١٣٣) .

وفي السنة ٨٠٥ قتل غيلة بحلب القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى المصري ، هجم عليه بعد صلاة الصبح من قتله غيلة (الضوء اللامع ٢/٢٤٤) .

وفي السنة ٨١٢ قتل محمد بن ميرزا عمر شيخ بن تيمورلنك ، ملك شيراز ، فخلفه أخوه اسكندر شاه ، فأحضر قاتل أخيه ، وسأله عن سبب قتله ، فقال له : إنّي ما عملت في حقّك إلّا خيراً ، فلو لم أقتله ، ما وصلت انت للمملكة ، فعجّل إسكندر بقتله ، لئلا يتّهم بأنّه شارك في قتل أخيه (الضوء اللامع ٢/ ٢٨٠) .

وفي السنة ٨١٧ قتل السلطان دَلْبِك، من أولاد جنكيزخان ، وكان قد حكم قراقروم منذ السنة ٨١٤ (معجم الأسر الحاكمة ٣٦٠) .

وفي السنة ٨٣٠ قتل قاضي دمشق غيلة ، وهو نجم الدين أبو الفتوح عمر بن حجّي السعدي ، قتل ببستانه بالنيرب خارج دمشق ، ولم تشعر زوجته إلّا وهو يتشحّط في دمه ، ولم يعرف قاتله (شذرات الذهب ٧/١٩٣) .

وفي السنة ٨٣٦ قتل غيلة الملك الأشرف شرف الـدين احمد بن الملك العادل فخر الدين سليمان بن غازي الأيوبي ، صاحب حصن كيفا ، وكـان قد خرج للسلام على الملك الأشـرف برسبـاي صاحب مصـر والشام عنـدما كـان محاصراً لمـدينة آمـد ، فلما قـارب العسكر خـرج عليه جمـاعة من أصحـاب قرايلك من آمد ، وقتلوه وقتلوا معه قاصد السلطان ، وأقيم عوضـه في السلطنة ولده خليل ولقّب بالملك الكامل (حوليات دمشقية ٣٩) .

أقـول : في معجم أنسـاب الأسـر الحـاكمـة ص ١٥٤ انّ خليـلاً لقب بالملك الصالح صلاح الدين خليل .

وفي السنـة ٨٣٦ كان أصبهـان (أسبان) بن قـرايوسف يـوسف يحصـر بغداد ، وفيها أخوه شاه محمـد بن قرايـوسف ، فعمد أصبهـان فاختـار أربعين رجلاً من أصحابه قد حلقوا لحاهم كأنّهم قلندرية ، دخلوا بغداد متفرّقين ، ثم اجتمعـوا ليلاً ، واغتـالوا الجنـد المـوكّلين ببـاب السـور ، وفتحـوه ، فـدخـل أصبهـان البلد ، وفرّ شـاه محمد في المـاء ، فلحق بالمـوصل، ولمـا استولى أصبهـان على بغداد سلب جميـع ما فيهـا ، بحيث لم يبق في الأسواق سـوى حانوتين فقط (حوليات دمشقية ٦٣ـ ٦٤) .

وفي السنة ٨٣٧ قتل أقبغا الجمالي الاستادار ، قتله أهل البحيرة بالديار المصرية ، وكان ظالماً ، قد أحرق بيوتهم ، وأخذ أولادهم ، وكان يلي كشف الجسور وكشف الوجه القبلي ، ثم ولي الاستاداريـة على أن يحمل مـائة ألف دينار ، بعد تكفية الذيون ، فلم ينهض بها ، فعزل، وعوقب (أي عـذّب) ثم أعيـد الى كشف الوجـه القبلي ، ثم إلى الاستاداريـة على ان يؤدّي مالاً ، ثم عزل وصودر وعوقب ، ثم أعيد إلى كشف الوجه القبلي ، وأضيف اليـه كشف الجسور ، فكانت عاقبة ظلمه أن قتل في البحيرة ، وذهب دمه هدراً (حوليات دمشقية ٩٢) .

وفي السنـة ٨٣٩ حصر شـاه رخ وجهان شـاه ولدا قـرايوسف ، أخـاهما اسكندر بن قرايوسف ، بقلعة النجق ، وطـال الحصار ، فـاتفّقت احدى نسـاء اسكندر مع ولده شاه قباد ، وقتلا اسكندر وهو سكران ، وفتحا القلعة لشاه رخ وجهـان شاه ، وكـان أوّل ما فعله جهـان شاه أن قتـل المرأة والـولـد (تـاريـخ الغياثي ٢٥٨ـ ٢٥٩) .

وفي السنـة ٨٤٢ قتل الشيـخ شمس الـدين محمـد بن عبـدالله القيسي الشافعي ، شيخ دار الحديث الاشرفية ، قتل في إحـدى قرى دمشق (الأعـلام ١١٥/٧) .

وفي السنـــة ٨٤٤ قتـل غيلة السلطان ميـــران عـادل خـــان ، صـــاحب خاندش ، حاضرتهـا برهـان بور ، بعـد أن حكم ثلاث سنين (معجم انسـاب الأسر الحاكمة ٤٣٤) .

وفي السنـة ٨٤٦ قتـل قـاضي الجمـاعـة أبـو القـاسم محمـد بن أحمـد الوشتاتي ، قتل غيلة وهو بمحراب جامع الزيتونة يصلّي الصبح (الضوء اللامع ١١ / ١٤٠) .

وفي السنـة ٨٥٣ قتل أبـو زكـريـا يحيى بن زيـان الـوطـاسي المـريني ، الوزير ، قتله عرب الحجاز طعناً بالرماح (الاعلام ٩ / ١٧٩) .

وفي السنـة ٨٥٤ قتل غيلة عبـد اللطيف بن علاء الـدولة أولـوغ بـك ، صـاحب مـا وراء النهـر ، قتـل أبـاه في السنـة ٨٥٣ من أجـل الإستيـلاء على الحكم ، فلم يمهله الله سنة واحدة (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٠١) .

وفي السنـة ٨٦٥ قتل غيلة السلطان عـلاء الدين همـايون شـاه ظـالم ، وكـان قد حكم منـذ السنة ٨٦٢ وخلفـه ولده نـظام شاه (معجم أنسـاب الأسر الحاكمة ٤٣٧) .

وفي السنة ٨٧٠ قتل الأمير أصلان بن سليمان من آل دلغادر ، ملك اصلان ، قتل بيد فداوي وهو في صلاة الجمعة ، وقتل الفداوي ، وأخذ سيفه إلى القاهرة ، فقرّر عوضه أخوه شاه بضع (بوداق) (الضوء اللامع ٢/٣١٣).

أقول : ورد في معجم أنساب الأسر الحاكمة ((ص ٢٣٦) كما يلي :
في السنة ٨٧٠ اغتيل السلطان ملك أرسلان بن سليمان، صاحب بلاد مرعش وما يجاورها ، بأمر من أخيه الأمير بوداق الذي خلفه في السلطنة .

وفي السنة ٨٨٤ مات مقتولاً بكنباية، في بلدة أحمد أباد، أبو البركات محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ، وكان مولده بمكّة في السنة ٨٤٤ (الضوء اللامع ١١/٤).

وفي السنة ٨٨٥ قتل الأمير سيباي العلائي الاشرفي ، بمخيمه على شاطىء النيل ، ولم يعرف قاتله ، وقد مثّل به ، إذ وجد مشقوق البطن ، مقطوع اليد ، به جراحات أربعة (الضوء اللامع ٣/٢٨٨).

وفي السنة ٨٨٦ قتل غيلة الصدر العثماني محمد قرمانلي وزير السلطان محمد بن مراد العثماني ، قتله الإنكشارية (معجم انساب الاسر الحاكمة ٢٤١).

وفي السنة ٨٨٧ قتل غيلة الصدر كذُك أحمد أرناؤود ، وزير السلطان محمد بن مراد العثماني (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤١).

وفي السنة ٨٩١ قتل أبو بكر علي الحلبي المعروف بابن الطيوري ، قتله أحد فتيانه ، شرّ قتلة (الضوء اللامع ١١/٥٧).

وفي السنة ٨٩١ قتل الأمير أقبردي الأشرفي إينال ، خازندار السلطان ، قتل عندما كان متوجّهاً لاستخلاص الأموال للسلطان (الضوء اللامع ٢/٣١٤).

وفي السنة ٩٠٤ قتل الملك محمد الناصر بن قايتباي، من ملوك الجراكسة، بمصر والشام، قتله بعض المماليك غيلة في ضواحي القاهرة. (الاعلام ٧/٢٣١).

وفي السنة ٩٠٥ قتل الملك العادل سيف الدين طومان باي، بعد أن استقرّ في عرش السلطنة أربعة أشهر ونصف شهر، هجم عليه العسكر وقتلوه (شذرات الذهب ٨/٢٧).

وفي السنة ٩٠٩ قتل بمكة الشريف أحمد بن محمد بن بركات الجازاني، ولي أمارة مكّة في السنة ٩٠٧، وقتل غيلة عند باب الكعبة، وهو يطوف (الأعلام ١/٢٢١).

وفي السنة ٩١٨ قتل غيلة، بالقرب من الجامع الأمويّ بدمشق، القاضي علاء الدين علي الرملي، خرج عليه جماعة بين المغرب والعشاء، فقتلوه، وذكر أنّ القتل جرى بتحريض من القاضي شهاب الدين الرملي، إمام الجامع الأموي (شذرات الذهب ٨/٨٩- ٩٠).

وفي السنة ٩٢٩ قتل غيلة السلطان غازي كراي بن محمد، خان القرم، بعد أن حكم ستّة شهور (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٦٧).

وفي السنة ٩٤٠ قتل سلطان قلي قطب الملك، من بني قطب شاه، سلطان كلكنده، وتلنكانة، وكان قد ولي الحكم منذ السنة ٩١٨ (معجم الأسر الحاكمة ٤٣٩).

وفي السنة ٩٤٢ قتل خليل الله بن إبراهيم بن فرخ سيار ملك شروان، وكان قد تزوّج بري خانم بنت الشاه اسماعيل الصفوي، قتله الشاه طهماسب غيلة (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٨٠).

وفي السنة ٩٤٣ قتل السلطان بهادر بن السلطان مظفّر، صاحب كجرات، من بلاد الهند، قتل في بندر الديو (شذرات الذهب ٨/٢٥٢).

وفي السنة ٩٤٤ قتل غيلة الأمير عامر بن يوسف القطبي ، من أشراف جازان ، تأمّر على جازان ، وصفت له البلاد ، وقاتله الشريف ابو نمّي ، ثم اغتاله أحد رجال أبي نميّ ، وهو في داره بأبي عريش (الاعلام ٤/٢٦) .

وفي السنة ٩٤٤ قتل غيلة السلطان إسلام كراي بن محمد ، خان القرم ، بعد أن حكم من السنة ٩٣٢ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٦٧) .

وفي السنة ٩٥٤ نزل أويس باشا ، والي اليمن للعثمانيين ، بوادي خبّان ، وكان في مجلس شرابه لما هجم عليه حسن البهلوان ، من العسكر اللاوند ، وقتله غيلة ، ونصب نفسه في موضعه ، فحاربه أزدمر أحد أمراء الجيش العثماني ، وانتصر عليه وقتله (البرق اليماني ٩٩) .

وفي السنة ٩٥٨ قتل غيلة السلطان صاحب كراي بن منكلي ، خان القرم ، بعد أن حكم من السنة ٩٣٩ (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٦٧) .

وفي السنة ٩٦١ قتل غيلة السلطان فيروز بن إسلام شاه الأفغاني ، سلطان دهلي ، بعد أن حكم ثلاثة أيّام (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٢٣) .

وفي السنة ٩٦٤ قتل السلطان محمد بن محمد بن محمد ، المعروف بالشيخ ، والملقب بالمهديّ ، ثالث سلاطين الدولة السعديّة بمراكش ، غيلة ، قتله جنده الأتراك ، بإغراء من السلطان سليمان العثماني (الأعلام ٧/٢٨٧) .

وكان محمود باشا ، والي مصر للسلطان سليمان القانوني ، من أسوأ الناس الناس سيرة ، فقد كان مشهوراً بالغدر ، حتى إنَّ أهالي اليمن ، كانوا يسمّون الغدر : محموديّاً ، وكان مرتشياً ، فكان يقدّم الهدايا العظيمة للسلطان وكبار رجال الدولة لتمشية اموره ، وكان ظالماً قاسياً عسوفاً ، أراق دماء كثيرة جداً ، بحيث أنّه إذا وصل إليه الصوباشي في الديوان ، وعرض عليه من معه

من « المتهومين » يشير إليه بمروحة في يده ، أمّا إلى الصلب ، أو التوسيط ، أو رمي الرقبة ، أو الخازوق ، بإشارات خاصّة من غير أن يتكلّم بلسانه ، وفي السنة ٩٧٤ وكان يلي مصر ، نزل من القلعة ، فقيض له الله من رماه ببندقية محشوّة، فقتله (البرق اليماني ١٥٤- ١٥٥).

وفي السنة ٩٨٨ قتل غيلة السلطان علي بن إبراهيم ، صاحب بيجابور ، وكان قد ولي السلطنة منذ السنة ٩٦٥ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٩٩).

وفي السنة ٩٩٢ قتل السلطان محمد كراي بن دولت، خان القرم ، قتله ألب كراي بعد أن حكم في السنة ٩٨٥ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٦٧).

وفي السنة ١٠٠٥ قتل السلطان فتح كراي بن دولت ، خان القرم ، بعد بضعة أشهر من سلطنته (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٦٧).

وفي السنة ١٠١٢ قتل الوزير حسن باشا بن محمد باشا ، من كبار رجال الدولة العثمانية ، ولي كفالة حلب ، ثم كفالة دمشق ، ثم عيّن حاكماً ببلاد الروم ، ثم عيّن لولاية بغداد ، ثم عيّن أصفهسلاراً على العساكر المتوجّهة لقتال عبد الحليم اليازجي ، الناجم في نواحي سيواس ، فانكسر الجيش العثماني ، وارتدّ حسن باشا فالتجأ إلى قلعة توقات، فحصره أتباع اليازجي ، وفيما كان حسن باشا جالساً في إحدى قاعات القلعة ، أصابته رصاصة تحت إبطه فقتل (خلاصة الأثر ٢/٤٥).

وفي السنة ١٠١٢ قتل الحاج ابراهيم باشا ، أمير مصر للسلطان محمد الثالث العثماني (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٢٥١).

وفي السنة ١٠١٥ قتل إبراهيم بن محمد تكرفان العالم ، سلطان جزيرة

المهل الذي طرد البرتغاليّين ، وكان قد حكم منذ السنة ٩٩٢ (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٤٥١) .

وفي السنة ١٠١٨ قتل غيلة ، شديد بن أحمد أمير بادية كلب (البادية ما بين الشام والعراق)، وكان جبّاراً سيّء السيرة ، اغتاله ابن عم له ، وهو يلعب الشطرنج في خيمة ببريّة حلب (الاعلام ٣/٢٣٣) .

وفي السنة ١٠٤٠ قتل بمراكش أبو مروان عبد الملك بن زيدان السعدي ، من ملوك دولة الأشراف السعديّين بمراكش ، بويع بعد وفاة أبيه سنة ١٠٣٧ ووثب عليه أخوان له، هما الوليد ومحمد، فهزمهما ، ثم قتل بمراكش ، بصنع من أخيه الوليد ، قيل : قتل وهو سكران (الأعلام ٤/٣٠٤) .

وفي السنة ١٠٤٠ قتل الأمير مانع بن سنان العميري ، صاحب سمائل في عمان ، قتله المؤيّد اليعربي صاحب عمان ، سيّر إليه من قتله في حصن لؤي ، (الاعلام ٦/١٤٧) .

ولما مات سيفاجي ، مؤسّس دولة الماهراتا ، في الهند ، نصب مكانه ولده سمبهاجي ، وكان صغيراً ، فعيّن سنتاجي مستشاراً له ، وكان سنتاجي قوي الشخصيّة ، شديد التمسك بالنظام، وكان يأمر بمن ارتكب اقلّ هفوة فيلقى تحت أرجل الفيلة ، وفي السنة ١١١٠ (١٦٩٨م) ترصّده هندوسي اسمه ناجوجي ، كان سنتاجي قد قتل أخاه تحت أرجل الفيلة ، فقتله غيلة (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٦٢) .

وفي السنة ١٠٥٧ طلع الأمير مصطفى حاكم جدّه ، إلى الطائف للزيارة ، وطلع معه بشير الحبشي غلام السلطان مراد ، وكانت إليه مشيخة الحرم النبوي ، وعند نزول الأمير مصطفى من الطائف ، وهو في إحرامه ، تصدّى له اعرابي يدعى الجعفري فطعنه بجنبيّة أنفذها في أحشائه فقتله (خلاصة الأثر ٢/١٧٩) .

وفي السنة ١٠٥٩ كان القاضي زفر ، قاضي المدينة المنوّرة ، مع ثلاثة من الخدّام ، قد خرج لصلاة الفجر ، فوثب عليه شخص فضربه بالحدّ في ظهره ، فأنفذها من صدره ، فأكب على قربوس السرج ، حتى دخلت به الفرس محراب عثمان بن عفان ، وإمام الشافعية يصلّي الفجر ، فأنزله الناس وهو بآخر رمق ، وهو يقول : يا رسول الله ، يا رسول الله، ثم مات ، واتّهم الشريف زيد أمير مكّة ، بأنّه كان وراء قتل القاضي (خلاصة الأثر ٢/١٠٨).

وفي السنة ١١٥٨ قتل محمد بن عثمان ، سلطان منبسّة ، لأنّه أبى الإنقياد لسلطان البوسعيديّين ، فأرسل إليه السلطان البوسعيدي رجالاً أحتالوا عليه فقتلوه (الاعلام ٧/١٤٤).

وفي السنة ١١٥٨ قتل أبو الفتح نصر الله بن الحسين الموسوي الحائري في إصطنبول ، وكان قد أرسل إليها بسفارة من حكومة إيران . (الاعلام ٨/٣٥٢-٣٥٣).

وفي السنة ١١٦٠ قتل غيلة نادرشاه طهاسب قلي ، شاه العجم ، بعد أن حكم إيران منذ السنة ١١٣٨ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٨٩).

وفي السنة ١١٦٣ قتل عثمان بن حمد النجدي رئيس العينيّة من بلاد نجد ، قتله غيلة بعض رجاله ، بعد انتهائه من صلاة الجمعة (الاعلام ٤/٣٦٤).

وفي السنة ١١٦٦ قتل ناصر جنك ، مير أحمد بن نظام الملك ، نظام حيد آباد بالهند ، وكان قد حكم منذ السنة ١١٦١ (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤٤٦).

وفي السنة ١١٦٤ قتل مظفر جنك هدايت محيي الدين نظام حيدر آباد بالهند ، وكان قد حكم في السنة عينها (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٤٦).

وفي السنة ١١٦٦ قتل غيلة علي بن عثمان ، أمير منباسة ، بإفريقية ،

في عهد استقلالهـا عن مسقط وعمان ، وهـو ثاني أميـر في عهد استقـلالها ، والأوّل هـو أخوه محمـد ، فـإنّـه حين استقـلّ بحكم منبّسـة ، بعث إليـه أميـر مسقط ، من قتله ، وسجن أخـاه عليـاً ، ولكنّ أهــل منبسـة ، أخــرجـوه من السجن وولّوه الإمارة ، غير أنّ ابن عمه مسعود بن ناصـر ، حرّض على قتله ، فقتل غيلة . (الاعلام ٥/١٢٧ـ ١٢٨) .

وفي السنـة ١١٧٣ قتل غيلة السلطان عـالمكيـر عـزيـز الـدين ، سلطان الهنـد ، من المغول ، قتله شهـاب الدين عمـاد الملك بن غازي الـدين ، من أسـرة نظام حيـدر آباد ، وكـان عزيـز الدين قـد ولي الحكم منذ السنـة ١١٦٧ (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤٤٢) .

وفي السنة ١١٩٥ قتل غيلة بشيراز، صادق خان الزند ، سلطان شيراز ، وكان قد حكم منذ السنة ١١٩٣ (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٨٩) .

وفي السنـة ١١٩٦ قتل غيلة الأميـر ظاهـر العمر ، صـاحب عكا وصفـد والناصرة وطبرية وصيدا وحيفا ويافا والرملة وجبل نـابلس وشرق الأردن وجبـل عامل، قتله غدراً أحد المغاربة من رجاله (الأعلام ٣/٣٤٢) .

وفي السنة ١٢٠٣ قتل غيلة جعفر خان الـزند ، سلطان إصبهـان، وكان قد حكم منذ السنة ١١٩٩ (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٨٩) .

وفي السنة ١٢٠٩ قتل الزعيم سليمان بن عبدالله بن شاوي الحميري ، قتله أحد أفراد عشيرته غيلة ، وكانت الحكومة العثمانية قد شـرّدته ، لأنّ أحـد الأشخاص الذين طلبتهم الحكـومة ، التجـأ إليه ، وأبى أن يسلمـه ، فحاربتـه الحكومة ، واضطّر أن يترك أمواله وأثقاله ، ويرحل صحبة ضيفه الـذي أبى أن يسلمه ، وأقام في الخابور ، واشتدّت عساكر الوالي في مطاردته ، فـأوغل في البادية ، فقتله احد اتباعه (الاعلام ٣/ ١٩١) .

وفي السنة ١٢١٠ (١٧٩٥ م) قام علي أغـا الخزينـة دار باغتيـال احمد

الكهية ببغداد ، وفي السنة ١٨٠٧ وكان علي أغا قد أصبح علي باشا والي بغداد ، أغتاله أباظيّ اسمه مدد بك (حكم المماليك في العراق ٥٠و٧٠).

وفي السنة ١٢١١ (١٧٩٦ م) تحرّك الشيخ ثويني زعيم عشائر المنتفك مع جمع من عشائره نحو الاحساء لمحاربة الأمير عبد العزيز السعود ، ولما بلغ ثويني عين الشباك في ديرة بني خالد ، هجم عليه في خيمته عبد اسمه طعيس ، وبيده حربة ، وهتف : الله أكبر ، ثم أغمد حربته في صدر ثويني ، فقتله ، وقتل العبد من ساعته . (حكم المماليك في العراق ٥٢).

وفي السنة ١٢١١ قتل أقا محمد القاجاري ، لطف علي خان الزند ، بعد أن حكم إيران منذ السنة ١٢٠٣ (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٨٩).

وفي السنة ١٢١٥ اغتال سليمان الحلبي ، بالقاهرة ، الجنرال كليبر قائد الجيش الفرنسي بمصر ، فشكّلت له محكمة، أجرت محاكمته ، وحكمت عليه بأن تحرق يده اليمني ، وأن يوضع على الخازوق حتى يموت (الجبرتي ٢/ ٣٨٩).

وفي السنة ١٢١٨ (١٨٠٣) قتل الأمير عبد العزيز السعود غيلة ، قتله أفغانيّ اسمه ملاّ عثمان ، كان يقيم ببغداد ، وقال أنّه قتله دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ، وقيل أنّه قتله انتقاماً لأنّ الوهابيين من أتباع عبد العزيز قتلوا أولاده في مذبحة كربلا التي حصلت في السنة ١٨٠١ (حكم المماليك في العراق ٦٦).

وفي السنة ١٢٢٠ قتل سلطان مسقط بدر بن أحمد البوسعيدي ، وثب عليه أبناء أخيه سلطان ، فقتلوه غيلة . (الاعلام ٢/ ١٢).

وفي السنة ١٢٢٥ (١٨١٠ م) قتل سليمان باشا الصغير والي بغداد غيلة ، على يد رجال من عشيرة الدفافعة ، فقطع رأسه ، وأرسل إلى الأستانة . (حكم المماليك في العراق ٨٠).

وفي السنة ١٢٢٨ قتل مطلق بن محمد المطيري ، من عمال الإمام سعود بن عبد العزيز في نجد ، فاجأه في أطراف عمان ، رجال الحجرّيين ، على حين غفلة ، وقتلوه (الأعلام ٨/١٥٨).

وفي السنة ١٢٣٠ قتل أمير تونس عثمان بن علي ، اتّفق عليه أبناء عمّه ، ودخلوا عليه فقتلوه . (الاعلام ٤ / ٣٧٤).

وفي السنة ١٢٤٢ قتل غيلة إسماعيل افندي شريف ، متسلّم مدينة حلب ، وسبب ذلك إنّ والي حلب طالب إسماعيل شريف بمائتي ليرة أجر تعيينه للمتسلّمية ، فامتنع ، وأخذ يكتب للدولة عن سوء سيرة الوالي ، سعياً وراء عزله ، وبلغ الوالي ذلك ، فكلّفه بمهمّة سافر من أجلها إلى عينتاب مع جماعة من الجند ، وأوعز للجند فقتلوه غيلة في الطريق (اعلام النبلاء ٧/ ٢٤٠).

وفي السنة ١٢٤٨ قتل الهادي لدين الله ، أحمد بن عليّ ، سراج الدين الطالبي ، دعا باليمن إلى الرضا من آل محمد ، وحاصر صنعاء ، ثم تفرّق جمعه، واندسّ له من قتله غيلة ، في العيضة من بلاد اليمن . (الاعلام ١/ ١٧٦).

وفي السنة ١٢٤٩ قتل أمير نجد تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، قتله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن بن سعود ، غيلة (الاعلام ٢ / ٦٦).

وفي السنة ١٢٥٦ قتل الإمام الناصر عبدالله بن الحسن ، من أئمة الزيدية باليمن ، قتله غيلة أفراد من عشيرة حمدان في وادي ضهر من أعمال صنعاء . (الأعلام ٤ /٢٠٨).

وفي السنة ١٢٥٨ قتل غيلة الأمير كامران ، أمير هراة بأفغانستان ، وكان شاه العجم قد حاصره من السنة ١٢٣٥ حتى السنة ١٢٥٥ (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٤٧).

وفي السنة ١٢٦٤ قتل محمد بن علي العمراني الصنعاني ، المؤرخ ، بمدينة زبيد ، هاجمه باطنية ، فقتلوه في داره (الأعلام ١٩١/٧).

وفي السنة ١٢٧٠ قتل غيلة بقصره في بنها بمصر ، عباس الأوّل ، بن طوسون بن محمد علي الكبير ، قتله مملوكان أرسلتهما إليه من الاستانة عمّته نازلي بنت محمد علي، وفرّا . (الاعلام ٣٤/٤).

وفي السنة ١٢٨٢ (١٨٦٥ م) قتل غيلة ابراهيم لينكولن ، رئيس الولايات المتحدة ، وكان من عظماء العالم ، قتله احد المتعصّبين للرقّ (المنجد).

وفي السنة ١٢٨٥ قتل الأمير متعب بن عبدالله بن علي الرشيد ، أمير حائل ، وثب عليه ولدا أخيه طلال ، وهما بندرو بدر ، وقتلاه أمام قصره برزان، بمدينة حائل . (الاعلام ١٥٤/٦).

وفي السنة ١٢٩٢ قتل غيلة ، أمير بريدة ، مهنّا بن صالح العنزي ، في القصيم بنجد ، قتله بعض آل أبي عليان من تميم ، وهو خارج من صلاة الجمعة (الاعلام ٢٦٢/٨).

وفي السنة ١٢٩٧ قتل غيلة الشريف حسين بن عبدالله، شريف مكّة ، دخل جدّة في موكب حافل ، فتقدّم اليه رجل أفغاني، وقصده وهو راكب ، كأنّه يريد تقبيل يده ، وطعنه بسكين في أسفل خاصرته ، ومات الشريف ، وعذّب قاتله بأنواع العذاب ، فلم يقرّ بشيء ، وقتل بعد ذلك (أعيان القرن الثالث عشر (١٤١).

وفي السنة (١٣١٣) قتل غيلة ، شاه العجم ، ناصر الدين شاه ، عندما كان في زيارة شاه عبد العظيم خارج طهران ، قتله احد أتباع عبد البهاء . أقول : دفن ناصر الدين شاه في موضع بجامع الشاه عبد العظيم، حيث قتل ، وقد زرت قبره في السنة١٩٥٤ م وفي السنة ١٩٦٨ م .

وفي السنة ١٣٢٨ (١٩١٠) قتل غيلة بطرس غالي ، رئيس الوزراء بمصر قتله شاب قبطي اسمه إبراهيم ناصف الورداني وقتل به (الاعلام ٢/ ٣٢).

وفي السنة ١٣٣١ (١٩١٣) قتل غيلة ، أمام نظارة الحربية في إصطنبول، القائد محمود شوكت باشا ، رئيس وزراء تركيا العثمانيّة ، قتله خصومه السياسيون ، وكان قد قاد في السنة ١٩٠٨ م الجيش ، فخلع السلطان عبد الحميد ، ونصب السلطان محمد رشاد بدلاً منه . (الاعلام ٨/ ٥٠).

وفي السنة ١٣٣٣ قتل أدي شير الكلداني الآشوري ، الباحث العراقي ، من رجال الكهنوت ، صاحب كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، قتل في إحدى قرى سعرد غيلة (الاعلام ١ / ٢٧٤).

وفي السنة ١٣٣٧ قتل غيلة عند جلال آباد ، السلطان حبيب الله خان سلطان الأفغان، وخلفه ولده أمان الله خان (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٤٧).

وفي السنة ١٣٣٩ قتل غيلة الأمير سعيد حليم ، الذي كان صدراً أعظم في الدولة العثمانية من السنة ١٣٣١- ١٣٣٥ وهو ابن حليم بن سعيد بن محمد علي الكبير صاحب مصر (معجم أنساب الاسر الحاكمة ١٦٧).

وفي السنة ١٣٤٠ قتل غيلة بمدينة برلين الصدر الأعظم طلعت باشا الإتّحادي الذي كان وزيراً للسلطان محمد رشاد الخامس العثماني (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٥٠).

وفي السنة (١٣٤٣) قتل غيلة توفيق الخالدي، وزير الداخلية، بالعراق ، أطلق عليه مغتاله الرصاص ليلاً ، وهو بباب داره يريد الدخول ، واتّهم بقتله على السنة الناس ، نوري السعيد ، وزعموا أنّه اغتاله ، لأنّ الخالدي كان يرجح الجمهورية للعراق ، ويعاونه في ذلك عبدالله فيلبي الذي كان مستشاراً للداخلية .

وفي السنة (١٣٥٦) قتل غيلة ضياء يونس الموصلي ، أحد السياسيّين العراقيّين ، أطلق عليه الرصاص ليلاً وهو بباب بيته ، واتّهم بقتله أنصار القائد بكر صدقي العسكري، الذي قاد انقلاب السنة ١٩٣٦ ضدّ ياسين الهاشمي وصحبه.

وفي السنة ١٣٥٦ (١٩٣٧) ، قتل بالموصل، بكر صدقي العسكري ، صاحب أوّل انقلاب عسكري في العراق ، قتله في مطار الموصل جندي من أكراد الموصل . (الاعلام ٢/٣٩).

أ وفي السنة ١٣٥٨ (١٩٤٠ م) قتل غيلة ، رستم حيدر ، من ألمع رجال السياسة العربية في فجر عهدها الحديث ، كان يشغل وزارة المالية في العراق ، فدخل عليه ضابط بوليس معزول إسمه حسين فوزي ، وأطلق عليه الرصاص فقتله، (الاعلام ٦/ ٣٦٠).

وفي السنة ١٣٦٤ قتل احمد ماهر باشا ، في مجلس النواب ، اغتاله شاب مصري ، لأسباب سياسية . (الاعلام ١/ ١٩١).

وفي السنة ١٣٦٧ قتل غيلة الإمام يحيى حميد الدين ، إمام اليمن ، وقتل معه وزيره عبدالله العمري (الأعلام ٤/ ٢١٠).

وفي السنة ١٣٦٨ (١٩٤٨ م) قتل غيلة ، أمام مصعد وزارة الداخلية بالقاهرة ، رئيس وزراء مصر محمود فهمي النقراشي ، قتله طالب في كلية الطبّ البيطري من جماعة الأخوان المسلمين إنتقاماً منه ، لأنّه أمر بحلّ الجماعة (الأعلام ٨/٥٨- ٥٩).

وفي السنة ١٣٦٨ (١٩٤٨ م) قتل غيلة، المهاتما غاندي ، الزعيم الهندي العظيم ، محرّر الهند ، وأعظم رجال القرن العشرين ، قتله احد الشبّان المتعصبين ، قال فيه الشاعر المفلق احمد شوقي ، وصدق ، بمناسبة

مرور غاندي على الباخرة راجبوتـانا ، تقلّه من الهنـد إلى لندن ، حيث انعقـد مؤتمر الطاولة المستديرة :

بـني مـصـر أرفعـوا الـرأس وحـيّـوا بـطل الـهـنـد
عـلى إفـريـز راجـبـوتـان تـمـثـالٌ مـن الـمـجـد

وفي السنـة ١٣٦٨ (١٩٤٩ م) قتـل غيلة الشيـخ حسن البنـا ، مؤسّس جمعيـة الإخوان المسلمين بمصـر ، واتّهمت السلطة المصريـة بقتله ، انتقامـاً لمقتل النقراشي ، الذي قتله أحد أتبـاع جماعـة الأخوان المسلمين (الأعـلام ٢/١٩٧-١٩٨).

وفي السنة ١٣٧٠ (١٩٥١) اغتيل رياض الصلح ، أحد زعماء لبنان ، في عمان بشرق الأردن ، أطلق عليه الرصـاص جماعـة ، وهو في طـريقه إلى مطار عمّان بالسيارة ليعود إلى بيروت ، وقتل قاتلوه (الأعلام ٣/٦٧).

وفي السنـــة ١٣٧٠ قتـل المـلك عبـدالله بن الحسين ، ملك الأردن ، غيلة ، في المسجد الأقصىٰ بالقدس ، تصدّى له شبّان من العرب الفلسطينيين فأطلقوا عليه الرصاص وقتلوه (الاعلام (٤/٢١٢).

وفي السنة ١٣٧٠ (١٩٥٠) قتل غيلة ببيروت ، القائد سامي الحناوي ، الضـابط السـوري الـذي اسقط حسني الـزعيم ، فـإنَّ حسني الـزعيم ، قـام بانقلاب ضدّ رئيس الجمهورية السورية ، شكري القـوتلي في السنة ١٩٤٨ ، واستولى على الحكم بدمشق ، ثم قام سامي الحنّاوي وأنصاره ، بانقلاب ضدّ حسني الزعيم ، في السنة ١٩٤٩ وقتلوه هـو ورئيس وزارته محسن البـرازي ، واستولوا على الحكم ، ثم إنَّ أديب الشيشكلي انقلب على سـامي الحنّاوي ، واعتقله،ثم اطلقـه فبرح دمشق إلى بيـروت ، حيث اغتـالـه محمـد بن احمـد البرازي ، إنتقاماً لمقتل محسن البرازي (الاعلام ٧/٥).

أقول : ذكر لي الأستاذ جعفر الخليلي إنّه سأل قـاتل الحنّـاوي أن يقصّ عليه كيف قتله فقال له : لم أكن أنا الذي قتلته ، وإنما قتله الله .

وفي السنة ١٣٨٠ (١٩٦٠ م) اغتيل هزّاع المجالي رئيس وزراء دولـة الأردن في مكتبه بمدينة عمّان بقنبلة .

وفي السنة ١٣٩١ (١٩٧١م) قتل غيلة وصفي التل ، رئيس وزراء دولة الأردن ، تصدّى له فتيان من منظمّـة التحريـر الفلسطينيـة ، فقتلوه في مدخـل فندق شيراتون بالقاهرة .

القسـم الخامـس

القتل من أجل الاستئثار بالسلطان

الاستئثار : الإنفراد بالشيء ، واستأثر بالشيء : استبدّ به وخصّ به نفسه .
السلطان : القدرة ، والمراد به في هذا البحث « الحكم » .

والإستئثار بالسلطان ، ، سيئة من السيّئات التي ضري عليها بعض الأفراد ، فاستسهلوا من أجله الحزن ، واستهانوا في سبيله بالصعاب ، ووصفوا طيبات الدنيا بأنّها « الجلوس على السرير ، والسلام عليك أيّها الأمير » . وأوردوا في أمثالهم : أنَّ الملك عقيم ، ومعناه : أنّ الملك لا يعرف ابناً ولا أخاً ، فإن نازعك أخ أو ابن أو قريب ، فعليك أن تتخلّص منه بقتله .

وأوّل من قتل في سبيل الإستئثار بالسلطان ، في الإسلام ، معاوية بن أبي سفيان ، وكان يغتفر كلّ ذنب ، إلا ذنب من تعرّض لسلطانه ، وكان يقول : إنَّا لا نحول بين الناس وألسنتهم ، ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا ، وجاء من بعده يزيد ، ففعل الأفاعيل ، وقتل ، وأحرق ، وسبى ، وهدم ، كلّ ذلك في سبيل الإستئثار بالسلطان، ثم خلف من بعده عبد الملك بن مروان ، فكان ناراً محرقة ، ولعلّ أوضح دليل على تهالكه على الإستئثار بالسلطان، غدره بعمرو بن سعيد بعد أن أعطاه الأمان، وخطبته بالمدينة، من بعد ذلك، وقوله في خطبته تلك: لستُ بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا الخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا الخليفة المأفون ـ يعني يزيد ـ ألا وإنَّ من كان قبلي من

الخلفاء ، كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال ، ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمّة إلاّ بالسيف ، ألا وإنَّ الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي ، والله ، لا يفعل احد فعله ، إلاّ جعلتها في عنقه (تاريخ الخلفاء ٢١٩) ، ولما احتضر عبد الملك ، فإنَّه بدلاً من أن يوصي ولده الوليد ، بالعدل في الرعية ، فإنَّه أوصاه بقوله : البس للناس جلد النمر ، ومن قال لك برأسه هكذا ، فقل له بسيفك هكذا ، وحسبك بسيرة عبد الملك بن مروان سوءاً، أنّ الحجّاج الثقفي ، إنّما هو سيئة من سيّئاته .

ودرج من بعد بني أميّة ، بنو العباس ، فسلكوا سبيلهم ، وساروا بسيرتهم ، وبعد أن كانوا مع العلويّين يداً واحدة ، في محاربة بني أميّة ، دفعهم خوفهم من انتقاض العلويّين عليهم، إلى التخلّص منهم بالقتل، والحبس ، والنفي ، والتشريد ، وما صنعه المنصور بآل الحسن ، وما صنعه الرشيد بآل الحسين ، وما صنعه المتوكّل بآل علي عامّة ، يدلّ على مقدار القسوة الكامنة في نفوس بعض طلاّب الإستئثار بالسلطان .

وفي النصف الثاني من عهد بني العباس ، أصبح متعارفاً عندهم ، أنّ من آيين الحكم ، أن يقوم الخليفة باعتقال إخوانه ، وأعمامه ، ومن يصلح للخلافة من أفراد العائلة ، وأن يحجزهم في مواضع تحت المراقبة ، بحيث لا يدخل إليهم إلاّ بإذن .

ولما فتح هولاكو بغداد ، وجد الأمراء العباسيّين ، من إخوة الخليفة ، وأعمامه، وأقاربه، يقيمون في مواضع في دار الخلافة ، هي بحكم المعتقلات ، ليكونوا دائماً تحت مراقبة من تناط به مراقبتهم، فأخرجهم إلى ظاهر سور بغداد حيث تمّت عملية إبادتهم جملة .

وكان من التقاليد المتّبعة في سلطنة آل عثمان ، أنّ من تسلطن ، سارع إلى قتل إخوته ، وجميع من يحتمل أن يحلّ محلّه من أفراد العائلة المالكة ، وإذا سكت السلطان عن بعضهم ، ولم يقتلهم ، فهم يستقرّون في

الحبوس ، ينقطعون فيها عن الناس ، ويمنع أن يتصل بهم أحد من الناس ، إلاَّ سجّانيهم .

وقد روي عن السلطان سليم العثماني ، إنَّه قتل أباه ، وإخوته بأجمعهم ، في سبيل السلطان ، وإنَّ ولده السلطان سليمان ، قتل ولده مصطفى ، وولده بايزيد ، وأولاد بايزيد الخمسة ، وأنّ السلطان محمد بن مراد الثالث العثماني ، قتل يوم جلوسه تسعة عشر أخاً له ، ووجد عشراً من الجواري ، حوامل من أبيه ، فقتلهنّ ، ثم قتل أبنين من أبنائه .

إنَّ البحث المتعلّق بالقتل في سبيل الإستئثار بالسلطان ، يشتبك مع الأبحاث الأخرى من أبحاث القتل ، فإنَّ الأخبار التي اتهم المؤرخّون فيها معاوية ، بأنّه قتل أشخاصاً بالسمّ من أجل الإستئثار بالسلطان ، أو من أجل إزاحتهم من طريق ولاية العهد لولده يزيد ، قد اشتمل هليها بحث القتل بالسمّ وإن كانت في سبيل الإستئثار بالسلطان ، والخبر المتعلّق بقتل عبد الملك بن مروان ، عَمراً بن سعيد الأشدق غدراً ، قد اشتمل عليه بحث القتل غدراً ، وقتل المنصور العباسي بني الحسن ، قد اشتمل عليه بحث الفتك والحبس ، وكذلك القتل غيلة ، فإنَّ اكثر حوادث القتل غيلة ، إنما حصلت في سبيل الإستئثار بالسلطان ، ولكنّنا اثبتناها في بحث الإغتيال ، واقتصرنا في هذا البحث ، على أسوأ أنواع القتل من أجل الاستئثار بالسلطان ، وهو القتل الذي يقع بين أفراد العائلة الواحدة ، من الأب على ولده ، والولد على أبيه ، والأخ على أخيه، والتابع على سيّده .

وأكتفي بما أوردت ، لأنَّ الإطالة في هذا البحث ترمضني ، وتؤذيني ، لأنّه بحث يكشف عما في بعض النفوس من قسوة وفسولة .

وأوّل ما بلغنا من أخبار هذا الصراع المؤدّي للقتل ، بين أفراد العائلة الواحدة ، في سبيل الاستئثار بالسلطان، ما صنعه إلياس بن حبيب الفهري ،

في السنة ١٣٦ ، بأخيه عبد الرحمن ، صاحب إفريقية ، فإنَّ عبد الرحمن مرض ، فدخل عليه أخوه إلياس يعوده ، فعدا عليه ، وهو مريض ، فقتله ، واستولى على إمارة إفريقية ، فوثب حبيب بن عبد الرحمن ، على عمّه إلياس ، فقتله بعد معارك ، وانتظمت له شؤون إفريقية ، وامتنع عليه عبد الملك بن أبي الجعد الأباظي ، ونشبت بينهما معركة على أبواب القيروان ، فانكسر حبيب ، وقتل في المعركة (الأعلام ١/٣٤٨و٢/١٧١).

أقول : أورد ابن الأثير قصّة هذا الصراع بتفصيل أوفى ، قال : لما قتل كلثوم بن عياض ، وأبو عبيدة بن عقبة بن نافع ، في المعارك بإفريقية ، سار عبد الرحمن بن أبي عبيدة ، الى الأندلس ، وأراد أن يتغلّب عليها فلم يتمكّن ، وعاد إلى إفريقية ، وخرج بتونس في السنة ١٢٦ فدعا الناس إلى نفسه ، فأجابوه ، فسار بهم إلى القيروان ، وأراد من بها قتاله ، فمنعهم أميرها حنظلة ، وأرسل إليه جماعة من أهل القيروان ، من أعيانهم ، يدعونه إلى مراجعة الطاعة ، فقبضهم عبد الرحمن ، وأخذهم معه ، وحصر مدينة القيروان ، وقال : إن رمي أحد من أهل القيروان بحجر ، قتلت من عندي أجمعين ، فلم يقاتله احد ، واستولى على القيروان في السنة ١٢٧ ، فخرج عروة بن الوليد الصدفي واستولى على تونس ، وقام أبو عطاف الأزدي فنزل بطيفاس ، وثارت البربر بالجبال ، وخرج ثابت الصنهاجي فاستولى على باجة ، فأحضر عبد الرحمن أخاه إلياس ، ورتّب معه ستمائة فارس ، فسار إلى أبي عطاف ، فقتله وفلّ جمعه في السنة ١٣٠ ثم قصد عروة بن الوليد بتونس فقتله ، وأقام إلياس بتونس ، فخرج عليه رجلان أباظيّان ، هما عبد الجبار والحارث ، فقتلهما في السنة ١٣١ ، واستمرّ عبد الرحمن يحكم إفريقية، ولم تنكسر له راية ، ولما مضت دولة الأمويّين، خطب للعبّاسيين ، وقدم عليه جماعة من بني أميّة ، فتزوّج هو وإخوته منهم ، وكان ممن قدم عليه العاص وعبد المؤمن ابنا الوليد بن يزيد ، وكانت ابنة عمهما تحت الياس

أخي عبد الرحمن ، وبلغ عبد الرحمن عن العاصي وعبد المؤمن ، إنَّهما يسعيان في الفساد عليه ، فقتلهما ، فقالت بنت عمّهما، لزوجها إلياس : إنَّ أخاك قد قتل أختانك ، وهذا تهاون بك ، وأنت سيفه الذي يضرب به ، وكلّما فتحت فتحاً ، كتب إلى الخلفاء : إنَّ ابني حبيباً فتحه ، ولم تزل تغريه ، حتى تحرّك ، وأعمل الحيلة على أخيه وحدث أن أمر عبد الرحمن أخاه بقصد تونس على رأس جيش ، فتجهّز ، ودخل على أخيه يودّعه ، ومعه أخوه عبد الوارث ، فلما دخلا على عبد الرحمن قتلاه ، وكان ذلك في السنة ١٣٧ ، وكانت إمارة عبد الرحمن على إفريقية عشر سنين وسبعة أشهر ، وضبط ألياس أبواب دار أخيه عبد الرحمن ، بعد أن قتله ، ليأخذ ابنه حبيباً ، فلم يظفر به ، وأفلت منه حبيب إلى تونس ، واجتمع بعمّه عمران بن حبيب ، فسار إلياس إليهما ، فاقتتلوا ، ثم تصالحوا ، وقسموا إفريقية بينهم ، هم الثلاثة ، على أن تكون لحبيب قفصة وقسطيلة ونفراوة ، ويكون لعمران تونس وصطفورة والجزيرة ، وسائر إفريقية لإلياس ، وكان هذا الصلح في السنة ١٣٨ ، فلما اصطلحوا ، سار حبيب إلى عمله ، ومضى إلياس مع أخيه عمران ليسلم إليه تونس ، فغدر إلياس بأخيه عمران وقتله ، وحاز تونس لنفسه ، وقتل بها جماعة ، وعاد إلى القيروان، وبعث بطاعته للمنصور العباسي ، وسار حبيب إلى تونس فملكها ، فحاربه عمّه إلياس ، فلما جنّهم الليل ترك حبيب خيامه ، وسار جريدة إلى القيروان ، فدخلها ، وأخرج من بها من المحبوسين ، وكثر جمعه ، وانفلّ عن إلياس أكثر أصحابه ، وتبعوا حبيباً ، ثم تبارز حبيب ، وعمّه إلياس ، فكانت نتيجة المبارزة ، أن قتل حبيب عمّه إلياس ، واستولى على القيروان وذلك في السنة ١٣٨ وهرب أخوة إلياس إلى بطن من البربر يقال لهم : ورفجومة ، فاعتصموا بهم ، فسار إليهم حبيب ، وقاتلهم ، فهزموه ، وقصدوا القيروان فاحتلّوها ، وساروا يطلبون حبيباً ، فأدركوه بقابس ، واقتتلوا، ففرّ منهم إلى جبل أوراس ، فلحقوا به ، فحاربهم حبيب ، وانتصر عليهم ، وقصد القيروان ليستعيد دولته ، فانكسر في

معركة على باب القيروان ، وقتل هناك ، وكانت إمرة عبد الرحمن أبي حبيب عشر سنين وأشهراً كما أسلفنا ، وإمرة أخيه الياس سنة وستة أشهر ، وإمارة حبيب بن عبد الرحمن ثلاث سنين ، ولما استولى البربر على إفريقية، أخذوا يظلمون الناس ، فخرج عليهم أبو الخطّاب ، وحشد الناس بطرابلس (الغرب) وضمّ إليه الأباظية والخوارج ، واشتبكوا في معركة بباب القيروان ، فانتصر أبو الخطّاب ، وقتل من البربر مقتلة عظيمة ، وكان ذلك في السنة ١٤١ . واستولى أبو الخطّاب على سائر إفريقية ، وفي النسة ١٤٣ ولّى المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي على إفريقية ، فوصل إليها في خمسين الفاً . واشتبك مع أبي الخطّاب في معركة ضارية ، فقتل أبو الخطاب ، وعامّة أصحابه ، وكان ذلك في السنة ١٤٤ ، ثم إنَّ أبا هريرة الزناني هاجم ابن الأشعث في ستة عشر ألفاً، فلقيهم ابن الأشعث ، وقتلهم جميعاً ، وضبط إفريقية ، ثم خرج عليه أحد قوّاده ، واسمه هاشم، فبعث المنصور رسولاً إلى هاشم يلومه على العصيان ، فانكر أنّه خالف ، فقال له الرسول : إن كنت على الطاعة فمدّ عنقك ، فمدّ عنقه ، فضربه بالسيف ، فقطع عنقه ، وكان ذلك في السنة ١٤٧ ، وبذل الأمان لأصحاب هاشم (ابن الأثير ٥/٣١٠-٣١٨).

وفي السنة ١٦٣ بلغ عبد الرحمن الداخل (الأموي)، أنَّ عبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي ، وعبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام، وهو ابن أخي الداخل، يسعيان في التدبير عليه، فقتلهما (نفح الطيب ٣/٤٦).

وفي السنة ١٦٧ بلغ عبد الرحمن الداخل أنّ ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية يسعى في طلب الأمر لنفسه ، فقتله، وقتل معه الصميل بن حاتم (حفيد شمر بن ذي الجوشن) ونفى أخاه الوليد بن معاوية ، والد المغيرة ، إلى العدوة ، بماله وأهله وولده . (نفح الطيب ٣/٤٦).

ولما زحف أهل غرب الأندلس ، لحرب عبد الرحمن الداخل ، وجّه

عبد الرحمن اليهم عبد الملك بن عمر بن مروان ، على رأس جيش ، فقدّم عبد الملك ولده أميّة ، فانحاز أميّة منهزماً إلى أبيه ، فقال له أبوه : إن كنت فررتَ من الموت ، فقد جئت إليه ، وأمر بضرب عنقه ، وجمع أهل بيته وخاصّته ، وقال لهم : طردنا من المشرق إلى اقصى هذا الصقع ، ونحسد على لقمة تبقى الرمق ، اكسروا جفون السيوف ، ، فأمّا موت أو ظفر ، ففعلوا، وانتصروا (نفح الطيب ٣/ ٥٩).

وكان يعفر بن عبد الرحمي الحوالي، باليمن، يحكم صنعاء منذ السنة ٢٣٠ استقلالاً ، فغلب ولده محمد بن يعفر ، على صنعاء ، وبايع المعتمد العباسي ، ثم أناب عنه ولده إبراهيم بن محمد في حكم صنعاء ، فقام يعفر الجدّ ، وحرّض الحفيد إبراهيم ، على قتل والده محمد ، فقتله في السنة ٢٦٩ في صومعة مسجد شبام ، وقتلَ عمّه كذلك (الاعلام ٨/ ١٦ و ٩/ ٢٥١).

وفي السنة ٢٥٢ حبس المعتزّ العباسي ، أخويه ابراهيم المؤيّد ، وأبا أحمد طلحة الموفّق ، في الجوسق بسامراء ، وقيّد المؤيّد ، وجعله في حجرة ضيّقة ، وحبس كنجور ، حاجب المؤيد ، وضربه خمسين مقرعة ، وضرب خليفته أبا الهول خمسمائة سوط ، وطيف به على جمل ، ثم ضرب أخاه المؤيّد أربعين مقرعة ، وأخذت منه رقعة بخلع نفسه من ولاية العهد ، ثم بلغ المعتزّ أنّ الأتراك يريدون إخراج المؤيّد من الحبس، فدعا القضاة والفقهاء والشهود والوجوه، وأخرج لهم المؤيّد ميتاً ، لا أثر به ولا جرح ، وحمل إلى أمّه إسحاق الأندلسية ، وهي أمّ أبي أحمد ، على حمار ، وحمل معه كفن وحنوط ، وحوّل أبو أحمد إلى الحجرة التي كان المؤيّد شقيقه محبوساً فيها ، وذكر عن كيفيّة موت المؤيّد إنّه أدرج في لحاف سمور ، ثم أمسك طرفاه حتى مات ، وقيل إنّه أقعد في حجر من ثلج ، ونضّدت عليه حجارة الثلج فمات برداً (الطبري ٩/ ٣٦١ـ ٣٦٢).

وفي السنة ٢٧٠ بويع أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، خلفاً لوالده ، فأحضر أخاه العبّاس ليبايعه ، فامتنع ، فأدخل منزلاً في الميدان ، وكان آخر العهد به . (الولاة للكندي ٢٣٣) .

وفي السنة ٢٧٣ قدمت رسل يا زمان ، فذكروا أنّ ملك الروم وثب عليه ثلاثة من أولاده ، فقتلوه، وملّكوا أحدهم (الطبري ١٠/١٢) .

وفي السنة ٢٧٧ قُتِلَ محمد بن عبدالله، من أمراء بني أميّة بالأندلس ، وهو والد عبد الرحمن الناصر ، قتله أخوه المطرّف . (الأعلام ٦/٩٥) .

وفي السنة ٢٨٠ اغتيل خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر والشام ، اغتاله جماعة من مماليكه ، فأخذوا وقتلوا، وخلفه ولده جيش ، فوثب عليه الجند وقالوا له : لا نرضى بك أميراً ، فتنحّ عنّا لنولّي عمّك نصراً ، فأحضر جيش عمّه نصراً وعمّاً آخر له ، وضرب أعناقهما ، ورمى برأسيهما إلى الجند ، فهجم الجند على جيش ، وقتلوه ، وأقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه . (العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ١٣٣) .

وروى صاحب كتاب المكافأة (ص ١٨٢ـ ١٨٣) قصّة مقتل الثلاثة من آل طولون، قال : لما توفّي خمارويه ، بن أحمد بن طولون بدمشق ، خلفه ولده جيش ، فقبض بدمشق على أعمامه ربيعة ومضر وشيبان أولاد أحمد بن طولون ، وحملهم معه إلى مصر ، وحبسهم في حجرة من الميدان معه ، وأفردوا مضراً في حجرة أغلقت عليه أبوابها ، وأمر جيش أن لا يلقى إلى مضر طعام ، فأقام خمسة أيام لا يطعم ولا يستغيث ، ثم وافى ثلاثة من أصحاب جيش ، وفتحوا الباب على مضر ، فوجدوه ما زال حيّاً ، فرموه بثلاثة أسهم في مقاتله ، فمات ، وبعد ثلاثة أيام فتح باب الحجرة ، وأدخل جيش محبوساً ، فإنَّ هارون بن خمارويه ، استولى على السلطان ، وحبس جيشاً ، ثم بعث إليه خدماً من أصحابه فقتلوه ، وحكم هارون مصر ، حتى قدم

محمد بن سليمان يقود جيشاً عباسياً ، فاحتلّ مصر ، وانفلّ جيش هارون . فدخل عليه عمّاه شيبان وعديّ فقتلاه في السنة ٢٩٢ .

وفي السنة ٢٨٣ بلغ المعتضد سوء سيرة إبراهيم بن أحمد ، أمير إفريقية ، فكتب إليه يعنفّه على جوره وسوء عمله ، ويقول له : إن انتهيت عن أخلاقك هذه وإلاّ فسلّم العمل الذي بيدك لابن عمّك محمد بن زيادة الله ، فما كان من إبراهيم إلاّ أن بعث إلى محمد ، من قتله. (الأعلام ٦/٣٦٦).

وفي السنة ٢٨٩ قتل عبد الواحد بن أبي أحمد الموفّق ، وكانت والدته ، قد وجّهت معه ، لما أخذ إلى دار مؤنس ، داية له ، ففرّق بينه وبين الداية ، فمكثت يومين أو ثلاثة ، ثم صرفت إلى منزل مولاتها ، فكانت والدة عبد الواحد ، إذا سألت عن خبره ، قيل لها : إنّه في دار المكتفي ، وهو في عافية ، وكانت طامعة في حياته ، فلما مات المكتفي ، أيست منه ، وأقامت عليه مأتماً (الطبري ١٠/٩٤).

وفي السنة ٢٩٠ فتك زيادة الله بن أبي العباس عبدالله ، المعروف بابن الأغلب ، بأبيه، وكان أبوه قد ولّاه إمارة صقلية، فأهمل إدارتها، فعزله، وسجنه، فدسّ لأبيه ثلاثة من خصيان الصقالية ، فقتلوه ، ونودي بزيادة الله ، أميراً على إفريقية ، فكان أوّل ما بدأ به أن قتل الخصيان الثلاثة ، وفتك بمن قدر عليه من إخوته وأعمامه ، إذ أخرج من إخوته وأعمامه سبعة وعشرين رجلاً ، إلى جزيرة في البحر اسمها جزيرة الكراث ، فقتلوا بها في رمضان ، وعاد إلى إهمال شؤون الملك ، وعظم أمر أبي عبدالله الشيعي ، فجمع زيادة الله ماله ، وأهله ، وفرّ من إفريقية في السنة ٢٩٦ ، فنزل بمصر ، ثم قصد بغداد ، فمنعه المقتدر من الوصول إليها ، فعاد إلى مصر، ثم قصد بيت المقدس ، فمات بالرملة (العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ١٩٥ والاعلام ٣/٩٤).

وفي السنة ٢٩٤ قتل يوسف بن محمد بن أفلح ، سادس الأئمة الأباضيين بالجزائر ، قتله أبناء أخيه غيلة (الأعلام ٩/٣٢٥).

وفي السنة ٢٩٦ أراد قسم من القوّاد والقضاة ورجال الدولة ، أن يخلعوا المقتدر ، وأن يبايعوا ابن المعتزّ ، وخافوا معارضة الوزير العباس بن الحسن ، فوثب به الحسين بن حمدان ، وآخرون معه ، فقتلوه ، وخلعوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتزّ ، ثم هاجم غلمان المقتدر، جماعة ابن المعتزّ، فانفلّوا ، وتفرقوا، وعاد المقتدر إلى الخلافة ، وأخذ ابن المعتزّ فقتله (الطبري ١٠/١٤٠-١٤١).

وفي السنة ٣٠٤ وثب احمد بن مسافر ، صاحب الطرم، على ابن أخيه علي بن وهسوذان ، بقزوين ، وكانت إلى عليّ أعمال الريّ ودنباوند وقزوين وأبهر وزنجان، فقتله أحمد على فراشه (ابن الأثير ٨/١٠٣).

وفي السنة ٣٢٧ حمل عبد الصمد بن المكتفي إلى دار الخلافة ، فذكر أنّه كحل في ليلته، أي سملت عيناه ، وحمل إلى داره ميتاً (العيون والحدائق ج ٤ ق ٢ ص ٧٩).

وفي السنة ٣٣٩ في عيد الأضحى، أمر عبد الرحمن الناصر الأموي، الخليفة بالأندلس ، فأحضر أمامه أحد أولاده ، واسمه عبدالله ، وكان قد تآمر على أبيه ليحلّ محلّه ، ومعه اتباع له ، فأمر ولده أن يضطجع ، فاضطجع ، فذبحه بيده ، والتفت إلى خواصّه ، وقال : هذا ضحيّتي في العيد ، فليذبح كلّ منهم اضحيته ، فاقتسموا أصحاب عبدالله ، وذبحوهم . (نفح الطيب ٣/٥٨٣ الأعلام ٤/١٠٠).

وفي السنة ٣٥٢ وثب أبو محمد بن الشاكر لله محمد بن الفتح ، على أخيه المنتصر بالله ، صاحب سجلماسة ، وقتله. وتلقّب بالمعتزّ بالله (الأعلام ٨/٧٨).

وفي السنة ٣٦٦ توفّي الحكم المستنصر ، الخليفة المرواني بالأندلس ، وكان المرشح للخلافة من بعده أخوه المغيرة ، فتآمر عليه الحاجب المنصور بن أبي عامر ، والحاجب المصحفي ، وغالب مولى الحكم ، وفائق وجوذر من الفتيان المجابيب من رؤساء القوّاد ، واقتادوا المغيرة وقتلوه ، ونصبوا هشام بن الحكم خليفة ، ولقبوه بالمؤيّد، وهو ابن تسع سنين (نفح الطيب ٣٩٦/١).

وفي السنة ٣٧٢ وثب أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين ، على أخيه الحسن بن عمران ، أمير البطيحة ، فقتله ، واستقرَّ مكانه ، وكيفيّة تمكّنه منه ، إنَّ أختاً لهما مرضت، فقال أبو الفرج لأخيه الحسن : إنَّ اختنا مشفية ، فلو عدتها ، ففعل، وسارا اليها ، ورتّب أبو الفرج في الدار نفراً ليساعدوه على قتله ، فلما دخل الحسن الدار ، تخلّف عنه أصحابه ، ودخل أبو الفرج معه ، فلما خلا به ، جرد سيفه ، وقتله ، ثم صعد إلى السطح ، وأعلم العسكر بقتله ، ووعدهم الإحسان، فسكتوا ، وبذل لهم المال، فأقرّوه ، وكان متهوّراً جاهلاً (ابن الأثير ٢٣/٩- ٢٤).

وفي السنة ٣٧٣ قتل أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين ، الذي أصبح أميراً للبطيحة بعد أن قتل أخاه الحسن في السنة ٣٧٢ ، فإنّه لما استقر في إمرة البطيحة ، قدّم الجماعة الذين أعانوه على قتل أخيه ، ووضع من حال مقدّمي القوّاد ، فجمعهم المظفّر بن علي الحاجب ، وهو أكبر القوّاد ، واتّفق معهم على قتله ، فقتله المظفّر ، وأقعد مكانه أبا المعالي بن الحسن بن عمران ، وقتل كلّ من يخافه من القوّاد ، وكان أبو المعالي صغيراً ، فكان الحكم للمظفّر الحاجب ، ثم طمع في الإستقلال بالبطيحة ، فأخرج أبا المعالي ووالدته إلى واسط ، وأجرى عليهما جراية ، واستبدّ بالأمر ، وعهد إلى ابن أخته علي بن نصر الملقّب بمهذّب الدولة ، وانقرض حكم آل عمران بن شاهين (ابن الأثير ٩/ ٣٠- ٣١).

وفي السنة ٣٨٠ طمع باد الكردي ، صاحب ديار بكر ، في ملك الموصل ، فقصدها وكانت في يد أبي طاهر إبراهيم وأبي عبدالله الحسين ولدي ناصر الدولة الحمداني ، فاستعانا بأبي الذواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل ، وبذلا له جزيرة ابن عمر ، وبلد ، ونصيبين ، فأعانهما، وحاربوا باداً وقتلوه، فطمع أبو الذواد في الموصل وحارب أبا طاهر الحمداني ، وأسره ، فقتله ، وقتل ولده علياً ، والمزعفر أمير بني نمير، وملك الموصل وأعمالها ، وقد أورد ابن الأثير ٩/٦٦- ٧٤ هذه الحوادث متسلسلة قال : في السنة ٣٧٩ كان أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ، ابنا ناصر الدولة الحمداني ، في خدمة شرف الدولة ببغداد ، فلما مات شرف الدولة ، وملك بهاء الدولة ، استأذناه في الإصعاد إلى الموصل ، فأذن لهما ، فأصعدا ، ثم ندم على إذنه لهما ، فكتب إلى خواشاذه ، وكان يتولّى الموصل ، أن يدفعهما عنها ، وكتب اليهما بأن يعودا ، فجدّا في السير حتى نزلا بظاهر الموصل ، وثار أهل الموصل بالديلم والأتراك ، وخرجوا إلى بني حمدان ، وطردوا الديلم والأتراك من الموصل ، وتملّك ولدا ناصر الدولة البلد ، وطمع باد الكردي، صاحب ديار بكر في تملّك الموصل ، فقصدها ، وحصرها ، فاستعان الحمدانيان، بأبي الذواد محمد بن المسيّب أمير بني عقيل ، وبذلاً له جزيرة ابن عمر ، ونصيبين ، وبلد ، فأعانهما، وحاربوا باداً وقتلوه في السنة ٣٨٠، ولما قتل باد ، سار ابن أخته أبو علي بن مروان في طائفة من الجيش إلى حصن كيفا ، وكانت به امرأة باد وأهله ، فأعلم زوجة باد بهلاكه ، وأطمعها في التزوّج بها ، فوافقته ، واستولى على مملكة باد بأجمعها ، وسار إلى ميا فارقين ، فقصده فيها أبو طاهر وأبو عبدالله الحمدانيان ، طمعاً في ميافارقين ، واقتتلوا ، وظفر أبو علي ، وأسر أبا عبد الله بن حمدان ، فأكرمه ، وأحسن اليه، وأطلقه فسار إلى أخيه أبي طاهر، وهو بآمد يحصرها ، فأشار عليه بمصالحة ابن مروان ، فلم يفعل ، واضطر أبو عبدالله إلى موافقة أخيه ، وعادا لمحاربة أبي علي ، فواقعاه، فهزمهما ، وأسر أبا عبدالله ثانية ،

فأساء إليه ، وضيّق عليه ، إلى أن كاتبه صاحب مصر ، وشفع فيه ، فأطلقه، فمضى الى مصر ، وتقلّد ولاية حلب ، وأقام بها إلى أن توفّي ، وأما أبو طاهر ، فإنّه لما وصل إلى نصيبين ، وكان في قلّة، قصده أبو الذواد ، طمعاً في ملك الموصل ، فأسره وعلياً ابنه ، والمزعفر أمير بني نمير ، وقتلهم صبراً ، وسار إلى الموصل فملكها وأعمالها ، وأقام أبو علي بن مروان بديار بكر ، وأحسن إلى أهلها ، وألان جانبه لهم ، فطمع فيه أهل ميافارقين ، واستطالوا على أصحابه، فأمسك عنهم إلى يوم العيد ، فخرجوا إلى المصلّى في الصحراء ، فلما تكاملوا خارج البلد ، أخذ أبا الصقر شيخ البلد ، وألقاه من أعلى السور ، وقبض على من كان معه ، وأغلق أبواب البلد ، وأمر أهله أن ينصرفوا حيث شاءوا ، فذهبوا كلّ مذهب ، وكان أبو علي قد تزوّج ستّ الناس بنت سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني ، فجاءت إليه من حلب فعزم على زفافها بآمد ، وخشي شيخ البلد ، واسمه عبد البرّ أن يصنع بهم ما صنع بأهل ميافارقين ، فاتّفق مع جماعة من أهل البلد على أن يقفوا له في الدركاه ، وينثروا عليه الدراهم في وجهه ، فإذا غطّى وجهه بكمّه ، ضربوه بالسكاكين ، ففعلوا ذلك به ، وتولّى قتله إنسان منهم يقال له ابن دمنة ، كان فيه إقدام وجرأة، فاختبط أصحاب أبي علي ، فرمي برأسه اليهم ، فأسرعوا السير إلى ميافارقين ، وحدّثتهم أنفسهم بتملّك البلد ، فاستراب بهم مستحفظ البلد لإسراعهم ، وقال لهم : إن كان الأمير حياً فأدخلوا معه ، وإن كان قد قتل فأخوه يستحقّ أن يكون موضعه ، فما كان بأسرع من وصول ممهد الدولة أبو منصور بن مروان ، أخي أبي علي ، الى ميافارقين ، فدخل البلد وملكه ، وأما عبد البرّ ، شيخ بلد آمد ، فقد استولى على آمد ، وزوّج ابن دمنة قاتل أبي علي، بإبنته ، وعمّر البلد ، وأصلح أمره مع ممهدّ الدولة ، وهادي ملك الروم ، وصاحب مصر ، وغيرهما من الملوك ، أما ممهّد الدولة ، أبو منصور بن مروان ، فقد كان معه إنسان من أصحابه اسمه شروة ، وكان حاكماً في ملك ابن مروان ، وكان لشروة غلام قد ولّاه الشرطة ، وكان ممهّد الدولة

يبغضه ، ويريد قتله ، ففطن الغلام لذلك . فأفسد ما بينهما ، فعمل شروة طعاماً بقلعة الهتاخ، وهي إقطاعه، ودعا إليها ممهّد الدولة، فلما حضر عنده ، قتله في السنة ٤٠٢ ، وخرج من الدار ، فقبض على بني عمّ ممهّد الدولة ، وقيّدهم ، وأظهر أنّ ذلك بأمر من ممهّد الدولة ، ومضى إلى ميافارقين ، وبين يديه المشاعل ، ففتحوا له الأبواب ظانّين إنّه ممهّد الدولة ، فملك ميافارقين وكتب إلى أصحاب القلاع يستدعيهم، وأنفذ إلى أرزن ليحضر متولّيها، واسمه خواجه أبو القاسم ، فسار خواجه إلى ميافارقين ، ولم يسلم القلعة إلى الرسول ، فلما توسّط الطريق ، سمع بقتل ممهّد الدولة ، فعاد إلى أرزن ، وأرسل إلى سعرد ، فأحضر أبا نصر بن مروان أخا ممهّد الدولة ، وكان أخوه قد ابعده عنه ، فأخذه خواجه إلى أرزن ، وكان شروة قد بعث لإحضار أبي نصر هذا ، فلما وجده قد سار إلى آرزن ، علم أنّ أمره قد انتقض ، وكان مروان ، والد ممهّد الدولة ، قد اضرّ ، وهو بأرزن عند قبر ولده أبي علي ، هو وزوجته، فأحضر خواجه أبا نصر بن مروان عندهما ، وحلّفه على القبول منه ، والعدل ، وملّكه أرزن ، ثم ملك سائر ديار بكر ، فدامت أيّامه وأحسن السيرة ، وكان مقصداً للعلماء من سائر الآفاق، واستمر كذلك الى السنة ٤٥٣ حيث توفّي عن نيف وثمانين سنة، وكانت الثغور معه آمنة ، وسيرته في رعيّته أحسن سيرة (ابن الأثير ٩/٦٦- ٧٤).

وفي السنة ٣٨٧ مرض فخر الدولة ، صاحب الري ، واشفى على الهلاك ، وكان ابن اخيه ، أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة معتقلاً في حبسه، فبعث إليه من قتله في الحبس (الاعلام ١ /١٨٧).

أقول : لما توفّي عضد الدولة في السنة ٣٧٢ وخلفه ولده صمصام الدولة ، قبض على أخيه أبي الحسين احمد، ووكلّ به « أي سجنه »، وكانت أمّ أبي الحسين بنت ملك الديلم ، فخشيها صمصام الدولة ، وأطلق أخاه ، وخلع عليه ، وولاّه شيراز وأعمالها ، فلما وصل إلى الأهواز ملكها ، وتلقّب

بتاج الدولة ، وأعلن سلطنته، فجرّد إليه صمصام الدولة جيشاً ، فدحره أحمد ، وقصد البصرة فملكها ، ورتّب بها أخاه أبا طاهر ، ولقّبه ضياء الدولة ، واستمرّ ثلاث سنين ، ثم قصد إصبهان، فاعتقله شرف الدولة أبو الفوارس أخوه ، وحمله إلى قلعة في بعض نواحي شيراز (ذيل تجارب الأمم ٧٨- ٨٠).

وفي السنة ٣٨٨ خرج أبو نصر بن بختيار البويهي ، على صمصام الدولة بن عضد الدولة ، وقتله ، ولما أحضر رأسه أمام أبي نصر، وقد وضع في طست ، قال أبو نصر يخاطب صمصام الدولة : هذه سنّة سنّها أبوك (المنتظم ٧/٢٠٤).

أقول : كان معز الدولة صاحب العراق ، ولما مات خلفه ولده بختيار فطمع عضد الدولة في ملكه ، وقصده، وحاربه ، وقتله في السنة ٣٦٧ .

وفي السنة ٤٠٠ قتل أبو المطرّف محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأمويّ ، الملقب بالمهدي ، وكان قد استعان بجيش من البربر ، وأعلن خلافته بقرطبة وخلع هشاماً المؤيّد ، وحارب الحاجب عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر ، ونهب الزهراء ، وخرّبها ، ونهب دور بني عامر ، وبعث حاجبه ، فقتل الحاجب عبد الرحمن بن أبي عامر ، الملقب : شنشول (معرّب Sanchuelo ، أي سانكو الصغير ، اسم اسباني ، كانت تناديه به للتحبّب ، أمّه الأميرة القوطيّة) ، ولما قتله ، قطع رأسه ، ونودي عليه : هذا شنشول المأبون ، ثم أنّ المهدي احضر شخصاً ، ففصده ، حتى نزف ومات ، وأدّعى أنّه هشام المؤيّد ودفنه ، ثم أراد أن يستأصل البربر ، وهم جنده ، فانتقضوا عليه ، وقتلوا وزيريه محمد بن درّي ، وخلف بن طريف ، وبايعوا هشام بن سليمان بن الناصر لدين الله ، ونشبت بين هشام هذا وبين المهدّي معركة ، كان النصر فيها للمهدي ، فأخذ هشاماً ، وأخاه ، وقتلهم صبراً . وقتل اثني عشر

ألفاً من البربر ، فانحاز البربر إلى قلعة رباح ، وبايعوا سليمان بن الحكم ، ولقّبوه المستعين بالله ، فاحتلّ طليطلة ، وقتل واليها ، ثم هاجم قرطبة ، واستولى عليها ، ففرّ المهدي إلى طليطلة ، واستعان بالإفرنج ، وعاد لمهاجمة قرطبة ، فانكسر، وأسر، فقطعت أربعته، ثم ضربت عنقه (الوافي بالوفيات ٥/١٦٣- ١٦٥)، وتولّى المستعين الحكم في قرطبة، حتى السنة ٤٠٧ حيث قتل ، واستولى العلويّون بنو حمّود على قرطبة (نفح الطيب ١/ ٤٣٠)، وفي السنة ٤٠٩ قام بشرق الأندلس المرتضى عبد الرحمن بن محمد ، من أحفاد الناصر ، وهاجم غرناطة ، فانكسر ، وقتل (نفح الطيب ١/٤٨٥) وفي السنة ٤١٢ على أثر معركة بين القاسم بن حمّود ، صاحب قرطبة ، وبين ابن أخيه يحيى بن علي بن حمّود ، صاحب سبتة ، انكسر القاسم ، وأسره ابن أخيه يحيى ، وأبقاه عنده محبوساً حتى قتله خنقاً في السنة ٤٢٧ وهو في محبسه (نفح الطيب ١/٤٨٦- ٤٨٨) ، وفي السنة ٤١٤ بويع بقرطبة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الأموي، ولقّب بالمستظهر (نفح الطيب ١/٤٣٦)، وبعد شهرين ثار محمد بن عبد الرحمن ، حفيد الناصر الأموي ، فقتل المستظهر ، وتلقّب بالمستكفي ، وهو والد ولّادة الشهيرة، وخلع بعد ستّة عشر شهراً ، في السنة ٤١٦ (نفح الطيب ١/٤٣٧) وعادت قرطبة إلى حكم العلويّين بني حمّود (نفح الطيب ١/٤٣٢) وفي السنة ٤١٨ بايع أهل قرطبة هشام بن محمد أخا المرتضى ، ولقبّوه بالمعتدّ بالله، ولكنّه خلع في السنة ٤٢٢، وانتقل الحكم إلى ملوك الطوائف (نفح الطيب ١/٤٣٨).

وفي السنة ٤٠٧ دخل عليّ بن حمّود الأدريسي، أوّل ملوك الدولة الحمّودية قرطبة ، وقبض على سليمان بن الحكم ، وعلى أبيه الحكم بن سليمان بن الناصر ، فقتلهما في يوم واحد ، وأعلن خلافته ، ولقّب بالناصر لدين الله (الاعلام ٥/٩٤).

وفي السنة ٤٠٨ مرض مهذّب الدولة صاحب البطيحة ، فأراد ابن أخته ، أبو محمد عبدالله بن بني أن يحلّ محله إذا مات ، فأغرى الجند وأطمعهم في أن يعتقلوا ابن مهذّب الدولة ، أبا الحسين أحمد ، لئلّا يبقى له منافس ، فاعتقلوه ، ولما مات مهذّب الدولة تأمّر أبو محمد ، فأحضر أبا الحسين احمد ، وأمر بضربه ، فضرب ضرباً شديداً مات منه بعد ثلاثة أيّام من موت أبيه ، ولم يتملّ أبو محمد بالحكم ، إذ مات بالذبحة بعد شهرين (ابن الأثير ٩/٣٠٢-٣٠٣).

وفي السنة ٤١٢ مرض صدقة ، صاحب البطيحة ، فقصدها أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين ليملكها ، فسمع به صدقة ، وهو مريض ، فسيّر إليه جيشاً ، فقاتلوه ، فانهزم أبو الهيجاء ، وأسر ، فقتله سابور بن المرزبان بن مروان بيده ، ولما مات صدقة ، خلفه سابور (ابن الأثير ٩/٣٢٤).

وفي السنة ٤٢١ توفّي يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، وأوصى بالملك لولده محمد ، وكان أصغر من مسعود ، فبويع محمد ، وكان أخوه مسعود بإصبهان ، فكاتب أصحاب محمد ، فسعى علي خويشاوند ، حاجب محمود ، في خذلان محمد ، وأعانه على ذلك يوسف بن سبكتكين ، عم محمد ، فقبضا على محمد ، وناديا بشعار أخيه مسعود ، وحبسا محمد في قلعة تكنباذ ، فلما تسلطن مسعود ، كان أوّل ما صنعه أن قتل الحاجب علياً ، ثم قبض على عمّه يوسف أيضاً ، وسمل عين أخيه محمد فأعماه ، وفي السنة ٤٣٢ خرج عليه بعض القوّاد ، وأعادوا أخاه محمداً إلى السلطنة ، وحصروا مسعوداً في قلعة، فاستسلم ، فقال له أخوه محمد : والله ، لا أقابلك على فعلك بي ، ولا أعاملك إلّا بالجميل ، فانظر أين تريد أن تقيم، حتى أحملك إليه ، ومعك أولادك وحرمك ، فاختار قلعة كيكي ، فأنفذه إليها محفوظاً، وأمر بإكرامه ، وصيانته ، ثم ألحّ احمد بن السلطان محمد ، على قتل عمّه مسعود ، فقتل ، وألقي في بئر ، وسدّ رأسها ، وقيل إنّه ألقي فيها

حياً ، وسدّ رأسها فمات ، وثار مودود بن مسعود لموت أبيه ، فقام على رأس جيش إلى غزنة ، وتصافّ هو وعمّه محمد ، فظفر مودود ، وانهزم محمد ، ووقع أسيراً في يد مودود ، هو وولده أحمد ، فقتل مودود عمّه محمداً ، وابن عمّه أحمد ، وكثيراً من قوّاده وحاشيته (ابن الأثير ٩/٣٩٨-٤٠٠- ٤٨٤- ٤٨٨).

وفي السنة ٤٣٢ توفّي قدرخان ، صاحب بخارى ، وخلف ثلاثة بنين ، أرسلان خان ، وبغراخان، وآخر ، فقدم أرسلان خان ، وحارب أخاه بغراخان ليأخذ مملكته ، فوقع أرسلان خان أسيراً في يد بغراخان ، فأودعه الحبس، ثم إنّ بغراخان عهد بالملك إلى ولده الأكبر حسين جغري تكين ، وجعله ولي عهده ، وكان لبغراخان امرأة لها منه ولد صغير ، فغاظها ذلك ، فعمدت إلى سمّ فسمّت به حسين جغري وعدّة من أهله ، فماتوا ، وخنقت أرسلان خان وهو في السجن ، وذلك في السنة ٤٣٩ وقتلت وجوه أصحاب حسين جغري، وملّكت ولدها ، واسمه إبراهيم ، وسيّرته في جيش إلى مدينة تسمّى برسخان ، صاحبها يعرف بينالتكين ، فظفر به ينالتكين ، وقتله ، وانهزم عسكره (ابن الأثير ٩/٢٩٨- ٢٩٩).

وفي السنة ٤٢٦ وثب الحسن بن أبي البركات بن ثمال الخفاجي ، بعمّه علي بن ثمال ، أمير بني خفاجة، فقتله ، وحلّ، محلّه في إمارة بني خفاجة (ابن الأثير ٩/٤٤٤).

وفي السنة ٤٣١ قتل القاسم بن حمّود العلوي ، في الحبس ، قتله ابن أخيه إدريس بن علي بن حمّود ، وكان القاسم بن حمّود قد ملك قرطبة بمعونة البربر ، فحاربه أهل قرطبة ، وهزموا البربر هزيمة منكرة ، فسار القاسم عنها إلى إشبيلية ، فمنعه اهلها من دخولها ، فنزل بشريش ، فزحف إليه يحيى ابن أخيه علي بن حمّود ، فأخذه أسيراً ، وحبسه ، وبقي في حبسه حتى توفي يحيى ، وملك أخوه إدريس فقتل عمّه القاسم في الحبس بعد أن ظلّ محبوساً ستّ عشرة سنة ، وكان قتله في السنة ٤٣١ (ابن الأثير ٩/٢٧٣- ٢٧٦).

ولما توفّي ابـو القاسم بن مكـرم ، صاحب عمـان ، خلف بنين أربعة ، فخلفـه أكبرهم أبـو الجيش ، ثم أحسّ أبـو الجيش أنّ أخـاه المهـذّب يتـآمـر عليـه ، فـاعتقله ، ووضــع عليـه من خنقــه ، وألقى جثتـه في منخفض من الأرض ، وأظهر إنّه سقط فمـات ، ثم مات أبـو الجيش بعد ذلـك بيسير (ابن الأثير ٩/ ٤٦٩).

وفي السنة ٤٣٢ كان يحيى بن إدريس ، قد خلف أباه بمـالقة ، يسنـده ابن بقيّة، وهو أبو جعفر أحمد بن أبي موسى، فسار إليه من سبتـة الحسن بن يحيى بن علي بن حمّود ، ومعه نجا الصقلبي، فهرب ابن بقيّة ، فاحتـالا عليه حتى حضـر، فقتلاه، وقتـلا يحيى ين إدريس، واستمـرّ الحسن بن يحيى في الحكم نحواً من سنتين ، وتلقّب بالمستنصـر ، ومات في السنـة ٤٣٤ فقيل إنّ زوجتـه ابنة عمّـه إدريس ، سمّته اسفـاً على أخيها يحيى ، ولمـا مات الحسن المستنصــر ، أراد نجـا الصقلبي ، أن يـزيـل حكـم بني حمّـود ، فقتلـه البربر ، وأخرجوا إدريس بن يحيى، وبـايعوه بـالخلافـة ، ولقبوه العـالي (ابن الأثير ٩/ ٢٨٠ـ ٢٨١).

وفي السنة ٤٣٧ قتل عيسى بن موسى الهذباني ، صاحب إربـل ، وكان خرج إلى الصيد ، فقتله ابنا أخٍ له ، وسـارا إلى قلعة إربـل فملكـاها ، وكان سلار بن موسى ، أخو المقتول ، عنـد قرواش بن المقلّد ، فسـار قرواش مـع السلار إلى إربل ، فملكهـا ، وسلّمها إلى السـلار ، وعاد إلى المـوصل (ابن الأثير ٩/ ٥٣١).

وفي السنــة ٤٤٦ تـوفّي القــائـد بن حمّــاد ، وأوصى ولــده محسّن ، بالإحسان إلى عمومته فخالف أمره ، وقتـل أربعة من عمـومته ، وكتب محسّن إلى ابن عمه بلكيّن بن محمد يستدعيه، فلما قرب منه ، أمر رجالاً من العرب

أن يقتلوه ، فلما خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مكن : إنَّ بلكّين لم يزل محسناً إلينا فكيف نقتله ، وأعلموه بما أمرهم به محسّن ، وقالوا له : إن كنت تريد قتل محسّن فنحن نقتله لك ، فاستعدّ بلكين للقاء محسّن، وسار اليه ، فلجأ محسّن الى قلعته، فأدركه بلكّين، وملك القلعة ، وقتل محسّناً ، وكان ذلك في السنة ٤٤٧ (ابن الأثير ٩/ ٦٠٠ و ٦٠١).

وفي السنة ٤٤٧ قتل أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان ، صاحب الجزيرة ونواحيها ، وكان شجاعاً مقداماً ، فجرى بينه وبين الأمير موسك ابن المجلّي نفرة ، ثم راسله أبو حرب ، واستماله ، وزوّجه ابنة الأمير أبي طاهر البشنوي ، صاحب قلعة فَنَك ، وأبو طاهر هذا ابن أخت نصر الدولة بن مروان ، فاطمأنّ موسك من أبي حرب ، وسار إليه ، فغدر به أبو حرب وقتله ، وأظهر انّه قد توفّي ، فغضب أبو طاهر البشنوي ، وأرسل الى خاله نصر الدولة ، وإلى ولده أبي حرب يقول : حيث أردتما قتله ، فلماذا جعلتما ابنتي سبيلاً إلى ذلك ، وقلّدتماني ثوب العار ؟ وتنكّر لهما ، فخافه أبو حرب ، فوضع عليه من سقاه سماً فقتله ، وولي بعده ابنه عبيدالله ، فأظهر أبو حرب له المودّة استصلاحاً له ، وتبرّؤاً مما قيل عنه ، واستقر الأمر بينهما على الإجتماع وتجديد الأيمان ، وخرج إليه أبو حرب في نفر قليل، فقتله عبيدالله (ابن الأثير ٩/٦٠٦- ٦٠٧).

وفي السنة ٤٤٩ قتل المعتضد بن عبّاد صاحب اشبيلية، ولده الأكبر إسماعيل ، الملقّب بالمؤيّد ، إذ دبّر اسماعيل مؤامرة أراد بها قتل أبيه ، ليحلّ محلّه في الحكم ، وتسوّر سور القصر مع جماعة من أتباعه، فقاومهم الحرس ، وهرب أصحاب اسماعيل ، وقبض على بعضهم ، فأقرّوا، واعتقل المعتضد ولده اسماعيل ثم ضرب عنقه (المعجب في إخبار المغرب ١٥٣).

ولما توفّي دوناس بن حمامة المغراوي ، أمير فاس ، في السنة ٤٥٢ اقتسم المملكة ولداه : الفتوح ، له عدوة الأندلس من مدينة فاس ،

وعجيسة ، له عدوة القرويّين ، ثم نشبت بينهما المعارك ، وظفر الفتوح بأخيه ، فقتله . (الاعلام ٥/٣٣٥).

وفي السنة ٤٧٥ هلك أحمد بن سليمان بن محمد بن هود ، الملقّب بالمقتدر بالله ، من ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان أبوه قد قسم مملكته على أولاده الخمسة ، وكانت حصّته سرقسطه ، فلما توفّي الأب احتال أحمد على ثلاثة من أخوته ، فأخرجهم من ممالكهم ، واعتقلهم وسمل بعضهم (الاعلام ١/١٢٨- ١٢٩).

وفي السنة ٤٨٨ تملّك الأمير رضوان السلجوقي ، دمشق ، بعد مقتل أبيه الأمير تتش ، فقتل أخويه أبا طالب ، وبهرام ، وقتل خواصّ أبيه ، وتوفّي سنة ٥٠٧ وكان قبيح السيرة (النجوم الزاهرة ٥/٢٠٥).

وفي السنة ٤٨٩ زحف أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، من المغرب ، إلى الأندلس ، فحصر بطليوس ، واستولى عليها ، وأسر ملكها المتوكّل عمر ، وولديه الأفضل والعبّاس ، وقتلهم يوم عيد الأضحى ، وفي رثائهم نظم ابن عبدون ، قصيدته المشهورة التي مطلعها : (الأعلام ٥/٢٢١- ٢٢٢).

الدهر يفجع بعد العين بالأثر   فما البكاء على الأشباح والصور

وفي السنة ٤٨٩ قتل يوسف بن آبق ، أحد الأمراء بحلب ، قتله أحد أهالي حلب ، واسمه المجنّ ، رئيس الأحداث بها ، فلما قتله أراد أن يسيطر على حلب ، فلم يوفّق ، وأخذه الملك رضوان ، وعذّبه، ثم قتله هو وأولاده ، (ابن الأثير ١٠/٢٥٥- ٢٥٦).

وفي السنة ٥٠٠ توفّي عبد العزيز بن عبد الحقّ ، من بني خراسان، صاحب تونس ، فخلفه ولده أحمد ، فقتل عمّه اسماعيل ، وكان مرشحاً للإمارة قبله، ونفى جماعة من أهل تونس وأشياخها (الأعلام ١/١٤٦).

وفي السنة٥٠٧ توفّي صاحب حلب ، الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، وقام بعده ولده تاج الدولة ألب ارسلان الأخرس ، ولم يكن أخرس ، وإنّما كانت في لسانه حبسة وتمتمة ، ومما يذكر إنَّ الملك رضوان المتوفّى ، كان قد قتل اخويه أبا طالب وبهرام ، فلما ملك ولده الأخرس ، قتل كذلك أخوين له ، أحدهما شقيقه واسمه ملكشاه ، والثاني أخوه من أبيه ، واسمه مبارك شاه ، وكان ألب أرسلان الأخرس قد ملك وهو ابن ١٦ سنة ، وكان يدبّر ملكه البابا لؤلؤ ، فلما رأى سوء سيرته ، قتله البابا ، وولّى أخاً له طفلاً ، وذلك في السنة ٥٠٨ (ابن الأثير ١٠/٤٩٩-٥٠٨) والوافي بالوفيات ٩/٣٥٠) .

وفي السنة ٥٠٨ توفّي الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ، وخلفه ولده ارسلان شاه ، فقبض على أخوته ، وقتل بعضهم ، وسمل أعين بعضهم ، من غير خروج منهم عن الطاعة ، وفرّ احد أخوته واسمه بهرام ، والتجأ إلى السلطان سنجر السلجوقي ، فأرسل إلى أرسلان شاه في معناه ، فلم يلتفت إليه ، فتجهّز في جيش وقصده ، فلاقاه أرسلان شاه في ثلاثين ألف فارس ، وخلق كثير من الرجّالة ، ومعه مائة وعشرون فيلاً ، فانكسر جيش الغرنوي ، ودخل سنجر غزنة ، وسلطن بهرام شاه ، وعاد عنه ، فكرّ أرسلان شاه على أخيه بهرام ، وحاربه ، فظفر بهرام بأخيه أرسلان شاه ، فخنقه ، ودفنه بغزنة ، وكان سنّ أرسلان شاه إذ ذاك ٢٧ سنة (ابن الأثير ١٠ / ٤٠٤-٥٠٧) .

وفي السنة ٥٢٤ فتح السلطان سنجر السلجوقي مدينة سمرقند ، وسبب ذلك إنّه كان قد نصب في سمرقند أرسلان خان محمد أميراً من قبله ، فأصيب بفالج ، فاستناب بها ولده نصراً ، فاتّفق علويّ في سمرقند مع رئيس البلد ، وقتلا نصراً ، فقصد أرسلان خان سمرقند ، وقتل العلويّ ، وكاتب السلطان سنجر يطلب عونه ، فقصد السلطان سنجر سمرقند ، فوجد في

طـريقه اثني عشـرة رجـلاً في السـلاح التـام ، فقبض عليهم ، وحقّق معهم ، فاعترفـوا بأنّ أرسـلان خان محمـد بعث بهم لقتل السلطان سنجـر ، فقتلهم ، وسار إلى سمرقند فملكها ، ونزل إليه أرسلان محمد بالأمان ، فـأمّنه ، وبعث بـه إلى ابنتـه زوجـة السلطان سنجـر ، فبقي عنـدهـا إلى أن مـات ، وتملّك سمرقند محمد بن أرسلان محمد (ابن الأثير ١٠/٦٦١-٦٦٢).

وفي السنـة ٥٢٦ تـوفّي الأميـر تـاج الملوك بـوري ، صـاحب دمشق ، وخلفه ولده شمس الملوك اسماعيل ، فسار أوّل الأمر سيرة حسنة ، ثم ساءت سيرته ، وفي السنة ٥٢٧ اتّهم أخاه سونج ، بأنّه يتآمر عليه ، فقتله ، وقتل معـه جماعة ، وفي السنـة ٥٢٩ أراد أن يقتل والـدته ، فبلغهـا ذلك ، وشكـا وجوه الـدولة إلى والـدته ، وهي الخـاتون صفـوة الملك ، فأوصت غلمـانها بقتله ، فقتلوه، وأجلست مكانه أخـاه (ابن الأثير ١١/٩- ٩ ٢٠- ٢١ ووفيـات الأعيان ١/٢٩٦ وخطط الشام ٢/٨ و٩).

وفي السنـة ٥٤٠ قتـل الفقيـه محمـد بن عبـد الله الخشي ، صـاحب مـرسية ، أجمـع عليه أهلهـا فأمّـروه عليهم ، وتلقّب بالنـاصر لـدين الله ، في السنـة ٥٣٩ ، وخرج غـازياً إلى غـرنـاطـة ، يقـاتـل الملثّمين ، فنشبت بينهم معركة ، فقتل فيها قريباً من غرناطة (الاعلام ٧/١٠٦) .

وفي السنة ٥٤٤ غدر عبد الله بن عبد العـزيز بن اسمـاعيل ، بعمّـه أبي بكـر بن اسماعيـل ، أمير بنـزرت بتـونس ، وقتله ، وزعم أنّـه تـوفّي غـرقـاً . (الاعلام ٢/٣٦) .

وفي السنـة ٥٤٤ استعاد بهـرام شاه غـزنة ، من ملك الغـور سـوري بن الحسين ، وأسـر سوري وصلبـه ، وسبب ذلك . إنّ محمـد بن الحسين ملك الغور ، كان قد صاهر بهرام شاه الغزنوي ، وقصد غزنة ليزور صهره ، فـاتّهمه بهـرام ، وأخـذه ، وسجنــه ، ثم قتله ، فملك بعـده أخــوه سـام ، ومـات

بالجدري ، فملك بعده أخوه سوري ، وقصد غـزنة ، ليثـأر لأخيه ، وآستـولى عليها في السنة ٥٤٣ ، وفرّ بهرام إلى الهند ، فجمع جمعاً ، وعاد إلى غزنة ، وحـارب سوري ، فـاستولى على غـزنة ، وأسـر سوري ، وصلبـه (ابن الأثير ١١/١٣٥ و١٣٦) .

وفي السنة ٥٤٨ قتل الملك العادل بن السلار ، وزير الظافر الفاطمي ، غيلة ، قتله ابن امرأته ، وتولّى الوزارة مكانه . (الاعتبار ١٨) .

وفي السنة ٥٥١ دخل المظفر بن حمّاد بن أبي الجبر ، صاحب البطيحة الحمّـام ، فهجم عليه أحـد أقربـائه وآسمـه يعيش بن فضـل بن أبي الجبـر ، وقتله ، طمعاً في موضعـه ، فلم ينل مـراده ، وحلّ ولـد المظفـر في مكانـه . (ابن الأثير ١١/٢١٧ المنتظم ١٠/١٦٨) .

أقول : المظفر بن حمّاد بن أبي الجبر ، كان قد استولى على البطيحة ، بعد أن فتك بقريبه الأمير نصر بن مهـذّب الدولـة ، وكما تـدين تدان . راجـع ترجمة المظفّر في خريدة القصرج ٤٤ م ٢ ص ٥٢٩ ـ ٥٣١ .

وفي السنة ٥٥١ مات خوارزم شاه آتسـز ، وخلفه ولـده أرسلان ، فبـدأ ملكه ، بأن قتـل نفراً من أعمـامه ، وسمـل أخاً من إخـوانه . (الكـامل لابن الأثير ١١/٢٠٩).

وفي السنة ٥٨٠ مات قطب الدين ايلغـازي ، صاحب مـاردين ، وخلفه ولده حسام الدين بولق ، وهو طفل ، وقام بتدبير المملكة نظام الدين ألبقش ، مملوك قطب الدين ، يعـاونه في التـدبير مملوك لـه اسمه لؤلؤ ، ومـات حسام الدين صغيراً ، فنصب نظام الدين مكـانه ، أخـاً له طفـلاً لقّبه قـطب الدين ، فآستمرّ الحكم لنظام الدين إلى السنة ٦٠١ فمرض نـظام الدين ، فـزاره قطب الدين عائداً ، فلما خرج من عنده ، خرج معه لؤلؤ مشيّعـاً له ، فضـربه قـطب الـدين بسكين ، فقتله ، ثم دخـل إلى نـظام الـدين ، فقتله أيضـاً ، وألقى الرأسين إلى الأجناد (ابن الأثير ١١/٥٠٨ و٥٠٩) .

وفي السنة ٥٨٣ بلغ السلطان أبا يوسف الموّحدي . أنّ أخاه عمر الملقب بالرشيد ، الأمير بمرسية ، وعمّه أبو الربيع سليمان ، الأمير بتادلا من بلاد صنهاجة ، يطمعان في الحلول محلّه ، فقبض عليهما ، وقتلهما (المعجب للمراكشي ٣٥٢ ـ ٣٥٤) .

وفي السنة ٥٨٤ تآمر إخوة قطب الدين عيسى ، صاحب تكريت ، وغدروا به ، فقتلوه خنقاً ، وملكوا تكريت ، ثم اختلفوا ، فباعها المقدّم منهم للناصر العباسي . (وفيات الاعيان ٣/٤٩٨ ـ ٥٠٠) .

وفي السنة ٥٨٦ مرض السلطان أبو يوسف الموحّدي ، فطمع أخوه أبو يحيى زكريّا ، في الحلول محلّه ، وكلّم أشياخ الجزيرة في ذلك ، أي جزيرة الأندلس ، فلما أفاق أبو يوسف ، قبض على أخيه أبي يحيى ، وأجرى له محاكمة علنية ، ثم أمر أخاه لأبيه عبد الرحمن بن يوسف ، فقطع عنقه بالسيف . (المعجب للمراكشي ٣٥٧ و٣٥٨) .

وفي السنة ٥٨٨ توفّي الملك قلج أرسلان السلجوقي ، بمدينة قونيه ، وكان قد قسم مملكته بين أولاده في حياته ، فسلّم دوقاط لابنه ركن الدين سليمان ، وسلّم قونيه لولده كيخسرو غياث الدين ، وسلّم أنقرة لولده محيي الدين ، وسلّم ملطيّة ألى ولده معزّ الدين قيصر شاه ، وسلّم ابلستين إلى ولده مغيث الدين ، وسلّم قيسارية إلى ولده نور الدين محمود ، وسلّم سيواس وأقصرا إلى ولده قطب الدين ، وسلّم نكسار إلى ولد آخر له ، وسلّم أماسيا إلى ولد أخيه ، ثم إنّه ندم على ذلك ، وأراد أن يجمع الجميع لولده قطب الدين ، وهو الأكبر ، وخطب له ابنة السلطان صلاح الدين ، ليقوى بذلك ، فآمتنع باقي أولاده عليه ، وتوفّي قلج أرسلان ، وهو محاصر ولده محموداً بقيسارية ، وكان قطب الدين صاحب أقصرا وسيواس ، أراد أن يسير من إحدى

مدينتيه إلى الأخرى ، وجعل طريقه على قيسارية وبها أخوه نور الدين محمود ، وليست على طريقه ، إنّما كان يقصدها ليظهر لأخيه المودّة والمحبة ، وفي نفسه الغدر ، فكان أخوه محمود يقصده ويجتمع به ، ففي إحدى المرات نزل بظاهر البلد على عادته ، وحضر عنده أخوه نور الدين محمود ، غير محتاط ، فقتله أخوه قطب الدين ، وقتل معه الأمير حسن ، وكان من خيار الأمراء ، وألقاه على الطريق ، فأكلت الكلاب من لحمه ، ثم مرض قطب الدين ، وهلك ، فسار أخوه ركن الدين سليمان ، إلى بلاد أخيه قطب الدين وملكها ، وملك ما يعود لإخوته الباقين ، ما عدا أنقرة ، فإنّه حصرها ثلاث سنين متوالية ، وتسلّمها في السنة ٦٠١ ووضع على صاحبها أخيه محي الدين من يقتله إذا فارقها ، فلما نزل منها قتل ، وهلك ركن الدين في تلك الأيّام ، قبل أن يصل إليه خبر قتل أخيه محيي الدين (ابن الأثير ١٢/٨٧ - ٩٠) .

وفي السنة ٥٨٩ قتل سيف الدين بكتمر ، صاحب خلاط ، قتله صهره على ابنته هزار ديناري ، طمعاً في أن يحلّ محلّه ، فملك من بعده ، وكان بكتمر قد أظهر الشماتة بموت السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، وفرح بموته ، وعمل لنفسه عرشاً جلس عليه ، وأبدل اسمه من بكتمر ، فسمّى نفسه عبد العزيز ، وغيّر لقبه من سيف الدين ، فأصبح صلاح الدين ، وكان بين موت صلاح الدين ، وقتل بكتمر شهرين اثنين (ابن الأثير ١٢/١٠٢ و١٠٣) .

وفي السنة ٦٠٢ قتل سنجر بن مقلّد بن سليمان بن مهارش ، أمير عبادة بالعراق ، قتله إخوته ، وسبب ذلك ، إنّه سعى بأبيه مقلّد إلى الخليفة الناصر ، فأمر بالتوكيل به ، وبقي الأب مدّة موكّلاً به ، ثم أطلقه ، فقتل سنجر أحدَ إخوته ، فأوغر بهذه الأعمال صدور أهله وإخوته ، وركب سنجر في أحد الأيام ، مع إخوته وأصحابه ، فلما إنفرد عن أتباعه ، ضربه أخوه

علي بن مقلّد بالسيف ، فسقط إلى الأرض ، فنزل إخوته إليه وقتلوه . (ابن الأثير ١٢/٢٤١) .

وفي السنة ٦٠٥ قُتِلَ سنجر شاه بن غازي بن مودود ، صاحب جزيرة ابن عمر ، قتله ولده غازي ، بأن تسلّق إلى دار أبيه ، واختفى عند بعض سراريه ، وتسلّل إلى موضع مبيته ليلاً ، وضربه بالسكّين أربع عشرة ضربة ، ثم ذبحه ، وتركه ملقى ، فخلفه ولده محمود ، وقبض على أخيه غازي وقتله ، (ابن الأثير ١٢/ ٢٨٠ و٢٨١) .

وفي السنة ٦١٢ قتل السلطان جلال الدين علي بن سام الغوري ، صاحب باميان وطخارستان ، قتله خوارزم شاه (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤١٩) .

أقول : ورد في معجم أنساب الاسر الحاكمة ص ٤٢١ إنّ خوارزم شاه قتل جلال الدين علي في السنة ٦٠٨ وكان قد أسره في السنة ٦٠٢ وهذان الخبران غير صحيحين ، فإنّ الذي أسر جلال الدين في السنة ٦٠٢ إنما هو الأمير يلدز (ألدز) أحد مماليك الغوريّين ، أسره بعد معركة حامية ، فأكرمه ، وأحترمه ، وأطلقه ، وقوّده ، وزوّجه ابنته ، أما خبر مقتله فلم يرد في ابن الأثير ولا في تاريخ أبي الفدا ، ولعلّ التاريخ المعيّن لمقتله في السنة ٦١٢ أقرب للحقيقة لأنّ خوارزم شاه في هذه السنة اجتاح المنطقة التي يحكمها الأمير يلدز ، واستولى على غزنة وأعمالها من يلدز الذي فرّ منه إلى الهند حيث قتل في إحدى المعارك هناك ، راجع تاريخ أبي الفدا (٣/١٠٧ و١١٦ و١١٨) .

وفي السنة ٦١٦ توفّي قطب الدين محمد بن زنكي ، صاحب سنجار ، فخلفه ابنه عماد الدين شاهنشاه ، وبعد شهور ، سار إلى تل أعفر ، فدخل عليه أخوه عمر بن محمد ، ومعه جماعة ، فقتلوه ، وملك أخوه عمر (ابن الأثير ١٢/٣٥٥) .

وفي تـاريخ أبي الفـداء أن الأخ القاتـل اسمـه محمـود (المختصـر في تاريخ البشر ٣/ ١٢٢) .

وفي السنــة ٦١٨ بعث أمير مكــة ، قتادة بن إدريس العلوي ، ولــده الحسن ، على رأس جيش للاستيلاء على المدينة ، فـوثب الحسن بن قتادة ، وهو في الطريق ، على عمّه ، وكان معـه في العسكر ، فقتله ، وعـاد إلى أبيه بمكّـة ، فخنقـه ، وكـان الأب في التسعين من عمـره ، ثم عمـد الحسن إلى أخيـه ، وكان نـائباً عن أبيـه بقلعة ينبـع ، فأحضـره إلى مكّـة ، وقتله أيضـاً ، واستقرّ في ملك مكّة ، بعد أن قتل أبـاه ، وعمّه وأخـاه (المختصر في تـاريخ البشر٣/ ١٣١) ولم يطـل أمده في الإمـارة ، فإنّ صاحب اليمن قصده في السنة ٦٢٠ وطرده من مكّة (ابن الأثير ١٢/ ٤٠١ و٤٠٢ و٤٠٣) .

وفي السنة ٦٢٤ بويع للمعتصم يحيى بن محمد بن يعقوب الموحّدي ، بعد أن خنق عمّه العادل عبد الله بن يعقـوب ، وفي السنة ٦٢٦ هـاجمه عمّـه الآخر المأمـون إدريس بن يعقوب ، فـانتصر ، وفـرّ يحيى إلى الجبل ، ولكنّـه عاد في السنة ٦٢٩ إلى مراكش ففتحها ، وكان عمّه المأمون قد قتل في وادي العبيد ، وبويع لابنه عبد الواحـد الملقّب بالـرشيد ، وهـاجم الرشيـد ابن عمّه يحيى في مراكش ، في السنة ٦٣٠ فانهزم يحيى ، ثم عاد بجيش من البربر ، فانتصر على الرشيد ، وعلى من معـه من الإفرنـج ، واحتّل مـراكش في السنة ٦٣٢ ، وفرّ الرشيـد إلى سجلماسـة ، ثم أعاد الكـرة فهاجمـه في السنة ٦٣٣ ففـرّ يحيى ، ولحق بعرب المعقـل ، وقتل غيلة بفـج عبد الله ، مـا بين فـاس وتازا في السنة ٦٣٣ . (الاعلام ٩/ ٢٠٨ و٢٠٩) .

وفي السنـة ٦٣٤ قتـل غيلة السلطان ركن الـدين فيـروز شــاه ، سلطان دهلي ، بعد أن حكم سنة واحدة ، اغتالته رضيّة بكم ، وخلفتـه في الحكم ، بلقب جلالة الدين (معجم أنساب الاسرات الحاكمة ٤٢٢) .

وفي السنة ٦٣٧ قتل الملك ناصر الدين أرتق ، صاحب ماردين ، خنقه ولده ، وهو سكران . (النجوم الزاهرة ٣١٦/٦) .

وفي السنة ٦٤٧ بويع للمستنصر أبي عبد الله محمد بن يحيى الهنتاتي ، من ملوك الدولة الحفصية بتونس ، فقتل عمّين له ، وجماعة من الخوارج ، فتوطّد ملكه وتوفّي سنة ٦٧٥ (الاعلام ٨/٨) .

وفي السنة ٦٥١ قتل الشريف أبو سعد ، أمير مكّة ، دخل عليه أولاد عمّه إلى داره فقتلوه ، وكان الذي قتله حمّاد بن حسن (العقود اللؤلؤية ١٠٦/١) .

وكان سلطان المغول مانكو بن تولوي (٦٤٩ ـ ٦٥٩) بدأ حكمه بتصفية أقاربه ، فأمر بوضعهم في أكياس مغلقة ، ورميهم تحت حوافر الخيل ، فهشمت عظامهم ، وقتل غيرهم برميهم بالحجارة ، ومع ذلك فقد كان بالقياس إلى من سبقه من سلاطين المغول أقلّهم تعطشاً للدماء (علاقات بين الشرق والغرب ١٩٦ ـ ١٩٧) .

وفي السنة ٦٦٥ قتل شمس الملوك محمد بن أردشير ، سلطان مازندران ، قتله ابنه (معجم انساب الاسر الحاكمة ٢٨٧) .

وفي السنة ٦٦٥ قتل أبو حفص عمر بن اسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن ، الملقّب بالمرتضى ، من ملوك مراكش ، كان والياً برباط الفتح ، وبويع بمراكش في السنة ٦٤٦ ، وفي أيّامه استولى الأسبانيّون على إشبيلية بالأندلس ، واستفحل أمر بني مرين ، وخرج عليه ابن عمّه أبو دبّوس إدريس بن أبي عبد الله ، الملّقب بالواثق بالله ، واستولى على مراكش ، فاستتر المرتضى ، فبعث إليه الواثق من قتله (شذرات الذهب ٣٢٠/٥ والاعلام ١٩٨/٥) .

وفي السنة ٦٦٧ قتل في معركة بظاهر مراكش ، أبو العلاء إدريس بن

محمد ، بن عمر بن عبد المؤمن ، الملقّب بأبي دبوس ، آخر ملوك دولة الموحّدين ، قتله زعيم بني مرين يعقوب بن عبد الحقّ (شذرات الذهب ٣٢٧/٥ والاعلام ٢٦٨/١) .

وفي السنة ٦٧٠ وثب أبو نمّي محمد بن الحسن الحسني ، من أشراف مكّة ، على عمّ أبيه إدريس بن قتادة ، أمير مكّة ، فقتله ، وآستقرّ موضعه (الاعلام ٣١٨/٦) .

وفي السنة ٦٧٤ قتل إسحاق بن ابراهيم الموحّدي ، آخر ملوك الموحّدين بمراكش ، بايعه بقايا الموحّدين ، وأقام بتنيملل ، إلى أن قبض عليه فيها مع جماعة من أصحابه ، وأحضروا أمام السلطان يعقوب بن عبد الحقّ المريني ، بمدينة فاس ، فأمر بهم ، فقتلوا بأجمعهم (الاعلام ٢٨٥/١) .

وفي السنة ٦٧٥ توفّي صاحب تونس أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد الهنتاتي ، وكان قد ملك تونس في السنة ٦٤٧ خلفاً لأبيه ، وقتل عمّيه وجماعة من الخوارج ، وكانت تزفّ إليه في كلّ ليلة جارية (شذرات الذهب ٣٤٩/٥) .

وفي السنة ٦٧٨ وثب إبراهيم بن يحيى الحفصي ، بتونس ، بابن أخيه يحيى بن محمد بن يحيى ، الملّقب بالواثق بالله ، فخلعه ، واعتقله ، وذبحه مع بنيه . (الاعلام ٢١٠/٩) .

وفي السنة ٦٨٢ قتل أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد الحفصي ، الهنتاتي ، كان مقيماً بالأندلس ، وبلغه موت أخيه المستنصر محمد بن يحيى أمير تونس وإفريقية ، ومبايعة ولده الواثق يحيى بن محمد ، فقدم وامتلك بجاية ، فتنازل له ابن أخيه عن الحكم ، فبويع أبو إسحاق في السنة ٦٧٨ فاعتقل ابن أخيه الواثق، وقتله وقتل معه ثلاثة من بنيه ، ثم ثار

عليه أحمد بن مرزوق ابن أبي عماره، فتنازل أبو إسحاق عن الحكم لولده أبي فارس ، ونشبت معركة بين أحمد بن مرزوق ، وأبي فارس ، فقتل أبو فارس ، ففرّ أبو إسحاق ، ولكنّ أتباع أحمد ، أدركوه ، واعتقلوه ، فأمرهم بقتله ، فقتلوه . (الاعلام ١/ ٧٥) .

وفي السنة ٦٨٦ قتل الأمير كيخسرو بن الأمير محمد صاحب الملتان بن السلطان بلبان سلطان دهلي ، قتله ابن عمّه الأمير كيقباد الذي تسلطن في السنة ٦٨٦ باسم السلطان معزّ الدين (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٢٢و٤٢٤) .

وفي السنة ٦٩٤ اتّفق جماعة من الامراء والخواتين على السلطان ايرنجين (كيخاتو) وقتلوه ، وسلطنوا بدلاً منه بايدو ، ودامت سلطنته ثمانية أشهر ، إذ حاربه غازان بن أرغون ، فمال الأمراء والعساكر إلى غازان ، وقتل بايدو ، وتسلطن غازان ، ودامت سلطنته ثماني سنوات ، وتوفّي في السنة ٧٠٣ (تاريخ الغياثي ٥٠ ـ ٥٣) .

وقصّ علينا ابن بطوطة ، في كتاب رحلته ، قصة فترة فظيعة ، من تاريخ الهند ، (٦٨٩ ـ ٧٢٥) ، كان فيها التناحر في سبيل الإستئثار بالسلطان ، بالغاً أقصى حدود الجنون ، فذكر أنّ السلطان جلال الدين الخلجي (فيروز شاه) ، كان نائباً للسلطان معز الدين (كيقباد) الذي ولي الحكم سنة ٦٨٦ ، فاغتال معز الدين ، واستولى على الحكم (في السنة ٦٨٩) واستقام له الحكم سنين (حتى السنة ٦٩٤) ، فخرج عليه ابن أخيه ، وآسمه علاء الدين ، وكان والياً على مدينة كرا وما نكبور ونواحيها، فخرج جلال الدين لملاقاته وإصلاحه ، وآجتمعا في وسط النهر بمدينة كرا ، فغدر علاء الدين بعمّه ، وقتله ، وتسلطن باسم علاء الدين محمد شاه الخلجي (في السنة ٦٩٥) ودام ملكه عشرين سنة (حتى السنة ٧١٥) ، وكان له أولاد خمسة ، هم خضرخان ، وشادي خان ، وأبو بكر خان ، وشهاب الدين

عمر خان ، وقطب الدين مبارك خان ، فاتّفقت أم خضر خان ، مع أخيها الأمير سنجر ، أحد كبار الأمراء ، على توليه ابنها خضر خان ، عند وفاة والده الذي كان مريضاً ، وبلغ السلطان علاء الدين ذلك ، فقتل صهره سنجر ، واعتقل ولده خضر ، وسجنه في حصن كاليور ، ولما مات علاء الدين ، في السنة ٧١٥ خلفه ولده شهاب الدين عمر ، فأمر بسمل أعين أخويه أبي بكرخان وشادي خان وسجنهم في حصن كاليور ، وأمر بسمل عيني أخيه خضر خان أيضاً ، فسمل ، واكتفى بسجن أخيه قطب الدين ولم يسمله ، فتآمر عليه قطب الدين مع بعض الأمراء ، واستولى على الحكم (في السنة ٧١٦) ، وخلع أخاه شهاب الدين عمر ، وقطع إصبعه ، وحبسه مع إخوته في سجن كاليور ، ثم بلغه أنّ بعض القوّاد يتآمرون على خلعه ، ونصب ابن أخيه خضر خان ، وهو غلام في العاشرة ، فأخذ بيد الغلام ، وأمسك برجليه ، وظلّ يضرب برأسه الحجارة ، حتى نثر دماغه ، وأرسل أحد أمرائه إلى حصن كاليور ، وأمره بقتل إخوته جميعاً . فقتلوا ، وكان مقتل خضر خان فاجعاً ، حيث إنّه سحب من احضان أمّه إلى حيث لاقى مصرعه ، وحسب قطب الدين أنّه استراح من الطامعين في الملك ، عندما قتل إخوته ، فسلّط الله عليه أكبر امرائه ، وآسمه ناصر الدين خسروخان ، فاتّفق مع آخرين أدخلهم على السلطان (في السنة ٧٢٠) وقتلوه ، وتسلطن من بعده ، وأطاعه الأمراء كافّة ، إلّا تغلق ، أمير بوبال بور من بلاد السند ، فإنّه لما جاءته خلعة السلطان ناصر الدين ، طرحها على الأرض ، وجلس فوقها ، ثم نشبت بينهما معارك ، كانت عاقبتها ظفر تغلق ، ومقتل ناصر الدين خسروخان ، في نفس السنة ، أي ٧٢٠ ، وتسلطن تغلق أربع سنين (حتى السنة ٧٢٥) . وفي خلال هذه المدّة ، خرج عليه ولده محمد ، بإغراء بعض القوّاد ، ثم عاد الولد إلى أبيه نادماً ، فقتل الأب أولئك القواد ، ومنهم الملك كافور المهردار ، ضرب له عموداً في الأرض ، محدّد الطرف ، وركز فيه عنقه ، حتى خرج طرفه من جنبه ، وكانت خاتمة تغلق أن استقرّ في كشك خارج دهلي ، بناه له

ولده محمد ، وآستعرض فيه جيشه ، فآنهدم الكشك عليه في السنة ٧٢٥ وقتله ، واتّهم الناس ولده بأنّه دبّر بناء الكشك ، بشكل هيّأه ليلقى أبوه فيه حتفه ، وتسلطن محمد من بعده (٧٢٥ ـ ٧٥٢) ، وهو السلطان غياث الدين ابو المجاهد محمد شاه بن تغلق الذي زار ابن بطوطة الهند في أيامه (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٣٨ ـ ٥٢) .

وفي السنة ٧٠١ توفي بمكة ، الأمير محمد بن الحسن الحسني ، أمير مكّة ، وكان قد وثب على عمّ أبيه إدريس بن قتادة في السنة ٦٧٠ فقتله ، وآستقلّ بالإمرة (الدرر الكامنة ٤/٤١) .

وفي السنة ٧٠٣ توفّي السلطان غازان التتاري ، وكان ولده بسطام عند محمد خربنده بخراسان ، فكتب الأمراء إلى بسطام كتاباً ، وأرسلوه إليه خفية ، لكي يقدم عليهم ويتسلطن خلفاً لوالده ، ولكنّ الرسول لما وصل إلى خراسان ، سلّم الكتاب إلى محمد خربنده ، فلما آطّلع عليه « أنفذ في الحال من قضى شغل بسطام ، ورفعه من الوسط » أي إنّه قتله ، وتسلطن خربنده ، ودامت سلطته ١٣ سنة وتوفّي سنة ٧١٦ (تاريخ الغياثي ٥٤ و٥٥) .

وفي السنة ٧٠٦ قتل السلطان الناصر لدين الله أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني (٦٣٨ـ ٦٨٥ـ ٧٠٦) فبايع قسم من رجال الدولة ولده أبا سالم ، بسعي من الوزير أبي زيد يخلف بن عمران الفودوي ، آخر وزراء السلطان أبي يعقوب ، وبايع الآخرون أبا ثابت عامر بن أبي عامر عبد الله بن يوسف ، حفيد السلطان أبي يعقوب ، وآزر أبا ثابت الأمير أبو يحيى بن يعقوب ، عمّ والد السلطان أبي ثابت ، وضعف أمر أبي سالم ، ففرّ إلى جهة الغرب ، فحصره جيش أبي ثابت بندورمة ، وأسر أبو سالم ، فأمر به أبو ثابت فقتل ، وبايع الناس أبا ثابت ، وكان أوّل من بايعه الأمير أبو يحيى بن يعقوب ، عمّ أبيه ، وفي ثالث يوم البيعة ، دخل السلطان أبو ثابت إلى الحرم ، ومعه عمّ أبيه ، وخرج وحده ، وأومأ إلى حاشيته بأن يقبضوا على عمّ

أبيه ، فلما اعتقلوه ، وأوثقوه ، أمرهم بالإجهاز عليه ، فقتلوه ، ففّر منه جميع أفراد العائلة، وقتل أبو ثابت ستمائة من أهل مراكش ممن كان يوالي إلى أقاربه ، وصلبهم على أسوار مراكش (ابن خلدون ٧/٢٣٣ و٢٣٤ والاعلام ٤/٢١ و٢٢) .

وفي السنة ٧٠٧ ملك أبو حمو موسى بن عثمان ، أوّل ملوك زناتة بتلمسان ، فتآمر عليه ولده أبو تاشفين عبد الرحمن ، وهجم عليه في السنة ٧١٨ فقتله ، وقتل أخاه أبا سرحان بن عثمان ، واستأصل جميع بطانة أبيه ووزرائه ، واعتقل جميع أفراد عائلة يغمراسن ، ونفاهم إلى العدوة (الأندلس) (ابن خلدون ٧/١٠٥).

وفي السنة ٧٠٩ قتل الملك الناصر محمد بن قلاوون ، بيبرس الجاشنكير ، أحد أمرائه ، وكان قد خرج عليه وتسلطن ، فلما عاد للسلطنة ، أحضره ، وخنقه بوتر كان في يده . (الأعلام ٢/٥٩).

وفي السنة ٧٠٨ هاجم نصر بن محمد الفقيه النصري ، من بني الأحمر ، بغرناطة ، أخاه السلطان محمد ، وخلعه ، وقتل وزيره ، واستولى على المملكة ، واعتقل أخاه في مدينة المنكب ، ثم حدث أن أصيب السلطان نصر بسكتة في السنة ٧١٠، وتوقعوا موته ، فأحضروا أخاه محمداً من السجن ، ليحلّ محلّه إن مات ، ولكنّ نصراً عوفي ، فأمر بأخيه محمد فأعيد إلى السجن ، واغرق في بركة ماء ، فمات (الاحاطة ٥٥٢-٥٦٢ الأعلام ٧/٢٦٢).

وفي السنة ٧١٥ قتل السلطان ركن الدين إبراهيم شاه ، سلطان دهلي ، قتله الأمير علاء الدين محمد ، بعد أن سمل عينيه ، وتسلطن من بعده باسم السلطان علاء الدين محمد شاه ، واستمر حكم علاء الدين محمد ، أكثر من عشرين سنة (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٢٢).

وفي السنة ٧١٥ دخل الشريف حميضة إلى مكّة ، وقتل أخاه أبا الغيث المنصوب على مكّة بأمر الملك الناصر سلطان مصر ، واستولى حميضة على مكّة ، فغضب السلطان الملك الناصر ، وجهز جيشاً كثيفاً صحبة الشريف عطيفة ، فلما علم حميضة بوصولهم هرب من مكّة ، واستولى عليها عطيفة (العقود اللؤلؤية ١/٤١٥).

واتّهم قطب الدين مبارك شاه (حكم ٧١٦- ٧٢٠) ابن عم له اسمه أسد الدين ، بأنّه قد تآمر عليه ، فأخذه وتسعة وعشرين من إخوته وأولاد إخوته ، فذبحهم ذبح النعاج (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٥).

وفي الدرر الكامنة ١/٤٠١- ٤٠٢ إنَّ اسماعيل بن الفرج ، من بني الأحمر ثار على خاله أبي الجيوش في السنة ٧١٣ وطرده من غرناطة ، واستولى عليها وتلقّب بالغالب بالله ، ثم أمّر خاله أبا الجيوش على وادي آش ، ولما أنكر الفرج على ولده اسماعيل ما صنع ، قبض على أبيه ، وحبسه « مكرماً » وفي السنة ٧١٩ حشد الإفرنج ، وهاجموا المسلمين في ثمانين ألفاً ، فاستغاث المسلمون بالمريني سلطان المغرب ، فلم ينجدهم ، فاستقتلوا وكانوا في ألف وخمسمائة فارس وأربعة آلاف راجل ، فكان النصر للمسلمين ، وقتل ملك الإفرنج بطره بن سانجه في المعركة ، وعاد الغالب بالله من المعركة منتصراً ، فوثب عليه ابن عمّه فقتله ، ثم قتل قاتله ومن أعانه على ذلك ، وتسلطن محمد بن الغالب بالله اسماعيل، في مكان أبيه ، وكان قتل الغالب اسماعيل غيلة ، وموت أبيه الفرج في الحبس ، في سنة واحدة ، أي في السنة ٧٢٠ (الدرر الكامنة ١/٤٠١- ٤٠٢).

أقول : اثبت صاحب الإحاطة ، خبر اغتيال السلطان اسماعيل ، وذكر أنه حصل في السنة ٧٢٥ ، وأيّده في ذلك زامباور ، في معجمه عن أنساب الأسر الحاكمة (ص ٩٣) قال صاحب الاحاطة :

وفي السنة ٧٢٥ تجهز السلطان أبو الوليد أسماعيل بن فرج النصري ، صاحب غرناطة للغزو ، فقصد مدينة مرتش ، ففتحها ، وعاد إلى غرناطة منصوراً، فغدر به ابن عمه محمد ابن اسماعيل ، صاحب الجزيرة ، ووثب به بباب قصره ، بين عبيده وأرباب دولته ، فاعتنقه ، وانتضى خنجراً وطعنه ثلاث طعنات إحداها في عنقه بأعلى ترقوته ، وصاح وزيره بكر ، فقتل ، ورفع السلطان وهو جريح إلى بعض دور قصره فمات ، وفرّ الفاتك وأصحابه ، فقتلوا بأجمعهم (الاحاطة ٣٨٥- ٤٠٠) .

وفي السنة ٧٢٥ قتل الشريف منصور بن جماز الحسيني ، صاحب المدينة ، قتله ابن أخيه حديثة بن قاسم بن جماز ، وقتل قاتله حديثة في الحال ، واستقرّ في الحكم بعده ولده كبيش (الدرر الكامنة ٥/١٢٨) .

وفي السنة ٧٢٧ قتل السلطان أيّوب بن الكامل أبي بكر بن الموحّد تقي الدين بن المعظّم توران شاه ، وكان قد حجّ في السنة ٧٢٦ ومرّ بمصر ، فأكرمه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولما عاد من الحجّ عارضه أخوه محمد بن الكامل أبي بكر ، واشتبك معه في السنة ٧٢٧ في معركة ، فقتل أيّوب وولده ، واستولى محمد بن أبي بكر على الملك وتلقّب مجير الدين (الدرر الكامنة ١/٤٦٣ ومعجم الانساب والاسرات الحاكمة ١٥١- ١٥٤) .

وفي السنة ٧٣٣ أراد الأمير عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن المريني ، صاحب المغرب ، أن يثب على أبيه ، ويسلبه السلطنة، ولما انكشفت مؤامرته فرّ إلى حلّة أولاد علي أمراء زغبة ، فقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل ، وردّه إلى أبيه ، فاعتقله بوجدة ، وبعث إليه في السنة ٧٤٢ من قتله في سجنه (ابن خلدون ٧/٢٥٩) .

وفي السنة ٧٣٤ قتل عمر بن عثمان بن يعقوب المريني ، من سلاطين الدولة المرينية ، بعد حياة حافلة بالغدر في سبيل السلطان ، فقد كان ولي عهد أبيه ، وفي السنة ٧١٤ ، وسنّه إذ ذاك ١٨ سنة ، قاتل أباه ، وجرحه ،

وخلعه ، ونصب نفسه سلطاناً بفاس ، ثم اتّفق مع أبيه ، فعاد الأب إلى عرشه ، وتولّى الإبن سلجماسة وما والاها مستقلاً ، ثم عاود الإنتقاض على أبيه ، فلم يفلح ، وعفا عنه أبوه ، ثانياً ، كما عفا عنه أوّلاً ، ولما مات الأب خلفه ولده علي ، أخو عمر هذا ، فخامر عمر على أخيه ، ووثب على درعة فاحتلّها ، وقتل عاملها ، ووجّه العساكر الى مراكش ، فقصده علي ، وحصره بسجلماسة ، وأسره ، وأحضره معه إلى فاس ، فاعتقله ببعض حجر القصر أشهراً ، ثم قتله فصداً وخنقاً . (الاعلام ٥/٢١٤) .

وأورد صاحب الدرر الكامنة ، أخبار هذا السلطان بتفصيل أوفى ، قال : وفي السنة ٧٣٤ مات السلطان أبو علي عمر بن السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الحقّ المريني ، وكان أحبّ اولاد أبيه إليه ، ورشحه للملك بعده وهو شاب ، وصرّفه في الأمور ، ثم وجّهه في السنة ٧١٤ الى فاس ، فخلع أباه ، ودعا لنفسه ، وجمع عسكراً ، فالتقى به أبوه ، فانهزم الأب وجرح ، ثم تراجع عسكره ، وأعانه ولده أبو الحسن علي ، على أخيه أبي علي عمر ، ثم تصالحوا على أن ينزل السلطان أبو سعيد عثمان عن الأمر لولده أبي علي عمر ، وأن يقتصر الأب على تازى ، فملك أبو علي عمر فاس ، واتفق أنّه مرض ، فتسلّل الناس عنه إلى أبيه ، فعاد لمحاصرة ولده ، ثم تصالحا على أن يقتصر أبو علي على سجلماسة ، ويعود الأب للسلطنة ، ولما استقرّ أبو علي بسجلماسة رتّب لنفسه مملكة ، واستخدم جنداً ، وفتح حصوناً ، ثم خلع أباه في السنة ٧٢٠ ، وفي السنة ٧٢٢ ملك مراكش ، واستمرّت الحرب بينه وبين أبيه ، حتى مات الأب ، وخلفه ولده ابو الحسن علي ، فخرج عليه أخوه أبو علي عمر ، وحاربه ، وفي معارك دارت بين الأخوين ظفر أبو الحسن في السنة ٧٣٣ بأخيه أبي علي عمر ، وقتله ، وترك أبو علي أولاداً صغاراً ، أخرجهم أبو عنان الذي خلف أباه أبا الحسن ، إلى الأندلس ، فنزلوا في جوار ابن الأحمر صاحب غرناطة ، وهم عبد الحكيم ،

وعلي ، وعبد المؤمن ، وناصر ، ومنصور ، وأبو زيان ، ثم ملك عبد الحكيم سجلماسة ، في السنة ٧٦٣ فنازعه أخوه عبد المؤمن ، ففرّ عبد الحكيم إلى بلاد التكرور ، وقدم مصر ، ثم حجّ ، ومات بتروجة في السنة ٧٦٧ (الدرر الكامنة ٣/٢٥١ـ ٢٥٢) .

وفي السنة ٧٣٥ قتل السلطان ترمه شيرين بن دوا ، صاحب سمرقند وبلخ ، قتله الذي خلفه في الحكم ، لأنّه أسلم ، وترك العمل بالياسا ، أي تعاليم جنكيزخان ، ولم تطل مدّة القائم بعده (الدرر الكامنة ٢/٥١) .

أقول : ذكر ابن بطوطة في رحلته (١/٣٠٦ـ ٣١٣) أنّه زار السلطان وسماه (طرمشيرين) في السنة ٧٣٤ ووصفه بكرم الأخلاق ، وحبّ العدل ، وملازمة صلاة الجماعة ، ثم قال : وبعد سنتين من وصولي الى الهند بلغني أنّ الملأ من قومه خلعوه ، لأنّه كسر أحكام الياسا ، التي سنّها جدّهم جنكيزخان ، وسلطنوا ابن عمّ له اسمه بوزون أوغلي ، وأراد طرمشيرين أن يلجأ إلى غزنة ، فاعتقله ابن أخيه الأمير ينقي بن السلطان كبك ، وكان طرمشيرين قد قتل أخاه السلطان كبك فحمل الأمير ينقي عمّه طرمشيرين ، وأسلمه الى خلفه بوزون أوغلي ، فأمر بقتله ، فقتل ، وأنّ بوزون أساء السيرة لما ملك ، فاتّفق عليه الأمراء ، واعتقلوه، وقتلوه خنقاً بأوتار القسّي ، وتلك عادتهم، أنّهم لا يقتلون من كان من أبناء الملوك إلاّ خنقاً ، أما ما جاء في معجم الأنساب والأسر الحاكمة (٣٧٠ـ ٣٧٢) فإنّ ترماشيرين أسلم ، واتّخذ لنفسه لقب علاء الدين ، وإنّه حكم من السنة ٧٢٦ حتى السنة ٧٣٤ فخلفه جنكشي بن أبو قان ، وترماشيرين عمّه ، وكان جنكشي وثنياً ، ولم تطل مدّة حكمه إذ خلفه بوزون بن دواتيمور ، وترماشيرين عمّه أيضاً في السنة ٧٣٥ .

وفي السنة ٧٣٥ حشد السلطان أبو الحسن المريني ، صاحب المغرب لقتال السلطان أبي تاشفين، من بني عبد الواد ، فحاصره أمداً طويلاً ، ثم اقتحم عليه مدينة تلمسان في السنة ٧٣٧، ودافع أبو تاشفين عن المدينة ،

وعن قصره دفاعاً مجيداً ، وسقط في المعركة قتيلاً هو وابناه عثمان ومسعود ، ووزيره موسى بن علي ، ووليّه عبد الحقّ بن عثمان مع ابنه وابن أخيه (ابن خلدون ٧/٢٥٦ـ ٢٥٧) .

أقول : أورد صاحب شذرات الذهب ٦/١١٥ قصة مقتل أبي تاشفين في السنة ٧٣٧ فقال : في السنة ٧٣٧ قتل صاحب تلمسان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان ، وكان قد قتل أباه ، وتسلطن بعده ، وكان الأب سيء السيرة ، وحكم أبو تاشفين نيفاً وعشرين سنة ، ثم حصره سلطان المغرب أبو الحسن المريني ، فبرز عبد الرحمن ليكبس المريني ، فقتل على جواده كهلاً ، راجع الدرر الكامنة ٢/٤٥٧ .

وفي السنة ٧٣٦ قتل ملك الهند السلطان مبارك بن محمود بن مسعود الغزنوي ، وقام بالملك بعده مملوكه خسرو التركي (الدرر الكامنة ٣/٣٦٢) .

وفي السنة ٧٣٦ توفّي السلطان أبو سعيد ، سلطان العراق واذربيجان ، فقام وزيره الخواجة غياث الدين محمد بن الخواجا رشيد الدولة الهمذاني ، بنصب أرباخان سلطاناً ، ولكنّ علي باشا الأويرات خال أبي سعيد ، خرج عليه ، وقتل أرباخان ووزيره الخواجا غياث الدين في السنة عينها أي ٧٣٦ (الدرر الكامنة ٤/٢٥٢ـ ٢٥٣) .

وفي السنة ٧٤٢ حجّ الملك المجاهد صاحب اليمن ، فلما رجع وجد ولده قد غلب على المملكة ، وملك ، ولقّب المؤيّد، فحاربه ، وقبض عليه، وقتله (الدرر الكامنة ٣/١١٩) .

أقول : ذكر صاحب العقود اللؤلؤية خبر مخالفة المؤيد لوالده الملك المجاهد ، في أخبار السنة ٧٤٤، قال :

وفي السنة ٧٤٤ خالف الملك المؤيد ، على والده الملك المجاهد ، صاحب اليمن ، واستولى على مدينة المهجم ، ولكنّه في السنة ٧٤٥ عاد إلى

طاعة أبيه ، وقدم عليه مع القاضي شمس الدين بن الصاحب ، وسيف الدين الخراساني ، فلما وصل إلى أبيه ، عاتبه ، ثم ضربه ، وحبسه ، ومات في حبسه بعد أيّام قلائل . (العقد اللؤلؤية ٢/٧٦- ٧٧) وأما زامباور ، فإنه في معجم انساب الأسر الحاكمة (ص ١٨٤) لم يعتبر المؤيد هذا سلطاناً ، وإنما ذكر ان الملك المجاهد سيف الدين علي بن داود الرسولي خلف أباه المؤيد هزبر الدين داود في السنة ٧٢١ وأنّه استقرّ في ملكه حتى السنة ٧٦٤ حيث خلفه ولده ضرغام الدين العباس .

وفي السنة ٧٤٢ خلع السلطان الملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون ، عن سلطنة مصر ، ولما ولي أخوه الملك الصالح اسماعيل، اضطهد أخاه كجك ووالدته ، وصيّرهما في ذلّ وهوان ، وكانت أمّ الملك الصالح ، في كلّ قليل إذا توعّك ولدها ـ وكان ضعيف البنية ـ اتّهمت أمّ كجك بأنّها تتعمّد له بالسحر ، وتأخذ جواريها وحواشيها ، فتعاقبهم ، وفي السنة ٧٤٦ بعث الملك الصالح إلى أخيه كجك ، أربعة خدم طواشية ، فقتلوه على فراشه وهو ابن اثنتي عشرة سنة (النجوم الزاهرة ١٠/٤٩) .

وفي السنة ٧٤٢ ولي السلطان الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون، ثم خلع ، وأرسل إلى الكرك ، ولما تسلطن اخوه الملك الصالح اسماعيل طلب من أخيه أحمد شعائر الملك ، وما أخذه من الخزائن ، فأبى أن يجيبه، فبعث إليه في السنة ٧٤٥ من قتله ، وحزّ رأسه ، وأحضره إلى القاهرة ، فلما رأى الملك الصالح ، الرأس ، فزع ، واضطرب، ومرض ، ومات (النجوم الزاهرة ١٠/٧١- ٩٣- ٩٨) .

وكان للسلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥- ٧٥٢)، أخ اسمه مسعود خان ، أخوه لأبيه ، وكان من أجمل الناس صورة ، اتّهمه بأنّه يتآمر عليه ، فأقرّ بذلك خوفاً من العذاب ، لأنّ الذي ينكر التهمة ، يعذّب ، فكان من يتّهم ، يرى أنّ القتل أهون عليه من العذاب ، فأمر به ، فضربت

عنقه في وسط السوق ، وظلّ مطروحاً ، هناك ثلاثة أيام (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٨٥ـ ٨٦) .

وفي السنة ٧٤٤ قتل الشيخ حسن كوجك بن تيمورتاش صاحب أذربيجان اغتالته زوجته (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٨٠) .

وفي السنة ٧٤٨ قتل السلطان أبو حفص عمر بن أبي بكر بن يحيى الحفصي ، ملك الموحّدين بتونس ، خلف أباه في السنة ٧٤٧ وثار عليه إخوانه أبو العباس ، وخالد وعزوز ، فقتلهم جميعاً ، ولم تطل مدّته ، إذ قتله الجند بقرب قابس (الأعلام ٥/ ٢٠٠)

وكان السلطان أبو الحسن المريني ، ولّى ولده أبا عنان فارس ، مدينة تلمسان ، وولّى ولده منصور مدينة فاس ، وخرج بجيشه لقتال الفرنجة بالأندلس ، فانكسر أبو الحسن، وتمزّق جيشه ، فلما سمع ولده أبو عنان بذلك ، خرج بجيشه فحاصر مدينة فاس ، وافتتحها وقتل أخاه منصوراً ، فبلغ ذلك أباه أبا الحسن ، فانتهى إلى سجلماسة ، فزحف عليه ابنه أبو عنان ، وحاربه ، فانكسر أبو الحسن ، ونجا ، وطلبه ابنه ، فاعتلّ الأب ومات في السنة ٧٥٢ (الاعلام ٥/١٢٦).

ولما توفّي السلطان أبو الحسن علي المريني ، سلطان المغرب ، مريضاً ، مهيضاً ، منكسراً ، في جبال هنتاتة ، بعد أن حاربه ولده أبو عنان ، وانتصر عليه وسمع أبو عنان بوفاته ، أمر باحضار جنازة أبيه إليه ، واستقبل التابوت حافياً ، حاسراً ، وقبّل أعواده ، وبكى ، واسترجع ، ووارى أباه بمراكش (ابن خلدون ٧/٢٧٨)، فصحّ فيه قول القائل :

لا ألقينّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادا

ولما ولي أبو عنان فارس بن علي المريني ، السلطنة في المغرب، اعتقل الأمير علي بن أبي علي عمر بن عثمان بن يعقوب المريني ، وكان

متزوّجاً بأخت أبي عنان ، وقتله في سجنه في السنة ٧٥١ ونفى أولاده إلى الأندلس ، ثم بدا له فطلبهم من صاحب غرناطة ، فامتنع من إعادتهم إليه (ابن خلدون ٩/٣١٥).

أقول : طلبه إيّاهم من صاحب غرناطة يعني أنّه أراد قتلهم .

وفي السنة ٧٥٢ مات في السجن الأمير أدي بن هبة الله الحسيني ، من بيت أمراء المدينة ، جمع في السنة ٧٢٧ جمعاً واحتلّ المدينة ، وطرد أميرها طفيل ، فاستعان طفيل بجيش مصري طرد أدي ، وحضر أدي إلى القاهرة ، فاعتقله السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أفرج عنه في السنة ٧٣١ ثم أضيف إلى الأمير طفيل ، ثم عزل ، فعاود جمع الجموع ، واستولى على المدينة ، وصادر أموال الخدام ، ثم تركها ، فقبض عليه ، وسجن ومات في السجن (الدرر الكامنة ١/٣٦٩).

وفي السنة ٧٥٣ حشد بنو عبد الواد ، برئاسة أبي ثابت ، وحاربوا السلطان أبا عنان بن السلطان ابي الحسن المريني ، فوقع أبو سعيد ، أخو أبي ثابت في الأسر ، وأحضر أمام أبي عنان ، فأمر بقتله ، فقتل ، ثم أسر أبو ثابت ووزيره يحيى بن داود ، فأشهرا بتلسمان على جملين ، ثم قتلا في ظاهر البلد ، قعصاً بالرماح (ابن خلدون ٧/١٢١).

وفي السنة ٧٥٥ تملّك محمد بن مظفر بن منصور فارس والعراق ويزد وكرمان وأصبهان ، وصيّر لحكمه وجهاً قانونياً بأن أحضر شخصاً عباسياً وقلّده الخلافة ، ولقبه المعتضد بالله ، وجعل نفسه نائباً عنه في حكم المملكة ، ثم نصب ولده شاه شجاع ولياً للعهد ، وفي السنة ٧٦٠ قبض شاه شجاع على والده ، وسمل عينيه ، واعتقله بقلعة سرمق من أعمال شيراز (التاريخ الغياثي ١٤٧ـ ١٥٠).

وفي السنة ٧٦٠ قتل السلطان أفراسياب ، صاحب مازندران ، قتله

صهره فخر الدولة حسن آخر الباونديّين (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٨٧) .

وفي السنة ٧٦٢ هلك بردي بيك الذي خلف والده الملك الأشرف ، وكان الأشرف قد خلف أخاه الأمير حسن الجوباني الصغير ، وكان بردي بيك ظالماً غشوماً فاسقاً قاسي القلب ، قتل جميع إخوانه وأقاربه لكي لا ينازعه أحد في الملك (تاريخ العراق للعزاوي ٢ /٩٧) .

وفي السنة ٧٦٣ قتل السلطان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن فرج النصري ، صاحب غرناطة ، وكان قتله بظاهر إشبيلية ، قتله صاحب قشتالة ، وقطع رأسه ورؤوس أتباعه ، وحملت إلى غرناطة ، قال عنه ابن الخطيب : إنّه كان شيطاناً ، دميم الخلق ، تزوّج ابنة السلطان يوسف بن اسماعيل ، فارتفع شأنه ، ولما توفّي السلطان يوسف ، خلفه ولده محمد في السنة ٧٥٥ فداخل أبو عبد الله هذا ، أبا الوليد اسماعيل بن يوسف ، أخا السلطان الجديد ، وتآمر معه على أخيه السلطان محمد ، وثار بجماعة ألّفهم ، وقتل الحاجب رضوان ، وآخرين من رجال الدولة ، ونصبوا الأمير أبا الوليد اسماعيل سلطاناً في السنة ٧٦١ وفرّ السلطان محمد إلى وادي آش ، ثم إنّ أبا عبد اله ، عاد فتآمر على صاحبه السلطان أبي الوليد اسماعيل ، وقتله ، وقتل ولده قيس وهو صبيّ صغير ، وتسلطن في محلّه ، ثم إنّ السلطان محمد بن يوسف هاجم غرناطة بجندٍ ، ففرّ أبو عبد الله ولجأ إلى ملك قشتالة ، فاعتقله وثلثمائة من أتباعه ، وقتلهم بظاهر إشبيلية ، وبعث برؤوسهم إلى غرناطة ، حيث نصبت الرؤوس في المكان الذي تسوّروا منه إلى القلعة ، وكان ذلك في السنة ٧٦٣ (الاحاطة ٤٠٦ ـ ٤١٢ و٥٣١ ـ ٥٤٠) .

وجاء في الدرر الكامنة ٥/ ١٧٠ إنّ نوروز خان المغلي ، صاحب مملكة الدشت ، ولي عوضاً عن قله خان ، فأقام في المملكة نحو نصف سنة ، وثار عليه خضر خان فقتل وولي خضر مكانه ، ثم وثب تمرخان بن

خضر ، على أبيه ، فقتله ، واستقرّ بعده ، ثم قتـل وولي بعده كلدي بـاك في السنة ٧٦٣ .

أقول : الذي في معجم أنساب الاسر الحاكمة ، أنّ نوروز بك محمد ، من بني باتو حكم القبجاق الغربي في السنة ٧٦٠ خلفاً لقولنا (اوقولبا) ، وإن الذي خلفه خضر خان محمود من آل شيبان ، حكم من السنـة ٧٦٠ ـ ٧٦٢ ، وخلفه تيمور خواجه في السنة ٧٦٢ ، ولم يذكر أنّه ابن خضـر خان ، بـل ذكر أنّـه من آل أوردا ، وإنّ الذي خلفـه كلدي باك من آل تغـاتيمور ، ودام ملكـه إلى السنة ٧٦٣ (معجم الأنساب الاسرالحاكمة ٣٦٣ و٣٦٥) .

وفي السنـة ٧٧٠ ثار عـامر بن محمـد ، بالمغـرب ، على السلطان عبد العـزيـز المـريني ، وبـايـع أميراً من بني عبـد الحقّ ، من أولاد أبي ثـابت بن يعقوب اسمه تاشفين ، فجرّد السلطان عبد العزيـز جيشاً لمحـاربته ، وآستمـر الحصار سنة ، ثم أسر عامر ، وسلطانه تاشفين ، فأمر السلطان بهما ، فأشهرا على جملين ، وأفـرغ عليهما الـروث وعبثت بهمـا أيدي الإهـانـة ، ثم أمـر السلطان ، فضرب عامـر حتى أنتن لحمه ، وورمت أعضاؤه ، وهلك بين يدي الوزعة ، أمّا تاشفين ، فقتل قعصاً بالرماح (ابن خلدون ٧/٣٢٦) .

وفي السنة ٧٧٠ توفّي محمد بن مظفـر اليزدي ، صـاحب يزد وشيـراز ، وكان شجاعاً أيّداً ، وكـان بين يزد وشيـراز قاطـع طريق شـديد البـأس ، ومعه جماعة ، فتربّص به محمـد بن مظفـر ، وبارزه وقتله ، وحمـل رأسه إلى ملك يزد وهو شيخ بن محمود ، فقدّمه ، وقرّبه ، وقرره صاحب درك يـزد ، فآشتهـر أمره ، وآنضمّ إليـه جمع ، وصاهـر قومـاً من أكابـر يزد ، فلمـا مات شيـخ بن محمـود صاحب يـزد وثب محمد علي يـزد فملكها ، وسـار سيرة جميلة ، ثم ملك شيـراز ، ثم وثب ولـده شـاه شجـاع فقبض على أبيـه وسجنـه في بعض القلاع ، حتى مات في السنة ٧٧٠ (الدرر الكامنة ٥/٣٠) .

وفي السنة ٧٧٩ قتل السلطان مجاهد شاه ، سلطان الدكن ، من ملوك البهمنيّين ، قتله عمّه داود وخلفه في الحكم (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٤٣٧ و٤٣٨) . . .

وفي السنة ٧٨٠ لاقى السلطان داود شاه مصرعه، فقتل (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٤٣٧) .

وفي السنة ٧٨٠ غزا شاه شجاع أذربيجان، فآنتزعها من أويس ، وكان فيها السلطان حسين أخو أويس ، فطرده واستولى عليها ، ثم إنّ أخا شاه شجاع قتله في السنة ٧٨٦ بعد أن طال ملكه ٢٦ سنة ، وخلفه في الحكم ولده زين العابدين ، ونصب عمّه بايزيد بن محمد أتابكاً له (تاريخ الغياثي ١٥٣) .

ولما توفّي السلطان أويس بن الشيخ حسن ، كان الوزير زكريا كافلاً لأحد أولاده وهو جلال الدين حسين بن أويس ، فسلطنه بتبريز ، وقتل الولد الأكبر الشيخ حسن ، ولكنّ السلطان حسين عكف عن اللّذّات ، وأهمل أمور الدولة ، فقصده أخوه غياث الدين أحمد بن أويس في تبريز ، وقتله في السنة ٧٨٣ (ابن خلدون ٥/٥٥٢ و٥٥٣) .

أقول : كان السلطان حسين بن السلطان أويس (قتل سنة ٧٨٣) عظيم أولع بالنساء ، حتى أنه كان يتقنّع ويتبرقع ويحضر الأعراس والولائم من دون أن يعلم به أحد ، فشكا الأمراء ذلك للوزير الأمير زكرّيا ، فقال لهم الوزير : أشكروا الله الذي آبتلاكم بمن يجعل القناع على رأسه ، ولم يبتلكم بمن يضع القناع على رؤوسكم (تاريخ العراق للعزاوي ٢/١٦٨) .

وفي السنة ٧٨٤ وقعت معركة بين السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابراهيم المريني ، صاحب فاس ، وبين الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن المريني ، صاحب مراكش ، فحصر صاحب فاس ، مدينة مراكش ،

واقتحمها ، وحصر القلعة ، وفيها الأمير عبد الرحمن ، ومعه ولداه أبو عامر وسليم في اتباع لهم، وحاربوا جميعاً، حتى قتلوا بأجمعهم (ابن خلدون ٣٤٧/٧) .

وكان السلطان أبو حمو له أولاد خمسة ، أكبرهم أبو تاشفين عبد الرحمن ، والأربعة الباقون من أمّ واحدة ، وكان أبو تاشفين يّتهم أباه بمراعاة إخوته الباقين وتفضيلهم عليه ، وقسم الأب مملكته بين أولاده ، لرفع الخصومة بينهم ، فزادت واشتدت ، وهاجم أبو تاشفين والده ، واعتقله ، وبعث به إلى قصبة وهران ، فاعتقله بها ، واعتقل من وجده بتلمسان من إخوته ، ثم قتلهم ، وبعث أحد أتباعه إلى وهران ، لقتل أبيه ، وأحسّ الأب بالخطر ، ففّر إلى تلمسان ، فهاجمه ابنه ، وألجأه ألى مأذنة الجامع ، فاستنزله ولده ، واعتقله بإحدى حجر القصر ، ثم نفاه إلى المشرق في سفينة ، ولكنّ أبو حمو نزل من السفينة ببجاية ، وجمع جنداً ، وآصطدم بجيش ولده أبي تاشفين ، وكان يقودهم حفيده أبو زيان بن أبي تاشفين ، فانكسر الحفيد أبو زيان ، وقتل ، وقتل معه وزير أبيه محمد بن عبد الله بن مسلم ، وعاد السلطان أبو حمو إلى تلمسان قاعدة ملكه (ابن خلدون ١٣٩/٧ ـ ١٤٥) .

وفي السنة ٧٩١ استنجد أبو تاشفين ، من بني عبد الواد ، بأبي العباس المريني ، صاحب فاس ، فبعث معه جنداً لقتال السلطان أبي حمو ، صاحب تلمسان ، والد أبي تاشفين ، فنهض أبو حمو لقتالهم ، وانجلت المعركةعن مقتل السلطان أبي حمو ، وجيء بعمر بن أبي حمو أسيراً إلى أخيه تاشفين ، فأراد أن يقتله ، فمنعه المرينيون ، فأصر على قتله ، وقتله (ابن خلدون ٤٥/٧ و١٤٦) .

ولما قتل الأمراء ، السلطان حسين بن أويس ، ونصبوا بدلاً منه أخاه

أحمد بن أويس سلطاناً ، تشوش السلطان أحمد من الأمراء الذين قتلوا أخاه ، فقتل قسماً منهم ، فانحاز الباقون إلى أخيه شهزاده الشيخ علي ببغداد ، وبايعوه بالسلطنة ، وحملوه على محاربة أخيه ، فنهد بجيش ألى تبريز ، وجرت بين الأخوين معركة انتهت بظفر أحمد ، ومقتل أخيه الشهزاده علي في السنة ٧٨٦ (تاريخ الغياثي ١٠٢ و١٠٣) .

وفي السنة ٧٨٨ قتل أمير مكة الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ، قتله أبناء عمّه على أبواب مكّة ، بمساعدة الجيش المصري ، وكان محمد هذا قد تولّى إمارة مكّة في السنة ٧٨٨ باشراف عمه كبيس بن عجلان ، فكحل كبيش أعين جماعة من بني الحسن ، فكحل أحمد وحسناً ولدي أخيه ثقبة ، ومحمد بن عجلان ، وصبياً عمره اثنتا عشرة سنة ، وهو ابن أحمد بن ثقبة (نزهة النفوس ١٣٩ والاعلام ٦/٢٢٦) .

وفي السنة ٧٩٧ قتل الشريف علي بن عجلان ، صاحب مكة ، قتله بنو عّمه ، وقتل قاتله . (العقود اللؤلؤية ٢/٢٧٧) .

وفي السنة ٨٠١ قتل القاضي برهان الدين أحمد بن عبد الله ، كان قاضياً بسيواس ، وصاهر صاحبها ، ثم عمل عليه حتى قتله ، وحلّ محلّه في حكمها ، قتل في المعركة التي نشبت بينه وبين التتار (شذرات الذهب ٧/٤) .

وفي السنة ٨٠٢ قتل السلطان محمد بن موسى أبي حمو الزياني من سلاطين تلمسان ، حاربه أخوه أبو محمد عبد الله ، وتغلّب عليه ، وقتله ، وأخذ رأسه إلى فاس ، فطيف به على رمح . (الاعلام ٧/٣٤٠) .

وفي السنة ٨١٢ قتل صاحب فارس محمد بن أميرزا ، ابن عمّ تيمورلنك ، قام عليه أخوه اسكندر شاه فقتله واستولى على مملكته (شذرات الذهب ٧/٩٦) .

وفي السنة ٨٠٨ خلع السلطان الناصر فرج بن الظاهر، ونصب بدلاً منه أخوه عبد العزيز ولقّب بالمنصور ، وبعد شهرين ، أعيد الناصر فرج ، فحبس أخاه عبد العزيز ثم قتله (الضوء اللامع ٦/١٦٨) .

وفي السنة ٨١٣ وقعت معركة ، قرب تبريز ، بين السلطان أحمد بن أويس ملك العراق ، وبين قره يوسف ، ملك أذربيجان ، فانكسر السلطان أحمد ، ووقع أسيراً في يد قره يوسف ، فقتله خنقاً ، وقتل معه ولده علاء الدولة . (التاريخ الغياثي ١٣٤ ـ ١٣٦) .

ولماقتل السلطان أحمد بن أويس في السنة ٨١٣ قصد بغداد شاه محمد بن قرايوسف لاحتلالها ، وكان السلطان أحمد قد نصب فيها أحد أتباعه واسمه بخشايش فمنعه من دخولها ، وكان في بغداد الخاتون تاندو سلطان بنت السلطان حسين بن أويس ، أخي السلطان أحمد ، وكان عمّها أحمد قد زوّجها من سلطان مصر ، لما رحل إليها وكانت تاندو معه ، ثم إنّ سلطان مصر طلّقها ، فتزوّجها ابن عمّها شاه ولد بن الشهزاده شيخ علي بن أويس ، ولما وصل شاه محمد بن قرايوسف إلى بغداد ، منعوه من دخولها ، بإشارة من السلطانة تاندو ، التي كانت تقول لأهل بغداد إنّ السلطان أحمد ما زال حيّاً . وحصر شاه محمد بغداد ثمانية شهور بلا فائدة ، وخطب بخشايش ، ابنة السلطانة تاندو ، فلم تقدر على مخالفته ، ولكنّها نصبت له فخّاً ، إذ أجابته إلى الزواج منها ، وفي ليلة العرس حضر بخشايش في « الجاثليق » وعمل عرساً عظيماً ، ثم شرب إلى نصف الليل ، وقام يريد « القلندر خانة » ليدخل على العروس ، فحين « حطّ رجله في الركاب » جاء إليه من قطع عنقه ، ووضع رأسه على رمح ، ووضعوا جسده على الفرس وخلفه من يمسك الجسد أن يميل ، والرأس على الرمح قدّام الفرس ، والدفوف تضرب قدامه إلى الصبح ، كما قتل ابن البليقي ، ونصب لحكم بغداد عبد الرحيم بن الملاّح ، وكلّ ذلك بإشارة من السلطانة تاندو ، وبعد مدّة قتل عبد الرحيم أيضاً ، ووقع

القتل ببغداد ، فلما طالت المدّة ، وعجزت الخاتون عن ضبط البلد ، أمرت بتزيين البلد ، بزعم أنّ السلطان أحمد كان مختفياً ، ويريد أن يظهر ، فزيّنوا البلد ثلاثة أيّام ، وآنسلّت السلطانة ليلاً مع أولادها الستّة ، ومعها أموالها وجماعتها، وانحدرت في السفن إلى واسط، ومنها إلى شوشتر، فلما أصبح الصباح ، ورأى الناس أنّ تندو سلطان قد تركت البلد ، خرجوا إلى شاه محمد ، وكان قد أيس من بغداد وكرّ راجعاً إلى بعقوبة ، فلحقوا به ببعقوبة ، وأخبروه بأنّ الخاتون رحلت ، فعاد ودخل إلى بغداد ، في السنة ٨٤ ونهب البلد يوماً واحداً ، ثم استقرّ حاكماً ببغداد (تاريخ الغياثي ٢٤٤ ـ ٢٤٧) .

أقول: الذي في معجم زمبادر (ص٣٧٧) إنّ الذي خلف أحمد بن أويس في حكم بغداد، هو شاه ولد بن الشهزادة شيخ علي بن أويس ، زوج تاندو سلطان، وكان معه ببغداد زوجته وأولاده، ثم إنَّ تاندو سلطان دبّرت قتل زوجها في السنة ٨١٤ ونصبت ولدها محمود بن شاه ولد في موضع أبيه ، ولكنّ محموداً تنازل عن بغداد لشاه محمد بن قرايوسف ، وبارحت تاندو سلطان وأولادها الستّة بغداد إلى شوشتر ، وأولادهاهم محمود وأويس ومحمد ، وثلاث بنات ، ونصبت تاندو سلطان ولدها محمود سلطاناً في شوشتر تحت وصايتها ، ثم دبّرت عليه في السنة ٨١٩ فقتل ، واستقلّت تاندو سلطان من بعده بحكم المملكة ، وضربت السكّة بإسمها حتى ماتت في السنة ٨٢٢ .

أقول : ذكر صاحب الضوء اللامع ١٢/١٦ إنّ شاه محمود بن شاه ولد ، الذي سلطنته تندو ، ثم قتلته ، لم يكن ابنها ، وإنّما هو إبن زوجها .

وفي السنة ٨٢٤ قتل أبو سعيد عثمان بن أحمد المريني ، قتله مدبّر مملكته عبد العزيز الكتاني ، وقتل إخوته ، وأولاده ، وأكابر البلد ، وأبطالها ، وشيوخها ، فانقطعت دولة بني مرين من فاس ، وأقام الكتاني ، محمداً بن

أبي سعيـد في السلطنة ، واستبـد هـو بتـدبيـر الأمـور (شـذرات الـذهب ١٦٧/٧) .

وفي السنة ٨٣٠ اشتبك أويس بن شـاه ولد صـاحب بغداد ، مـع محمد شـاه بن قره يـوسف ، في معركـة ، فقتل أويس ، واستـولى محمد شـاه على بغداد (شذرات الذهب ١٩٢/٧) .

أقول : الذي ذكره الغياثي ص ٢٤٠ إنّ جهان شاه ، خرج من عند أخيه الشاه محمد صاحب بغداد ، يـريد تبـريز ، فـالتقى بعسكر السلطان أويس بن شاه ولد ، فأرسل إليه جهان شاه ، يطلب الجواز ، فأبى ، وامتنـع من ذلك ، فأرسل يستشفع إليه في الإجـازة فلم يفعل فصـدمه جهـان شاه صدمـة واحـدة بعسكره، فكسر عسكر أويس ، وأصيب أويس في المعركة بسهم ، فمات وإنّ ذلك كان في السنة ٨٢٤ .

وقـد علّق الغياثي على هـذا الخبر بقـوله : كـان أبو جهـان شاه ، وهـو قرايوسف ، قتل أبا السلطان أويس ، أي شاه ولد ، كما كان قـرامحمد، والد قرايوسف ، السبب في مقتل الشهزادة شيخ علي ، جد أويس .

ثم قال : الجد للجد ، والأب للأب ، والابن للابن .

والغياثي ، أورد في تاريخه (ص ٢٤٤) إنّ شاه ولد توفّي قبـل مبارحـة السلطان أحمـد بن أويس لمحـاربـة قـرايـوسف ، حيث قتـل في السنـة ٨١٣ وبذلك أصبـح مصير شـاه ولد ، تـارة توفيّ حتف أنفـه ، كما ذكـر الغياثي في الصحيفة ٢٤٤ وتارة إنّ قرايوسف قتله ، وتـارة إنّ زوجه تـاندو سلطان اغتالـته (زامباور ص ٣٧٧) .

وفي السنة ٨٣٥ قتل السلطان حسين بن علاء الدولة ، سلطان العراق ، قتله في ٣ صفر الأمير إسكندر من قراقـوينلو (معجم أنساب الأسـر الحاكمـة ٣٧٧) .

أقول : هكذا ورد الخبر في معجم زامباور ، والذي ورد في التواريخ الأخرى، إنّ السلطان حسين بن علاء الدولة ، قتله الأمير أسبان (أصبهان) ابن قرايوسف ، وكان مقتله في ٣ ربيع الأوّل ، وقد فصّلنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

وفي السنة ٨٣٦ قتل الملك الاشرف الأيّوبي ، صاحب حصن كيفا ، وهو أبو المحامد أحمد بن سليمان الأيوبي ، وثب عليه ولده خليل ، فقتله وتسلطن من بعده وتسمى بالملك الصالح أبي المكارم خليل بن أحمد ، وآستمرّ في سلطنته حتى وثب عليه ولده أحمد ، في السنة ٨٥٦ فقتله صبراً . وتسلطن من بعده ، ولقّب بالعادل ، ثم تغلّب عليه ابن عمّه خلف بن محمد بن سليمان ، وفرّ أحمد إلى بغداد ثم لجأ إلى مصر ومات بها في أيام الظاهر خشقدم، وتسلطن خلف بن محمد في حصن كيفا، وتلقّب بالعادل، وفي السنة ٣٦٦ وثب عليه أولاد عمّه زين العابدين وأيّوب وعبد الرحمن أبناء علي بن محمود بن سليمان ، فقتلوه في الحمام ، وتسلطن زين العابدين ، وتلقّب بالملك الصالح ، فلم تنقض السنة حتى انتزع السلطان منهم الأمير حسن بك بن علي بك قرايلوك عثمان، صاحب آمد وقتلهم صبراً بين يديه (الضوء اللامع ١/٢٩٤ و٣/١٨٥ و١٩٢) .

أقول : الذي ورد في التواريخ ، إنّ الملك الاشرف أحمد بن سليمان، صاحب حصن كيفا ، قتل في السنة ٨٣٦ غيلة ، عندما كان قادماً للسلام على الملك الاشرف برسباي صاحب مصر والشام ، عندما كان محاصراً مدينة آمد ، إذ قدم عليه الاشرف أحمد يزوره ، فاغتاله نفر من أصحاب عثمان قرايلك ، وخلفه ولده خليل ، وقد أثبتنا ذلك في موضعه في هذا الكتاب .

ثم عاد صاحب الضوء اللامع ، فذكر في أخبار السنة ٨٥٦ إنّ الملك الصالح أبي المكارم صلاح الدين خليل ، قتله ولده ناصر ، واستقر في

موضعه ، وبعد سبعة اشهر وثب عليه ابن عمّه حسن بن عثمان وقتله حميّة لعمّه القتيل ، واستدعى أحمد أخا ناصر ناصر فسلطنه ، وملّكه الحصن (أي حصن كيفا) (الضوء اللامع ١٠/١٩٦) .

وفي معجم زامباور (ص ١٥٤) إنّ الملك الأشرف أحمد بن سليمان الأيّوبي ، صاحب حصن كيفا وآمد خلفه ولده خليل في السنة ٨٣٦ وتسمى بالملك الصالح صلاح الدين خليل ، وخلفه ولده أحمد وتسمّى بالملك الكامل ، وإن الذي خلفه هو خلف بن محمد بن أحمد ، وتسمّى بالملك العادل .

وفي السنة ٨٣٦ قتل الامير اسكندر بن قرايوسف ، أخاه الامير أبا سعيد بن قرايوسف (تاريخ الغياثي ٢٥٧) .

وفي السنة ٨٣٧ قتل الأمير اسكندر بن قرايوسف ، قتله ولده شاه قباد ، وسببه أنّ شاه قباد عشق إحدى محظيات والده، فاتّفق مع المحظية، وقتلا الأب ، ولما ظفر شاه جهان بن قرايوسف ، بالولد والمحظية ، قتلهما معاً ، في السنة ٨٤١ (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٨٧ و١٠٣) .

وفي السنة ٨٣٩ قتل أمير المدينة مانع بن علي بن عطية الحسيني ، خرج يتصيّد فرتّب عليه حيدر بن دوغان ، من ابناء عمّه ، فقتله بدم أخيه خشرم بن دوغان الذي كان أميناً للمدينة قبل مانع ، وبعد قتل مانع ، رحل كبيش بن جمّاز الحسيني مع حيدر بن دوغان إلى القاهرة ليلي أمارة المدينة ، فصدفه على بعد يوم واحد من القاهرة جماعة من بني حسين ، لهم عليه دم ، فقتلوه (حوليات دمشقية ١٦٢) .

وفي السنة ٨٣٩ قتل السلطان الملك المظفر شهاب الدين أحمد شاه بن السلطان جلال الدين أحمد شاه بن أبي المظفّر قندوكاس، ملك بنغالة من

بلاد الهند ، ثار عليه مملوك أبيه مصباح خان ، ثم وزير خان ، وقتله ، واستولى على بنغالة (حوليات دمشقية ١٥٦) .

أقول : ذكره صاحب معجم أنساب الاسر الحاكمة (ص ٤٢٧) وسماه شمس الدين احمد ، وسمّى أباه جلال الدين محمد شاه وقال عن جلال الدين إنّه اعتنق الإسلام ، وكان اسمه قبل اسلامه جيتمال بوربي بن راجة كانس ، وذكر إنّ أحمد شاه تسلطن في السنة ٨٣٥ ولم يذكر شيئاً عن مقتله .

وفي السنة ٨٣٩ مات السلطان الحفصي المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي فارس ملك تونس وبلاد إفريقية ، وكان قد خلف جدّه أبا فارس بتلمسان في السنة ٨٣٧ ، وقدم تونس في السنة ٨٣٨ فحصره عرب إفريقية ، وكان مريضاً ، وفرّ من عنده الأمير زكريا بن محمد بن أبي العباس ، وأمّه ابنة السلطان أبي فارس ، وآتّفق مع العرب في مهاجمة تونس ، فآستعان المنتصر بأخيه عثمان ، والقائد محمد الهلالي ، وجعلهما مرجع الأمور في الدولة، فاتّفقا وأخذا المنتصر إلى قصر خارج مدينة تونس، ووضعاه فيه ، وأغلقا عليه الأبواب ، يوهمان إنّه نائم ، وعادا إلى المدينة ، فاستولى عثمان على الحكم، وقام الهلالي بأمره ، فلما ثبتت دولته ، اعتقل الهلالي ، وسجنه ، وغيّبه (أي قتله) ثم عمد إلى أقاربه فقتل منهم عدّة ، فتفرّقت عنه قلوب الناس (حوليات دمشقية ١٤٨ و١٤٩) .

أقول : ورد في معجم أنساب الاسر الحاكمة (ص ١١٦) إنّ السلطان المنتصر أبا عبد الله محمد ، خلف جده السلطان أبا فارس عبد العزيز المتوكل بن أحمد الحفصي في السنة ٨٣٧، وإنّ أبا عمر عثمان بن محمد خلفه في الحكم في السنة ٨٣٩ ولكنه اعتبر عثمان ابناً للمنتصر، والصحيح أنّه أخوه ، فليصحح .

وفي السنة ٨٣٩ قتل فيروز شاه قطب الدين بن تهمتم ، صاحب هرمز

والبحرين والحسا والقطيف ، قتله ولده مهار واستبد من بعده بالملك وعظم قدره ، وفخم أمره ، وصارت هرمز في أيامه بندر الدنيا ، تأتيها مراكب الهند والزيرك من بلاد الصين ، ويقصدها تجار خراسان وسمرقند وغيرها (الضوء اللامع ١٠/١٧٣) .

وفي السنة ٨٣٩ قتل الأمير حسين بن أمير المسلمين أبي فارس الحفصي ، وكان أخوه السلطان حسن توفي في العام الماضي وخلفه ولده ، فتحرك الأمير حسين يريد الاستيلاء على الملك ، فظفر به ابن أخيه ، وقتله ، وقتل أخو بن له (شذرات الذهب ٧/ ٢٣٠) .

وفي السنة ٨٤١ قتل الأمير اصبهان (اسبان) والده قره يوسف ، اغتاله بقلعة النجق (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمباور ص ٣٨٤) .

أقول : ذكر صاحب التاريخ الغياثي (ص ٢٤٣) إنّ قرايوسف ، مات في السنة ٨٢٣ وإنَّ جثته ظلّت مطروحة عارية معفّرة ، مصلومة الآذان ، بسبب الجواهر التي كانت تحلّي أذنيه ، فاقتلعت لمّا مات ، وأحسب أنّ هذا الخبر أصحّ من الخبر الذي أورده زمباور بأنّه مات قتيلاً في قلعة النجق في السنة ٨٤١ وإنّ الذي اغتاله ولده أسبان ، لأنّ الخبر الذي أورده زمباور ، انفرد به وحده ، أما ما ورد في تاريخ الغياثي ، فقد استند في ايراده إلى عدّة تواريخ ، وهي أنباء الغمر ، والنجوم الزاهرة ، ونزهة النفوس والابدان ، وحبيب السير ، والشرفنامة ، ولبّ التواريخ ، وصحائف الأخبار ، وعلى كل حال فإن الأمير أسبان هذا يعتبر من عجائب المخلوقات ، فإنّ ما ارتكبه من جرائم يدّل على أنّه مجرّد من الصفات الانسانية كافّة ، ويكفي للاستدلال على ذلك ما صنعه مع ابن عمّه ميرزا علي إذ قتله وقتل أولاده حتى الأطفال الذين في المهد ، ولما بكت عليهم أختهم بلقيس بنت ميرزا علي وهي زوجة أصبهان ، أمر بها فخنقت .

وفي السنة ٨٤٥ هلك الأشرف اسماعيل بن الأفضل يحيى ملك اليمن ، وكان ظالماً جائراً سمل عين شقيقه أحمد خوفاً منه على الملك ، وقتل أخاه حسن ، وقتل من أقربائه أحد عشر نفساً ، بل إنّه قتل عمّته شقيقة أبيه ، وقتل بيده امرأة اخرى لاتهامه إيّاها بمصاحبتها ، وقطع يد امرأة أخرى تضرب بالرمل ، كلّ ذلك لتخوّفه انّهم يسعون في نصب غيره للملك ، وكان لا يخلو يوماً من قتل وعقوبة ومصادرة (الضوء اللامع ٢/٣٠٨) .

وفي السنة ٨٥٣ قتل السلطان علاء الدولة ألوغ بك بن شاه رخ بن تيمورلنك قتله ولده عبد اللطيف ، وكان الوغ بك نشأ في كنف جدّه تيمورلنك ، وتزوّج في أيّامه ، وعمل له جده العرس المشهور ، ولما مات جدّه ، وآل الأمر إلى أبيه شاه رخ ولّاه سمرقند وأعمالها ، فحكم فيها نيفاً وثلاثين سنة ، وكان على جانب عظيم من العلم والفضل والرغبة في جمع العلماء والفضلاء ، ثم خرج عليه ولده عبد اللطيف وحاربه فانكسر ألوغ بك وملك ولده سمرقند ، ثم أراد الوغ بك أن يعود إلى سمرقند ، ويكون الملك لولده ، ويعود هو كآحاد الناس ، فأذن له ، ثم إنَّ عبد اللطيف قبض على أخيه عبد العزيز ، وقتله صبراً في حضرة الوالد ألوغ بك ، فعظم ذلك على ألوغ بك ، واستأذن من ولده أن يأذن له بمبارحة سمرقند للحجّ ، فأذن له ، ولما أصبح على مسيرة يومين من سمرقند، أرسل اليه أحد أمرائه ليقتله ، فدخل عليه مخيّمه وسلّم عليه ، ثم خرج ، واستحى أن يقول له إنَّه قدم لقتله ، ثم دخل ثانياً وخرج، ثم دخل ثالثاً ، ففطن الوغ بك ، وقال له : لقد علمت بما جئت له ، فافعل ما أمرك به ، ثم توضّأ وصلّى ، وقال : لقد علمت أنّ هلاكي على يد ولدي عبد اللطيف هذا من يوم ولد ، ولكن أنساني القدر ذلك ، والله ، لا يعيش بعدي إلّا خمسة أشهر ، ثم يقتل شرّ قتلة ، ثم أسلم نفسه ، فقتل ، وصحّ ما تنبأ به ، فإنَّ ولده عبد اللطيف قتل بعد خمسة أشهر من مقتل أبيه (شذرات الذهب ٧/٢٧٥-٢٧٧) .

أقول : في معجم زامباور (ص ٤٠١) إنَّ عـلاء الدولـة أولوغ بـك بن شـاه رخ ، خلف اباه في السنـة ٨٠٧ وإنَّ ولده عبـد اللطيف خلعه في السنـة ٨٥٠ واستـولى على السلطة باسم ركن الـدين عبـد اللطيف ، وإنّـه قتـل أبـاه أولوغ بك في السنة ٨٥٣ ولم يطل أمـد حكمه من بعـد ذلك ، إذ اغتيـل في السنة ٨٥٤.

وكان بابر بن بايسنقر بن شاه رخ، في يده هراة ، فحسده أخوه السلطان محمد بن بايسنقر على هراة ، لأنّها كانت التخت ، فسار عليه مرّة ولم يظفر ، ثم سـار عليه مـرّة ثانيـة ، فانكسـر ، وقبض عليـه بـابـر وقتله في السنـة ٨٥٥ (تاريخ الغياثي ٢٢٧ـ ٢٢٨).

وفي السنـة ٨٦٠ ترك ألـوند بن اسكنـدر بن قرا يـوسف ، قلعـة طبق ، وتوجّه إلى الجبل ، فسار إليه ابن عمّه بيربـوداق بـن جهـان شاه ، وحـاربه ، وفلّ عسكره ، فانهزم ألوند وحيداً ، فتصدّى له احد أصحاب بيربوداق وقتله ، وحمل رأسه إلى عمّه جهان شاه (تاريخ الغياثي ٣١٢).

وفي السنـة ٨٦٦ انتـزع حسن بـك الـطويـل (أوزون حسن بن علي ، زامباور ص ٣٨٤)، صاحب ديـار بكر ، ملك بني أيـوب وقتل الإخـوة الثلاثـة الصالـح زين العـابـدين ، وأخـويـه ، وهم اولاد على بن محمـود بن العـادل سليمـان ، وتوفّي حسن بـك الـطويـل في السنـة ٨٨٢ فخلفـه ولـده خليـل ، فحـاربه أخـوه يعقـوب بن حسن بـك ، فـانتصـر على أخيـه خليـل ، وقتله ، وتسلطن يعقوب (الضوء اللامع ٣/١١٢ـ ١١٣).

وفي السنـة ٨٦٩ سار شـاه جهان ، إلى بغـداد ، وبهـا ولـده بيـربـوداق ميرزا ، فكبسه فيها ، وقتله في السنة ٨٧٠، وقتل معه من عسكـره نحو أربعـة آلاف صبراً ، (تاريخ العراق للعزاوي ٣/١٧٢ـ ١٧٤ـ ١٧٨).

وفي السنـة ٨٧٠ قتل السلطان ملك أرسـلان بن سليمـان من آل دلـغادر

(ذي القدر) بأمر من أخيه بـوداق بك بن سليمـان بك (معجم انسـاب الأسر الحاكمة ٢٣٦) .

وفي السنـة ٨٧٢ قتـل السلطان جهـان شـاه بن قـرايـوسف ، صـاحب العراقين ، وملك الشرق ، قتله أتباع حسن بك بن قرايلك ، بالقـرب من ديار بكر ، وأرسل رأسه إلى القاهرة ، فعلّقت، وكان لا يتقيّـد بدين ، مثـل أقاربـه وإخوته ، بحيث أنّه قتل ولده بيربوداق ، صاحب بغداد ، ونشأ في كنف أبيه ، ثم في كنف أخيه اسكندر ، ولما ترعرع فرّ من اسكنـدر إلى جهة شاه رخ بن تيمـورلنك ، فجهّـزه بجيش حارب بـه أخاه اسكنـدر ، ثم وثب على اسكندر ولـده شاه قبـاد وقتله في السنـة ٨٤١، فـرسخت قـدم جهـان شـاه في مملكـة تبريز ، ثم ملك بغداد بعد هلاك أخيه أصبهان (أسبان) ثم استـولى على ديار بكر وأذربيجان والرها ، وشيراز ، حتى قتل في المعركة بـالقرب من ديـار بكر (الضوء اللامع ٣/ ٨٠) .

وفي السنة ٨٧٣ لما قتـل السلطان حسن بيك ، جهـان شاه ، سـار إلى بلاده ليستولي عليها ، فعارضه السلطان أبو سعيـد بن السلطان محمد بن أميـر زاده ميران شاه ، وادّعاها لنفسه ، فراسله السلطان حسن بيك وترضّاه على أن يقتسماها ، فأبى ، واشتبكا في معركة، فـانكسر أبـو سعيد ، وسقط أسيـراً في يد السلطان حسن ، فقتله ، وأرسل رأسـه إلى القاهـرة (تاريـخ الغياثي ٢٣٠-٢٣٣) .

وفي السنـة ٨٨٠ مرض السلطان حسن الـطويل ، وسمـع ولده أوغـر لو محمد بمرضه ، فقدم ليعوده ، وكان عاصياً عليـه ، فلما بلغـه قدومـه ، أرسل إليه أميراً فقتله (تاريخ العراق للعزاوي ٣/ ٢٤٩ ، تاريخ الغياثي ٣٨٩) .

ولما توفّي السلطان حسن الطويل ، في السنة ٨٨٢ ، نصب ولده خليـل سلطانـاً خلفاً لـه ، فقتل أخـاه مقصود بـك ، وكثيـراً من الأمـراء ، وكثيـراً من أقاربه . (تاريخ العراق للعزاوي ٣/ ٢٥٧) .

أقول : ورد هذا الخبر في التاريخ الغياثي ، كما يلي .

كان السلطان حسن بيك ، ملك العراق (ت ٨٨٢) قد أبعد قبل وفاته ، ولده يعقوب الى ديار بكر ، وقتل ولده مقصوداً ، ولما توفّى حسن بيك . خلفه ولده خليل بك ، فتصادم يعقوب وخليل ، وقتل خليل في المعركة في السنة ٨٨٣ (تاريخ الغياثي ٣٩٣).

وفي السنة ٨٨٧ قتل الأمير سيف بن علي ، أمير العشير ، قتله ابن عمّه عامر بن عجيل ، أخذاً بثأر سليمان بن عسّاف ، ووالده عسّاف، وكان الأمير سيف قد قتلهما وسلب الإمرة من ابن عمّه عسّاف الذي كان أميراً للعشيرة ، وكان سيف في مجلسه فدخل عليه فداوي ، فلم يشعر به سيف إلاّ وهو على رأسه ، فطعنه بسكّين معه ، وبادر سيف ليقتله ، فعادت ضربته على نفسه ، وأدركه أصحابه ، فقتلوا الفداوي ، واحتملوا سيفاً وهو حيّ ، إلا أنَّ ابن عمّه ، واسمه عامر بن عجيل قتله انتقاماً لمن قتله من إخوانه (الضوء اللامع ٣/٢٨٨- ٢٨٩).

وفي السنة ٨٩٦ مات يعقوب بك بن حسن بك بن علي بك بن قرايلوك عثمان ، صاحب الشرق وسلطان العراقين ، وكان قد قتل أخاه أبا الفتح خليلاً الذي استقر في الحكم بعد أبيهما حسن بك ، وحل في موضعه (الضوء اللامع ١٠/٢٨٣).

وفي السنة ٩١٦ توفّي السلطان أحمد بن محمد ، صاحب كجرات ، من بلاد الهند ، وكان جدّه مظفّر، قد أسلم على يد محمد شاه صاحب دهلي ، فلما وقعت الفتن في مملكة دهلي ، وتقسّمت البلاد ، استولى مظفّر على كجرات ، ثم وثب عليه ولده محمد ، وسجنه ، واستولى على السلطنة ، ثم انتصر الأب ، وقتل ولده ، وبعد سنين تحرّك احمد ، ابن المقتول محمد ، على جدّه مظفّر ، وقتله ، واستولى على السلطنة ، وخلفه ولده غياث

الدين محمود ، ثم ابنه قطب الدين ، ثم أخوه داود الذي خلع بعد أيّام ، واستقر أخوهم أحمد شاه المترجم في السنة ٨٦٣ وهو ابن ١٥ سنة (شذرات الذهب ٨/٧٤) .

ويروى أنّ السلطان سليم العثماني ، قتل أباه ، ليستولي على الحكم ، فلمّا تسلطن، في السنة ٩١٨، قتل أخوته جميعهم ، ولما استولى على مصر ، وأراد الرحيل عنها ، قتل وزيره حسن باشا ، وفي طريقه إلى الشام ، غضب على الصدر الأعظم يونس باشا ، فقطع عنقه (خطط الشام ٢/٢٩-٢٣٠) .

وكان القتل عند السلطان سليم الأول العثماني من أسهل الأمور وألطفها ، وأهونها، فقد قتل سبعة من وزرائه لأسباب تافهة . ولما تسلطن ، خنق إخوته وغيرهم من أهل بيته ، وعددهم سبعة عشر نفراً ، حتى كان الأتراك يقولون : من أراد الموت فليكن وزيراً عند السلطان سليم . (خطط الشام ٢/٢٣٠).

أقول : أدركت الشيوخ البغداديّين ، وهم يتناقلون على سبيل الفكاهة ، قصّة فيها عبرة، خلاصتها أنّه كان من تقاليد نصب الصدر الأعظم (الوزير الأوّل) في سلطنة آل عثمان ، أن يتقدّم موكبه ، عند نصبه للصدارة ، فارس يحمل في يده رمحاً قد ركز على سنانه الرأس المقطوع لسلفه الصدر المعزول، وبعد انتهاء مراسيم نصب الصدر ، وفراغه من قبول التهاني بهذه المناسبة ، تقدّم إليه آخر الناس رجلٌ ، فقبّل يده ، وسلّم إليه كيساً فيه عشرة آلاف دينار من الذهب ، فسأله الصدر الأعظم ، عن السبب الذي من أجله سلّم إليه هذا المبلغ ، فتلكّأ في الردّ ، فألحّ عليه الصدر ، فطلب منه الأمان ، على أن يحدّثه بالقصّة على وجهها الصحيح فأمّنه، فقال له : يا سيدي ، إنّ هذا المبلغ مودع عندي ، منذ زمن ، وقد أوصاني صاحبه ، أن أعطيه لأشدّ الناس حمقاً ، فلما رأيت موكبك ، وفي مقدمته رأس سلفك المقطوع ، وأنت

تعلم بـأنّك في يـوم من الأيّام ، سـوف تلاقي هـذا المصير ، وأنت مـع ذلـك تتقبّل التهاني ، أيقنت أنّه لا يزاحمك أحد في استحقاق هذا المبلغ .

وقتل السلطان سليمان القانوني ، ولده الأكبر مصـطفى ، وقتل حفيـده ، وقتل ولده بايزيد ، وأولاد بايزيد الخمسة ، وفي السنة ٩٤٢ قتل وزيره إبراهيم باشا ، وكان وزيره سبع عشرة سنـة ، وكان على جـانب من الأخلاق الحسنـة والذكاء (خطط الشام ٢/٢٣٧) .

أقول : أوضح صاحب تراجم الأعيان في كتابه ١/٢٣٤ـ ٢٣٧ قصّة قتل السلطان سليمـان اثنين من أولاده ، وأربعة من أحفـاده ، وبقي ولـده الثـالث سليم ليخلفه في الحكم سنة ٩٧٤ ، قال : وكان السلطان سليمـان بن سلطان سليم ، قسم مملكته بين أولاده الثلاثة مصطفى ، وبايزيـد ، وسليم ، ووقعت حرب بين مصطفى وبايزيد ، فانكسـر بايـزيد والتجـأ إلى ملك العجم ، الشاه طهمـاسب ، فـأكـرمـه ، وجـرت مـراســلات بين طهمـاسب ، وبين السلطان سليمـان ، أدّت الى أن بعث السلطان سليمان بعثـة برئـاسة خسـروباشا لقتـل بايزيد ، ولما واجه خسرو بـاشا ، بـايزيـد ، عرف المـراد ، فاستمهـل ليصلّي ركعتين ، فخنقـه خسروبـاشا ، وهـو يصلّي ، ثم أحضروا أولاد بـايـزيـد وهم أربعـة ، فخنقـوهم معـه ، وأرسلوا جثتهم إلى السلطان سليمـان . (تــراجم الأعيان ١/٢٣٤ـ ٢٣٧) .

وفي السنـة ٩٢٣ ولي عـرش مـراكش ، أبـو العبـاس أحمـد بن محمـد السعدي الملقّب بالأعرج ، فأطاعته بـلاد السوس كلّهـا ، ثم وثب عليه أخـوه محمـد ، فـاستـولى على العـرش ، وحبس أبـا العبـاس وأولاده في السجن بمراكش ، وحدث أن قتل محمد ، فقتل من بعده أخوه أحمد ، وأولاده معه ، مخافة أن يطالب احدهم بالعرش (الأعلام ١/٢٢٣) .

وفي السنـة ٩٢٤ قتل خنقـاً في السجن ، المهدي بن أحمـد القـطبي ،

رئيس جازان ، كان قد سيّر أخاه عزّ الدين على رأس جيش لأحتلال زبيد ، فاحتلّها ، ثم كرّ عائداً على أخيه المهدي فقبض عليه ، وخنقه في السجن ، كما قتل قسماً من خواصّه وحبس الباقين . (الاعلام ٨/٢٥٦) .

وفي خلال حكم السلطان إبراهيم لودي ، سلطان الهند (٩١٥- ٩٣٢) أخذ إبراهيم يفتك بولاته وحاشيته وأقاربه ، فاضطّر اخوه جلال خان ، حاكم جادينور لمحاربته ، واستولى على مدينة أغرا (عليكرة) ، ثم وقع جلال خان أسيراً في يد السلطان إبراهيم ، فقتله في الحال (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ٣٤) .

وفي السنة ٩٣٢ وثب أبو العباس أحمد بن محمد الوطاسي ، على عمّه علي بن محمد ، فخلعه وتولّى عرش فاس مكانه ، وفي السنة ٩٥٦ هاجمه السعيديون ، واحتلّوا فاس ، وأسروه ، وأرسل إلى درعة، فقتل (الاعلام ١/٢٢٢) .

ولما مات السلطان سليم شاه (إسلام شاه) ملك الهند ، في السنة ٩٦٠، خلفه ولده ، ولكنّ خال الولد ، واسمه مبارزخان طمع في العرش ، فقتل ابن اخته ، وتولّى الحكم باسم محمد عادل شاه مبارز ولكنّ حكمه لم يدم طويلاً ، فقد ثار عليه إسكندر خان وإبراهيم خان ابنا عمّ شيرشاه فريد ، وقتله إبراهيم ، فتسلطن مكانه . (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ٦٠) .

وفي السنة ٩٦١ قتل آخر ملوك بني وطاس ، أبو الحسن علي بن محمد الوطاسي ، بويع في السنة ٩٣٢ ، ثم وثب عليه ابن أخيه ، واعتقله، وفرّ منه ، وعاد بجيش من الأتراك ، أعانوه على العودة إلى السلطان في السنة ٩٦١ ، وحشد السعدّي محمد جيشاً هاجم به فاس ، فانكسر أبو الحسن وفرّ ، فأدركه السعدي ، وقتله (الأعلام ٥/١٦٥) .

وفي السنة ٩٨٢ توفّي السلطان سليم العثماني، فخلفه ، ولده السلطان

مراد ، فكان أوّل ما صنعه أن أمر بقتل إخوته « على ما هو قاعدة سلطنتهم » وكانوا خمسة فخنقوا في الوقت ، وأمر بتجهيزهم مع والده ، فجهّزوا ، وصلّى عليهم جميعهم داخل السراي ، ودفنوا (خلاصة الأثر ٤ / ٣٤١).

ولما توفّي الشاه طهاسب ، سلطان إيران في السنة ٩٨٤، خلفه ولده الشاه إسماعيل الثاني ، فقتل جميع أخوته وأولاد عمّه ، ولم يترك منهم أحداً (تراجم الأعيان ٢ / ٥٨).

وفي السنة ٩٩٦ قتل السلطان مرتضى نظام شاه ، سلطان الدكن بالهند ، وفي السنة ٩٩٧ قتل ولده السلطان ميران حسين بن مرتضى شاه (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤٣٨ ـ ٤٣٩).

وفي السنة ١٠٠٣ توفي السلطان مراد بن السلطان سليم العثماني ، وخلفه ولده السلطان محمد ، فكان أوّل ما صنعه أن عمد إلى إخوته ، وهم تسعة عشر ولداً ذكراً ، فخنقهم بأجمعهم ، ومما يبعث على التقزّز ، أنّ المحبي الذي روى هذا الخبر ، قال في وصف السلطان محمد أنّه كان صالحاً ، عابداً ، ساعياً في إقامة الشعائر الدينية ، مراعياً لأحكام الشريعة الشريفة ، مطيعاً لأوامر الله ، مداوماً للجماعة في الأوقات الخمس (خلاصة الأثر ٤ / ٢١٦ ـ ٣٥٤).

أقول : ذكر الأستاذ جب ، في المجتمع الإسلامي والغرب ١ / ٥٤ ـ ٥٥ إنَّ السلطان العثماني محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية (٨٣٥ ـ ٨٥٦ ـ ٨٨٦) كان قد شرع آييناً أوصى بموجبه كلّ من يتسلطن من آل عثمان ، أن يقتل إخوته ، وهذا ما أوصى به : على أي واحد من أولادي تؤول اليه السلطنة، أن يقتل إخوته ، فهذا يناسب نظام العالم ، وإنَّ معظم العلماء يسمحون بذلك ، ولهذا فعليهم أن يتصرفوا بمقتضاه .

ونفّذت هذه الوصية ، وظلّت متّبعة حتى نهاية القرن السادس عشر

(الميلادي) ، حتى وضع نظام آخر ، أصبح لازماً بموجبه أن يحبس أفراد العائلة المالكة والأمراء كافة ، عدا ابناء السلطان ، في مقاصير خاصّة ، في القصر ، ويحرم عليهم كلّ إتّصال بالعالم الخارجي ، وكانوا يقضون حياتهم في صحبة عدد قليل من الخصيان والجواري والحشم ، أمّا ما يولد لهم من الأطفال، فلا يسمح لهم بالبقاء على قيد الحياة .

ولما توفّي السلطان محمد العثماني ، وتسلطن ولده السلطان أحمد في السنة ١٠١٢ كان للسلطان محمد ولد، أصغر من السلطان أحمد ، فقالوا للسلطان أحمد : لا تقتل أخاك حتى يصير لك ولد يصلح أن يكون سلطاناً .

وقال صاحب تراجم الأعيان ١/٢٢٥ وقد بلغنا في يوم تاريخه ، وهو ٩ ذي القعدة سنة ١٠١٩ أنّ أخا السلطان احمد المذكور حيّ باق ، وأنّه محفوظ في أماكن مستورة، لا يجتمع معه فيها إلّا الموكّلون بحفظه .

وكان قتل الوزراء ، ورجال الدولة ، في العهد العثماني ، من السهولة بحيث أنّ صاحب تراجم الأعيان ٢/٢٨٢-٢٨٣ روى في ثلاثة أسطر ، أنّ السلطان أحمد (١٠١٢-١٠٢٦)، قتل وزيره قاسم باشا ، وهو الذي كان قد أجلسه على سرير السلطنة ، عند موت أبيه ، واستوزر صارقجي مصطفى باشا ، ثم قتله ، واستوزر درويش باشا ، ثم قتله قتلة شنيعة .

ويكفي للإستدلال على طراز الحياة الحافلة بالقلق ، التي كان يحياها الأمراء العثمانيّون ، أن نثبت ما أورده المحبّي في خلاصة الأثر ٤/٣٦٣-٣٦٥ قال : في السنة ١٠٢٦ نصب السلطان مصطفى العثماني ، خلفاً لأخيه المتوفّى السلطان أحمد ، ثم ظهر أنّه لا يصلح للملك ، وكان ابن أخيه عثمان محبوساً ، فذهب مصطفى أغا ضابط الحرم ، إلى محبس عثمان ، وفتح عليه الأبواب ، فذعر ، وحصل له رعب ، وتخوّف أن يكون عمّه قد أرسل اليه من

يقتله ، فقال له ضابط الحرم : لا تخف ، أنت صرت سلطاناً ، فلم يصدّق ، فأخذ يحلف له ، وأخذه إلى موضع العرش ، وألبسه ثياب الملك ، وأجلسه على التخت ، وقبّل يده ، كلّ هذا حصل ، والسلطان مصطفى نائم عند والدته، ولما علم بالخبر ، وافق على خلع نفسه ، فحبس في الموضع الذي كان فيه السلطان عثمان محبوساً ، ولما قتل السلطان عثمان في السنة ١٠٣١ أعيد مصطفى للسلطنة . ثم عزل في السنة ١٠٣٢ ولم يعش بعد ذلك إلا قليلاً .

وفي السنة ١٠٢٧ خلع السلطان مصطفى العثماني ، وبويع ابن أخيه السلطان عثمان بن السلطان احمد ، وهو ابن ١٤ سنة ، وكان أوّل ما صنعه أن أمر باحضار أخيه محمد ، فأحضروه أمامه ، وكان السلطان جالساً على صفة ، وبيده كتاب يقرأ فيه ، فاستعطف الأمير أخاه السلطان ، واستحلفه بالله أن لا يدخل في دمه ، وأن لا يجعله خصمه يوم القيامة ، وقال له : أنا أقنع منك برغيف في اليوم، فما كان جوابه إلاّ أن أمر بخنق أخيه، فخنق بالوتر بين يديه ، وكان آخر ما قاله الأمير لأخيه السلطان : سلّط الله عليك من لا يرحمك ، وفي السنة ١٠٣١ هاج العساكر ، واتفقوا على قتل الوزير الأعظم دلاور باشا ، وضابط الحرم السلطاني ، والدفتردار ، ومعلّم السلطان المولى عمر ، بحجّة أنّهم الذين حرّضوا السلطان على السفر للحجّ، فامتنع السلطان عن تسليمهم ، فهجموا على دار الخلافة ، وأخرجوا السلطان مصطفى من سجنه ، وسلطنوه مجدداً ، وقتلوا الصدر الأعظم دلاور باشا ، وضابط الحرم ، وحسين باشا الصدر الأعظم السابق ، وقبضوا على السلطان عثمان ، وأحضروه أمام عمّه السلطان مصطفى ، فأمر بحبسه في يدّي قله ، ونصب السلطان مصطفى زوج أخته داود باشا ، وزيراً أعظم ، فذهب في عصر اليوم إلى يدّي قلة ، وقام بخنق السلطان عثمان ، وغسله ، وكفنه ، وصلّى عليه ، ودفنه ، وكانت سنّه عند قتله سبع عشرة سنة (خلاصة الأثر ١٠٧/٣ـ١٠٨) .

وفي السنة ١٠٣٩ وثب الشريف مسعود بن إدريس ، بمكّة ، على أميرها أحمد بن عبد المطلب ، وقتله ، واستقر في الإمرة في موضعه ، وتوفّي في السنة ١٠٤٠ (الأعلام ٨/ ١١٠).

وفي السنة ١٠٤٠ وثب الوليد بن زيدان السعدي ، من الأشراف السعديين بمراكش ، على أخيه عبد الملك ، سلطان مراكش ، فقتله ، وحلّ محلّه ،|وقتل كثيراً من أبناء عمّه الأشراف ، فقتله بعض الأتراك من جنده غيلة ، في قصره بمراكش . (الأعلام ٩/ ١٤٠).

وفي السنة ١٠٤٣ جاء إلى حلب ، السردار الأعظم محمد باشا ، يحمل مرسوماً سلطانياً ، بقتل نوغاي باشا ، فقتل ، وأرسل رأسه بلحيته البيضاء ، إلى جانب السلطنة ، وهذا الوزير ممن سبقت لهم خدم جلّى للدين والدولة ، وهو من أقدر الوزراء . (خطط الشام ٢ / ٢٦١).

وروي أنّ السلطان مراد الرابع (ت٤٩) قتل مائة ألف إنسان ، منهم خمسة وعشرون ألفاً بنفسه أو أمام عينيه . (خطط الشام ٢ / ٢٦٧).

وروي أنّ السلطان إبراهيم العثماني (قتل ١٠٥٨) بعث وراء الصدر الأعظم وأمره بتدارك حطب للقصر ، فقال له : إنّ هذا الأمر ليس من الأمور المهمة التي يقتضي عليه أن يفكر فيها ، وأن يبعث وراءه من أجلها ، فأمر به فقتل . (خطط الشام ٢ / ٢٦٩).

ولما بويع السلطان محمد الرابع بالسلطنة سنة ١٠٥٨ أراد أن يقتل شقيقيه، سليمان وأحمد ، فمنعته والدته ، وحال المفتي الأعظم بينه وبين قتلهما، وبذلك انقضى دور قتل أبناء ملوك آل عثمان (خطط الشام ٢ / ٢٧٣).

وفي السنة ١٠٦٤ قتل محمد بن زيدان السعدي ، من ملوك الأشراف السعديّين بمراكش ، وكان قد ثار مع أخيه الوليد ، على أخيهما عبد الملك،

فقاتلهما ، وهزمهما ، ولما مات عبد الملك ، تسلطن الوليد ، فسجن أخاه محمداً ، ولما قتل الوليد ، أخرج محمد من السجن ، وبويع بالسلطنة، ثم قامت عليه الثورات ، وتقلّصت رقعة حكمه ، فلم يبق له غير مراكش وبعض أعمالها ، ثم قتل بمراكش . (الأعلام ٣٦٨/٦) .

وكان سلطان الهند ، أورنك زيب عالمكير محيي الدين أعظم شاه (١٠٦٨ـ ١١١٩) سيّء الظنّ بالناس جميعاً ، ولم يسلم من سوء ظنّه حتى أولاده ، وقد سجن ولده الأكبر ، حتى مات في سجنه ، كما سجن ولده الثاني معظّم شاه ستّ سنوات ، وكان قد سيّره على رأس جيش لحرب أمراء الدكن ، فعرض صاحب الدكن الأمير أبو الحسن الاستسلام ، وكتب معظّم شاه إلى أبيه ، يشير عليه بأن لا يفرض عليه شر وطاً ثقيلة ، فارتاب الأب به ، وطلبه للحضور، فحضر، فحبسه ست سنوات (الإسلام والدول الاسلامية في الهند ١٢٤ـ ١٤٥ـ ١٥٥) .

ولما تسلطن أورنك زيب ، عالمكير محيي الدين اعظم شاه (١٠٦٨ـ ١١١٩) في الهند ،سيّر جيشاً إلى لاهور ، لمحاربة أخيه دارا ، وجيء به إليه أسيراً فاجتمع « الفقهاء » في سراي الملك ، وأفتوا بكفر دارا ، لخروجه على أخيه ، وحكم باعدامه ، وقطعت رأسه ، وحملت إلى أخيه (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١١٤) .

ولما حارب أورنك زيب ، عالمكير محيي الدين أعظم شاه (١٠٦٨ـ ١١١٩) سلطان الهند ، أخاه دارا ، واعتقله ، وقتله ، قبض على ابن دارا ، واعتقله في سجن كواليور ، وكان يرغم على تعاطي كمّيات كبيرة من الأفيون ، في صباح كلّ يوم ، قبل الطعام ، مما عجّل بموته (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١١٤) .

وفي السنة ١٠٦٩ (١٦٥٩ م) سيّر السلطان أورنك زيب ، عالمكير

محيي الدين أعظم شاه سلطان الهند (١٠٦٨- ١١١٩) جيشاً لطرد أخيه شوجاه من الله أباد وبنارس ، ونشبت بين الجيشين معركة عنيفة ، فانكسر شوجاه ، وتراجع نحو البنغال ، فسيّر وراءه ابنه محمد سلطان لطرده من البنغال ، فانضمّ محمد سلطان إلى عمّه شوجاه ، وتزوّج ابنته ، ولكنّه عاد الى أبيه نادماً مستغفراً ، فلم يصفح عنه أبوه ، واعتقله ، وسيّره الى سجن كواليور ، حيث لاقى حتفه (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١١٥).

وفي السنة ١٠٦٩ قتل أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ ، آخر سلاطين السعيديّين بالمغرب ، وكان قد خلف أباه في السنة ١٠٦٤ في حكم مراكش، فوثب عليه أخواله المعروفون بالشبانات ، وحاصروه في مراكش فأشارت عليه أمّه أن يذهب إليهم بنفسه لمصالحتهم، فلما وصل إليهم قتلوه . (الأعلام ١/٢٢٧).

وفي السنة ١١٣١ بويع بعمان للإمام مهنا بن سلطان بن ماجد ، فخرج عليه يعرب بن بلعرب ، وقبض عليه ، وقتله (الإسلام ٨/٢٦٢).

وفي السنة ١١٤١ توفّي السلطان أبو العباس أحمد بن إسماعيل الحسني السجلماسي، وهو من سلاطين دولة الأشراف العلويّين في إفريقية ، وكان قد أمر بأخيه المسجون عنده ، بأن يخنق ، فخنق ، ومات أبو العباس بعده بثلاثة أيّام . (الاعلام ١/٩٥).

وفي السنة ١١٥٢ (١٧٤٤ م) قام يونس بن علي باشا ، بقطع عنق أمير تونس الحسين بن علي ، عمّ والده علي باشا ، وتفصيل ذلك : إنَّ الأمير حسين بن علي ، كان يحكم تونس منذ السنة ١١١٧ (١٧٠٥ م) ، ولم يكن له ولد يرث عرشه ، فأعلن علي باي ، ابن أخيه ، وارثاً لعرشه ، ثم ولد له بعد ذلك ولد ، سماه محمداً، ورتّبه ولي عهده ، وطلب لعلي باي، لقب باشا ، وأن يمثّل الباب العالي (السلطان التركي) في تونس ، فثار علي باي

في السنة ١١٤٨ (١٧٣٥ م) على عمّه ، وحاربه، ولكنّ العمّ انتصر، وفرّ على باي ، إلى ابراهيم باشا ، أمير الجزائر ، فحبسه الباشا عنده ، مقابل هديّة يؤدّيها حاكم تونس ، إلى الباشا حاكم الجزائر ، مقدارها عشرة آلاف سكّة ذهب في كلّ سنة ، وبعد سنوات قطع أمر تونس إرسال الهدية السنوية ، فقام باشا الجزائر ، باطلاق علي باي، وأعانه بالمال والسلاح ، فدخل مع عمّه في معركة كانت عاقبتها أن انكسر العم حسين بن علي في السنة ١١٥٢ (١٧٤٤ م) وقتل ، وقام يونس بن علي باي ، بقطع عنقه ، ونصب علي باي حاكماً لتونس ، باسم علي باشا ، ولكنه لم ينعم بالحكم ، فإنّ ولده يونس ثار عليه ، وحاربه ، فتدخّل الجيش الجزائري وأسر يونس ، وأعدم علي باشا ، ونصب لإمارة تونس الأمير محمد بن الحسين بن علي ، صاحب تونس قبلاً ، واعترف محمد بتابعيته لباشا الجزائر (مذكرات الزهار ص ١٧ و٢٠ و٢١).

وذكر صاحب الاعلام ٥/١٦٩ خبر مقتل علي باشا كما يلي : في السنة ١١٦٩ قتل بأي تونس ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي تركي ، وكان قد ثار على عمه الباي حسين بن عليّ ، واستعان بصاحب الجزائر ، فقتل عمّه في السنة ١١٥٣ ، واستولى على الحكم ، ولكنّ أولاد عمّه الباي المقتول ، استعانوا بجيش حاصروا به تونس ، وأسروا عليّاً ، وقتلوه في الأسر .

وروى لنا الرحالة الدانمركي نيبور ، قصة المير مهنا ، حاكم بندريق ، وريق هذه بليدة تقع شمالي مدينة بو شهر ، إلى الجانب الشرقي من خليج البصرة ، كان يحكمها المير ناصر ، من بني صعب ، من أصل عماني ، فتآمر على المير ناصر ، ولده مهنّا ، في السنة ١١٦٨ (١٧٥٤ م) واعتقله ، وأمر به فقتل بمحضر منه ، وكان ذنب الأب ، أنّه كان يميل إلى ولده الأكبر المير حسن ، ثم قتل مهنّا أمّه ، لأنّها عنفّته على ما ارتكب من جرائم، ثم أمر بذبح أخيه المير حسن ، وذبح معه ستّة عشر رجلاً من أقاربه ، كيلا يبقى له معارض في السلطان ، وأغرق أختيه ، لأنّ أميراً من جيرانه خطب إحداهما ،

كما أنه كان يئد كافة البنات اللاتي يولدن له ، وكان عظيم القسوة في تعذيب رعاياه بجدع أنوفهم ، وصلم آذانهم ، وقد قامت ضده ثورة في السنة ١١٨٣ (١٧٦٩ م) ففرّ إلى البصرة، حيث لاقى فيها مصرعه (رحلة نيبور ٢/١٤٥ـ ١٤٩ وبحوث المؤتمر الدولي ٦٥٩ـ ٦٧٨).

وفي السنة ١٢٠١ هلك باليمن ، إبراهيم بن محمد ، وكان قد حاول أن يغتال أمير صنعاء ، أخاه أحمد بن محمد ، ففشل ، وحبسه أخوه خمسة عشر عاماً ، ولما توفّي أخوه احمد ، قام بالإمارة أخوه عبد القادر ، فأرسل إليه إبراهيم من قتله ، في السنة ١١٩٢، واستولى على الإمارة. (الاعلام ١/٦٥).

وفي السنة ١٢٠٦ ثار المولى هشام بن محمد الحسني ، من أمراء الدولة السجلماسية العلويّة بالمغرب الأقصى، على أخيه المولى يزيد ، وقتله في إحدى المعارك (الأعلام ٩/٨٨).

وكان صالح باي ، صاحب قسنطينة ، قد شكا في حينه من تصرّفات الخزناجي ، فغضب الأمير محمد باشا ، صاحب الجزائر، على الخزناجي ، وقتله ، وكان للخزناجي ابنتان ، واحدة تحت حسن وكيل الخرج ، والثانية تحت الخزندار ، فحقدتا على صالح باي ، ولما تولّى حسن وكيل الخرج ، إمارة الجزائر . باسم حسن باشا ، الحّت زوجته عليه في قتل صالح باي ، فأمر حسن باشا بحبسه ، فحبس في السنة ١٢٠٦ (١٧٩١ م) ونصب بدلاً منه قائد سباو ، باياً لقسنطينة ، فلما وصل الباي الجديد لقسنطينة ، ثار جماعة صالح باي ، وكسروا باب الحبس وأطلقوه ، وقتلوا الباي الجديد وجميع أتباعه ، ولما بلغ حسن باشا الخبر ، بعث جنداً إلى قسنطينة ، فقتلوا صالح باي ، وحلّ محلّه الوزناجي باي تيطري (مذكرات الزهار ٦٥).

وفي السنة ١٢١٤ (١٧٩٩ م) ثار رجل من الأتراك ، اسمه والي خوجة ، على مصطفى باشا ، أمير الجزائر ، واحتّل دار الإمارة ، واستولى

أتباعه على السلاح الموجود فيها ، وأخذ أصحابه يرمون الناس ، وأتباع الباشا بالبنادق ، فنقب عليهم أصحاب الوالي مصطفى باشا أحد حيطان دار الإمارة ، ووصلوا إلى الثوار ، فقتلوهم جميعاً (مذكرات الزهار ٨٠ و٨١) .

وفي السنة ١٢١٥ (١٨٠٠ م) حدّثت علي خواجة نفسه بأن يصبح أميراً على الجزائر ، وكان علي خواجة رجلاً صوفياً ، يلازم في جميع أوقاته التلفّظ بكلمة : الحقّ ، يريد به الله سبحانه وتعالى ، وفي أحد الأيّام ، جاء علي خواجة هذا ، وبيده قصبة خضراء ، وهو يقول : الحقّ ، فدخل إلى دار الملك ، ولم يردّه أحد من الحراس ، فقصد إلى سرير الوالي ، وصادف الخزناجي ، فضربه بالقصبة ، فجرحه في وجهه ويده ، وإذا في القصبة نصل حادّ قاطع ، فلحق به وكيل الخرج وغيره ، وقتلوه ، ولم يكن معه أحد ، وبعد قتله سحبوه إلى خارج دار الملك وألقوه عند الباب (مذكرات الزهار ٨١ و٨٢) .

وفي السنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) ثار ابن الأحرش ، على حكّام الجزائر الأتراك ، ودعا إلى نفسه ، وأعلن أنّ الحكم يجب أن يكون للعرب ، فتبعه جمع من العرب والبربر ، وكان على قسطينية الباي الانكليز ، فقارعه ، فانهزم الباي ، فنصب مصطفى باشا ، أمير الجزائر ، عثمان باي بن صالح باي ، على قسطينة ، واشتبك مع ابن الأحرش في معركة ، فقتل عثمان باي ، وتمزّق جيشه ، فنصب الباشا مكانه عبدالله قائد الخشنة ، باياً على قسنطينة ، وعبدالله هذا زوج الدايخة بنت شيخ العرب بقسنطينة ، فالتّف العرب حول عبد الله باي ، وتمزّق عسكر ابن الأحرش ، ففّر ، وأمسك به الثائر الشريف الدرقاوي ، وقتله (مذكرات الزهار ٨٦ و٨٧) .

وفي السنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) وقعت معركة بين جند الجزائر بقيادة حسن أغا ، وولد صالح باي قسنطينية ، وبين جند تونس ، فانكسر جند الجزائر ، واتّهم حسن أغا ، ولد صالح باي ، بأنّه السبب في الهزيمة ،وكان

في قسنطينة تركي اسمه أحمد شاوش ، فثار على السلطة ، وقتل ولد صالح باي ، وحسن أغا ، وصهراً للأمير ، ونصب أحد أتباعه ، وآسمه طوبال أحمد ، باياً على قسنطينة ، ثم قصد الجزائر لخلع أميرها أحمد باشا ، فكاتب أحمد باشا ، طوبال أحمد ، وأغراه بقتل سيّده أحمد شاوش ، لقاء بقائه باياً على قسنطينة ، فدخل طوبال أحمد ، على سيّده أحمد شاوش ، ليحيّيه تحيّة الصباح ، وقتله (مذكرات الزهار ٩٧ و٩٨) .

وفي السنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) ثار العسكر في الجزائر ، على مصطفى باشا ، أمير الجزائر (١٢١٢ ـ ١٢٢٢) (١٧٩٧ ـ ١٨٠٧ م) ففرّ منهم هو والخزناجي ، وقصدا ضريح الولي سيدي ولي داده العجمي ، ليحتميا به ، فلما وصلا إليه ، وجدا بابه مغلقاً ، فكرّا عائدين ، فقتلا في الطريق (مذكرات الزهار ٨٩) .

وفي السنة ١٢٢٣ (١٨٠٨ م) اتّفق العسكر في الجزائر ، وثاروا على أميرها أحمد باشا ، ففرّ منهم ، ولحقوا به قرب مخزن العشور ، فقطعوا رأسه ، وسحبوه إلى السرّاجين ، وولّوا مكانه علي باشا (مذكرات الزهار ٩٨ و٩٩) .

وفي السنة ١٢٢٣ أحّس الانكشارية ، بأنّ السلطان سليم الثالث ينوي الحدّ من سلطانهم ، فخلعوه ، وبايعوا مصطفى خان بن عبد الحميد الأوّل فلما تسلطن ألغى كلّ ما أحدثه السلطان سليم الثالث من الإصلاحات ، فقدم مصطفى باشا معونة للسلطان سليم ، وأحاط بعساكره قصر السلطان ، وطالب بإطلاق السلطان سليم ، وعندئذ عمد مصطفى خان إلى قتل السلطان سليم ، وحاول أن يقتل أخاه محموداً ، فلم يتمكّن ، لأنّ غلمان محمود حاربوا دفاعاً عنه ، ودخل مصطفى باشا القصر عنوة ، فوجد السلطان سليم قتيلاً ، فخلع السلطان مصطفى ، ونصب السلطان محمود بن عبد الحميد الأوّل ، فأمر السلطان محمود بقتل أخيه السلطان مصطفى ، فقتل (اعيان القرن الثالث عشر ١٠١ و١٠٢) .

وفي السنة ١٢٢٩ قتل باي تونس الأمير عثمان بن علي التركي ، قتله ابن عمه محمود بن محمد ، واستقرّ في موضعه (معجم انساب الاسر الحاكمة ١٣١) .

وفي السنة ١٢٣٠ (١٨١٤م) أسرف الحاج علي باشا ، أمير الجزائر ، في قتل الناس ، فقتل جمعاً من كبراء اليهود ، لأنّهم لبسوا ألبسة خضراء ، وأحرق بعضهم ، متّهماً إيّاهم بأنّهم أكلوا أموال الناس ، وألزم أقاربهم بسداد الأموال ، وقتل وليد جحظوم ، وابن صيام ، وابن اللمداني ، اتّهمهم بأنّهم كانوا من أصحاب محمد باي وهران ، وقتل رجلاً غريباً من القدس ، وقتل الباي باري ، صهر أحمد باشا ، وقتل ترجمانه أيضاً ، فاتّفق عمر أغا ، مع وكيل الخرج عبد الله ، على قتل الحاج علي باشا ، وانتظر وكيل الخرج حتى دخل الباشا الحمّام ، فأغلق عليه الباب ، وأمر موقد نيران الحمّام ، بأن يبالغ في الوقود ، فاشتدّ الأمر على الأمير ، وأخذ ينادي ويطرق الباب داخل الحمّام ، ولا يجيبه أحد ، حتى أغمي عليه ، فدخل عليه وكيل الخيرج وذبحه (مذكرات الزهار ١١١ ، ١١٢) .

وفي السنة ١٢٣٠ قتل أمير الجزائر عثمان باشا بن علي بن حسين (١١٧٦ - ١٢٣٠) وقتل معه ولداه صالح باي وعلي باي ، قتله أولاد عمّه ، وخلفه أحدهم محمود باشا بن محمد بن حسين (أعيان القرن الثالث عشر ٢٦٢).

وفي السنة ١٢٤٤ (١٨٢٨ م) تآمر قسم من خوجات الترك ، على قتل حسين باشا ، أمير الجزائر ، ونصب مصطفى خوجه بدلاً منه ، وتعاهدوا على ذلك في ضريح سيدي بنور ، بجبل بوزريعة ، على أن يتّم ذلك يوم عيد

الأضحى ، إذا دخلوا على الأمير ليهنّوه بالعيد ، وكان الموكّل بالضـريح تـركياً أعمى ، فأخبر الباشا بما تعاقدوا عليه ، فأرسل الباشا في ليلة العيـد ، واعتقل مصطفى خوجه ، وقتله ، وفي الغد قتل لقمان خوجه ، وابراهيم الدخـاخني ، وقبض على الأعمى الـذي أخبـره بـالمؤامـرة ، ونفــاه إلى قـريــة من القـرى (مذكرات الزهار ١٦٩) .

وفي السنة ١٢٤٩ قتل مشاري بن عبد الـرحمن ، من آل سعود ، وكـان الإمام تركي بن عبد الله خالـه ، وقـد آستقام أمره على نجـد كلّهـا ، فنصب مشاري ابن أخته أميراً على منفوحة ، وفي السنة ١٢٤٥ تعـاقد مـع أناس على قتل خاله ، فبلغ خاله ذلك ، فـأعاده إلى الـرياض ، وأبقـاه عنده مكـرماً ، ثم طاف مشاري بزعماء مطير والقصيم وعنزة ، يطلب عـونهم للقيام على خـاله ، فأبوا ، وقصد شريف مكّة لعين الغرض فأبى ، فعاد واستغفر خالـه فغفر لـه ، ثم عيّن على خاله شخصاً رصده حتى خرج من صلاة الجمعـة في الريـاض ، فـأطلق عليه النـار ، فقتله ، واستولى مشـاري على الحكم ، ولم يمتّع بـه إلاّ أربعين يوماً ، فإنّ كلمة أهـل نجد اجتمعت على فيصـل بن تركي ، وكـان في الاحساء ، فاقبل ألى الرياض ، وقاتـل مشاريـاً ، فاستسلم ، وقتل مشـاري مع الاشخاص الذين أعانوه على اغتيـال خالـه ، وهم خمسة . (الاعلام ٨/١٢٦ و١٢٧) .

وفي السنــة ١٢٨٢ (١٨٦٦م)، قتــل ثــويني بـن سعيــد بن سـلطان البوسعيدي ـ ملك عمـان ومسقط ، وليها خلفاً لأبيه في السنـة ١٢٧٣ ، قتله ولده سالم برصاصة ، طمعاً في الملك (الأعلام ٢ / ٨٩).

وكان بندر وبدر ولدا طلال بن عبد الله ، من آل الرشيد ، قتلا في السنة ١٢٨٥ عمّهمـا أمير حـائل متعب بن عبـد الله الـرشيـد ، فلمـا استـولى أخـوه محمد بن عبد الله في السنـة ١٢٨٨ على الحكم ، قتل خمسـة من أولاد أخيه

طلال ، من بينهم بندر وبدر ، قاتلي عمّهما متعب ، وترك أخاً سادساً لهم إسمه نايف ، لصغر سنّه . (الاعلام ١٢٢/٧) .

وفي السنة ١٣١٣ قام مبارك الصباح العنزي ، بقتل أخويه محمد وجراح ولدي صباح ، وتأمّر في موضعهما . (الاعلام ١٤٩/٦ و١٥٠) .

وفي السنة ١٣١٥ قُتل الشيخ مزعل بن جابر الكعبي ، أمير المحمّرة ، في منطقة الأهواز . على باب قصره ، قتله أخوه الشيخ خزعل ، وتولّى الإمارة من بعده (الاعلام ٢ / ٣٥٠) .

أقول : مات الشيخ خزعل في السنة ١٣٥٥ ، في طهران ، معتقلاً ، بعد أن اختطف من المحمّرة ، واعترف أحد الأطبّاء ، بأنّه قتله بأن دسّ في أحدى أذنيه دبوساً طويلاً خرق دماغه . فقتله .

وفي السنة ١٣١٥ مات أمير حائل ، محمد بن عبد الله الرشيد ، فخلفه ابن أخيه عبد العزيز بن متعب ، وقتل عبد العزيز ستة ١٣٢٤ فخلفه ولده متعب ، فأقام سنة ، وقتله سلطان بن حمود بن عبيد بن علي الرشيد ، سنة ١٣٢٤ ، وطرد سلطان من الإمارة بعد شهور ، فخلفه أخوه سعود بن حمود ، فثار عليه حمود بن سبهان ، وأجلس على كرسي الإمارة ، سعود بن عبد العزيز بن متعب سنة ١٣٢٦ ، وقام على هذا أحد أخواله : سعود السبهان ، وقتله في السنة ١٣٣٢ ، وكان آخر أمراء آل رشيد محمد بن طلال ، وعلى يده انقرضت الامارة في السنة ١٣٤١ (الاعلام ١٢٢/٧) .

وذكر صاحب مجلة لغة العرب البغدادية ، أنّه في السنة ١٣٤٥ (١٩٢٦ م) بينما كان الأمير سلطان بن نايف ، أمير دبيّ ، يتعشّى ومعه أصغر أولاده ، فهجم عليه أخوه صقر بن نايف ، وأطلق عليه الرصاص فأراده قتيلاً ، وأراد الولد الصغير أن يفرّ ، فعاجله عمّه صقر بضربة خنجر ، صرعته قتيلاً ، واستولى صقر على الإمارة من بعده ، وكان القتيل سلطان سبق له أن

قتل أخاه حمدان في السنة ١٣٤١ (١٩٢٢ م) واستقرّ بدلاً منه في إمارة دبيّ (مجلة لغة العرب البغدادية ج ٥ سنة ٤).

وفي السنة ١٣٦٧ (١٩٤٨ م) اغتيل إمام اليمن المتوكّل على الله يحيى حميد الدين ، ومعه رئيس وزرائه القاضي العمري ، تآمر عليه ولده إبراهيم ، ومستشاره عبد الله بن أحمد المعروف بابن الوزير. مع آخرين، وبعثوا له من تصدّى لسيّارته خارج صنعاء بسيارة تحمل مدفعين رشّاشين ، وخمس عشرة بندقية ، فقتلوا من كان في السيّارة ، وكان الإمام يحيى في الثمانين من عمره . (الاعلام ٩/٢١٥ و٢١٦) .

وفي السنة ١٣٧٧ (١٩٥٨ م) قامت فئة من الضّباط في العراق ، بعملية إبادة للعائلة المالكة ، إذ حصروا قصرهم في وقت الفجر وأنزلوا الملك الشاب فيصل الثاني ، وخاله الأمير عبد الإله ، والملكة العجوز نفيسة ، أمّ عبد الإله، وجدّة الملك فيصل ، وابنتها الأميرة عابدية وكانوا جميعاً في ثياب النوم ، وضمّوا أليهم جميع خدم القصر وخادماته حتى الطبّاخ التركي . ثم وجّهوا إلى الجميع نيران الرشّاشات، فقتلوهم، وأفلت من الجميع طفل يتيم اسمه جعفر ، كانت الأميرة عابدية تقوم بتربيته ، وأراد أن يلتجيء إلى زاوية من زوايا القصر ، فعاجلوه برصاص رشاشاتهم فقتلوه . (اسرار مقتل العائلة الحاكمة في العراق ١٢٧ ـ ١٣٢) .

المبحث السادس

التوسيط

وفي القرن الثاني للهجرة ، ظهرت عقوبة القتل بالتوسيط ، أي ضرب الإنسان من وسطه بالسيف ، وقطعه إلى قطعتين ، ثم طوّره السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥- ٧٥٢) فكان يقتل الرجل ، بقطعه إلى ثلاث قطع ، الرأس ، والصدر ، والبطن مع الساقين (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٨٥).

وفي السنة ١٠٩ قدم مرو ، أبو محمد زياد مولى همدان ، الداعية العبّاسي ، وجعل يطعم الطعام ، ويدعو إلى بني العباس ، فأحضره اسد القسري عامل خراسان ، وأحضر معه آخرين من أصحابه ، وعرض عليهم البراءة (يريد البراءة من عليّ) فتبرّأ اثنان فتركا ، وأبى البراءة ثمانية منهم فقتلوا ، ونجا اثنان كانا غلامين ، ولما قدّم زياد للقتل ، أمر أسد أن يقطّ وسطه، فمدّ بين اثنين ، وضرب ، فنبا السيف ، فكبّر أهل السوق ، فقال أسد : ما هذا ؟ فقيل له : لم يحك السيف فيه ، فأعطاهم سيفاً من عنده ، وأخرج زياد في سراويل ، واجتمع عليه الناس ، فضرب، فنبا السيف ، ثم ضرب ثالثاً ، فقطعه إلى نصفين ، ولما كان من الغد ، جاء أحد الغلامين ، وسأل اسداً أن يلحقه بأصحابه ، فدعا أسد بسيف بخار خداه ، فضرب عنقه بيده ، وذلك قبل الأضحى بأربعة أيّام (الطبري ٧/ ٥٠ وابن الأثير ٥/ ١٤٤).

وفي السنة ١٦٧ أحضر المهدي العباسي ، صالح بن عبد القدّوس، متّهماً بالزندقة ، وضربه بالسيف ، فقدّه نصفين ، وعلّقه ببغداد (الأعلام ٣/٢٧٧).

أقول : صالح بن عبد القدّوس البصري ، مولى الأزد ، شاعر ، أديب ، محدّث ، واعظ، قاصّ ، كان يعظ بالبصرة ويقصّ ، أحضره المهدي في السنة ١٦٧ وكان شيخاً كبيراً ، فوجّه إليه تهمة الزندقة ، هذه التهمة التي ذكرنا في موضع آخر انّها التهمة التي كان المسلّطون يلجأون إليها ليتّخذوا منها سبباً لقتل من أرادوا قتله من أنصار حرّية الرأي ، فقال صالح للمهدي : يا أمير المؤمنين ، ما أشركت بالله طرفة عين فاتق الله ، ولا تسفك دمي على الشبهة ، وقد قال النبي ﷺ : ادرأو الحدود بالشبهات ، وجعل يتلو عليه القرآن ، حتى رقّ له ، وأمر بتخليته ، فلما ولّى ، قال له : ألستَ القائل :

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى غيّه كذى الضنى صار إلى نكسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : فأنت لا تترك أخلاقك، ونحن نحكم فيك بحكمك على نفسك ، وضربه بالسيف فقدّه نصفين ، وصلبه ببغداد ، فانظر رحمك الله إلى هذه الحجّة التافهة التي احتجّ بها المهدي ، على هذا الشيخ حتى قتله ظلماً ، للتفصيل راجع وفيات الأعيان ٢/٣٠٣ وفوات الوفيات ٢/١١٦ وميزان الاعتدال ٢/٢٩٧ وتاريخ بغداد للخطيب ٩/٣٠٣ ، وصالح بن عبد القدوس هو صاحب البيت الذي أصبح مثلاً سائراً ، وهو قوله :

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ولما حصل الصلح بين جيش بغداد وجيش سامراء ، في السنة ٢٥١ وخلع المستعين نفسه ، وبايع المعتز ، إنفصل شريح الحبشي في عدّة من الحبشة ، فقطع الطريق ما بين واسط وناحية الأهواز والجبل ، وحدث أن نزل

في قرية ومعه خمسة عشر رجلاً من اتباعه ، وشربوا الخمر وسكروا ، فوثب عليهم أهل القرية، فكتّفوهم ، وحملوهم إلى واسط ، ثم إلى بغداد ، ثم إلى سامراء ، فلما وصلوا إلى سامراء ، قام بايكباك إلى شريح ، فوسّطه بالسيف ، وصلبه على خشبة بابك ، وضرب أصحابه بالسياط ما بين الخمسمائة إلى الألف سوط (الطبري ٩/٣٥٤).

وفي السنة **٣٣٢** قبض أبو العباس اشكورج الديلمي ، صاحب الشرطة ببغداد ، على ابن حمدي اللصّ البغدادي الشهير ، وقتله توسيطاً ، وأشهره موسّطاً على الجسر (الأوراق للصولي **٢٥٩** والتكملة **١٣٨** وتجارب الأمم **١/٥٥** وتاريخ الخلفاء **٣٩٦**).

أقول : كان أوّل ظهور ابن حمدي في السنة **٣٣٢** وكان حمّالاً بناحية سوق الحديد ، باب درب الشوك ، بحضرة المزمّلة ، ثم أحترف اللصوصية ببغداد ، وأخذ يقطع طريق واسط ، في موضع قريب من بغداد ، فاضطّر أبو جعفر بن شيرزاد ، إلى أن يولّيه طريق واسط ، وخلع عليه (الأوراق **٢٥٠**) وكانت في ابن حمدي ، فتوّة وظرف ، إذ لم يكن يعرض لأصحاب البضائع اليسيرة التي تكون دون ألف درهم ، وإذا أخذ من ضعيف الحال شيئاً قاسمه عليه ، وترك له شطر المال ، واشتهر عنه إنّه لا يفتّش امرأة ، ولا يسلبها ، وروى لنا القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة ، في القصة رقم **٤٥٠** قصّة تاجر بغداديّ خرج بمتاع له إلى واسط ، فقطع ابن حمدي عليه ، وعلى الكار الذي كان فيه ، والكار : القافلة من السفن تسير مجتمعة ، وسلب متاعه ، فطرح التاجر نفسه على ابن حمدي ، وخاطبه ، ورققه ، فقاسمه ما أخذ منه ، ثم بذرقه، وأوصله إلى مأمنه ، ثم إنَّ أبا جعفر بن شيرزاد خلع على ابن حمدي وأثبته برسم الجند ، ووافقه على أن يؤدّي للسلطان في كلّ شهر خمسة عشر ألف دينار ، مما يسرقه هو وأصحابه ، وأخذ خطّه بذلك ، وكان يستوفيها منه ، ويأخذ البراءات ، وروزات الجهبذ ، أي الوصولات الرسمية

(تجارب الأمم ١ /٥٢) وكان ابن شيرزاد يستعين به في سلب أموال الناس ، إذ بلغه خبر خزانة لأبي الحسين علي بن محمد بن مقلة ، بناحية سوق العطش ، فوجّه اليها ابن حمدي ، فأخذ جميع ما فيها ، ثم عمد ابن حمدي الى دار ابن مقلة بمربعة أبي عبيدالله ، فأخذ جميع ما فيها (الأوراق ٢٥٦) وكان أبو العباس اشكورج الديلمي ، صاحب الشرطة ببغداد ، قد اصطنع ابن حمدي ، وأمّل أن يرتدع ، ويقصر ، وأن يعرف به جميع المتلصّصة ، فكان ابن حمدي يرسل أصحابه على الناس ، فكانت لهم في كلّ يوم حادثة عظيمة ، وكبس ، وغارة على الأموال ، ووقف اشكورج على أنّ ابن حمدي أصل ذلك كلّه ، وكلّم الأمير توزون ، أمير الأمراء ، بشأنه ، فأحضره في داره ، وأمر به ، فضرب وسطه ، أي قتل توسيطاً ، في دار الأمير توزون ، وحمل الى الجسر على جمل ، ونودي عليه : هذا ابن حمدي اللصّ ، فاعرفوه (الأوراق ٢٥٩) فخفّ مكروه اللصوص عن الناس ، وانقطع شرهم ، بعد أن كانوا يتحارسون بالبوقات ، وقد امتنع عنهم النوم خوفاً من كبساته (تجارب الأمم ٢ /٥٥) .

وروي إنَّ غلاماً للأمير سنكلو التركي ، قائد الأتراك في جيش عضد الدولة البويهي ، أخذ من أحد الفلاّحين بطيخاً على قارعة الطريق ، ولم يؤدّ اليه ثمنه ، وانتهى الخبر إلى عضد الدولة ، فطلب الغلام ، فأخفاه سيّده القائد ، رجاء أن يسكن غضب السلطان ، فاستدعى عضد الدولة الأمير سنكلو ، وأقسم لئن لم يحضر الغلام ، فسيعاقبه بدلاً منه ، فملكه الرعب ، وأحضر الغلام ، فأمر به عضد الدولة ، فوسّط بالسيف ، وأجري الفرس بين شلويه ، على سنّة لهم في القتل (ذيل تجارب الأمم ٥١) .

وفي السنة ٣٩٠ قتل الحاكم الفاطمي ، الوزير حسن بن عمّار ، بأن أمر به فقطع الى ثلاث قطع (النجوم الزاهرة ٥٦) .

وفي السنة ٤٩٢ أخذ بسمرقند ، سيّد بغداد ، الأطهر بن محمد بن زيد

الحسني ، وقدّ نصفين ، وعلّق في السوق ، وأخذت أمواله ، وحريمه وخدمه (الوافي بالوفيات ٩/٢٨٩) .

أقول : أحسب أنّ هذا الشريف العلوي ، هو الذي ذكر ابن الأثير في تاريخه خبر مقتله، وسمّاه الأشرف بن محمد بن أبي شجاع العلويّ السمرقندي ، قال : ان سمرقند كانت في يد أرسلان محمد بن سليمان بن داود ، وخرج عليه قدرخان ، فانتزعها منه ، ثم طمع قدرخان في خراسان ، فقصدها بجيشه ، فتصدّى له السلطان سنجر ، وحاربه ، وقتله ، وأعاد ارسلان محمد إلى سلطنة سمرقند ، فظلم وجار ، فقصده السلطان سنجر ، لطرده من سمرقند ، فاستعطفه أرسلان محمد ، وتعهّد بأن يحسن معاملة رعاياه فعاد عنه ، ثم أصيب أرسلان محمد بفالج ، فأناب عنه ولده نصراً ، فحسّن السيد العلوي الأشرف بن محمد بن أبي شجاع السمرقندي، للأمير نصر ، ان يتولّى حكم البلد بدلاً من أبيه ، وبلغ الأب الخبر، فقتل ولده نصراً وقتل العلوي معه ، واستمرّ على سيرته السيئة في سمرقند ، فقصده السلطان سنجر ، وحصره ، وأعتقله، ثم بعث به الى ابنته وهي زوجة السلطان سنجر ، فأبقاه عندها حتى مات، راجع ابن الأثير ١٠/٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٦٦١، ٦٦٢، و ١١/٨٢-٨٣ ومعجم أنساب الأسر الحاكمة ٣١٣) .

وفي السنة ٤٧٩ فتح السلطان ملك شاه السلجوقي ، قلعة جعبر ، وقبض على صاحبها واسمه سابق ، وأرادوا قتله بالسيف ، فوقعت عليه زوجته ، وقالت : لا أفارقه أو تقتلوني معه ، فألقوه من أعلى السور ، فتكسّر ، ثم ضرب بالسيف فقدّ الى نصفين ، فألقت زوجته نفسها وراءه ، فسلمت ، وقال لها السلطان : ما حملك على هذا ؟ فقالت : إنّا قوم لم يتحدّث عنا بالخنا ، فخفت أن يخلو بي الترك في القلعة، فيقول الناس ما شاءوا، فاستحسن ذلك منها (التنظيم ٩/٢٨) .

أقول : اقتصر ابن الأثير ١٠/١٤٩ وأبو الفداء ٢/١٩٧ على ذكر فتح

السلطان ملك شاه قلعة جعبر ، واسمها الدوسرية ، ثم عرفت بقلعة جعبر لطول مدة ملك جعبر لها ، وكان صاحبها سابق الدين جعبر القشيري وهو شيخ اعمى ، وله ولدان يقطعان الطريق ويخيفان السبيل ، وكانت الأذية بهم عظيمة .

وفي السنة ٤٩٣ كان السلطان بركياروق السلجوقي بواسط ، وظلم عسكره الناس ، ونهبوا البلاد ، ووثب على السلطان قوم ليقتلوه ، فأخذوا ، وأحضروا بين يديه ، فاعترفوا بأنّ الأمير سرمز ، شحنة إصبهان ، وضعهم على قتله ، فأمر السلطان برئيسهم، فبطح ، وضربه ، بالسيف فقسمه نصفين (المنتظم ٩/١١١ وابن الأثير ١٠/٢٩٣).

وفي السنة ٥٤٢ عصى الأمير بزبه صاحب إصبهان، على السلطان مسعود ، وحاربه ، وأسر بزبه ، وجيء به أمام السلطان ، فأمر به فقطع الى نصفين ، وعلّق رأسه بأزاء دار الخلافة (المنتظم ١٠/١٢٤).

وروى لنا أسامة في كتاب الاعتبار قصّة أمير ظالم ، هو صلاح الدين الغسياني من أمراء الأتابك عماد الدين زنكي ، وكان الأتابك يقول : لي ثلاثة غلمان ، أحدهم يخاف الله تعالى ، ولا يخافني، يعني زين الدين علي كوجك ، والآخر يخافني ولا يخاف الله تعالى ، يعني نصير الدين سنقر ، والآخر : لا يخاف الله، ولا يخافني يعني صلاح الدين الغسياني ، ويقول أسامة أنّه شاهد من صلاح الدين هذا ما حقّق قول أتابك فيه ، أنّه لا يخافه ولا يخاف الله تعالى ، وذكر أنّ أحد رجّالة الأمير صلاح الدين ، فرّ من عسكره خلال الحرب ، فأمر باحضار الذي كان الى جانبه ، وأمر بتوسيطه ، فحاول أتباعه صرف نيّته عن قتل هذا الجندي ، فأبى إلّا أن يقتل ، فقتل توسيطاً ، مع إنّه لا علاقة له بالجندي الهارب ، وذكر إنّه حضر معه حصار حصن ماسر ، فوقع أحد رجال الحصن أسيراً في يده ، فأمر بتوسيطه ، فحاول أسامة أن يخلّصه من يده ، فلم يستطع ، وقتل أمامه توسيطاً ، وكان هذا

الـذي قتل تـوسيـطاً ابن امـرأة عجـوز ، جـاءت بعـد فتـح الحصن تسـأل عن ولـديها ، فـإذا أحدهمـا قتل في المعـركـة والثـاني وسّـطه الأميـر ، فصـاحت وكشفت رأسها وشعرها كالقطنة المندوفة ، فقـال لها النـاطور : اسكتي لأجـل الأميـر ، قالت : وأيّ شيء بقي الأميـر يعمل بي ، كـان لي ولدان فقتلهمـا . (الاعتبار ١٥٦ ـ ١٥٩) .

وفي السنة ٥٩٧ اتّفق مملوكان من مماليك البدرية الشريفة (بـاب بدر) بدار الخلافة فقتلا كاتب البدرية ، السديد محمد بن الأستاذ ، وسبب ذلك إنّه كان للسديد حرمة تامّة وسطوة وهيبـة ، وكان يعـاقب المماليـك بالبـدرية على ذنوبهم ، فهدّد هـذين المملوكين ، وتوعّـدهما بـالضرب ، فـاتّفقا على قتله ، ووقفا له وقد جاء بكرة ليدخـل حمّام البـدرية، فضـرباه بـالسيوف ، فقتـلاه ، فتقدّم الخليفة الناصر ، بصلب أحدهما وتـوسيط الآخر ، وتم إعـدامهما وفقـاً لما أمر الخليفة بحضور جميع المماليك (الجامع المختصر ٧٧) .

وفي السنة ٦٠١ قتل ببغداد شابٌ يعرف بابن الوتّار ، ثلاثة نفر ، وهرب إلى الموصل ، فلم يطـب له المقام هناك ، وعاد إلى بغداد ، وأخفى نفسـه ، فعلم به غلمان الشحنة ، وأنهي حـاله ، فتقـدّم بإقـامة الحـدّ عليه ، واستيفـاء القصـاص ، فأخـذ وقتل بـالسيف توسيـطاً في شارع الـظفريـة (قـرب البـاب الوسطاني لسور بغداد) (الجامع المختصر ١٤٣) .

وفي السنـة ٦٠٤ ثار جمـاعة من العـوام على المسالحـة ببـاب النـوبي الشريف ، واتباع البـاعـة ، فجـرحوا خلقـاً منهم ، وقتل جمـاعة، فخيف من ذلـك العيث والفساد ، فـأحضر بـراها وعليـك ، اللذان قتـلا ابن حسّـان الى البـدرية الشـريفة ، وقتـلا توسيـطاً ، بعد أن أخـذت سراويـل الفتـوّة منهمـا ، وأخرجا ، فألقيا على باب البدريـة الشريفـة ، فارتـدع بهما أمثـالهما، وانكفّ العوام عن تطاولهم (الجامع المختصر ٢٢٨) .

أقول : كان براها وعليك ، من رجال البدرية ، وكانا من دعاة الفتن ، وحدث أن واجها في المأمونية ، أحد النقباء بباب الشحنة ، ويعرف بابن حسّان ، فجرت بينه وبينهما منابذة ، فجذباه وألقياه عن فرسه ، وأخرج عليك سكيناً طعنه بها عدّة طعنات فهرب من أيديهما ، ودخل داراً ، وأغلق بابها ، وصعد إلى سطحها ، فتسوّر عليه جماعة من العوام، وألقوه من السطح على رأسه ، وشدّوا في رجله حبلاً، وسحبوه وهو حيّ ، وحملوه إلى دجلة ، وألقوه فيها ، ثم أخرجوه فأحرقوه ، فركب الشحنة في عسكر ، وأوقع بأهل محلة المأمونية ، وقتل جماعة من العامّة ، وحصلت فتنة ، وهاج البلد ، وأغلق الناس دكاكينهم ، وعلى أثر ذلك جرى إعدام براها وعليك .

وفي السنة ٦٠٦ فتح خوارزم شاه مدينة سمرقند ، وعاد إلى خوارزم ومعه سلطان سمرقند ، فزوّجه ابنته ، وردّه إلى سمرقند، وبعث معه شحنة من جند خوارزم ، وبعد سنة من هذا التاريخ ، عصى سلطان سمرقند ، وأمر بقتل الجند الخوارزمي ، فكان يأخذ الرجل منهم ويقطعه الى قطعتين ويعلّقهم في الأسواق كما يعلّق القصاب اللحم ، ومضى إلى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزم شاه ، فأغلقت دونها الأبواب ، وبعثت إليه تقول : أنا امرأة ، وقتل مثلي قبيح ، ولم يقع منّي إليك ما استوجب به هذا منك ، فتركها ، ووكّل بها قوماً من عنده وبلغ الخبر خوارزم شاه ، فهاجم سمرقند ، وفتحها ، وقتل السلطان وقتل معه مائتي ألف إنسان . (ابن الأثير ١٢/ ٢٦٧- ٢٦٩) .

وفي السنة ٦٣٧ قتل بباب النوبي ثلاثة أنفس ، ضرب أحدهم عدة ضربات ، فلم يؤثر فيه السيف ، وكان في وسطه خيط ، فقطع الخيط ، فوجد فيه حرز ، ثم ضرب ضربة واحدة ، فانفصل (الحوادث الجامعة ١٢٣) .

وفي السنة ٦٤٩ قتل توسيطاً علي بن أبي الفتح بن أبي الفرج بن رئيس الرؤساء المعروف بابن المسلمة ، وكان مشهوراً بالفساد ، مقدماً على فعل المنكرات ، تبع صيرفياً يهودياً معه مال ، فلما دخل داره ، هجم عليه وقتله ،

وأخذ المال ، فاستغاثت زوجته فقتلها أيضاً ، وخرج، فتبعه الجيران ، وقبضوا عليه ، وحملوه إلى باب النوبي ، فقتل توسيطاً ، وقد قتل أبوه وجدّه ، أما أبوه أبو الفتح فكان وزيراً، وركب في موكبه عازماً على الحجّ ، فلما وصل الى باب قطفتا ، عرض له ثلاثة نفر من الباطنية ، في زيّ الصوفية ، وناولوه رقعة ، فلما مدّ يده ليأخذها، قتلوه ، وقتلوا في الحال ، وأما جدّه وهو أبو الفرج رئيس الرؤساء المعروف بابن المسلمة ، وزير القائم بأمر الله ، خاصم البساسيري القائد ، واضطهد الشيعة، وقتل منهم ، فاضطّر البساسيري إلى الاستعانة بالفاطميين ، ودخل بغداد فاتحاً باسم الفاطميين ، وقبض على ابن المسلمة ، فشهره، وصلبه ، وهكذا قتل الجدّ والأب والإبن ، وفي تصاريف الزمان عبر ، راجع الحوادث الجامعة ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

وفي السنة ٦٥٨ بعث السلطان هولاكو ، إلى السلطان قطز رسلاً ، فأمر بهم قطز ، فوسّطوا (بدائع الزهور ١/٩٧).

وفي السنة ٦٦٠ احتلّ التاتار الموصل ، وقبضوا على ملكها الملك الصالح ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ ، فقتلوه، ووسّطوا ولده علاء الملك ، وعلّقوه على باب الجسر ، وأجالوا السيف في أهل البلد تسعة أيّام (الوافي بالوفيات ٩/١٩٥) .

وتوفّي في السنة ٦٧٣ الأمير شهاب الدين أحمد بن يغمور ، وكان قد ولي الأعمال الغربية بالديار المصرّية ، فقطع ، وشنق ، ووسّط ، وأفرط في ذلك وراح البريء بجريرة المفسد (الوافي بالوفيات ٨/٢٠٢ـ ٢٠٣) .

وفي السنة ٦٩١ تآمر قسم من الأمراء على الملك الأشرف خليل ملك مصر ، وقتلوه ، فوسّطوا ، بعد أن قطعت أطرافهم ، وطيف بهم على الجمال مسمّرين (بدائع الزهور ١/١٣٠).

وروى لنا صاحب الحوادث الجامعة، رواية ذات فصلين ، الفصل

الأول: في السنة ٦٩٤ تقدّم جمال الدين الدستجراني، فأخذ فخر الدين مظفّر بن الطرّاح، صدر واسط والبصرة، وقتله، فأخذ، ودوشخ، وأسمع كلّ قبيح، ثم حمل إلى بغداد، ووكّل به أياماً، وضرب، وعوقب (أي عذّب)، وقتل، وحمل رأسه إلى واسط، وعلّق على الجسر، بعد أن طيف به في شوارعها، وكان جواداً، سخياً، كريماً، ذا ناموس عظيم وسياسة (الحوادث الجامعة ٤٨٤) والفصل الثاني: في السنة ٦٩٦ سار السلطان غازان يريد العراق، وأمر بقتل جمال الدين الدستجراني، فقتل توسيطاً (الحوادث الجامعة ٤٩٢).

وفي السنة ٧٠٢ اشترك الشيخ احمد القباري الإسكندراني، والشيخ محمد اليعفوري، في إحداث الفتن بدمشق، وقبض عليهما، فأعترفا، فأفتى الفقهاء بجواز قتلهما، فطيف بهما، ثم وسّطا في سوق الخيل. (الوافي بالوفيات ٨/٣٠٣).

وفي السنة ٧١٥ قتل الأمير جولجين توسيطاً بالقاهرة، بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وسبب ذلك إنّ جولجين كان من خواصّ الناصر وقدم معه من الكرك إلى القاهرة، فداخله شخص يقال له النجم الخطيبي، وعمل له ملحمة، أي أنه أخرج له دفتراً تظهر عليه آثار القدم، وفيه كتابات ورموز وإشارة إلى آثار في الجسد تشير إلى أنّ من كان بهذه الصفة، فإنّه سوف يكون سلطاناً، فاغترّ جولجين بذلك وأسرّ ذلك إلى بعض الجماعة، فوصل الخبر إلى الناصر، فأمر بتوسيطه (الدرر الكامنة ٢/٨٠).

وفي السنة ٧٢٤ ولّى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الأمير قديدار، ولاية القاهرة، فضرب الخبّازين والسوقة بالمقارع، وسمّر بعضهم، وعرض السجن، ووسّط جماعة من المفسدين، وتتبّع من عصر الخمور، فأراق الكثير منها، وكبس باب اللوق، فأحرق الحشيش، وأقام قدر شهر لا يخلو باب زويلة في يوم منه من كسر جرار خمر، وتحريق حشيش،

واستمّر والياً للقاهرة ستّ سنوات ، وتوفّي في السنة ٧٣٠ (الدرر الكامنة ٣٢٨/٣ و٣٢٩) .

وفي السنة ٧٢٥ قتل الأمير بهادر الصقري باليمن توسيطاً ، وكان قد استولى على زبيد ، وتسلطن ولقّب نفسه بالملك الكامل ، وسبب ذلك أنّ ملك اليمن وهو الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر شمس الدين يوسف ، توفّي في السنة ٧٢١ وخلفه ولده المجاهد سيف الدين علي ، وكان صغيراً ، فكثرت الفتن ، وأعلن الأمير بهادر سلطنته واستولى على زبيد ، وخطب باسمه ، وضربت له السكة ، وصادر كثيراً من الناس ، فبلغ ذلك السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فسيّر إلى اليمن جيشاً بقيادة الأمير بيبرس ، فاشتبكوا مع بهادر في معركة فلّت جيشه ، وفر ناجياً بنفسه ، ثم أنّ بيبرس أمّن بهادر ، فحضر ، وآتّهمه بيبرس إنّه غدر ، فقبض عليه ، ووسّطه بالسيف نصفين ، وصفت البلاد للملك المجاهد (الدرر الكامنة ٣٢/٢ و٣٣) .

وفي السنة ٧٤١ قتل الأمير طغاي ، أمير آخورتنكز نائب السلطنة بالشام ، وكان قتله توسيطاً في سوق الخيل بدمشق على يدي بشتاك الناصري (الدرر الكامنة ٣٢١/٢) .

وفي السنة ٧٤١ قتل توسيطاً بسوق الخيل بدمشق ، الأمير جنغاي ، مملوك تنكز نائب الشام ، وكان مقرّباً جداً عند الامير تنكز ، ثم تنكّر له ، وقبض عليه ، وضربه بالمقارع ، ثم جرى قتله توسيطاً (الدرر الكامنة ٧٦/٢) .

وفي السنة ٧٤٢ فتح الامير صربغا ، خزائن السلاح ، وجهّز جمعاً من المماليك لقتال الأمير قوصون، فأمسك به قوصون ، ووسّطه ، وعلّقه على باب زويلة (النجوم الزاهرة ٢٨/١٠) .

وفي السنة ٧٤٦ قتل الأمير بكا الخضري ، أحد الأمـراء بدمشق ، قتـل بسبب النـاصر أحمـد ، في ولاية الصـالح إسمـاعيـل ، ووسّط بسـوق الخيـل بدمشق (الدرر الكامنة ٢/١٣ و١٤) .

وفي السنة ٧٤٨ نقل أرغون شاه من نيابة حلب إلى نيابة دمشق ، فوسّط في طـريقه مسلمين ، وكـان مقدامـاً على سفك الـدم بلا تثبّت ، قتـل بحلب خلقاً ، ووسّط ، وسمّـر ، وقطع بدويًا سبع قطع بمجرد الـظنّ ، وغضب على فرس له قيمة كبيرة ، مرح بالعـلافة ، فضـربه حتى سقط ، ثم قـام ، فضربـه حتى سقط ، وهكـذا مرّات ، حتى عجـز عن القيام ، فبكى الحـاضرون على الفرس (المختصر لأبي الفداء ٤/١٤٨) .

وفي السنـة ٧٥٠ جرى قتـل الأمير ألجيبغا المظفري الخاصكي ، تحت قلعـة دمشق ، ووسّط معـه الأمير فخـر الـدين إيـاس ، وعلّقـا على الخشب ، وكـان سنّ الامير ألجيبغـا دون العشـرين سنة « مـا طّر شـاربـه ، وكـأنـه البـدر حسناً ، والغصن اعتدالاً » وسبب ذلـك ، إنّه عهـد إليه بنيـابة طـرابلس ، في السنة ٧٤٩ ، وفي السنة ٧٥٠ كتب إلى الأمير أرغون شـاه نائب دمشق ، بـأنّه يستـأذن منه لكي يتصيّـد في منطقتـه ، فأذن لـه ، فجاء ليـلاً ، فطرق أرغـون شاه ، وقبض عليه وقيّده ، وزوّر كتابـاً عن السلطان ، فيه أمـر باعتقـال أرغون شاه ، وجمع الأمراء ، وأطلعهم عليه ، فأذعنوا ، وآستولى على أموال أرغـون شاه ، وقتله ، فأنكر الامراء ذلك ، وحاربوه ، فقتل منهم جماعة ، وخـرج من دمشق ، وسـار إلى طرابلس ، وورد الخبـر من السلطان بمصر ، ينكـر كلّ مـا وقـع ، ويـأمـر بـإمسـاك ألجيبغـا ، فخـرجت إليـه عسـاكـر الشـام ، ففـرّ من طـرابلس ، فأدرك عنـد بيروت ، وآعتقـل ، وحمـل مقيـداً إلى دمشق ، حيث جرى قتله توسيطاً . (خطط المقريزي ٢/٤٢١ و٤٢٢) . والـوافي بالـوفيات ٩/٣٥٧ و٤٦١ والنجوم الزاهرة ١٠/٢١٣ و٢١٦) .

وفي السنـة ٧٥٤ طلب الأمير أرغـون الكـاملي ، نـائب السلطنـة بحلب

الأمير قراجا بن ذي الغادر (ذي القدر) أمير التركمان ، لأنّه وافق أحد الخارجين على السلطان ففرّ الأمير قراجا منه ، فتبعه ، وقبض عليه ، وأرسله إلى السلطان ، فلما حضر إلى القاهرة ، ومثل أمام السلطان ، أمر بتسميره ، فسمّروه على جمل ، وطافوا به مصر والقاهرة ، ثم وسّطوه في الرميلة بسوق الخيل (الاعلام النبلاء ٢ / ٤٣٤ و٤٣٥) .

وذكر ابن بطوطة في رحلته أنّ سلطان ما وراء النهر وآسمه كبك ، شكت إليه امرأة فقيرة أنّ أميراً من امرائه غصبها لبناً وشربه ، فأحضر الأمير ووسّطه ، فخرج اللبن من معدته (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/١٠٧) .

ووفد على السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند، طوغان الفرغاني ، وأخوه ، فأحسن إليهما ، وأكرمهما ، ثم أرادا الرجوع إلى بلدهما ، فوشى بهما أحد أصحابهما ، فأمر السلطان بتوسيطهما ، فوّسطا ، وأعطى الذي وشى بها جميع ما لهما ، وكذلك عادتهم إذا وشى أحد بأحد ، وثبت ما وشى به ، فقتل ، أعطي جميع ماله . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٩٤) .

وأمر السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، باعتقال الشريف إبراهيم المعروف بالخريطة دار ، وأتّهمه بأنّه أراد المخالفة ، فخاف إن أنكر أن يعذّب ، فأقرّ للخلاص من العذاب ، فأمر به السلطان فوسّط . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٠٥) .

وممن مارس العذاب بالتوسيط ، القائد الهندي عماد الملك سرتيز ، مملوك السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥ ـ ٧٥٠) وكان الأمير قيصر الرومي ، قد عصى على السلطان ، وتحصّن بسيوستان ، فحصره عماد الملك ، فطلب وأصحابه الأمان ، فأمنهم ، ولما نزلوا على أمانه غدر بهم ، وأخذ قسماً منهم فقتلهم توسيطاً ، وقتل الباقين بألوان من العذاب والقتل (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٦ و٧) .

وذكر ابن بطوطة ، في كتاب رحلته ، إنّ سلطان كولم بالهند، من جزائر

المليبار ، كان في طريقه بين البساتين ، ومعه صهره ، زوج ابنته ، وهو من ابناء الملوك ، فأخذ حبّة واحدة من العنب ، سقطت من بعض البساتين ، وكان السلطان ينظر إليه ، فأمر به عند ذلك ، فوسّط ، أي قسم نصفين ، وصلب نصفه عن يمين الطريق ، ونصفه الآخر عن يساره ، وقسمت العنبة نصفتين ، فوضع على كّل نصف منه ، نصف منها . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٩٢) .

وفي السنة ٧٥٣ خرج بعض الأمراء على الملك الصالح ملك مصر ، فقبض عليهم ، وأمر بِستّة منهم ، فوسّطوا (بدائع الزهور ١/١٩٧) (النجوم الزاهرة ١٠/٢٧٦ و٢٧٧) .

وفي السنة ٧٥٤ أحضر سلطان مصر ، إلى القاهرة ، سبعمائة أسير من العرب ، فأمر بهم ، فوسّطوا جميعاً (بدائع الزهور ١/٢٠٠) .

وفي السنة ٧٥٨ وثب أحد المماليك السلطانية بالقاهرة ، وآسمه قطلوبغا ، على الأمير شيخو ، وضربه بالسيف ثلاث ضربات ، فقبض على قطلوبغا ، ورسم السلطان بتسميره ، فسمّر ، ثم وسّط في اليوم المذكور . (النجوم الزاهرة ١٠/٣٠٥) .

وفي السنة ٧٦٩ جلس الملك الاشرف شعبان ، صاحب مصر والشام ، في الديوان ، بالقاهرة ، ورسم بتسمير جماعة من مماليك يلبغا نحو المائة ، وتوسيطهم . (النجوم الزاهرة ١١/٤٨) .

وفي السنة ٧٦٧ تسلّم الأمير حسام الدين المعروف بالدم الأسود ، أولاد الكنز وكانوا في سجن القاهرة ، فأخذهم إلى قوص علي جمال ، وقد سمّروا في أيديهم بمسامير حديد ، على لعب من خشب ، وشقّ بهم من قوص إلى أسوان ، ثم وسّطهم بها . (بدائع الزهور ١/٢/٤٠) .

وفي السنة ٧٦٩ قبض السلطان الاشرف على مائة مملوك من المماليك

اليلبغاوية ، وسمّرهم ، ووسّطهم في بركة الكلاب ، وأغرق جماعة آخرين في البحر . (بدائع الزهور ١/٢/٧١) .

وفي السنة ٧٧١ اتّهم شخص من النصارى ، بأنه سحر خوند إبنة الأمير طاز ، زوجة السلطان ، فماتت بسحره ، فرسم السلطان بتسميره ، ثم وسّط ، وأحرق بالنار . (بدائع الزهور ١/٢/٩٦) .

وفي السنة ٧٧٢ قبض ابن السنبلي ، بأمر السلطان الأفضل ، صاحب اليمن ، على مشايخ القرشيّين ، وأمر السلطان بتلفهم ، فوسّط منهم خمسة نفر ، وسمّر ثلاثة ، وشنق الباقين . (العقود اللؤلؤية ٢/١٤٨) .

وفي السنة ٧٧٩ أخرج والي القاهرة الأمير حسين بن الكوراني ، جماعة من العامة ، من الحبس وسمّرهم ، وطاف بهم في القاهرة ، ثم وسّطهم في الرملة ، ثم أخذ ثلاثة مماليك صغار اتهمّوا بأنّهم نهبوا من خيول نائب السلطان ، فطيف بهم ، ثم وسّطوا تحت القلعة (بدائع الزهور ١/٢/٢٠٣) .

وفي السنة ٧٨٠ سمّر الأتابكي برقوق ، بالقاهرة ، اثنى عشر أميراً ، وطيف بهم في القاهرة ، ووسَّط منهم ستّة . (بدائع الزهور ١/٢/٢٢٦) .

وفي السنة ٧٨٢ هجم طائفة من العربان على دمنهور، فنهبوا وقتلوا ، فخرج إليهم جيش ، فقتل كثيراً من العربان ، وأحضر معه إلى القاهرة ، أسرى ، فأمر السلطان فوسّط منهم جماعة ، وسجن الباقين . (بدائع الزهور ١/٢/٢٦٦ - ٢٦٩) .

وفي السنة ٧٨٣ قبض على طائفة من عربان البحيرة ، نحو ٢٣ رجلاً ، فوسّطهم أجمعين . (بدائع الأزهار ١/٢/ ٢٨١) .

وفي السنة ٧٨٥ اتّهم السلطان برقوق ، سلطان مصر ، الخليفة المتوكل على الله ، بأنه اتّفق مع جماعة منهم الأمير قرط بن عمر التركماني ، والأمير

إبـراهيم بن الأمير قـطلوتمـر العـلائي أميـر جنـدار على قتله ، فـأمـر بسجن الخليفة وتقييده ، وبتسميـر قرط وإبـراهيم وإشهارهمـا ، وتوسيـطهما من بعـد ذلـك . فسمّرا وأشهـرا ، ووسّط الأمير قـرط ، ثم شفع في الأميـر إبـراهيم ، فنجا من التوسيط في آخر لحظة . (نزهة النفوس والابدان ٦٩ ـ ٧١) .

وفي السنة ٧٨٥ نازل يلبغا الناصـري بعساكـر حلب والشام ، أحمـد بن رمضان التركماني عند الجسر على الفرات ، فانكسر التركمان ، وأسـر يلـبـغا ابراهيم بن رمضان وابنه ، وأباه ، فوسّط الثلاثـة الجدّ والابن والحفيـد (خطط الشام ٢/١٥٨) .

وفي السنة ٧٨٨ رسم السلطان بالقبض على جماعة من المماليك ، بعد أن ضربوا ضرباً مبرّحاً بحضوره بالمقارع ، وسبب ذلك أنّه بلغ السلطان عنهم أنّهم قصدوا الفتك به ، وقبض أيضاً على الأميـر تمربغـا الحاجب ، ومعـه من المماليك عـدّة عشرة ، وسمّـروا ، فأركب كـلّ مملوكين على جمـل ، وظهـر أحدهما لظهر الآخر ، وتمربغا بمفرده على جمل وحده ، وأشهروا بالقـاهرة ، وحريمهم نائحات ، صائحات ، حاسرات عن وجوههنّ ، يلطمن خدودهن ، ثم برز « المرسوم الشريف » بتـوسيطهم ، فـوسّطوا . (نـزهة النفـوس ١٢٨ بدائع الزهور ١/٢/٣٦) .

وفي السنة ٧٨٨ تجمّع منسر نحو ستّين رجلاً ، ودخلوا القاهرة ، وكمنوا فيها ، فحاربهم والي القاهرة ، فحصل منهم ثمانيـة عشر نفـراً ، فسمّروا على الجمـال في أيـديهم بـالخشب ، وألبسـوا في أرجلهم قبـاقيب الخشب ، ووسّـطوا ، إلاّ واحـداً منهم أخّـروه ليـدلّ على بـاقيهم (بـدائـع الـزهور ١/٢/٣٧٠) (نزهة النفوس ١٣٠) .

وفي السنة ٧٩٠ قبض على ابن نجم ، أمير عـربان الفيّـوم ، بسبب قتل أولاد شـادي الحـاج محمـد والحـاج عمـر ، وأحضـر إلى الأبـواب الشـريفـة

بالقاهرة ، ومعه عشرون نفراً ، فرسم السلطان برقوق بتسميره ، وتوسيطه ، ومن معه ، فأنفذ ذلك فيهم (تاريخ ابن الفرات ٩/ ٢٤) .

وفي السنة ٧٩٠ رسم السلطان ، الملك الظاهر برقوق ، بالقبض على جماعة من دمشق ، فقبض عليهم ، وسمّروا ، ووسّطوا (تاريخ ابن الفرات ٩/ ٣٧) .

وفي السنة ٧٩١ ورد القاهرة مملوك وبدوي ، كان السلطان برقوق قد أنفذهما إلى ابن باكيش صاحب غزّة ، فقبض ابن باكيش عليهما ، وبعث بهما إلى القاهرة ، فأخذهما الوالي ومعهما ثالث ، وسمّرهم ، ثم وسّطهم (تاريخ ابن الفرات ٩/ ١٤٢) .

وفي السنة ٧٩١ أمر الأمير الكبير منطاش ، الأمير حسين الكوراني ، والي القاهرة ، أن يسمّر أربعة أنفس من أمراء الأتراك ، فسمّرهم الوالي ومضى بهم إلى الرميلة ، فنزل مرسوم إلى الوالي بأن يخلص سودون ، أحدهم ، من الخشب ، ويصعد به إلى باب السلسلة ، فخلّصه ، وطلع به إلى باب السلسلة ، فأمر بتوسيطه هناك ، فوسّط (تاريخ ابن الفرات ٩/ ١٤٤) .

وفي السنة ٧٩١ بلغ الأمير منطاش أنّ بعض الأمراء راغبين في التوجّه للسلطان الظاهر ، فشهروا بالقاهرة ، وأودعوا خزانة شمائل ووسّطوا بها (نزهة النفوس ٢٥٤) .

وفي السنة ٧٩١ قبض الأمير كمشبغا نائب حلب ، على الخازندار ابراهيم بن قطلو تمر ووسّطه بعد أن قاسى منه أهوالاً وعقوبة زائدة ، ووسّط كذلك قاضي القضاة الشافعي بحلب شهاب الدين بن أبي الرضا . (نزهة النفوس ٢٧٤ و٢٧٥) .

وفي السنة ٧٩٢ استولى الأمير منطاش على بعلبك ، ووسّط أربعة أنفار من أكابرها ، ووسّط أيضاً ابن الحنش . (نزهة النفوس ٣٠٢) .

وفي السنة ٧٩٢ قبض السلطان على جماعة من الأمراء ، وأشهرهم في القاهرة ، ثم وسّط اثنين منهم ، وسجن الباقين . (بدائع الزهور ٤٣٩/٢/١) .

وفي السنة ٧٩٢ لما تحرّك أنصار الظاهر برقوق في القاهرة ، اعتقلوا والي القاهرة ، الأمير حسام الدين حسين الكوراني ، لأنّه كان قد شتم الملك الظاهر ، وأهان أفراد عائلته إهانة بالغة ، فنهبت داره ، وقيّد بقيد زنته ثمانون رطلًا ، وفي ثاني يوم تسلّمه الوالي الجديد، وقيّده في باشة وزنجبيل وأنزله إلى بيته ، فضربه مقترحاً ، وعصره، ثم عصر ركبته، ثم أحضره بعد ذلك وعصره عصراً شديداً ، ثم تسلّمه مشدّ الدواوين وعصره عصراً شديداً ، وفي السنة ٧٩٣ أمر الظاهر بتوسيطه ، فقام والي القاهرة ، بتوسيطه (تاريخ ابن الفرات ١٩٧/٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٥٧).

وفي السنة ٧٩٢ نزل السلطان ، واعتر المساجين بخزانة شمائل ، فأفرد منهم سبعة وثلاثين ، أمر بثلاثة منهم فغرّقوا في النيل ، وسمّر منهم سبعة ، ثم وسّطهم ، وقتل الباقين في السجن (النجوم الزاهرة ٢٨/١٢) .

وفي السنة ٧٩٢ انتفض أهالي بانقوسا ، على كمشبغا صاحب حلب ، ونصبوا عليهم رجلًا يعرف بالحرامي ، فحاربهم ثلاثة أيام ، فانكسر الحرامي ، وقبض كمشبغا عليه وعلى أخيه ، وعلى كثير من الأتراك والأمراء والبانقوسية نحو الثمانمائة فوسّطهم أجمع، وخربت بانقوسا ، وأحرقت ، وصارت أرضها دكاً قاعاً صفصفاً . (نزهة النفوس ٣٠٧).

وفي السنة ٧٩٢ أغار الأمير يلبغا الناصري على آل علي ، في منطقة دمشق ، وقبض على جماعة منهم ، يبلغ عددها مائتي نفس ، فوسّطهم جميعاً (النجوم الزاهرة ١٦/١٢) .

أقول : ورد الخبر في نزهة النفوس (ص ٣١٠) أنّ الذي اغار على آل علي ، ووسّط المائتين هو الأمير منطاش .

وفي السنة ٧٩٣ قبض السلطان بالقاهرة على جماعة من الأمراء والمماليك ، فوسّط منهم جماعة ببركة الكلاب (بدائع الزهور ١/٢/ ٤٤٣-٤٤٤).

وفي السنة ٧٩٣ أحضر للقاهرة نحو السبعين نفراً من العربان الزهور : كانوا قد أفسدوا، وقطعوا الطريق ، فرسم السلطان بتسميرهم ، وتوسيطهم، فسمّروا ووسّطوا (تاريخ ابن الفرات ٢٤٨/٩).

وفي السنة ٧٩٣ قبض الملك الظاهر على عدد من أمرائه ، وعصر منهم أسندمر وسعّط ، ثم أمر السلطان بتسميرهم ، فسمّرهم والي القاهرة ، في دار الوالي ، وأخرجهم، وشقّ بهم القاهرة ، وأطلعهم الى تحت قلعة الجبل ، ثم مضى بهم إلى المحاير ، ووسّطهم، مثل الحراميّة (تاريخ ابن الفرات ٢٥٢/٩).

وذكر صاحب نزهة النفوس ، هذا الخبر ضمن أخبار السنة ٧٩٣ فقال : وفي السنة ٧٩٣ سمّر أسندمر الشرفي رأس نوبة ، وآقبغا الظريف البجاسي ، واسماعيل التركماني ، أمير البطّالين في أيّام منطاش ، وكزل القرمي ، وصربغا ، وأشهروا بالقاهرة، وتوجّهوا بهم إلى الكوم فوسّطوا، وقال المقريزي : لم يعهد مثل هذا الاّ لقطّاع الطرق (نزهة النفوس ٣٢٦).

وفي السنة ٧٩٣ أمر السلطان برقوق ، بتوسيط احمد بن علي بن الطشلاق ، والي قطيا ، لجريرة صدرت منه ، فوسّط (تاريخ ابن الفرات ٢٦٣/٩).

وفي السنة ٧٩٣ قبض على خمسة من الأمراء بالقاهرة ، ومعهم قطلوبك الذي كان نائب السلطنة بصفد ، ووسّطوا ، ودفنوا بالكوم (تاريخ ابن الفرات ٢٥٨/٩).

وفي السنـة ٧٩٣ قبض السلطان برقـوق ، على أمراء آخـرين بالقـاهرة، وأمـر والي القاهـرة بقتلهم ، فقتلهم ، قيـل إنّـه وسّـطهم ، وقيـل إنّـه خنقهم (تاريخ ابن الفرات ٩/٢٥٩).

وفي السنة ٧٩٤ عمد بعض المماليك الى قلعـة دمشق ، وأخرجـوا من كان في سجنها من المماليك المحبوسين ، وكانت عـدّتهم نحو مـائة مملوك ، ثم اجتمعوا جميعاً ، وقتلوا نائب القلعة ، وملكوها ، فحاصر العسكر القلعة ، وأحـرقوا بـابها ، وأسـروا هؤلاء المماليـك، ووسّطوهم تحت القلعـة (بدائـع الزهور ١/٢/ ٤٥١).

وفي السنـة ٧٩٦ اعتدى قـوم من عربـان أولاد عيسى على سبق سقـائي السلطان فـأمر السلطان بـرقوق ، بتـوسيط أولاد عيسى الموجـودين في خزانـة شمائل ، فأخرجوا وعددهم واحـد وعشرون ، وجـرى توسيـطهم (تاريـخ ابن الفرات ٩/٣٨٠).

وفي السنة ٧٩٩ ورد إلى مصر رسل تيمورلنك ، وهـم أربعة، ومعهم رسالة من تيمـورلنك ، فلمـا قرىء الكتاب على السلطان بمصر ، اغتاظ، وأمر بقتل الرسل ، فقتلوا توسيطاً، وعـلّقوا (اعلام النبلاء ٢/٤٨٩- ٤٩٠).

وفي السنـة ٨٠٠ رسم سلطان مصر ، بتـوسيط شاهين دوادار الأتـابكي كمشبغا ، فسمّر، وأشهر على جمل ، وطيف بـه ، ثم وسّط في بركـة الكلاب (بدائع الزهور ١/٢/ ٤٩٣).

وفي السنة ٨٠٠ قبض السلطان على سبعة أنفس من حاشية علي باي ، ورسم بتسميـرهم، فسمّروا على جمـال وطافـوا بهم في القاهـرة ، ثم وسّطوا جميعاً عند بركة الكلاب (بدائع الزهور ١/٢/٥٠٨) .

وفي السنـة ٨٠١ ثم توسيط الأميـر أقبغا الفيـل ، من ممـاليـك الـظاهـر برقوق ، وأحد إخوة علي باي المقتول ، جرى توسطه مع سبعة من المماليـك (الضوء اللامع ٢/٣١٨).

وفي السنة ٨٠٢ قتل توسيطاً شعبان ابن شيخ الخانقاه البكتمرية بالقاهرة ، لأنّه خدع امرأة ، فخنقها في تربة ، وأخذ سلبها ، وظهر امره بعد أن أخذ أبوه وحبس بالخزانة ، فلما قبض على الولد شعبان، ضرب فاعترف ، فقتل، بعد أن سمّر، ثم وسّط، (الضوء اللامع ٣/٣٠٥).

وفي السنة ٨٠٣ حارب متيريك ، أمير حارثة ، دقماق المحمّدي نائب صفد ، فانكسر دقماق ، واستنجد بالأمير شيخ نائب طرابلس ، فأنجده، وكسرا متيريك ، وأسرا له ولدين، وسّطاهما . (بدائع الزهور ١/٢/ ٦٣١).

وفي السنة ٨٠٣ بعث تيمورلنك إلى الأمير سودون نائب الشام رسولاً ، فأمر بالرسول فوسّط (النجوم الزاهرة ١٢/ ٢٢٠).

وفي السنة ٨٠٧ قبض بمصر على رجلٍ من أهل الجرائم، بمدينة بلبيس ، فوسّط ، وعلّق خارج المدينة ، فجاء رجلٌ أخذ قلبه وكبده ليأكلها ، حمله الجوع على ذلك . (بدائع الزهور ١/٢/٧٠٦).

وفي السنة ٨٠٩ وقع في قبضة الأمير شيخ ، عدّة من المماليك السلطانية ، فوسّط منهم تسعة. (بدائع الزهور ١/٢/ ٧٧٣).

وفي السنة ٨٠٩ طلب ابن التركية، من الأمير يشبك الأمان ، فأمّنه، وحلف له ، فلما قدم عليه ، قبض عليه ، وسلّمه للسلطان ، فوسّطه ، وعلّق رأسه على باب زويلة . (بدائع الزهور ١/٢/ ٧٧١).

وفي السنة ٨١٢ غضب السلطان على دوادار الأمير شيخ ، وعلى إمام قبّة الصخرة ، فأمر بتوسيط الدوادار ، فوسّط، وضرب الإمام علقة قويّة (بدائع الزهور ١/٢/ ٨٠٠).

ففي السنة ٨١٤ خرج الأمير حزمان الظاهري عن طاعة السلطان ، وفرّ يريد دمشق ، فاعتقل بغزّة ، وحمل الى مصر ، فحبسه الناصر أيّاماً ، ثم قتله توسيطاً (الضوء اللامع ٣/٩٠).

وفي السنة ٨٢٤ قبض السلطان الناصر على الأمير سودون الظاهري ، وحبسه ، ثم أمر فوسّط تحت قلعة الجبل (الضوء اللامع ٢٨٢/٣) .

وفي السنة ٨٣٠ قتل الأمير كمشبغا الظاهري ، قتله بعض مماليكه الأجلاب وهو نائم على فراشه ليلاً ، وقبض على المملوك القاتل ، فضرب، وأشهر، وقتل توسيطاً (الضوء اللامع ٦/ ٢٣٠) .

وفي السنة ٨٣٦ كان سلطان مصر ، الملك الأشرف سيف الدين ابو النصر برسباي ، يحاصر آمد ، فقدم عليه الملك الأشرف شرف الدين احمد بن الملك العادل سليمان الأيّوبي ، صاحب حصن كيفا ، للسلام عليه ، فلما قارب العسكر ، خرج عليه عدّة من أصحاب قرايلك المستولي على آمد ، فقتلوه غيلة وقتلوا معه قاصد السلطان المتوجّه معه ، فاشتدّ ذلك على السلطان وأحضر أسرى من جماعة قرايلك عشرين رجلاً ، ثم أحضر ثلاثين آخرين ، ووسّط الجميع تجاه قلعة آمد ، ثم احضر واحداً وعشرين آخرين بينهم قرا محمد ، أحد امراء قرايلك ، وبينهم صاحب ماردين ، فوسّط قرا محمد وعشرين آخرين معه ، واتّفق أنّ احد الأسرى انحلّ وثاقه ، فمرّ يعدو ، والعسكر ينظره فما رماه أحد بسهم ، ولا قام في طلبه ، حتى نجا ، وطلع القلعة (جوليات دمشقية ٦٧) .

ولما قوي المرض في السنة ٨٤١ على الملك الأشرف برسباي ، وسّط طبيبه العفيف الأسلمي رئيس الأطبّاء ، وطبيباً آخر اسمه زين الدين خضر ، فلما قدّم العفيف للتوسيط استسلم وثبت حتى صار قطعتين ، وقدّم خضر ، فريع ، وجزع جزعاً شديداً ، ودافع عن نفسه ، وصاح ، وبكى ، فتكاثروا عليه ، ووسّطوه توسيطاً معذّباً ، لتلوّيه واضطرابه (شذرات الذهب ٢٣٩/٧) .

وفي السنة ٨٤١ توفي الأمير سليمان بن أرخن (أو رخان) بك بن محمد كرشجي ، وعمره خمس عشرة سنة ، وكان جدّه ملك بلاد الروم ،

فلما مات قبض ابنه مراد الذي خلفه ، على أخيه والد صاحب الترجمة الأمير سليمان ، وسمل عينيه وحبسه ، ومنعه من مراجعة النساء، كي لا يولد له ، فدسّت اليه جارية ، فأولدها سليمان وابنة سمّيت شاهزاده ، ومات الأب أرخن في حبسه ، ففرّ بالطفلين مملوك لهما ، وقدم بهما على الأشرف برسباي ، فأكرمهما، وضم سليمان إلى ولده العزيز يوسف ، وأخته إلى الحرم السلطانية ، ثم رام المملوك الفرار بهما إلى الروم ، فأخذهما وركب بهما النيل ، وعلم السلطان بذلك ، فأرسل من يستدعيهما ، فلحقوا بهم قبل خروجهم إلى البحر ، وقتل المملوك توسيطاً ، وقطع أيدي جماعة ممن كان معه ، وأعيد الأمير سليمان فحبس بالبرج ، ثم أطلق ومات في السنة ٨٤١ بالطاعون، أما شاهزاده فتزوّجها العزيز ثم خلف عليها الظاهر (الضوء اللامع ٣/٢٦٢).

وفي السنة ٨٤٣ عاد الأمير شهاب الدين أحمد ، أحد خواصّ الظاهر من الحجاز وكان قد توجّه لقتال بلي من عرب الحجاز ، فعاد ومعه جماعة أسرى ، فسمّروا ثم وسّطوا (الضوء اللامع ١/٢٣٧).

وفي السنة ٨٥٠ أمر الأمير يلخجا الناصري ، نائب السلطان بغزة ، وهو على وشك الموت، بتوسيط جماعة كانوا في سجنه ، فوسّطوا (الضوء اللامع ١٠/٢٩١).

وفي السنة ٨٥٧ رسم السلطان الملك الأشرف بتوسيط ثلاثة من أهل القاهرة ثبت انّهم كانوا يحضرون عندهم بنات الخطا، فإذا بتن عندهم ، قتلوهنّ ، وأخذوا ما عليهنّ من القماش ، وفعلوا ذلك غير مرّة ، حتى غمز عليهم ، فأشهروهم في القاهرة، وقدامهم أقفاص حمّالين فيها « عظام الأموات التي كانوا يقتلونها من النساء » ، وكان لهم يوم مشهود (بدائع الزهور ٢/٤١).

وفي السنة ٨٦٨ قتل توسيطاً الأمير برسباي الأشرفي الظاهري ، وكان قد تآمر على قتل الدوادار جانبك، ثم أتّفق مع بعض المماليك على قتل السلطان ، فبلغ السلطان ذلك ، فأمر به فأحضر ، وضرب أكثر من ألف عصا ، ثم وسّطه في الحوش (الضوء اللامع ٣/٧).

وفي السنة ٨٧٨ قتل توسيطاً الأمير اقباي الظاهري ، لأنّه قتل مملوكاً للزيني الاستادار، ولم يقبل السلطان منه ولا من رفقته دفع ألف دينار لمستحقي الدية ، لكثرة شرّه وضرر المسلمين من جهته (الضوء اللامع ٢/ ٣١٤).

وفي السنة ٩٢٢ ولي الأمير خاير ، نيابة السلطنة بمصر ، ولاه السلطان سليم العثماني لما فتح مصر ، وكان من جملة ما عمله أن أحضر إبراهيم معلّم دار الضرب ، وأمر بتوسيطه ، فوسّط (اعلام النبلاء ٥/٤٣٣).

وكان التوسيط ، في القرن العاشر بمصر ، جزاء من يروّج العملة الزائفة (بدائع الزهور ، صفحات لم تنشر ص ٤٠ و٥٢) .

وفي السنة ٩٢٢ أمر السلطان الغوري ، بالأمير يونس ، نائب عينتاب فوسّط (الاعلام النبلاء ٣/١٤٨).

وفي السنة ٩٢٢ رسم السلطان بتوسيط خمسة أنفار من المنسر الذي شاع أمره في القاهرة ، فوسّطوا، وكان رئيسهم يسمّى أبا عزراييل (بدائع الزهور ٥/٨).

وفي السنة ٩٢٧ بلغ ملك الأمراء بمصر ، أنّ فقيهاً اسمه محمد بن شمس الدين الفرنوي ، تمنّى الخلاص من الأتراك ، فأحضره وأمر بتوسيطه ، فوسّط في الرملة . (بدائع الزهور ٥/٣٧٨).

وفي السنة ٩٢٧ قبض ملك الأمراء على غلام اتّهمه بأنّه رسول الغزالي إلى الأمراء بالقاهرة ، فرسم بتوسيطه ، فوسّط عند باب السلسلة ، قريب المغرب (بدائع الزهور ٥/٣٧٦).

وفي السنة ٩٢٧ رسم ملك الأمراء بتوسيط تركيّ اسمه إياس ، تحدّث عن ملك الأمراء، بما أحنقه فوسّط بسوق الخيل . (بدائع الزهور ٥/٣٧٧) .

وفي السنة ٩٤٥ كان أمير الحاج المصري ، الذي وصل إلى مكة ، الأمير صغصغان مصطفى ، ويسمّيه العرب : مصطفى النشار ، وسبب هذه التسمية ، لأنّه نشر بعض قطّاع الطرق ، نصفين بالمنشار (البرق اليماني ٨٨) .

الفصل الثاني

القتل بآلة من آلات القتل الأخرى

آلات القتل كثيرة ، ولكن السيف كان أشهرها ، وأكثرها استعمالاً ، هذا إلى أن حلّت الرصاصة محلّه ، والآلات الأخرى التي كان يتمّ بها القتل ، منها العمود الذي يشدخ به ، وقد أفردنا له بحثاً، والسهام يرشق بها، وقد أفردنا لها بحثاً ، وأفردنا بحثاً آخر للقتل بالطبرزين ، وبحثاً رابعاً للقتل قعصاً بالرماح ، وبحثاً خاصاً للقتل بالبارود والرصاص ، أما القتل بأدوات غير معدّة للقتل ، فقد أفردنا لها فصلاً خاصّاً ، هو الفصل الثالث . .

وعلى ذلك ، فإن الفصل الثاني ، يشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول : القتل بالشدخ بالعمود .

القسم الثاني : القتل بالرشق بالسهام .

القسم الثالث : القتل بالضرب بالطبرزين .

القسم الرابع : القتل قعصاً بالرماح وما يشبه الرماح .

القسم الخامس : القتل بالبارود والرصاص .

القسم الأول

القتل بالشدخ بالعمود

الشدخ : الكسر.
والعمود : القضيب من الحديد ، وكذلك الجرز ، هو العمود من الحديد ، والبغداديون يسمّونه : كراز ، وإذا كان العمود من الخشب ، سمي خشباً ، والبغداديون يسمونه : دونكي.

وأوّل من عُذّب بهذا اللون من العذاب ، على ما بلغنا ، أميران غلامان أمويّان ، هما الحكم وعثمان ، ولدا الوليد بن يزيد ، وكان قد بايع لهما من بعده ، فلما قتل الوليد ، اعتقل ولداه ، فلما توفي يزيد بن الوليد ، المعروف بالناقص ، وانتقض أمر أخيه إبراهيم من بعده ، سار مروان بن محمد ، المعروف بالجعدي ، من أرمينية إلى الشام ، يطلب الخلافة ، فتصدّى له جند الشام بقيادة سليمان بن هشام ، في مائة وعشرين ألفاً ، وكان مروان في ثمانين ألفاً ، فانكسر جند الشام ، وقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً ، ولما وصل سليمان مع فلّ العسكر إلى دمشق ، قال بعضهم لبعض : إن بقي الغلامان ابنا الوليد ، حتى يقدم مروان ، ويخرجهما من الحبس ، ويصير الأمر إليهما ، لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما ، والرأي أن نقتلهما ، وولّوا ذلك يزيد بن خالد القسري ، فأرسل يزيد مولى لأبيه يقال له خالد الأسعد ، في عدّة من أصحابه ، فدخل السجن ، وقتل الغلامين شدخاً بالأعمدة ، وأخرج يوسف بن عمر ، فضرب عنقه (الطبري ٧/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢) .

وفي السنة ١٣٥ بلغ أبا داود ، القائد العباسي ، أنّ أحد قوّاده عيسى بن

ماهان ، قد عابه في رسائل عدّة كتبها إلى قوم ، فأحضره ، وحبسه ، ثم دعا به ، وذكّره صنائعه إليه ، وإنّه كان يؤثره على أولاده ، فأقرّ بذلك ، فقال له أبو داود : فكان جزاء ما صنعته معك ، أن سعيت بي ، وأردت قتلي ، فأنكر ذلك ، فأخرج رسائله بخطّه ، فضربه أبو داود حدّين ، ثم قال له : أما إنّي تركت ذنبك لك ، ولكّن الجند أعلم ، فأخرج في القيود ، فلما أخرج من السرادق ، وثب عليه حرب بن زياد ، وجعفر بن دينار ، فضرباه بعمود وبطبرزين فوقع إلى الأرض ، وعدا عليه الآخرون فأدخلوه في جوالق ، وضربوه بالأعمدة حتى مات (الطبري ٧/٤٦٧) .

ولما صار عبد الله بن علي ، إلى نهر أبي فطرس ، في فلسطين ، نادى بالأمان لبني أمّية ، فاجتمع إليه جماعة منهم يزيد عددهم على الثمانين ، فلما أخذوا مجالسهم ، قام سديف الشاعر ، فأنشده :

لا يغرّنك ما ترى من رجالٍ　　إنّ بين الضلوع داءً دويّاً
فضع السيف وآرفع العفو حتى　　لا ترى فوق ظهرها أمويّاً

فأمر عبد الله بن علي ، الجند ، فشدخوهم بالأعمدة ، حتى أتوا على جميعهم ، ثم أمر بالبسط ، فبسطت على القتلى ، وأمر بالطعام فمدّ بين أيدي الناس . (العيون والحدائق ٣/٢٠٧ و ٢٠٨) .

وذكر أنّ السفّاح دخل عليه مشايخ بني أميّة ، ففاخره أحدهم ، ودخل الشاعر سديف فأنشده قصيدة ذكره فيها بظلم بني أمّية وقتلهم بني هاشم ، فأحمرّت عينا السفّاح ، وأمر جند خراسان ، فشدخوهم بالخشب ، حتى قتلوهم راجع التفصيل في كتاب الهفوات النادرة ص ١٠٥ ـ ١٠٧ .

أقول : كنت قد أوردت بتفصيل خبر قتل هؤلاء الأمويين ، في القسم الأول : الفتك ، من الفصل الأوّل : القتل بالسيف ، من هذا الباب ؛ أي

الباب الحادي عشر ، لاقتضاء السياق بأيراد أخبار مقاتل بني أميّة في موضع واحد .

ولما حجّ أبو جعفر المنصور في السنة ١٤٤ أغراه رياح ، عامله على المدينة ، بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، أمّا أهل خراسان فشيعتك وأنصارك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب ، وأما أهل الشام فإنّ أخاهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فلو دعاهم ما تخلّف منهم أحد ، فوقع الحديث في نفس أبي جعفر ، ودعا محمد بن عبد الله ، فأغلظ له ، وقال له : يا ابن اللخناء ، وأمر به فكبّل وغلّ ، وضربه على وجهه بالجرز ، ثم ضرب بالرَبَذَة وحمل مع بني الحسن إلى العراق ، وروي أنّ عبد الله بن الحسن جزع جزعاً شديداً عندما آنبعث بعير محمد بن عبد الله وهو غافل لم يتأهب ، وفي رجليه سلسلة وفي عنقه زمّارة ، فهوى ، وعلقت الزمّارة بالمحمل ، فأصبح منوطاً بعنقه يضطرب ، وعندئذ بكى عبد الله بن حسن بكاءً شديداً ، وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، والله ، إن كنّا لنأمن به في سلطانهم ، ثم أصيب بنا في سلطاننا ، (الطبري ٧/٥٤٣ و٥٤٧) .

ولما جيء إلى المنصور في السنة ١٤٥ برأس براهيم بن عبد الله بن الحسن ، قتيل باخمرى ، بصق في وجه إبراهيم رجلٌ من الحرس ، فأمر به المنصور ، فضرب بالعمد ، فهشمت أنفه ووجهه ، وضرب حتى خمد ، ثم جرّوا برجله فألقوه خارج الباب . (ابن الأثير ٥/٥٧١) .

ودخل العبّاس بن محمد العلويّ ، على الرشيد ، فشتمه الرشيد ، وقال له : يا ابن الفاعلة ، فقال له : تلك أمّك التي تواردها النخّاسون ، فأمر به ، فأدني منه ، ثم ضربه بالجرز ، حتى قتله . (مقاتل الطالبيّين ٤٩٨) .

وكان عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح العباسي ، سعي بأبيه عبد الملك إلى الرشيد ، واتهمه بأنه يسعى لنفسه في طلب الخلافة ، فحبس

الرشيد عبد الملك عند الفضل بن الربيع ، ولما مات الرشيد أطلق الأمين عبد الملك ، وأسلم إليه ولده عبد الرحمن فهشم عبد الملك وجه ولده بالعمود حتى قتله (اعلام النبلاء ١/ ١٧١ - ١٧٧) .

وفي السنة ٢٥٥ لما أراد الاتراك خلع المعتز ، دخلوا عليه ، وضربوه بالدبابيس حتى خرقوا قميصه (الطبري ٩/ ٣٨٩) .

واغتال جماعة من أصحاب أبي عبد الرحمن العمري ، صاحبهم ، وحملوا رأسه إلى أحمد بن طولون ، يتقرّبون بذلك إليه ، فأمر بهم فضربوا حتى سقطوا ، ثم أمر بهم فشدخت رؤوسهم ، حتى ماتوا (المكافأة ١١٧ و١١٨) .

أقول : كان سبب ظهور أبي عبد الرحمن العمري ، واسمه عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، إنّ البجاة ، بجنوبي مصر ، أقبلت في يوم عيد ، فنهبوا ، وقتلوا ، وعادوا غانمين ، وفعلوا ذلك مرّات ، فخرج هذا العمري غضباً لله وللمسلمين ، وكمن لهم في طريقهم ، فلما عادوا خرج عليهم ، وقتل مقدّمهم ، ودخل بلادهم فنهبها ، وقتل فيهم فأكثر ، وتابع عليهم الغارات حتى أدّوا إليه الجزية ، فلما اشتدّت شوكة العمري ، وكثر أتباعه ، سيّر إليه أحمد بن طولون جيشاً كثيفاً ، فلما التقوا ، تقدّم العمري ، وقال لمقدّم الجيش : لا شكّ أن ابن طولون لم يعرف خبري على حقيقته ، فإنّي لم أخرج للفساد ، ولم يتأذّ بي مسلم ولاذمّي ، وإنّما خرجت طلباً للجهاد ، فاكتب إلى الأمير أحمد بحالي ، فإن أمرك بالإنصراف فإنصرف ، وإن أمرك بغير ذلك كنت معذوراً ، فلم يجبه إلى ذلك ، وقاتله ، فظفر العمري وانهزم جيش ابن طولون ، فلما عادوا إليه أخبروه بحال العمري ، فقال أحمد ، كنتم أنهيتم حاله إليّ ، فإنّه نصر عليكم ببغيكم ، وتركه (ابن الأثير ٧/ ٢٦٤) ثم صار إلى أحمد جماعة تقارب العشرة ومعهم رأس ، فقالوا : نحن غلمان العمري ، وهذا رأسه ، فجمع أحمد الخاص

والعـامّ ، وأدخلهم ، وآستحضر قـوماً آستـامنوا إليـه ، وسألهم عن الـرأس ، فأيّدوا أنّه رأس العمري ، وإنّ الغلمـان من خاصّتـه ، فقال لهم أحمـد : هل كان مسيئاً إليكم ؟ قالوا : لا والله ، ولقد كان محسنـاً إلينا ، ومفضـلاً علينا ، قال : فما حملكم على قتله ؟ قالوا : طلبنا الحظوة عندك ، والمكانـة منك ، فقـال : قتلتم مولاكم المحسن إليكم بـالتطرب إلى المـزيـد ، ثم أمـر بهم ، فشقّ عن جماعتهم (عرّاهم) ، وأخذتهم السياط حتى سقطوا ، وضربوا على رؤوسهم بالشادوخ حتى ماتوا جميعاً ، وأمر بدفن رأس أبي عبد الرحمن .

وذكر التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة ، قصّـة أحد قـوّاد المعتضد ، لما غصب امرأة رآها في الطريق على نفسها ، فقد أحضـره أمامـه ، وأمر بـأن يحضروا الجوالق ، ومداقّ الجصّ ، وقيوداً ، وغـلّاً ، فقيده ، وغلّه ، وأدخله الجـوالق ، وأمر الفـرّاشين فدقّـوه بمداقّ الجصّ ، وهـو يصيح ، حتى انقـطع صـوتـه ، ومـات ، ثم أمـر بـه فغـرّق في دجلة ، راجـع القصـة في نشـوار المحاضرة جـ ١ ص ٣١٧ رقم القصة ١٧٢ .

وظهر لدى المعتضد ، أنّ أحد وزرائه ، أغرى بعض الشهـود ، فشهدوا على زواجه بفتاة تعشّقها ، فأمـر بصلب الشهود ، وأن يـوضع الـوزير في جلد ثور طريّ السلخ ، ويضـرب بالمـزارب حتى يختلط عظمـه ولحمه بـدمه ، ثم أمر به أن يرمى للسباع (تحفة المجالس للسيوطي ٣١١ ـ ٣١٤) .

وفي السنـة ٣١٢ قبض على المحسّن في منتصف الليـل ، فحمـل الى دار الـوزارة ، فأوقـع به مكـروه غليظ ، وقيّد ، وغـلّ ، وألبس جبّـة صـوف ، وضـرب على رأسه بـالدبـابيس ، وعذّب أنـواع العذاب ، حتى تـدوّد بدنـه . (تجارب الأمم ١ / ١٣٣و١٣٦) .

وفي السنـة ٣٢٩ نكب أبـو عبـد الله الكـوفي كـاتب بجكم ، هـارون اليهـودي جهبذ ابن شيـرزاد ، وبقي عليه من مصـادرته ستّـون ألف دينار ، فـأخذت داره ، وكـانت قـديمـاً لإبـراهيم بن أحمـد المـادرائي ، راكبـة دجلة

والصراة ، وفيها بستان أبي الفضل الشيرازي ، ودار المرتضى ، وحمل هذا اليهودي ألى بجكم بواسط فضرب بين يديه بالدبابيس حتى مات (تجارب الأمم ٢/٩) .

وكان أبو الحسن أحمد بن محمد ، المعروف بابن أبي عمر ، يتقلّد ديار مضر لابن رائق ، فأغار عيها عمّار القرمطي ، وطالب آبن أبي عمر بالمال لأصحابه ، فقال : ما معي شيء ، ولو قتلتني وصلبتني ، فقال : علّي أن أفعل بك ذلك ، وقتله ، وصلبه ، فلم يزل ابن رائق يحتال على عمّار ، حتى حضر مجلسه ، ثم قبض عليه ، وأمر من بحضرته من الأتراك بدقّه بالأعمدة ، فلما كاد أن يموت ، قال : أذيقوه حدّ السيف ، فأخذ رأسه ، وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن أبي عمر ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة في القصة ٨/٥٩ .

وفي السنة ٣٨٤ وصل صمصام الدولة إلى الأهواز ، ليهاجم جند بهاء الدولة الأتراك ، فانتصر الأتراك ، واستسلم من ديلم صمصام الدولة أكثر من ألفي رجل ، فجمعهم طغان قائد بهاء الدولة في خيم ضربها لهم ، ثم قال لأصحابه : هؤلاء قوم موتورون ، وعدّتهم أكثر من عدّتنا ، وأن استبقيناهم خفنا ثورتهم ، وأن خلّينا عنهم لم نأمن عودتهم ، واستقرّ رأيهم على قتلهم ، فطرحوا الخيم عليهم ، ودقّوهم بالأعمدة ، حتى أتوا عليهم (ذيل تجارب الأمم ٢٥٧) .

وفي السنة ٤٦٥ هاجم يوسف الخوارمي ، السلطان ألب أرسلان السلجوقي ، وطعنه بخنجر ، فتصدّى ليوسف أحد الفراشين ، وضربه على رأسه بمرزبة (عصا من الحديد) فقتله ، وقطّعه الأتراك ، وكان السلطان ألب أرسلان، واسمه محمد ، قصد ما وراء النهر ، في عسكر يزيد على مائتي ألف فارس ، فأتي بمستحفظ قلعة اسمه يوسف الخوارزمي ، وحمل إلى قرب سريره مع غلامين قد أمسكا به ، فأمر أن تضرب له أوتاد أربعة ، وأن تشدّ

أطرافه إليها ، فقال لـه يوسف : يـا مخنّث ، مثلي يقتل هـذه القتلة ؟ فغضب السلطان ، وأخذ القوس والنشّاب ، وقال للغـلامين : خلّياه ، فخلّيـاه ، ورماه السلطان فأخطأه ، وكانت لا تخطىء رميته ، فوثب يـوسف يريـده ، والسلطان على سدّة ، فقام عن سدّته ، فعثر ، ووقع على وجهـه ، فبرك يـوسف عليه ، وطعنه بسكين كانت معه في خاصرته ، فضرب بعض الفرّاشين يوسف بمرزبـة على رأسه ، فقتله ، وقطّعه الأتراك (ابن الأثير ١٠/٧٣) .

وفي السنـة **٥٤١** قُتِلَ أميـر حاجب عبـد الرحمن طغـايرك ، بـأن ضربـه زنكي الجاندار ، بقضيب من الحديد وهو في موكبه ، على رأسه ، فسقط إلى الأرض ، وأجهـز عليـه ، وكـان طغـايـرك هـذا ، صـاحب خلخـال ، وبعض أذربيجـان ، والحاكم في دولـة السلطان مسعـود السلجـوقي ، وليس للسلطان معـه حكـم ، وأصبـح السلطان في يـده مثـل الأسيـر ، حتى أنّ غـلامـاً كـان للسلطان اسمه بك أرسلان ، ويعرف بخـاص بك ، ربّـاه السلطان ، وقرّبـه ، فأبعده عبد الرحمن عنه ، فآستدعى خاص بك ، جماعة من القوّاد ، وتحدّث معهم في قتل عبد الرحمن ، فخافوا الإقدام على ذلك ، إلاّ رجلاً اسمه زنكي وكان جانداراً ، فإنّه بذل من نفسـه أن يبدأه بـالقتل ، فبينمـا عبد الـرحمن في موكبه ، ضربه الجاندار بمقـرعة حـديد كـانت في يده على رأسه ، فسقط إلى الأرض ، فأجهز عليه خاص بك ، وأعانه على حمايـة زنكي والقائمين معـه ، من كـان واطأه على ذلـك من الأمراء ، وكـان قتله بـظاهـر جنـزة (ابن الاثيـر ١١/١١٦) .

القسم الثاني

القتل رشقاً بالسهام

ومن ألوان العذاب التي مارسها المعذِّب (بكسر الذال) بقصد الانتقام من المعذَّب (بفتح الذال) أن ينصب المعذَّب غرضاً ، ويرمي بالسهام .

وأوّل من عذّب بهذا اللون من العذاب على ما بلغنا ، ثقيف ، فإنّهم رموا عروة بن مسعود بالنبل ، فقتلوه ، وسبب ذلك ، إنّ عروة بن مسعود الثقفي ، وفد على النبي صلوات الله عليه ، وأسلم ، واستأذنه في العودة إلى قومه ، ليدعوهم إلى الإسلام ، فقال النبي ، إنّهم قاتلوك ، فقال : يا رسول الله ، أنا أحبّ إليهم من أبكارهم ، وعاد إلى قومه ، ودعاهم إلى الإسلام ، فرموه بالنبال ، فقتلوه (نور اليقين ٢١٥) .

وفي السنة ٦٦ بعث المختار الثقفي ، قائده عبد الله بن كامل ، إلى حكيم بن طفيل الطائي ، وكان في موقعة الطفّ بكربلاء ، قد أصاب سلب العباس أخي الإمام الشهيد الحسين ، ورمى الحسين الشهيد بسهم ، وكان يقول : تعلّق سهمي بسرباله ، وما ضرّه ، فأتاه عبد الله بن كامل ، فأخذه ، ثم أقبل به ، وذهب أهله فاستغاثوا بعديّ بن حاتم الطائي ، فلحقهم في الطريق ، وكلّم عبد الله بن كامل فيه ، فقال له : مالي من أمره شيء ، إنما أمره إلى الأمير المختار ، فذهب عديّ يريد المختار ، وخشي عبد الله ، أن يشفعّ المختار عديّاً في أمره ، فنصبه في الطريق غرضاً للسهام ، وقال له : سلبت ابن علي بن أبي طالب ثيابه ، والله ، لنسلبنك ثيابك وأنت حيّ تنظر ،

فنزعوا عنه ثيابه ، ثم قالوا له : رميت حسيناً وآتّخذته غرضاً لنبلك ، والله لنرمينك كما رميته ، ورموه رشقاً واحداً ، فخرّ ميتاً وكأنّه قنفذ لما عليه من النبل ، وعاد ابن كامل إلى المختار ، فوجد عدياً عنده ، فسأله عن حكيم ، فقال : غلبتنا عليه الشيعة ، فقتلوه (الطبري ٦/٦٣ وابن الاثير ٤/٢٤٢ وانساب الاشراف ٥/٢٣٨) .

ونصبت قيس ، عبد الله بن الحارث غرضاً للسهام ، وقتل رشقاً بالنبال ، وتفصيل ذلك : إنّ عبد الله بن الحارث هجا قيس عيلان فقال :

ألم تر قيساً قيس عيلان ، برقعت   لحاها ، وباعت نبلها بالمغازل

ثم إنّ عبد الله فارق مصعب بن الزبير ، ولحق بعبد الملك بن مروان ، وقال يعتب على مصعب ، ويلومه على تقديم سويد بن منجوف عليه :

بأيّ بلاءٍ أم بأيّة علّة   يقدّم قبلي مسلم والمهلّب
ويدعي ابن منجوف أمامي كأنّه   خصيّ دنا للماء من عبر يشرب

ثم إنّ قيساً أخذت عبد الله بن الحارث ، ونصبته غرضاً ، وجعلوا يرمونه بالنبل ، ويقولون له : أذات مغازل ترى ؟ ولما أتي مصعب بن الزبير برأسه ، قال لسويد بن منجوف : يا أبا المنهال كيف ترى ؟ قال : أيّها الأمير ، هو ـ والله ـ الذي أتي الماء من عبر يشرب (الحيوان ١/١٣٤) .

ولما حاصر قتيبة بن مسلم ، سمرقند ، تقدّم أحد المحصورين فشتم قتيبة ، فأمر قتيبة أن يختاروا له من عسكره ، أحسن راميين ، فجيء بهما ، فسألهما : أيّكما يرمي هذا الذي يشتمني فإن أصابه فله عشرة آلاف درهم ، وإن أخطأه قطعت يده ، فنكص أحدهما ، وتقدّم الآخر ، فرماه ، فلم يخطىء عينه وقتله ، فأمر له بعشرة آلاف درهم . (الطبري ٦/٤٧٤) .

وفي السنة ١٣٨ قتل ملبد بن حرملة الشيباني ، من كبار الثوار في صدر أيّام العباسيّين ، خرج على المنصور ، فحاربه خازم بن خزيمة ، فثبت لهم ملبد ثباتاً عجيباً ، فرشقوه بالنشّاب حتى قتلوه . (الاعلام ٨/ ٢١٦) .

وفي السنة ١٩٧ احتّل جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين المحلّات المحيطة بمدينة المنصور ، وحصر محمداً الأمين ، فأمر محمد برمي الحربيّة بالنفط والنيران ، بالمجانيق والعرادات ، وكان الذي يرمي رجل يعرف بالسمرقندي ، (الطبري ٨/٤٤٦ و٤٤٧) كان رامياً لا يخطىء حجره ، فلما قتل محمد ، وقطع الجسر ، وأحرقت المجانيق ، طلب الناس السمرقندي ، وأخذوه ، فأخرجوه إلى شاطيء دجلة من الجانب الشرقي ، فصلب حيّاً ، وأقبل عليه الناس رمياً بالحجارة والنشّاب وطعناً بالرماح حتى قتلوه ، ثم أحرقوه (الطبري ٨/٤٩٨) .

وكان قطرب النحوي ، يؤدّب أولاد أبي دلف العجلي ، فلما توفّي في السنة ٢٠٦ قام ولده الحسن بتأديب الأولاد ، وحضر الحسن ، يوماً ، مع أبي دلف ، إحدى المعارك ، فأصاب رأسه سهم ، فسقط ، فحامى عنه أبو دلف ، وحارب أشدّ حرب ، حتى استنقذه ، وحمله إلى مأمنه ، وهو مغمى عليه ، وجمع له الأطبّاء ، وأمرهم بآستخراج السهم ، فقالوا : إن خرج السهم ولم يخالط الدماغ ، عاش ، وإن خالطه لم يعش ، ففتح الحسن عينيه ، ورفع رأسه ، وقال للأطباء : انزعوه ، فلو كان عندي دماغ ، ما حضرت المعركة . (الوافي بالوفيات ٥/ ٢٠) .

وذكر علي بن حسن الرامي ، قال : كنا قد جمعنا على السور ، على باب الشماسية ببغداد ، في السنة ٢٥١ ، في الحرب بين جيش المستعين ببغداد ، وجيش الأتراك المحاصر لها بأمر المعتزّ وكنّا جماعة من الرماة ، وكان مغربّي يجيء حتى يقرب من الباب ، ثم يكشف آسته ويضرط ويصيح ، قال : فأنتحيت له سهماً فأنفذته في دبره ، فسقط ميتاً (الطبري ٩/٣٠٥) .

وفي السنة ٢٦٧ أسر صندل الزنجي ، أحد قوّاد صاحب الزنج ، وكان يكشف وجوه الحرائر المسلمات ، ورؤوسهن ، ويقلبهن تقليب الإماء ، ومن امتنعت منهنّ ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج يبيعها ، فأمر به أبو أحمد (الأمير الموفّق) فشدّ بين يديه ، ورمي بالسهام ، ثم قتل . (الطبري ٥٨٨/٩) .

وذكر ابن خلدون ، في تاريخه ٣٢٢/٣ أنّ المعتضد ، ظفر في حربه مع صاحب الزنج ، ببعض قوّاده ، فقتلهم رشقاً بالسهام .

وكان المعتضد ربما أقام الرجل في أعلى القصر ، مجرّداً ، موثقاً ، أو يرمي بالنشّاب حتى يموت (مربع الذهب ٤٩٦/٢) .

ولما ولي جيش بن خمارويه حكم مصر ، اعتقل أعمامه ربيعة ، ونصر ، وشيبان ، أولاد أحمد بن طولون ، وبعث خادماً فأخذ نصراً ، وأفرده في بيت ، فأقام خمسة أيام ، لا يطعم ولا يشرب ، والباب عليه مغلق ، ودخل عليه أصحاب جيش ، فرموه بأسهم ، فقتلوه . (النجوم الزاهرة ٩٤/٣) .

وفي السنة ٣٣٠ دخل أبو العباس بن شقيق ، بغداد ، ومعه رأس ماكان بن كالي الديلمي ، مع هدايا صاحب خراسان إلى المتّقي ، وشهر رأس ما كان في شذاءة ، وكان على الرأس خوذة ، وفيه سهم نفذ في الخوذة والرأس ، ومرّ من الجانب الآخر من الخوذة (تجارب الأمم ٢٣/٢) .

وفي السنة ٤١٢ حجّ الناس من العراق ، وكانوا قد إنقطعوا عن الحجّ في السنتين ٤١٠ و٤١١ ، فلما كانت السنة ٤١٢ قصد جماعة من أعيان خراسان ، السلطان محمود بن سبكتكين ، وقالوا له : أنت أعظم ملوك الإسلام ، وأثرك في الجهاد مشكور ، والحجّ قد انقطع كما ترى ، والتشاغل به واجب ، وقد كان بدر بن حسنويه ، وفي أصحابك كثير أعظم منه ، يسيّر

الحاج بتدبيره وماله عشرين سنة ، فأجعل لهذا الأمر حظّاً من آهتمامك ، فتقدّم إلى قاضي قضاته ، بأن يسير بالحاجّ ، وأعطاه ثلاثين ألف دينار يعطيها للعرب ، سوى النفقة في الصدقات ، ونادى في خراسان بالتأهّب للحجّ ، فآجتمع خلق عظيم ، وساروا ، وحجّ بهم أبو الحسن الأقساسي ، فلما بلغوا فيداً ، حصرهم العرب ، فبذل لهم قاضي القضاة خمسة آلاف دينار فلم يقنعوا ، وصمّموا على أخذ الحاجّ ، وكان مقدّمهم رجل يقال له حمّاد بن عديّ ، من بني نبهان ، فركب فرسه ، وعليه درعه وسلاحه ، وجال جولة يرهب بها ، وكان من سمرقند شابّ يوصف بجودة الرمي ، فرماه بسهم فقتله ، وتفرّق أصحابه ، وسلم الحاج ، فحجّوا ، وعادوا سالمين (ابن الاثير ٣٢٥/٩) .

وفي السنة ٤٣٤ خرج بمصر ، إنسان اسمه سكين يشبه الحاكم الفاطمي صاحب مصر ، وادّعى أنّه الحاكم قد رجع بعد موته ، فاتّبعه جمع ، وقصدوا دار الخلافة ، ودخلوا إليها ، فحاربه حرس دار الخلافة ، وقتلوا قسماً من أصحابه ، وأسروا الباقين ، وصلبوا أحياءً ، ورماهم الجند بالنشّاب حتى ماتوا . (ابن الاثير ٥١٣/٩) .

وفي السنة ٤٦٨ قتل نصر بن محمود بن مرداس ، صاحب حلب ، في يوم عيد الفطر ، فإنّه عيّد ، وكان الوقت ربيعاً ، وآحتفل الناس بالعيد ، وتجمّلوا بأفخر ملابسهم ، ودخل الشعراء على نصر فأمتدحوه ، ثم خرج وقت العصر ، إلى مضارب الأتراك ، وأراد أن ينهبهم ، فرماه تركي بسهم في حلقه ، فقتله (اعلام النبلاء ٣٤٣/١ و٣٤٤) .

وفي السنة ٥١١ اغتيل لؤلؤ الخادم ، اغتاله جماعة من أصحابه الأتراك ، اتّهموه بأنّه يريد قتل سيده سلطان شاه بن رضوان صاحب حلب ، فقتلوه رمياً بالنشاب . (ابن الاثير ٥٣١/١٠) .

وفي السنة ٥١٨ كان نور الدولة بلك ، صاحب حلب ، يحصر قلعة منبج ، فجاءه سهم عائر ، فوقع في ترقوته اليسرى ، فانتزعه ، وبصق عليه ، وقال : هذا قتل المسلمين كلّهم ، ومات لوقته ، وكان نور الدولة قد لبس الدرع ، ولم يزرّرها على صدره ، فوقع السهم في الرقعة التي لم يزرّر عليها فقتله (اعلام النبلاء ١/٤٥٣ و٥١٠) .

ولما عزم السلطان محمود السلجوقي ، على قتل مؤيّد الدين الطغرائي (٤٥٣ ـ٥١٥) وزير السلطان مسعود أمر أنّ يشد إلى شجرة ، وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام ، وأن يقف إنسان خلف الشجرة ، يكتب ما يقول ، وقال لأصحاب السهام : لا ترموه حتى أشير لكم ، فوقفوا ، والسهام مفوّقة لرميه ، فأنشد الطغرائي في تلك الحالة :

ولقد أقول لمن يسدّد سهمه	نحوي وأطراف المنيّة شُرَّعُ
والموت في لحظات أحور طرفه	دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتّش في فؤادي هل ترى	فيه لغير هوى الأحبّة موضع
أهون به لو لم يكن في طيّه	عهدُ الحبيب وسرُّه المستودَع

فرقّ السلطان له ، وأمر بإطلاقه ، لكنّ وزيره أغراه بقتله ، فقتله (معجم الأدباء ٤/٥٢) .

وفي السنة ٥١٧ ظهر بالقاهرة ، رجل اسمه حميد القصّار ، وكان قصيراً دميم الخلقة ، فادّعى الربوبية ، وآستغوى جماعة ، فأخذهم الوزير المأمون البطائحي ، وصلبهم ومعهم القصّار ، على الخشب ، ورموا بالنّشاب حتى ماتوا (خطط المقريزي ١/٤٦٠) .

ولما استولى الأمير حسن بن الحافظ الفاطمي ، على السلطان في عهد أبيه الحافظ ، دامت أيّامه ثلاث سنين (٥٢٦ ـ ٥٢٩) فظلم الناس ، وقتل ، وصادر ، وآذى ، فأمر الخليفة الأستاذ ابن إسعاف أن يقصد بلاد الصعيد ،

وأن يجمع جيشاً يطردبه الأمير حسن ، **ليعيد سلطان الخليفة** ، فمضى وعاد بجيش عظيم ، واصطدم بجيش حسن في معركة فاصلة ، فانتصر حسن ، ووقع الأستاذ ابن إسعاف أسيراً في يد حسن ، فحمل إلى القاهرة على جمل وعلى رأسه طرطور لبد أحمر ، فلما وصل إلى ما بين القصرين ، رشق بالنشاب حتى هلك ، ورمي من القصر بأستاذ آخر فقتل (خطط المقريزي ٢/١٨) .

وفي السنة ٧٠٢ مات الأمير آقوش العلائي غرقاً عند جزيرة أرواد ، وسبب ذلك إنّه غضب على جندي من أتباعه ، لأنّه طالبه بنفقة ، فرماه بسهم ، فقتله ، فألزمه الأمير سلّار بأن يؤدّي ديته ، وأن يخرج بدلاً منه ، فخرج في سفينة أفردت له ، فانقلبت سفينته وغرق ، وسلم جميع من معه (الدرر الكامنة ١/٤٢٧) .

ولما خالف عين الملك على السلطان محمد بن تغلق (ت ٧٥٢) ، وانكسر عين الملك ، وقبض عليه وعلى أتباعه كان من جملة من قبض عليه ابن ملك التجّار ، وكان شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه ، وصهره ابن قطب الملك ، فأمر السلطان بهما ، فعلّقا من أيديهما في خشب ، وأمر أبناء الملوك ، فرموهما بالنشّاب ، حتى ماتا . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٤) .

وفي السنة ٧٩٦ توجّه عمر شيخ بن الأمير تيمور من شيراز ، ليلحق بأبيه « بالأوردو المبارك » فرماه ناشب من قلعة خرماتو بسهم فأصاب وريده ، فقتله (تاريخ الغياثي ١٩٠) .

وهاجم الأمير القرماني محمد بك بن علي بك ، أمير قصريه ونكدة ، مدينة طرسوس ، واستولى عليها ، فجهز له السلطان المؤيّد شيخ في السنة ٨٢٢ عسكراً طرده من طرسوس وسلّمها للأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر

الـذي أعـان الجيش المصـري في الحـرب ، ثم إنّ القـرمـاني هـاجم الأميـر الدلغادري ، فلم يوفّق ، وسقط أسيراً ، وقتل ولده مصطفى في المعركة ، أما الأب فحمـل إلى مصر واعتقـل هناك حتى السنـة ٨٢٤ ، فلمـا تـوفي المؤيّـد شيخ ، وخلفه ططر أطلقه ، وولّاه على بلاده ، فتوجّـه إليها ، وأقـام بها ، ثم قصـد في السنة ٨٢٦ قلعـة من قـلاع السلطان مـراد العثمـاني ، وحصـرهـا ، فـأصابـه حجر مـدفع من القلعـة ، فصرعـه ومـات (الضـوء الـلامـع ٢٠٢/٨ و٢٠٣) .

وفي السنـة ٩٥٣ قتل غـادر القنواتي بـدمشق ، وكان في حلب « مسلّطاً من الله على الـرافضة ، قـدحـاً فيهم ، ولعنـاً لهم ، وسخـريّـة بهم ، إجمـالاً تـارة ، وتفصيلاً أخـرى ، بصوت عنيف مـزعج جهـوري ، لا يتـوقّف فيـه ولا يتلعثم ، ويبـرزه ابرازاً ، لا يتكتّم ، تـارة بالجـامع وتـارة بالأسـواق ، ويصفق صفقات مهولة، وينادي بعبارات مريرة ، وصار بحيث لا يمنعه قاضٍ ولا والٍ » ثم انتقـل إلى دمشق ، فأخـذ يجعـل لـه في دمشق محـافـل مثـل محـافله في حلب ، فضربه واحـد منهم بنشاب وهـو بظاهـر دمشق ، فقتله ، وأخذ قـاتله فقتل به (اعلام النبلاء ٥٤٧/٥ و٥٤٨) .

القسم الثالث

القتل بالطبرزين

الطبرزين : أصلها فارسية : تبرزين ، تبر بمعنى فأس ، وزين بمعنى سرج . وإنما سمي بذلك ، لأنّهم كانوا يعلّقون هذه الأداة في السرج ، والفرق بين الطبرزين والفأس ، أنّ حدّ الفأس يكون متعامداً مع المقبض ، أمّا الطبرزين ، فإنّ حدّه يكون موازياً للمقبض أي في امتداده طولاً ، والبغداديّون يسمّونه : بلطه ، ويسمونه كذلك طبر ، وهو معروف لديهم منذ القديم ، وآخر من رأيناه يحمله ، الدراويش الايرانيّون ، فإنّ الدرويش لا بدّ له من كشكول وطبر ، يعلّق الكشكول في ساعده ، ويحمل الطبر على كتفه .

ولم يكن العرب يعرفون الطبرزين سلاحاً ، وإنما عرفوه بعد دخول الفرس والأتراك في جيوشهم ، أمّا القتل بالفأس ، فأوّل ما بلغنا عنه ، ما رواه الطبري ٨/ ٢٧٠ إنّ سعيد بن سلم ، عامل أرمينية للرشيد ، قَتَلَ في السنة ١٨٣ المنجم السلمي ، بأن ضرب عنقه بفأس .

وأوّل ذكر للقتل بالطبرزين ، ما بلغنا عن كيفية قتل باغر ، القائد التركي ففي السنة ٢٥١ كان باغر أحد قتلة المتوكّل قد تفرعن ، وزيد في أرزاقه ، وأقطع قطائع ، وخشيه المستعين ، فأمر بأن تصير أعمال إيتاخ جميعها إلى باغر ، فتعاقد وصيف وبغا ، على تنحية باغر من دار الخليفة ، وأحسّ باغر بالشرّ ، فجمع الجماعة الذين عاقدوه على قتل المتوكّل ، وتعاقد معهم على قتل المستعين ووصيف وبغا ، وقال لهم : نقتل هؤلاء ، ونجيء بعليّ بن

المعتصم ، أو بابن الواثق ، فنقعده خليفة ، حتى يكون الأمر لنا ، كما هو لهذين اللذين قد استوليا على أمور الدنيا ، وبقينا نحن في غير شيء ، وبلغ المستعين ووصيف وبغا ، ما تعاقد عليه باغر مع أصحابه ، فطلبوه ، فحضر في عدّة ، وأدخل إلى بغا ، ثم عطف به إلى حمّام بغا ، ودعي له بالقيود ، فامتنع عليهم ، فحبسوه في الحمّام ، ثم دخل عليه الأتراك ، فشدخوه بالطبرزينات حتى أسكتوه (الطبري ٩/٢٧٨ - ٢٨١) .

وفي السنة ٢٥٣ شغب الأتراك والفراغنة والأشروسنية وطالبوا بأرزاقهم ، فخرج إليهم وصيف ، وقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : أرزاقنا ، قال : خذوا تراباً ، ما عندنا مال ، فوثبوا عليه ، وضربوه بالسيف ضربتين ، ووجأوه بسكين ، فحمله نوشري ، أحد قواده ، إلى منزله ، فقصدوه ، وأخرجوه من المنزل ، وضربوه بالطبرزينات حتى كسروا عضديه ، ثم ضربوا عنقه ، ونصبوا رأسه على محراك تنّور (الطبري ٩/٣٧٤) .

وقبض علي المحسّن بن الفرات ، وهو في زيّ امرأة ، وقد قصّ لحيته ، وخضب يديه ورجليه ، ولبس قميصاً معصفراً ، فأوقع به ابن بعد شرّ مكروهاً عظيماً ، وضرب على رأسه ، وسائر جسده ، بالطبرزينات ، وقيّد ، وغلّ ، وألبس جبّة صوف ، وجبّة شعر ، وعذّب بكلّ شيء ، حتى تدوّد بدنه ولم يبق فيه فضل لضرب ، وبقي أيّاماً لا يطعم ، وهو في أكثر أوقاته مغشي عليه . (الوزراء للصابي ٦٥ ، ٦٩) .

وفي السنة ٣٢٢ لما حاصر الغلمان الحجريّة والساجيّة ، القاهر بالله ، هرب إلى سطح حمّام في دور الحرم ، فإستتر فيه ، فقبضوا عل خادم له صغير ، وضربوه بالطبرزينات حتّى دلّهم على موضعه . (تجارب الأمم ١/٢٨٩) .

وفي السنة ٣٢٢ خلع القاهر ، واستخلف الراضي ، فأقبل هارون بن

غريب ، وهو ابن خال المقتدر ، يريد بغداد ، فراسلوه أن لا يقدم ، فأبى ، فحاربه الجيش العبّاسي ، وفي أثناء المعركة تقنطر به فرسه ، فأقدم عليه غلام له اسمه يمن ، فضربه بالطبرزين ، حتى أثخنه وكسر عظامه ، ثم نزل إليه فذبحه (ابن الأثير ٨/٢٨٩) .

وفي السنة ٤٧٧ قتل المعتمد اللخمي ، صاحب قرطبة وإشبيلية ، ابن عمّار الأندلسي ، وكان من آثر الناس عنده ، وبعثه على رأس جيش لاحتلال مرسية ، فاستولى عليها ، وحازها لنفسه ، وعادى المعتمد ، وهجاه ، وهجا أولاده وأمّهم اعتماد ، ثم ثار عليه أهل مرسية ، وأخرجوه ، فالتجأ إلى حصن شقورة ، فاعتقله صاحب الحصن ، وسلّمه للمعتمد لقاء مال ، فأدخل قرطبة وإشبيلية ، مشهراً على بغل ، بين عدلي تبن ، وقيوده ظاهرة للناس ، وحبس في غرفة على باب قصر المعتمد بإشبيلية ، ثم دخل المعتمد عليه في محبسه ليلاً ، وضربه بطبرزين في يده ، حتى برد (المعجب للمراكشي ١٨٠ - ١٨٩) ووفيات الاعيان ٤/٤٢٨) .

وفي السنة ٧١٣ قتل الفقيه عمر بن محمد ، باليمن ، وبحث شيخ البلد ، عن قاتله حتى اعتقله ، وجاء به إلى قبر الفقيه ، «يوم ثالث القراءة» واستدعى ولد الفقيه ، وكان صبياً صغيراً ، فأعطاه شيخ البلد فأساً ، وقال له : تعال أضربه ، فهو قاتل أبيك ، وضربه بالفأس حتى قتله بعد ساعة ، لصغره (العقود اللؤلؤية ١/٤٠٨ و٤٠٩) .

وفي السنة ١٢٥٦ قتل أمين اغا الشاهبندر بدمشق ، قطع رأسه بالبلطة ، لكونه تكلّم في حقّ الحكم ، وكذلك قتل ابن أغات النور ، لأنّهم أرادوا أن يضعوا عسكراً في بيته ، فشتم الحكم ، فقطعوا رأسه بالبلطة ، وقتل يومها خمسة ضبّاط من عساكر ابراهيم باشا ، بينباشيّة (برتبة مقدم) كان مسك عليهم خيانة (مذكرات تاريخية ٢٢٢) .

القسم الرابع

القتل قعصاً بالرماح

ومن الألوان الأخرى من العذاب ، الطعن بالرماح ، وما يشبه الرماح كالحراب والزوبنيات .

والرمح : كلّ عود طويل في رأسه أداة جارحة ، ويتألّف من ثلاثة أقسام :

القناة : وهي عود الرمح .

والسنان : وهو نصل الرمح ذو الحدّ القاطع الذي يحصل به الطعن .

والزجّ : وهو الحديدة التي في أسفل الرمح .

والحربة : والجمع حراب : آلة للحرب من الحديد ، أقصر من الرمح ، وأخفّ محملاً منه .

والزوبين : حربة قصيرة ذات رأسين ، والكلمة فارسية .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب معاوية بن أبي سفيان ، ففي السنة ٥١ قبض عامل معاوية بالموصل ، على عمرو بن الحمق الخزاعي ، من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب ، وكان مريضاً قد اسقى بطنه ، فأمر به معاوية ، فطعن في بطنه ، فمات في الطعنة الثانية (الطبري ٥/٢٦٥) .

وفي السنة ٦٦ كان على الكوفة إبراهيم بن مطيع ، يليها لعبد الله بن

الزبير ، وعلى شرطته إياس بن مضارب ، وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي ، يدبّر للاستيلاء على الكوفة ، وقد بايعه إبراهيم بن الأشتر ، ومرّ إبراهيم بعد المغرب ، بإياس بن مضارب ومعه شرطه ، فأراد إياس أن يعتقل إبراهيم ، فقال له إبراهيم : لا أبالك ، خلّ سبيلنا ، فأغلظ له إياس ، وكان مع إياس رجل يحمل رمحاً ، فأخذ إبراهيم منه الرمح ، وطعن إياساً في ثغرة نحره ، فصرعه ، وقال لرجل من أصحابه : إنزل إليه ، فآحتزّ رأسه ، فنزل إليه ، فإحتز رأسه ، وتفرّق أصحابه (الطبري ٦/١٩ و٢٠) .

وفي السنة ٦٦ أمر المختار ، بعمرو بن صبيح ، أحد من قاتل الحسين ، فطعن بالرماح حتى مات ، وكان عمرو بن صبيح ، وهو من صداء ، شارك في معركة الطفّ ، وكان يقول : لقد طعنت بعضهم ، وجرحت فيهم ، وما قتلت منهم أحداً ، فبعث إليه المختار ، فأتي ليلاً ، وهو على سطحه ، لا يشعر ، بعدما هدأت العيون ، وسيفه تحت رأسه ، فأخذوه أخذاً ، وأخذوا سيفه ، فقال : قبحك الله سيفاً ، ما أقربك ، وأبعدك ، وجيء به إلى المختار ، فحبسه معه في القصر ، فلما أن أصبح ، أذن لاصحابه ، ودخل الناس ، فجيء به مقيّداً ، فقال : أما والله يا معشر الكفرة الفجرة ، لو أنّ سيفي بيدي ، لعلمتم أنّي بنصل السيف غير رعش ولا رعديد ، ما يسرّني أن كانت منيتي قتلاً ، أنّه قتلني من الخلق أحد غيركم ، لقد علمت أنّكم شرار خلق الله ، غير أنّي وددت أنّ بيدي سيفاً أضرب به فيكم ساعة ، ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل ، وهو إلى جنبه ، فضحك ابن كامل ، ثم أخذ بيده وأمسكها، وقال : أنّه يزعم أنّه جرح في آل محمد ، وطعن فقال المختار : عليّ بالرماح ، فأحضرت ، فقال : اطعنوه حتى يموت ، فطعن بالرماح حتى مات (الطبري ٦/٦٤ و٦٥) .

ولما هزمت مضر ، يوم الجبانة بالكوفة ، خرج شمر بن ذي الجوشن ، أحد قتلة الحسين عليه السلام ، يركض فرسه خارجاً من الكوفة ،

وآتّبعه غلام للمختار يدعى زربي ، فعطف عليه شمر فقتله، ولحق ببعض القرى ، فنزلها ، وكتب إلى المصعب بالبصرة كتاباً ، ووجّه به فيجاً ، فأخذت الفيج مسلحة للمختار ، فسألوه عن صاحب الكتاب فدلّ على القرية التي هو فيها ، فأنهي الخبر إلى المختار ، فوجّه إلى شمر خيلاً ، فلم يشعر إلاّ وقد أحاطوا بالقرية ، فخرج إليهم يقاتلهم وهو يرتجز :

نبّهتم ليث عرين باسلا لم ير يوماً عن عدوّ ناكلا

إلاّ كذا مقاتلاً أو قاتلا

فقتله عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني ، طعنه في ثغرة نحره ، ونادى : يا لثارات الحسين ، ثم أوطأه الخيل وبه رمق حتى مات ، فآحتزّ رأسه ، وأتى به المختار ، ونبذت جيفته للكلاب (انساب الاشراف ٥/٢٣٨) .

وقتل الحجّاج بن يوسف الثقفي ، ابن القريّة ، أحد بلغاء العرب ، بيده ، إذ أمر أربعة رجال ، فأمسكوا به حتى لا يستطيع حراكاً ، ثم وضع الحجّاج الحربة في ثندوءة ابن القرية ودفعها حتى خالطت جوفه ، ثم خضخضها ، وأخرجها ، فأتبعها دم أسود فقال الحجّاج : هكذا تشخب أوداج الإبل ، وفحص ابن القريّة برجليه ، وشخص ببصره ، وجعل الحجّاج ينظر إليه ، حتى قضى (الأخبار الطوال ٣٢٢ و٣٢٣) .

وفي السنة ٣٢٨ ، قتل بَجْكَمْ ، أمير الأمراء ببغداد ، كاتباً من كتّابه ، طعناً بالزوبينات ، والزوبين رمح قصير ذو رأسين ، ثم رماه في النهر ، وسبب ذلك إنّه انحدر من بغداد في حديديّ ، يريد واسطاً ، لمحاربة البريديّ ، فوقع على صدر الحديديّ طائر ، فاصطاده غلمان بجكم ، فوجدوه يحمل كتاباً ينقل أخبار بجكم الى البريديّ ، وكان بخطّ كاتب بجكم ، فأحضره ،

وأراه الكتاب ، ثم أمر به فرمي بالزوبنيات إلى أن قتله ، ورمي به في النهـر ، (تجارب الأمم ١/٤١٤) .

وروى صـاحب كتاب الهفـوات النـادرة (ص٢٢٣) إنّ أميـراً ديلميـاً ، اكتشف بعد حين ، أنّ كاتبه لا يقرأ ولا يكتب ، فرماه بـالزوبين ، فجـرحه ، وكان هذا الكـاتب يستر أمّيتـه عن صاحبـه ، بأن يستعين في قـراءة ما يـرد من الرسائل ، بمعلّم كتّاب في جواره ، وصادف أن ورد إلى القائد كتاب من وكيله في إقطاعه ، فرمى به إلى كاتبه ، وطلب منه أن يقرأه ، فقال له : أنـا لو كنت أحسن أقرأ وأكتب، كنت أكون كاتب الأمير عليّ بن بويه ، فغضب القائد ورماه بالزوبين ، فجرحه .

أقول : لما استولى بنو بـويه على السلطان في العـراق ، كان العـراقيّون في الرتبة العالية من الفهم والظرف والتأنّق ، وكـانت سوق العلم والفضـل في العراق رائجة وإليه تتجه أنـظار طلّاب الثقـافة من جميـع أنحاء العـالم ، وكان البـويهيّون وقـوّادهم من الديلم على بداوتهم وجهلهم وأمّيتهم ، وكان كتّـابهم الـذين أحضروهم معهم ، ممـاثلين لهم في الجهـل والأمّيـة ، فلمـا مـارسـوا صنـاعتهم ببغـداد ، ظهـر البـون الشـاسـع بينهم وبين الكتّـاب البغـداديّين ، فـأصبحوا مـوضع سخـريتهم ، فانتشـرت القصص للتندّر عليهم ، وقـد حفـل كتاب الهفوات النـادرة ، بالعـديد من القصص عنهم وعن سـادتهم من الأمراء والقوّاد ، وقد رووا أنّ أحد قوّاد الـديلم ، أثنى على كاتبـه ، وذكر إنّـه أحذق الناس بأمر الدوابّ والضيـاع وشراء الأمتعـة والحوائـج ، ومالـه عيب إلاّ أنّه لا يقرأ ولا يكتب ، وروي عن ابن أميرويه ، أحد كتّـاب الديلم ، إنّـه كتب رقعة مع جارية له إلى البقلي : يدفع البقلي ـ أعزّه الله ـ في الجاريـة عشرين قثّـاءة كباراً ، فقال لها البقلي : دعيني أدفع فيـك قثّاءة واحـدة ، بكلّ مـا في الصنّ من القثاء ، وذكر أنّ أحد كتّاب الديلم ، كتب تذكرة بأضاحي يريد تفرقتها في دار صاحبه القـائد ، وقـد قرب عيـد الأضحى ، فكتب : القائـد ثور ، امـرأته

بقرة ، وابنه كبش ، وبنته نعجة ، والكاتب تيس ، وإذا كانت هـذه القصص أو بعضها مصنّعة ، حيكت للفكاهة ، فـإنّ ما أثـاره كاتب بنجـاسب ، أحد قـوّاد الـديلم الأكـابـر من الفتنـة التي كـادت أن تؤدي إلى أوخم العـواقب ، أمـر حقيقيّ ، وكان بنجاسب هذا من أكبر قوّاد الديلم ، وهـو ابن عمّ الأمير ، وكان لـه إقطاع مثبت في ديـوان الاهواز ، وكـان أبو عبيـد الله الشيرازي ، صـاحب ديـوان الأهـواز لمعـزّ الـدولـة البـويهي ، فـاستـدعى أبـو عبيـد الله ، كـاتب بنجاسب ، وكان ديلميا أيضاً ، وطالبه بفاضل إقطاع بنجاسب ، وقال له : على صاحبك من فضل الإقطاع ، مـا قد كشف في طلب كسـره القناع ، قـالها أبـو عبيد الله ، على طريقة له غالية ، في التكلّم بالسجع ، فإغتاظ الديلمي كاتب بنجاسب وقال لـه : لا تقل هـذا على صاحبي ، فهـو أمير معـروف ، وهو ابن عمّ الأمير ، وهو لا يلبس مقنعة ، ولا هو مخنّث ، فقال له أبـو عبيد الله : يـا جـاهل ، من قـال إنّه يلبس المقنعـة ؟ فقال لـه الكاتب : سـوف تعلم من هو الجاهل ، وقـام مبادراً إلى صاحبه ، وقال له : يا قائـد . اقتلني بين يديـك ، ولا أسمـع فيك الكـلام الرديء القبيـح ، أنت بنجـاسب بن بـا يعقـوب بن بـا صالح ، قرابة الأمير ، يقول أبو عبيد الله فيـك ، في الديـوان والناس حضـور يسمعـون ، أنّك مخّنث ، وتلبس المقنعـة ، وقـد كشفهـا عن رأسـك فـاضـل إقطاع لا يجب علينا ، فثار بنجاسب كـالمجنون ، وكـان قد شـرب أقداحـاً ، وأخذ في يده خشتاً ، وركب دابّة النوبة ، وأسرع يطلب أبا عبيد الله ، ليفتـك به ، وراه قوم من القوّاد ، وعرفوا خبره فأمسكوه ، وهو يجاذبهم ، وعـدلوا بـه إلى دار الأمير معزّ الدولة ، وصارت فتنة عظيمة ، وترجم كلام أبي عبيد الله ، إلى الفـارسية ، ليفهمـه بنجاسب ، فلم يقنـع ، وقال : أنـا لا أصغي إلاّ إلى قـول كاتبي ، وحضـر أبو بكـر السيـرجـاني ، كـاتب الإنشـاء ، وكـان مـوقّراً عنـدهم ، وحدّث بـالحديث ، فقـال : أنـا أحـلّ هـذه العقـدة ، ودخـل على بنجاسب ، وسألـه عن حالـه ، فأعـاد عليه مـا قال لـه كاتبـه ، وقال : جعلني مخنثاً ألبس المقنعة ، ولئن لم ينصفني الأمير ، لأقتلـنّ أبا عبيـد لله وأعود إلى

ديلمان ، فقال له أبو بكر : أمّا كاتبك فأحسن الله جزاءه ، لأنّه حمي لصاحبه وامتعض له ، إلاّ إنّه كاتب حاسب ، ولا يعرف كلام العرب ، فإنّ القناع في لغتهم السيف ، ولم يزل يداريه ، حتى هدأ .

وفي السنة ٤٢٩ قتل الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس ، وزير زهير العامري ، وكان ابن عباس قد أرّث فتنة بين صاحبه زهير (صاحب المرية) وبين باديس (صاحب غرناطة) حتى اشتبكا في حرب ، وظفر باديس بزهير فقتله ، وأسر أحمد بن عباس ، فاعتقله في غرناطة ، فبذل لباديس ثلاثين ألف دينار ليطلقه ، ومال باديس إلى ذلك ، وعارضه أخوه بلكّين ، ثم ركب باديس وأخوه بلكّين ، واستخرجا ابن عباس من سجنه ، فأقبل يرسف في قيوده ، فأقبل باديس يسبّه ويبكّته ، وأحمد بن عباس يتضرّع ويعتذر ، فهزّ باديس المزراق في يده ، وطعن به ابن عباس ، فقتله (الاحاطة ٢٦٧ ـ ٢٧٠) .

أقول : الذي ورد في الإحاطة ، إنه قتل سنة « سبع وعشرين » وهو خطأ من الناسخ ، لم يلتفت إليه المحقق ، والصحيح إنّه قتل سنة « تسع وعشرين » ذلك لأنّ المعركة بين باديس وزهير العامري كانت في السنة ٤٢٩ ، وفيها وقع ابن عباس في الأسر ، هذا وقد جاء في الإعلام للزركلي ١٣٩/١ إن ابن عباس قتله باديس في السنة ٥٣٠ وهو خطأ ينقضه قول صاحب الإعلام في ترجمة باديس ٤/٢ إنّ معركته مع زهير كانت في السنة ٤٢٩ ، وأيّده ابن الاثير ٢٨٦/٩ في ذلك ، وهي المعركة التي اعتقل فيها ابن عباس ، فاقتضى الإشارة إلى ذلك أيضاً ، وقد ورد في معجم الأنساب لزامباور (ص ٨٧) إنّ باديس خلف أباه حبّوس في الحكم في السنة ٤٣٠ والصحيح إنّه خلفه في السنة ٤٢٩ لأنّ باديس لما حارب زهيراً العامري في السنة ٤٢٩ كان أبوه حبّوس قد مات .

وقتل صارم الدين مرجّى بن نباتة البطائحي الشاعر ، بطعنة حربة في ظهره ، وسبب ذلك أنّه كان هجّاءً ، هجا كثيراً من الناس ، ونال من

أعراضهم ، سواء الأقارب والأباعد وهجا المظفّر صاحب البطائح ، فقال :

إنّ آبن حماد قد طغى وبغى بغياً عظيماً وأرهق الناسا
وكان من شؤم بخته ذنباً فصار من شؤم بختنا راسا

فبعث إليه المظفّر أحد فتيانه ، فطعنه بحربة في ظهره ، فقتله ، راجع ترجمته في خريدة القصرج ٤ م ٢ ص ٥٣٢ ـ ٥٤٦ .

وفي السنة ٦٥٨ غضب المستنصر أبو عبد الله محمد بن يحيى ، صاحب تونس (٦٢٥ ـ ٦٤٧ ـ ٦٧٥) على الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي ، المؤرَخ ، الأديب ، الشاعر ، الكاتب ، المعروف بابن الأبّار (٥٩٥ ـ ٦٥٨) فأمر به فقتل في مجلسه قعصاً بالرماح (إعتاب الكتاب ١٨ والاعلام ٧/١١٠) .

أقول : وابن الأبّار هو صاحب القصيدة الشهيرة ، التي استنهض بها سلطان تونس ، لاغاثة الأندلس ، ومطلعها :

أدرك بخيلك خيل اللّه أندلسا إنّ السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما آلتمست فلم يزل منك عزّ النصر ملتمسا

والقصيدة في سبعة وأربعين بيتاً ، أثبتها القاضي ابن خلدون بنصها في تاريخه ٦/٢٨٣ ـ ٢٨٥ ووردت كذلك في نفح الطيب ٤/٤٥٧ ـ ٤٦٠ .

وفي السنة ٧٠٦ توفّي السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني (٦٣٨ ـ ٦٨٥ ـ ٧٠٦) فبايع قسم من رجال الدولة ولده أبا سالم بمسعى الوزير أبي زيد يخلف بن عمران الفودوي ، آخر وزراء السلطان المتوفىّ أبي يعقوب ، وبايع الآخرون أبا ثابت عامر ، حفيد السلطان أبي يعقوب ، وضعف أمر أبي سالم ، فآنسحب وفرّ ، فخرج الوزير أبو زيد معلناً الطاعة للسلطان أبي ثابت ، فلما لاقاه ، أمر به فأنزل عن فرسه ، وقتل قعصاً بالرماح (ابن خلدون ٧/٢٣٤) .

وفي السنة ٧٥٣ حاصر السلطان أبو عنان المريني ، صاحب المغرب ، مدينة تلمسان ، وفتحها ، وأسر السلطان أبا سعيد عثمان الثاني بن عبد الرحمن واعتقله ، ثم ذبحه في محبسه ، وأسر الأمير أبا ثابت بن عبد الرحمن ، ومعه الوزير يحيى بن داود ، فأشهرهما على جملين ، ثم قتلهما قعصاً بالرماح (ابن خلدون ٧/١٢١ و٢٨) .

وفي السنة ٧٥٦ خرج عيسى بن الحسين ، صاحب جبل الفتح والثغور الأندلسية التي تحت حكم صاحب المغرب ، على السلطان أبي عنان ، صاحب المغرب ، فخالفه كثير من أصحابه ، وآعتقلوه ، وولده ، وبعثوا به إلى السلطان أبي عنان ، فقتل عيسى قعصاً بالرماح ، أما ولده أبو يحيى ، فقطعت أطرافه من خلاف ، وترك ينزف حتى مات (ابن خلدون ٧/٢٩٥ و٢٩٦) .

وفي السنة ٧٥٨ اتّهم السلطان أبو عثمان المريني ، صاحب المغرب ، وزيره فارس بن ميمون ، بالسعي في مبايعة غيره ، فاعتقله ، وأمر به فقتل قعصاً بالرماح (ابن خلدون ٧/٢٩٨) .

ولما مات السلطان أبو عنان المريني ، سلطان المغرب ، تحرّك أخوه أبو سالم ، وكان منفيّاً بالاندلس ، لكي يحلّ محلّه ، فامتنع صاحب غرناطة من إعانته على ما يريد ، فالتجأ إلى ملك قشتالة، فآشترط عليه أن نجح شروطاً وافق عليها ، فأمدّه باسطول أنزله في طنجة ، وتحرّك إلى حاضرة المملكة ، وخلع السعيد (الطفل الذي ولي السلطنة) ، وتمت البيعة لأبي سالم ، فقبض على بعض خصومه ، وقتلهم قعصاً بالرماح ، ثم جمع إخوته وأقاربه من المرشحين للسلطنة ، فأركبهم السفن على أن تنقلهم إلى المشرق (مصر) ، ولكنه أعطى أمراً سرّياً بإغراقهم ، فأغرقوا جميعاً (ابن خلدون ٧/٣٠٥ و٣٠٦) .

وفي السنة ٧٦١ خرج الوزير الحسن بن عمر ، وزير السلطان أبي سالم المريني ، على سلطانه ، ولحق بتادلا ، وآعتصم بالجبل ، واستجار بالحسين بن علي الورديغي ، فبعث السلطان وزيره الحسن بن يوسف ، وبذل لبعض أهل الجبل مالاً ، فانفضّوا عن الحسن ، وقبضوا عليه ، وأسلموه إلى الوزير ، فحمله إلى السلطان الذي احتفل باستقباله ، ثم أشهره على جمل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ونتفت لحيته ، وضرب بالعصي ، وتلّ إلى محبسه ، وقتل قعصاً بالرماح في ساحة البلدة ثم نصب شلوه على سور البلد (ابن خلدون ٧/ ٣١٠) .

وفي السنة ٧٦٩ شكّ السلطان عبد العزيز المريني ، صاحب المغرب ، في نية وزيره يحيى بن محمود بن مصمود ، لاختلاف الناس إليه ، وعكوف قوّاد الجند النصراني على بابه ، فبعث إليه من اعتقله ، ثم قتله قعصاً بالرماح ، وقتل كل من كان يواصله من أفراد العائلة المالكة ، وقوّاد الجند (ابن خلدون ٩/ ٣٢٥) .

وفي السنة ٧٧٠ ثار عامر بن محمد بالمغرب على السلطان عبد العزيز المريني وبايع أميراً من بني عبد الحقّ، من أولاد أبي ثابت ، اسمه تاشفين فجرّد السلطان عبد العزيز جيشاً لمحاربته ، وأسر تاشفين ، فأمر به السلطان فقتل قعصاً بالرماح (ابن خلدون ٧/ ٣٢٦) .

وفي السنة ٨٥٧ في موسم الحجّ ، وكان الحاجّ قد حطّ رحاله بالمشهد الغروي (النجف) خرج عليهم السلطان علي المشعشعي بعساكره ، فأحاط بهم ، وقتلهم إلى آخرهم ، ونهب أموالهم ، ودوابهم ، وجمالهم ، وأخذ المحمل ، والآية المذهبة ، وقماشه ، ونجا أناس قلائل ، كانوا قد سبقوا ودخلوا المشهد ، وحاصر السادة في حطيم المشهد ، وطالبهم بأن يخرجوا إليه القناديل والسيوف ، وكانت خزائن السيوف من سبعمائة سنة يجمع فيها سيوف الصحابة والسلاطين ، وكلّما مات سلطان أو خليفة بالعراق ، حمل

سيفه أليها ، فأرسلوا أليه مائة وخمسين سيفاً ، واثنى عشر قنديلاً ، ستّة منها من الذهب ، وستّة من الفضّة ، فسار إليه من بغداد جيش لقتاله ، فظفر المشعشعي بهم ، وقتلهم جميعاً ، إلاّ قائدهم دوه بيك الذي نجا بحشاشة نفسه ، ثم قصد المشعشعي الحلّة ، فهرب جميع أهلها إلى بغداد ، ومات قسم عظيم منهم في الطريق من الجوع والتعب ، ومن تخلّف في الحلّة قتله المشعشعي ، ونقل المشعشعي أموال الحلّة والمشهدين (الحائر والغري) إلى البصرة ، ثم عاود قصد كربلا والنجف ، فأخذما بقي في المرقدين من القناديل والسيوف والأعتاب الفضّة والستور والزلالي ، ودخل بالفرس إلى داخل الضريح ، وأمر بكسر الصندوق الذي على القبر وإحراقه ، وقتل من أهل المشهدين من السادات وغيرهم ، ثم توجّه المشعشعي إلى مهرود وطريق خراسان من ولاية بغداد ، ونهب وقتل ، وأسر الذراري والنساء ، وأحرق الغلّات ، وقتل مشايخ سلمان الفارسي ، وأسر باقيهم ، ثم توجّه نحو بهبهان ، وحصر قلعتها ، وبينما كان ذات يوم يسبح في النهر تحت القلعة ، ومعه ثلاثة من أصحابه ، نزل إليه من القلعة فتى اسمه محمود بن بهرام ، وادّعى إنّه لاجيء هرب من القلعة ، ووقف على الساحل حتى خرجوا من الماء ، ورأى محمود أنّ الثلاثة يخدمون واحداً ، فعرف أنّه المشعشعي ، فرماه بياسج (رمح) في يده ، فأنفذه من حالبه إلى وركه ، وعاد راكضاً نحو القلعة ، وحمل المشعشعي لا حراك به ألى خيمته ، ولما بلغ يبر بوداق إصابة السلطان علي المشعشعي قصده بجيشه ، وحاربه ، فآنفلّ جيش المشعشعي ، وقطع رأسه ، وسلخ جلده وحشي تبناً ، وأشهر ببغداد ، وحمل الرأس إلى جهان شاه (تاريخ الغياثي ٣٠٨ ـ ٣١٤) .

القسم الخامس

القتل بالبارود والرصاص

حنق السلطان إبراهيم لودي ، سلطان الهند (٩١٥ - ٩٣٢) على وزيره ميان ، فدبّر له مؤامرة ، بأن أعدّ بناءً ، فوق سردابٍ ملأه بأكياسٍ من البارود ، ثم دعا الوزير ، وأمره أن يصطحب معه فريقاً من الاشراف ممن كان السلطان يضمر له الكراهية ، فلما استقرّوا في ذلك البناء ، أشعل البارود ، فتطايرت أشلاؤهم . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٣٤ و٣٥) .

وارتاب السلطان سليم (اسلام شاه) بن شيرشاه فريد (حكم من ٩٥٢ ألى ٩٦٠) في إخلاص عشيرة من أكبر العشائر في الهند ، وهي عشيرة نيازي ، فجمع رؤساءها ، ونسفهم بالبارود (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٦٠) .

وفي السنة ١١٠٦ قتل غيلة بالقاهرة كجك محمد أوده باشا ، أطلق عليه النار رجل « سجماني » فأصابه (الجبرتي ١/١٤٦ - ١٤٨) .

وفي السنة ١١٤٩ حصلت مذبحة في بيت محمد بك الدفتردار بمصر ، باطلاع الوالي باكير باشا سببها إنّ صالح كاشف زوج هانم بنت إيواظ بك طلب لنفسه صنجقيّة ، فعارض محمد بك قيطاس في ذلك ، وأصرّ على المعارضة ، وأيّده في المعارضة علي بك تابع قطامش ، وخليل افندي ، فاتّفق صالح كاشف مع عثمان كتخدا القازدغلي ، على آغتيال هؤلاء الثلاثة ،

وآنضم إلى المؤامرة رضوان بك أمير الحاج سابقاً وسليمان الفراش ، فكتب محمد بك الدفتردار فرماناً بالجمعية في بيت الدفتردار (أي دعوة عامة للأمراء) فركب الأمراء عصراً إلى بيت الدفتردار وتذاكروا في أمر الحلوان والخزينة (أي المال الذي يرسل لإصطنبول) ، ثم لما حلّ الغروب وقف الدفتردار ، وصاح : هاتوا شربت ، وكانت هذه كلمة السرّ ، إشارة للمتآمرين بحلول ساعة التنفيذ ، ففتح المتآمرون باب خزانة ، وخرج منها جماعة بطرابيش وقد أشهروا أسلحتهم ، فوقف محمد بك قيطاس ، وصاح : هي خونة ، فأطلقوا عليه النار فأصيب في صدره وسقط ، ووقع الضرب وهاج المجلس ، وكان الظلام قد خيّم على المكان ، فأوقدوا الشموع . وتفقّدوا القتلى ، فكانوا عشرة ، فعرّوهم من ثيابهم ،وقطعوا رؤوسهم ، ووضعوها على البسطة في جامع السلطان حسن ، ووضعوا عند كلّ رأس شيئاً من التبن (الجبرتي ١/٢٢٢ ـ ٢٢٤) .

وفي السنة ١٢١٣ ثار أهالي القاهرة ، على الجيش الإفرنسي المسيطر على مصر ، فحاربهم الإفرنسيون ، وقتلوا منهم ، واحتلّوا الجامع الأزهر ، ثم آتّهموا أشخاصاً بأنّهم هم الذين دعوا للثورة ، واعتقلوهم وهم الشيخ سلمان الجوسقي ، شيخ طائفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوي ، والشيخ عبد الوهاب الشيراوي ، والشيخ يوسف المصيلحي ، والشيخ إسماعيل البراوي ، وحبسوهم ببيت البكري ، ثم أخذوهم في نصف الليل ، وحملوهم إلى القلعة ، وفي الصباح أخرجوهم وقتلوهم بالرصاص ، وألقوهم من السور خلف القلعة (الجبرتي ٢/٢٢٢ و٢٢٥) .

وفي السنة ١٢١٣ قتل بالقاهرة السيد محمد كريم ، وكان قد حاز بالإسكندرية شهرة واسعة ، فلما نزل الإفرنسيون بالإسكندرية اعتقلوه ، ثم أطلقوه ، ولما وصلوا إلى القاهرة اطّلعوا على رسائل صادرة منه يوصي فيها بمحاربتهم ويهوّن من أمرهم ، فعاودوا اعتقاله ، ثم في ظهر أحد الأيام

أركبوه حماراً ، وأحاط به عدّة من العسكر شاكي السلاح ، وأمامه طبل يضربون به ، وذهبوا به إلى الرميلة ، وكتّفوه ، وربطوه مشبوحاً ، وضربوا عليه بالبنادق ، فقتلوه (الجبرتي ٢/٢٨٠) .

وفي السنة ١٢١٣ اعتقل الإفرنسيون بالقاهرة ، ثلاثة من الجنود الإفرنسيّين ، ثبت إنّهم تسلّقوا دوراً ونهبوا ما فيها ، ثم أحضروهم في الميدان « وبندقوا عليهم الرصاص » (الجبرتي ٢/٢٤٢) .

وفي السنة ١٢١٩ عند الاحتفال في القاهرة بكسر الخليج ، حضر الباشا (الوالي) والقاضي ومحمد علي (باشا) وجميع العسكر ، وضرب الجميع بنادقهم ، ومات في ذلك اليوم عدّة أشخاص نساء ورجالاً ، أصيبوا من البنادق ، ومما وقع إنّه أصيب شخص من أولاد البلد برصاصة منهم ومات ، وحضر أهله يصرخون ، وأرادوا أخذه ليواروه ، فمنعهم الوالي ، وطلب منهم ثلاثة آلاف درهم فضّة ، ولم يمكنهم من شيله حتى صالحوه على ألف وخمسمائة (الجبرتي ٣/٢٧) .

وفي السنة ١٢٦٦ أعدم رمياً بالرصاص، علي محمد ابن المرزا رضا الشيرازي ، مؤسّس البابيّة ، وكان قد جاهر بعقيدته ، ودعا إليها في السنة ١٢٦٠ ، وقد حوكم في تبريز ، وحكم عليه فيها بالإعدام ، فأعدم . (الاعلام ٥/١٧١) .

وفي السنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) ، قتل ببغداد رمياً بالرصاص يامين بن يعقوب ، من محلة قنبر علي ، لأنّه فرّ من الجندية ، وكان قتله علناً . (تاريخ العراق للعزاوي ٨/٢٧٧) .

وفي السنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) ، أعدم ناحوم شلومو ومنشي حسقيل وسلمان عبد الله كجرو ، وداود ساسون ، وعبد الله قطان ، لفرارهم من الجندية . (تاريخ العراق للعزاوي ٨/٢٩٤ و٢٩٥) .

أقول : إنّما أوردت هذين الخبرين ، لكي أذكر أنّ المسيحيين واليهود ، لم يكونوا قبل إعلان الدستور العثماني في السنة ١٩٠٨ خاضعين للخدمة العسكرية ، فلما أعلن الدستور ، فوجئوا بطلبهم للخدمة العسكرية ، فكان القسم الأكبر من اليهود يفرّون من الخدمة العسكرية ، وعلى هذا الاساس ، صدرت الأحكام التي أوردنا قسماً منها في هذا البحث .

وفي السنة ١٣٤٤ (١٩٢٥ م) قتل بحماة ، الطبيب صالح بن محمود قنباز ، سمع أنّة جريح بقرب منزله ، يوم ثارت حماة ، فنهض لإسعافه ، فرماه جندي فرنسي ، فصرعه . (الاعلام ٣/٢٨٢) .

وفي السنة ١٣٥٥ (١٩٣٦م) ، قتل جعفر العسكري ، القائد العراقي ،لما وقع انقلاب بكر صدقي ، فإنّه قصد بكراً لإطفاء الفتنة بالإقناع ، فخشي بكر من وصوله ، لأنّ جعفر يعتبر أباً للجيش العراقي ، وهو الذي أسّسه ، وربما كان حضوره سبباً لانتقاض الفتنة ، فبعث إليه خمسة من الضباط ، قتلوه فور مواجهته . (الاعلام ٢/١٢٥) .

أقول : قرأت أوراق التحقيق التي قامت بها السلطة القضائية في مقتل المرحوم جعفر العسكري ، وكانت إفادات الضبّاط الخمسة الذين قتلوا جعفراً ، متّفقة على أنّ خبر تحّرك جعفر إليهم ، وصل إلى بكر ، فقال : من منكم يخرج ويقتل جعفراً ؟ فلم يجب أحد ، فنادي بكر الضباط الخمسة بأسمائهم، وقد حرص على أن يكونوا شبّاناً ، ومن أخصّ الضباط به ، ومن أديان مختلفة ، وأمرهم بالتصّدي لجعفر ، وقتله عندما تقع أعينهم عليه ، وذكروا أنهّم لما واجهوه ، نزل من السيارة ، فأشهروا عليه مسدّساتهم ، فأشار إليهم بيده ، وهو يقول لهم : يواش ، يواش (تركية مستعملة في العراق يعني مهلاً ، مهلاً) فكان جوابهم أنّهم أطلقوا عليه النار وقتلوه .

ولما قتل جعفر ، قالت مجلة بريطانيا العظمى والشرق : إنّ الرجل

الذي عجز الانكليز والاتراك عن قتله في الحرب العظمى ، مات قتيلاً بأيد عربيّة .

وفي السنة ١٣٥٩ (١٩٤٠) قتل الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، من أحرار العرب ، دخل عيادته ثلاثة أشخاص فقتلوه ، واعتقلوا ، وأعدموا (الاعلام ٤/٨٠) .

وفي السنة ١٣٦٨ (١٩٤٩ م) قتل رمياً بالرصاص ، حسني الزعيم الضابط السوري ، الذي قاد إنقلاب السنة ١٩٤٩ في سورية ، وقتل معه رئيس وزرائه محسن البرازي . (الاعلام ٢/٢٤٥) .

الفصل الثالث

القتل بآلات غير معدة للقتل

أدرجنا في هذا القسم ، ما بلغنا من أخبار القتل بالآلات التي لم تكن معدّة للقتل ، كاليد ، والمنشار ، والرحى ، والسيخ الحديد ، والدّبوس الدقيق (المسمى عندنا بالمخيط بميم مكسورة وياء مفتوحة) ، والخنجر ، والبارود .

وأوّل ما بلغنا عن هذا اللون من القتل ، ما حصل في السنة ٥ في غزوة بني قريظة ، إذ قتل خلاد بن سويد من الخزرج ، طرحت عليه رحى ، فشدخته شدخاً شديداً ، ألقتها عليه امرأة يهودية من بني قريظة (الطبري ٢/٥٩٣) .

ولما خطب الحسن ، أصحابه ، ولاح لهم من قوله أنّه يريد أن يصالح معاوية، ثاروا به ، وقطعوا كلامه ، وانتهبوا متاعه ، واختلفوا ، طائفة معه ، والأكثر عليه ، ولاقاه سنان بن الجراح الاسدي ، في مظلم ساباط ، فدنا منه، وطعنه في فخذه بالمغول، فغشي عليه ، وسبق عبيد الله الطائي ، فصرع سناناً ، وأخذ ظبيان بن عمارة المغول من يده ، فضربه به فقطع أنفه ، ثم ضربه بصخرة على رأسه ، فقتله (شرح نهج البلاغة ١٦/٢٦ و٢٧) .

وفي السنة ١٤٥ عدا على أبي القلمّس ، عبده فقتله ، فأخذ العبد وقتل ، وخلاصة القضيّة : إنّ محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي ، الملقّب

بالنفس الزكية ، لما خرج علي المنصور بالمدينة ، كان على شرطته أبو القلمّس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان شجاعاً أيّداً ، وكان إذا بارز في ساحة المعركة أحداً ، وضربه ، صاح : خذها وانا ابن الفاروق ، وأصابته في ساحة المعركة نشّابة في ركبته ، فبقي نصلها ، فعالجه ، فأعياه ، فإنسحب من المعركة ، وذكر أحد أصحابه إنّه كان معه لما آنسحب من ساحة المعركة ، وإذا بأبي القلمّس يستغرب ضحكاً ، فقلت : ليس هذا الموضع بموضع ضحك ، وخفضت بصري ، فإذا برجل من المنهزمة ، قد تقطّع قميصه ، ولم يبق منه إلاّ جربّانه (الياخة) وما يستر صدره إلى ثدييه ، وإذا عورته بادية وهو لا يشعر ، قال : فجعلت أضحك لضحك أبي القلمّس ، وطلب أبو القلمّس بعد الهزيمة ، فلحق بالحرّة ، وطلبوه ، فجثا ، ونكت كنانته ، وأخذ يرميهم ، فتصدّعوا عنه ، فنجا ، واختفى بالفرع زمناً ، ثم عدا عليه عبد له ، فشدخ رأسه بصخرة فقتله ، ثم أتى أمّ ولد كانت لأبي القلمّس ، فقال لها : إنّي قتلت سيّدك ، فهلمّي أتزوّجك ، قالت : رويداً أتصنّع لك ، فأمهلها ، فأتت السلطان فأخبرته ، فأخذ العبد ، فشدخ رأسه ، فقتله (الطبري ٧/٥٥٩ ، ٥٨٩ ، ٥٩٨) .

وكان لعمرو بن الليث الصفار ، المتوفى سنة ٢٨٩ ، بيت ينام فيه ، ويحرسه غلمان له ليلاً ، فانتبه في ليلة ، فوجد أحد الغلمان قد استند إلى الحائط ونام قائماً ، فجعل مرفقه على صماخ الغلام ، وغمز عليه ، حتى قتله (نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٣ ص ٩٩ رقم القصة ٣/٦٦) .

وأورد الاستاذ عباس العزاوي ، في كتابه تاريخ بغداد بين احتلالين ج ١ ص ٤١٧ إنّ ايرنجن التتري ، خال أبي سعيد سلطان العراق ، حاول قتل جوبان ، فلاذ جوبان بأبي سعيد ، فاعتقل أيرنجن ، فادّعى أنّ السلطان أبا

سعيد هو الذي أمره بقتل جوبان ، فغضب أبو سعيد ، وضربه بسيخ في فيـه ، فقتله .

وكان الأمير صغصغان مصطفى ، أميـر الحاج المصـري في السنة ٩٤٥ قد آبتكر طريقه للقتل مستغربة ، وهي انّه كـان ينشر من يقبض عليـه من قطاع الطرق بالمنشار ، ويقطع بدنه ألى نصفين ، ولذلك سمّـاه العرب : مصـطفى النشار (البرق اليماني ٨٨) .

وفي السنة ١٨٨٣ قتل عبد الله بك الشاوي ، واتّهم الوزير عمر بـاشا ، والي بغداد ، بأنّ له يداً في قتله ، فتحرّك أولاده الحاج سليمـان ، وسلطان ، وجمعـا عشيرة العبيـد ، ولكنّ الوزيـر عـاجلهم ، ففـرّ سليمـان ، وقبض على سلطان ، وأحضـر أمام الـوزير فهجم الـوزير عليـه ، وطعنه بخنجـر في يده ، حتى قتله (تاريخ العراق للعزاوي ٦/٤٢) .

وفي السنة ١٣٥٥ مات الشيخ خزعل بن جابر الكعبي ، أمير المحمّرة ، معتقلاً في طهران ، واعترف أحد الاطبّـاء ، بأنّـه دسّ في إحدى أذنيـه دبّوسـاً طويلاً (مخيط) فقتله .

أقول : في السنة ١٣١٥ قتل الشيخ خزعل ، أخاه الشيخ مزعل بن جابر الكعبي أميـر المحمّرة ، على بـاب قصره ، وتـولّى الامارة من بعـده (الاعلام ٢/٣٥٠) .

فهرس الكتاب